مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية
GCC Centre for Translation, Arabisation and Promotion of Arabic

الصِّلات الأدبيَّة بين الخليج والبصرة

الساحل الغربي أنموذجًا



تأليف
د. محمَّد بن سالم بن عبدالله الحارثي

١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م
إصدار مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية

د. محمَّد بن سالم بن عبدالله الحارثي

الصِّلات الأدبيَّة بين الخليج والبصرة

الساحل الغربي أنموذجًا



١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م
إصدار مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية

اسم الكتاب: الصِّلات الأدبيَّة بين الخليج والبصرة. الساحل الغربي أنموذجًا
تأليف: د. محمَّد بن سالم بن عبدالله الحارثي
الرقم الدولي: ٩-٢٨٠-١-٩٩٩٩٢-٩٧٨
رقم الإيداع: ٢٠٢٥/٩٠٨٠
الطبعة الأولى: ١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م
نُشِرَ في مسقط، سلطنة عُمان

الناشر:
مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية
الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

ص. ب (٥٣٩) - مسقط - سلطنة عُمان
هاتف: ٢٤٩٦٨٨٧٠ (٩٦٨+) فاكس: ٢٤٦٠٧٥٥٠ (٩٦٨+)
البريد الإلكتروني: ctapa@gccsg.org
الموقع الإلكتروني:
https://gcc-sg.org/ar/JointGulf/Cooperation/GCCTAB/Pages/default.aspx

© جميع الحقوق محفوظة لمركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية التابع للأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، ويُمنَع استخدام أيٍّ من المواد التي يتضمنها الكتاب أو استنساخها أو نقلها كليًّا أو جزئيًّا في أي شكل وبأية وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي أو التسجيل أو أي نظام من نظم تخزين المعلومات أو استرجاعها إلا بإذنٍ خطيٍّ من الناشر.

الإشراف العام:

أ.د. عبد الله بن سيف التوبي
مدير مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية

تأليف الكتاب:

د. محمَّد بن سالم بن عبدالله الحارثي
كاتب ومؤلف- سلطنة عُمان

المتابعة والتنسيق الإداري:

أ. سالم بن محمد الحجري
رئيس قسم التعاون والعلاقات بالمركز

التَّحرير والمتابعة الفنية:

أ. سمية سليمان السليماني
خبيرة اللغة العربية بالمركز

مقدمة الباحث:

الصِّلات «الخليجيَّة – العراقيَّة» صِلاتٌ قديمة جدًّا، وضاربة في التَّاريخ القديم؛ لا غرو فقد كانت بلاد الرَّافدين خزَّانًا ثرًّا للأديان وللحكمة العالية، وللفلسفات الإنسانيَّة القديمة؛ إذ لا يكاد يخلو موقع أثريٌّ على امتداد السَّاحل الغربيِّ للخليج، وجزائره المتناثرة (فَيْلَكَا، وتَارُوت، وأَوَال، .. إلخ) مِنْ لقًى أثريَّة، ورموز، ونقوش، وكتابات قديمة، وشَوَاخِص ترتبط بحضارة وادي الرَّافدين. في مرحلة لاحقة، وبعد أنْ اخْتُطَّتِ الحواضر الكبرى بالعراق، كان للقبائل العربية النازحة من شبه الجزيرة العربية في حركة هجراتها الأولى المرتدّة، أو في حركة الفتح الإسلامي، دور مهمٌّ في عمارة تلك المواطن والاستيطان بها. على أن الاستيطان البشري فيها قديم جدًّا قدم الإنسان نفسه، ولذلك شواهد مختلفة ليس المجال مناسبًا لبسط الكلام حولها الآن، وبعيدًا عن الجدليَّة القديمة الحديثة حول ساكنة تلك المواضع، ومتى كانت هجراتهم الأولى إلى الجزيرة، ثم متى كانت الهجرات المرتدة منها إلى تلك المواطن، إلا أننا نؤمن إيمانًا جازمًا أن التفاعل البشري قد ترك آثاره الإنسانية الواضحة هنا وهناك، ويمكن اليوم بكل يسر وسهولة دراسة الأصول الجينية لساكنة حَيِّزٍ جغرافي ما، ومعرفة أصولهم البعيدة، والتحوُّرات الجِينِيَّة التي تجمع النُّسُول ببعضها. ولقد كان الخليج -بصرف النظر عمَّا تقدَّم- مسرحًا للأحداث الفارقة، ومعْبرًا حضاريًّا، وصل طرفي الجزيرة ببعضها، وانفتح بحواضرها المختلفة على الحواضر الكبرى؛ فكانت المرافئ البحرية نقطة وصل؛ بين الساحل الغربي من جهة والساحل الشرقي من جهة ثانية، وبين الحواضر الخليجية والممالك التاريخية من جهة، والبصرة وبلاد فارس والهند ووادي السند من جهة ثانية. وتاريخ البصرة تاريخ

عظيم وممتد، وكان للأزد فيها خطة معروفة، كما كان لغيرها من القبائل. إنَّ استعراض قصَّة البصرة، وساكنتها، والتفاعل الحضاري الذي وقع فيها، مما لا تتسع لهذه العجالة؛ التي يراد لها تقديم مجرد ومضة عابرة حول الموضوع.

إننا -إذن- هنا إزاء عنوان طريف جدًّا، أُرِيد له أن يكون حول الصِّلات الأدبية التي تربط أبناء الساحل الغربي للخليج العربي بالبصرة. إنَّ تلك العلاقة توشّجت تاريخيًّا؛ لعوامل مختلفة، يمكن إجمالها في الآتي:

- الرباط الجغرافي الذي يجمع البصرة بالجزيرة العربية، وهو رباط أزلي لا تزيده الأيام إلا قوة ووهجًا.
- كانت خطط البصرة خالصة للأزد، ولقبائل الجزيرة العربية المختلفة؛ ما جعلها وطنًا أصيلًا للأجيال الأولى من أبناء تلك القبائل، الذين أسهم آباؤهم في فتوح بلاد فارس والعراق.
- الحركة الدينامية للمركز (مركز الخلافة) بالنّسبة للأطراف؛ فبغداد استحالت في مرحلة ما عاصمة للخلافة الإسلامية، وبالتالي ازدهرت الحواضر المحيطة بها، واجتذبت إليها الناس من العالم ككل، لا من الجزيرة العربية وحدها.
- التفاعل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأدبي الكبير مع البصرة وغيرها من الحواضر العلمية والأدبية، والارتحال إليها؛ طلبًا للعلم والرزق.
- احتضان البصرة كبار العلماء والأدباء المبرزين، الذين كانوا قبلة للمتعلمين، ومقصدًا لأصحاب الفكر والأدب.
- إلى جانب الطبيعة الجغرافية، الملائمة للعرب والحضر على حدٍّ سواء.
- انفتاح البصرة (عبر شط العرب) على العالم ككل، الأمر الذي أتاح فرصة التواصل الحضاري، والمقابسة، وتلاقح الحضارات.

وبعد فقد ظل الإشعاع الثقافي للبصرة متوهجًا لعقود، مع ما اتصل بماضيها العريق من حاضر زاهر، توشّجت معه الصلات، وازدادت قوَّة ووثوقًا وشدّة

وتماسكًا. لقد شهدت المنطقة -على امتداد خط التاريخ المتصاعد- الكثير من التجاذبات والأحداث الكبرى، التي صاغت شخصيتها المتفرّدة، وطبعت ساكنتها بسمات وخصائص مميّزة، يُعْرفون حتى يومنا هذا بها. ولعل من نافلة القول التنويه هنا إلى الدور المحوري الذي لعبته أسرة المهالبة الأزدية العتكية -مثلًا- ، في العصور الإسلامية الأولى، والتي ظهر منها العديد من القادة العسكريين ورجال الدولة النابهين وولاة العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، الذين احتضنتهم البصرة، وكانت منطلقًا لهم، وقد أسهموا مساهمة فذَّة في خدمة الخلافة الإسلامية؛ في عنفوانها وفتائها، وفي تأمين الحدود والأطراف، وفي المشاركة في الأحداث الفارقة التي شهدتها تلك الأقاليم. ولا يمكن بحال إغفال الدور العلمي والأدبي المميز، الذي قام به علماء البصرة؛ من شبه الجزيرة العربية، كجابر بن زيد الأزدي (ت ٩٣ هـ /٧١٢ م) -الفقيه-، وكالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) -النحوي-، وكالربيع بن حبيب الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١م) -المحدث-، وكالأخفش الأكبر (ت ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م) -اللغوي-، وكأبي العباس المبرد (ت ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) -الأديب-، وكابن دريد (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) -الشاعر، واللغوي المعروف- وأضرابهم من الأئمة والمصلحين الكبار، والأدباء والنحويين واللغويين المبرزين، الذين أسس بعضهم أو أسهم في تأسيس مدارس علمية وأدبية، كان لها تأثيرها المهم في حركة العلوم واللغة العربية والأدب. وإنَّه لمن المهم التذكير -أيضًا- بالقامات الأدبية الكبرى في تاريخ أدبنا العربي، ممن يصعُب تجاوزهم عند الحديث عن الأدب -شعره ونثره-، المنتسب أصحابه إلى حواضر الساحل الغربي المهمة، ممن سكن البصرة واستقرَّ بها، أو وُلد فيها، أو كانت مجرد محطة محوريّة من محطات حياته الأدبية، كالصَّلتان العبدي (نحو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م)، والفرزدق همام بن غالب (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) -الشاعرين-، وكحكيم بن جبلة العبدي (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م)، وحويرثة بن سمي العبدي (شهد صفين) -الراجزين-، وكصعصعة (ت ٥٦ هـ / ٦٧٦ م)، وزيد (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) ابني صوحان -الخطيبين-، وكزياد الأعجم (نحو ١٠٠ هـ / نحو ٧١٨ م) -مولى عبد قيس، الأديب الفحل-، وغيرهم.

وإذا ما تجاوزنا الأدوار المهمة للتاريخ إلى عصورنا الراهنة والعصر الحديث تتزاحم الأسماء، وتتلاحق القوائم؛ فمن عُمان إلى الإمارات، ومنها إلى قطر، ومن قطر إلى البحرين، ومنها مجتمعة إلى المملكة العربية السعودية، ومن كل أولئك إلى الكويت فيضٌ من الأسماء، التي يُزَاحم نتاجها الأدبي وأعمالها الشعرية الثَّرَّة أعمال كبار الأدباء، وإنَّ من له أدنى اطلاع على ذلك الإنتاج يُدْرِك حجم العطاء الذي أسهمت به هذه المنطقة، وبخاصة شريطها الساحلي الغربي؛ في رفد الساحة الأدبية بعطاءات خالدة، تشي بما لهذا المنجز من قيمة حضارية لا تقدر بثمن، وبالتالي تُشكِّل تلك الأعمال إضافة حقيقية ونوعية للمنجز الإنساني الأدبي والحضاري بعامة. لقد مكّن اتصال منتسبي هذا الامتداد المسكون بالإبداع وحب الجمال بالحواضر الإسلامية والعربية الكبرى، كالبصرة -محل البحث- من إغناء رصيد أصحابه، وخبراتهم، ومن تلاقح الأفكار، وثرائها، ومن التفاعل الخلّاق بين أرباب الفكر والأدب. لم تكن البصرة حاضرة اعتيادية، بل كانت حاضنة للعلماء والمتعلمين والأدباء والمثقفين، على حدٍّ سواء. البصرة إذا ذكرت يقترن حضورها بأحداث كبرى في التاريخ، وقد عُرِفت بها مدرسة نحوية مهمة هي مدرسة البصرة، التي تركت ظلالها المهمة على التوجُّه النحوي وحركة النحو العربي بشكل عام، وخرَّجت -عبر مسيرتها الحافلة- العديد من الأعلام والشخصيات الفذَّة. وفي عُمان ما زلنا نحفظ ملحة الإعراب للحريري البصري (ت ٥١٦ هـ / ١١٢٢م) -الأديب الكبير، صاحب المقامات الأدبية-. لقد اقترن حفظها باسم البصرة وأدبها الفخم! وكم حُنِّكْنا بهذا المتن التعليمي منذ نعومة أظفارنا، وكان مجلس فضيلة شيخنا القاضي سالم بن حمد الحارثي -رحمه الله، وقدّس سرَّه- في شرقية عُمان، ومجلس العالم الورع الثّقة يحيى بن أحمد الكندي -رضي الله عنه- في داخليتها -على سبيل المثال- قائمين على هذا المتن -حفظًا، وشرحًا-. أمَّا الشرح فقد انْبَنَى -في مرحلة ما- على كتاب **تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في شرح ملحة الإعراب**، لصاحبه بحرق الحضرمي (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) -بطبعته الحجرية الصفراء-، ثم لما شبَّ عمرو الدارس عن الطوق عدنا مجددًا لشرح الماتن، العالم البصري الكبير -رحمه الله-، الذي أفدْنا منه درررًا نفيسة غاية النَّفاسة. وفي المكتبات الخليجية عشرات الكتب لعلماء البصرة،

وأدبائها الكبار، ظلت إلى وقتنا هذا مادة رئيسة للتعليم التقليدي، ومتونًا مرجعية للبحث العلمي والمُدَارَسَة، ومواد لا غنى عنها لمجالس الأدب والسمر.

يرمي هذا العمل لتحقيق جملة من الأهداف، المتمثلة في الآتي:

- التعريف بأهم الحواضر التاريخية على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي.
- بيان دور البصرة بما هي حاضرة مهمة، انفتحت من خلال شط العرب على العالم من جهة، وارتبطت بالساحل الغربي ارتباطًا وجوديًّا وأزليًّا من جهة ثانية.
- الكشف عن الصلات الحضارية التي ربطت تلك الحواضر ببعضها، وربطت البصرة بها عبر التاريخ.
- التعريف بأهم الجهود والفعاليات والأنشطة والبرامج والشخصيات المترجمة لذلك التواصل، والمُعبِّرة عن وثوق العلاقة بين هذه الأقطار.
- استعراض أهم النُّصوص الشعرية، المحيلة لكل تلك المعاني المتقدمة، ومناقشتها، وتحليلها.
- تقديم قراءة وخاطرات معاصرة حول تلك الصلات الحضارية (العربية - العربية)، وأهم ما يرتبط بها من أسماء ومواقع وأحداث.

ويتمثَّل الجرْي البحثيّ لمعالجة الموضوع في تقسيم مادته لفصول، وإفراد عنوان رئيس تنضوي تحته عناوين فرعية، تتهدّل منها جزئيات، يراها الباحث مُلَبِيَة للغرض. وفي معرض التعريف بالمواقع يعمد الباحث إلى أهم ما كتب في الأدبيات المتاحة حول الموضع المبحوث عنه، ثم أهم ما قيل فيه من أشعار، وتتبع ما ورد بشأنه من أخبار وحوادث تاريخية، وتبيان ما ارتبط به من قضايا وأعلام، مذيلًا ذلك كلّه بحديث موجز حول المكان في ذاكرة الخرائط والأطالس الجغرافية.

أما المعالجة العلمية للموضوع ككل فتقدّم مقاربات حول الموضوع، مشفوعة ببعض الدراسات التي تُيسِّر سبيل فهم أعمق؛ وصولًا لنتائج واضحة، يمكن البناء عليها، وتعميقها في أعمال مستقبلية قادمة.

ويعتمد البحث جملة مناهج، من شأنها ضبط العملية البحثية، وأطْرها بشكل مُنْتج، ويمكن الحديث هنا عن المناهج الآتية:

- المنهج الاستقرائي: وقد أفاد الباحث منه في تتبع الحوادث التاريخية، والأحداث المتفرقة، وجمع شتات النصوص الشعرية.
- المنهج الوصفي: وقد أفاد الباحث منه في وصف الظواهر، والتعريف الواصف للمواقع والأعلام المختلفة.
- المنهج التحليلي: وقد أفاد الباحث منه في تحليل الأحداث والنصوص، ومناقشتها، واستخلاص النتائج منها، وأهم الخلاصات العملية.
- المنهج النقدي: وقد أفاد الباحث منه في نقد بعض الآراء، وتقييمها، وتفنيدها، والموازنة بينها وبين ما انتهى إليه جهد الباحثين في تشخيصها، والإبانة عنها.

على أن البحث في الجوانب التاريخية، قد اعتمد المنهجَ التاريخي، الذي لا غنى لأيِّ باحث في التاريخ والحضارة عنه، وللمنهجين الاجتماعي والنفسي -كذلك- حظوظهما من هذا العمل، بما يتحقق معه ما نصبو إليه من وفاء بحق الموضوع البحثي منهجيًّا، والقيام به علميًّا بشكل منضبط.

أمَّا أسئلة البحث فتتمثل فيما يأتي:

س: ما أهم الحواضر العلمية والأدبية بالساحل الغربي للخليج العربي، التي أسهمت في خدمة تلك الصِّلات بينها وحاضرةَ البصرة؟

س: من هي الشخصيات الفاعلة في خدمة ذلك التَّواصل الحضاري، وتنشيطه، والعمل عليه؟

س: ما ملامح تلك العلاقة التاريخية بين الساحل الغربي بحواضره المهمة، وشخصياته المحورية، وجوارها الجغرافي ممثلًا في البصرة، والحواضر الأخرى المقاربة لها، وما العوامل التي تقف وراءها؟

س: ما أهم النصوص المجسّدة لذلك الرباط، والمترجمة له؟

وستثير -أيضًا- بعض المباحث أسئلة فرعية مختلفة، سيحاول البحث تقديم

أجوبة لها -حسب الطاقة والإمكان، فإنَّ لم يكن ذلك فحسب الباحث المحاولة، والاجتهاد في ذلك.

ويقوم العمل البحثيّ على فصلين اثنين، مسبوقين بتمهيد، ومُذَيَّلين بخاتمة، تضمُّ خلاصة لما انتهى إليه الباحث، ولما توصل عقيب ذلك من نتائج. ويمكن إيضاح ذلك من خلال الآتي:

أولًا) التمهيد: يتناول التعريف بالخليج، وقرى الخَطِّ، وأهم الحواضر التي يضمها، مع تسليط الضوء على الساحل الغربي منه خاصة، والتعريف كذلك بشط العرب.

ثانيًا) الفصل الأول، بعنوان: **الساحل الغربي للخليج العربي.. الحواضر، والجزائر**، ويقع في مبحثين اثنين:

- الأول منهما حول: أهم الحواضر، والجزائر التي يضمُّها الساحل الغربي.. تعريفًا، وبيانًا.
- والثاني حول: البصرة خاصَّة، والتَّعريف بها، وبالخلفيَّة التاريخيَّة لحركة قبائل الجزيرة العربية إليها، وبعض ما يرتبط بخططها، ومعالمها، وشخصياتها.

ثالثًا) الفصل الثاني، بعنوان: **الصِّلات الأدبية بين الخليج والبصرة.. المظاهر، والنصوص**، ويقع في مبحثين اثنين:

- الأول منهما حول: **المظاهر والتجليات**؛ المُشَخِّصَة لها، والمُتَرْجمة لوجوهها المختلفة، مُتَمَثِّلة في: الهجرة القبليَّة، والرحلة الأدبيَّة، والمشاركة والتفاعل الثقافي، ونحو ذلك.
- الثاني حول: **النصوص الشعرية**، المبثوثة في كتب الأدب والسِّيَر والتراجم، المُعبرِّة عن تلك العلاقة، والحاكية لها، في صورها المختلفة، وسنقدم وصفًا عامًّا لها، وتعليقًا حول ما يُجسِّم ذلك الرِّباط من خلالها.

أمَّا المُقدِّمة -فكما يرى القارئ- تُعرِّف بالعمل إجمالًا، وبخطته، وبالمنهج المتبع فيه، وبهيكله، وأهم مصادره. وبطبيعة الحال ستتناول الخاتمة -كما تقدم- خلاصة بأهم النتائج والتوصيات.

وثمّة مصادر لا غنى لأي باحث عنها، في إنتاج عمله العلمي، وفق الحقل الذي يعمل عليه، وفيما نحن بصدده؛ فإن كتب التواريخ والتراجم وسير الأعلام، وكتب البلدان والجغرافيا، ستحتل بلا شك مساحة عريضة من الاعتماد والتعويل عليها. كذلك فإنَّ الدراسات العلمية الحديثة، التي تتناول أطرافًا من هذا الموضوع سيكون لها حضورها الآخر. لم أشأ أنْ أعقد عنوانًا هنا للدراسات السابقة. يقيني أن العمل المسبوق ينبغي له غالبًا أن يكمل النقص، وأن يستدرك الخطأ، وأن يتناول الوجوه التي لم تعرض لها الدراسات السابقة، وأن ينظر إلى المُنْجَز نظرة نقدية تقييمية، وهو بعد مُنْبَنٍ عليه، قائم على جهد من تقدم، فالإضافة فيه جهد ثانوي، لا أولي ابتدائي. عليه فسأقتصر هنا على تناول عناوين دراسات مسَّت الحاجة إليها، ودعت الضرورة البحثيّة للرجوع إليها، دون خوض في توصيف ما اشتملت عليه، أو تقييمه:

أولًا) **كتب التاريخ**، مثل:

- **الأخبار الطوال**، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨١ هـ / ٨٩٤م).
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لمحمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م).
- **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، لأحمد بن محمد بن يعقوب، مسكويه الرازي (ت٤٢١ هـ / ١٠٣٠م).
- **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، لنور الدين السالمي (ت١٣٣٢هـ / ١٩١٤م).
- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢ هـ / ١٤٩٧م).
- **الصحيفة القحطانية**، لحميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي (ت١٢٩١ هـ / ١٨٧٤م).
- **عيون الأخبار**، لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩م).
- **فتوح البلدان**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

- **كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، سرحان بن سعيد الأزكوي (نحو ١١٧٧هـ).
- **قصص وأخبار جرت في عُمان**، لمحمد بن عامر المعولي الأفوي (ت١١٩٠هـ / ١٧٧٧م).. إلخ.
- ثانيًا) **كتب الجغرافيا والبلدان**، مثل:
- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، لأبي عبد الله الشاهي، المعروف بالبشاري المقدسي (نحو ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م).
- **آثار البلاد وأخبار العباد**، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣ م).
- **البلدان**، لأحمد بن أبي يعقوب، الشهير باليعقوبي (بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٥م).
- **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، لمحمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، المكنى: ابن بطوطة (ت٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م).
- **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، لمؤلف مجهول، ترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي.
- **رحلة إلى الجزيرة العربية**، أو: **رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف على الخليج العربي إلى يَنْبُع على البحر الأحمر عام ١٨١٩م**، لجورج ف. سادلبير (ت ١٢٧٦هـ / ١٩٥٩م).
- **الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك**، للحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م).
- **صفة جزيرة العرب**، لابن الحائك، أبو محمد، الشهير بالهمداني (ت٣٣٤ هـ / ٩٤٥م).
- **صورة الأرض**، لمحمد بن حوقل البغدادي الموصلي (بعد ٣٦٧ هـ / بعد ٩٧٧م).
- **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣ م).

- **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، لصفيّ الدين، ابن شمائل القطيعي (ت٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م).
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، لمحمد بن محمد الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م).. إلخ.

ثالثًا) **كتب التراجم، والرجال**، مثل:

- **أخبار النحويين**، لأبي طاهر المقرئ (ت ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م).
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لابن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م).
- **سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٨م).
- **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، لسبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر (ت٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١ هـ / ١٢٨٢م).
- **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م).. إلخ.

- رابعًا) **المعاجم اللغوية**، وكتب الأدب، والدواوين الشعرية، وكتب أدب الرحلات، وهي كثيرة جدًّا، بخاصة الكتب المشهورة منها، التي لا غنى لأيّ باحث في الأدب من الرجوع إليها.
- خامسًا) **الدراسات، والبحوث الحديثة**، مثل:

- **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، عن: المكتبة الهاشمية لأصحابها محمد هاشم الكتبي وشركاه بدمشق.
- **تاريخ صحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، للدكتور محمد بن ناصر بن راشد المنذري، عن: دار العلوم للطباعة والنشر.

- **تاريخ قطر العام**، لسنان، محمود بهجت، عن: المجمع العلمي العراقي.
- **الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري**، للدكتور أحمد كمال زكي، عن: دار الفكر بدمشق.
- **خطط البصرة ومنطقتها «دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى»**، للدكتور صالح أحمد العلي، عن: المجمع العلمي العراقي.
- **دور البصرة التجاري ١٨٦٩م – ١٩١٤م**، للدكتور حسين محمد القهواتي، عن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
- **سلطنة هرمز العربية «سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي»**، للأستاذ المحقق إبراهيم خوري، والدكتور أحمد جلال التدمري، عن، مركز الدراسات والوثائق برأس الخيمة.
- **السفن الكلاسيكية في الإسلام من بلاد النهرين إلى المحيط الهندي**، لدبونيسيوس آجيوس، عن: المركز الوطني للوثائق والبحوث.
- **شيوخ القواسم في رأس الخيمة ودورهم في الأحداث السياسية من بداية وجودهم في الخليج العربي عام ١٨٢٠م حتى ١٩٤٨م**، للدكتور حسن إبراهيم منيسي، عن: الدار العربية للموسوعات.
- **الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد «التاريخ السياسي والحضاري»**، للدكتور قصي منصور التركي، عن: صفحات للدراسات والنشر.
- **القطيف ومتعلقاتها. أبعاد وتطلعات**، لعبد العظيم المشيخص، عن: شركة الشيخ للتحقيق والنشر بلبنان.
- **كاظمة في الشعر العربي**، لأحمد زكي الأنباري، عن: مؤسسة عبد العزيز البابطين الثقافية بالكويت.
- **هجَر وقصباتها الثلاث «المشقر، الصفا، الشبعان» ونهرها المحلم**، لعبد

الخالق عبد الجليل الجنبي، عن: دار المحجة البيضاء بلبنان.

- **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، لمحمد الطنطاوي، عن: مكتبة إحياء التراث الإسلامي.. إلخ.
- هذا إلى جانب عشرات المقالات، والتقارير، والمشاركات الصَّحفية وغيرها، فضلًا عن الخرائط والقصاصات القديمة، وكتب التراجم الحديثة، التي يطول باستعراضها التمثيل.

ختامًا.. أسأل المولى القدير أن يسهم هذا العمل في تقديم ومضة حول الموضوع، وأن يعين من سيكمل المشوار عليه من الباحثين الجادّين، وأن يأخذ بأيديهم لطرْق موضوعات تجمع الشَّمْل، وترأب الصَّدع، وتُوشِّج العلائق، وتُدَمِّثُ وعورة طُرُق اللقاء، وهي -ورب الكلمة- موضوعات تلِحُّ الحاجة إليها، في وقت ارتفع به الضجيج، وتعالت فيه أصوات الفتنة، وباتت المنصَّات التي يسميها هذا الجيل بالفضاء المفتوح والافتراضي تعجُّ بما تعجُّ به، من غثٍّ لا سمين فيه، ومن تهييج وصخَب! والله المستعان.

د. محمد بن سالم الحارثي
سلطنة عُمان ـ مسقط

تمهيد:

الخليج العربي يُمثِّل خليجًا داخليًّا، مُتَّصِلًا بخليج خارجيٍّ، يُعْرَف -تاريخيًّا- بخليج عُمان، على النَّحو المذكور في الأدبيَّات الجغرافيَّة، وكتب البلدان والرحلات، وخرائط الرحَّالة الأوروبيين وغيرهم. يَنْشَعِبُ الخليجان من المحيط الهندي (الجزء الغربي منه)، ويَحُدَّان جزيرة العرب (البلاد السَّعيدة) من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي.

يُعرِّف كتاب **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، المؤلف بعد سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢م، هذه الجزيرة (شبه الجزيرة العربية) بالقول: «بلاد يحيط بها من المشرق بحر عُمان من البحر الأعظم؛ ومن جنوبيها بحر الحبشة؛ وهو من البحر الأعظم -أيضًا-؛ ومن غربيها بحر القلزم، وشماليها بادية الكوفة والشام. وهي بلاد عظيمة حارَّة، فيها جبال منفصلة عن بعضها ...، وفي هذه البلاد نواحٍ كثيرة، أغلبها بوادٍ؛ هي مكان العرب الأصلي، وحتى الذين ذهبوا إلى أماكن أخرى فإنَّ أصلهم من هناك، وأكثرهم يعيشون في البوادي، إلا أولئك الذين يعيشون في هذه البلاد. ويرتفع من هذه البلاد التمر بكافة أنواعه، والأديم، والرمل المكي، وحجر المحك، والنعال المُشَعَّرة والْمُلَمَّعَة، وفيها حيوانات عجيبة مختلفة. وبها نواحٍ، كاليمن والحجاز وتهامة واليمامة ونزوى، ومواضع فيها خيام، تقيم بها القبائل، أمثال: التميميين، والمضريين، والأسديين، والحسانيين، والكلبيين، والفزاريين، وما شابه»[1].

(١) مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، ترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي (الدار الثقافية للنشر، القاهرة، د. ط، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠١م)، ص١٧٠ وما بعدها.

عُرِفَ الخليج (الداخلي) -على امتداد خط التاريخ- بأسماء مختلفة؛ فالكلدانيُّون سمَّوه: خليج الكَلْدَان، وقد تأسَّست لهم -كما يُعْلَم- ممالك جنوب ما بين النهرين، ورد ذكرها في حوليات ملوك آشور[1]، والفرس سمَّوه: خليج فارس، وسمَّوا بحره الخارجي كذلك: بحر فارس، والعرب سمَّوه: الخليج العربي، وسمَّوا بحره الخارجي: بحر العرب. عُرِف -في مرحلة لاحقة كذلك- باسم الأماكن المهمة التي يُحَاذيها؛ فقيل: خليج جَرْهَاء، وخليج القطيف، وخليج البَصْرَة، ثم ثبتت هذه الأخيرة لشهرتها، ولمكانة البَصْرَة وموقع شَطِّ العرب من الخليج، وكانوا يَعْرِفُون إقليم البحرين القديم بأنَّه يمتدُّ من خليج عمان إلى خليج البصرة -على الوصف الذي سنسوقه لاحقًا-، وأهل العراق القدامى كانوا يسمُّون هذا الخليج: البحر الجنوبي، والبحر الأسفل، والبحر التحتاني، والبحر الذي تشرق منه الشمس، وبحر الشروق[2].



وبالنسبة لبعض المؤرخين والجغرافيين اليونانيين والرومانيين -في قول آجيوس (معاصر) في **السفن الكلاسيكية في الإسلام**- كان المحيط الهندي الغربي يُعْرَف باسم بحر إريتريا، والذي يمكن أن يشمل أحيانًا الخليج (المساحة الممتدة من بلاد ما بين النهرين إلى مضيق هرمز)، والبحر الأحمر. ولطالما كانت تسمية البحر الأحمر والخليج مثارًا للجدل عبر العصور، الأمر الذي نتج عنه تسميات مختلفة في أوقات مختلفة؛ فبالنظر إلى ثيو فراستس (المتوفى حوالي ٢٨٧ / ٦ ق. م)، وهيرودوتس (المتوفى عام ٤٢٥ أو ٤٢٠ ق.م) فقد أسمى البحر الأحمر بالخليج العربي (أرابيكوس كلبوس في اليونانية، وأرابيكاس ساينس باللاتينية)، أمَّا تسمية البحر الأحمر فهي اقتباس أوروبي، ويفهم منها انعكاس اللون الأحمر البرتقالي للمرجان، ومن هنا جاءت التسمية، غير أنَّ الاسم ذي الأصل العربي كان بحر القلزم، وإن عُرِفَ

(١) ساوا ابلحد افرام، **تاريخ الكلدان**، (جامعة فرجينيا، أمريكا، د. ط، ٢٠٠٤م)، ج١، ص٤١.

(٢) د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (دار الساقي، د. م، ط: الرابعة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م)، ج١، ص١٤١ وما بعدها.

-أيضًا- باسم بحر الحجاز والخليج العربي، أمَّا بالنسبة للخليج فقد اعتمد كل من إيراتوسينز (المتوفى حوالي ١٩٤ ق.م)، وسترابو (المتوفى بعد العام ٢١ م) اسم: بيريسكس كولبوس، والذي حوَّله المؤرخون الرومان لاحقًا إلى بيريسكس ساينس، وهو اسم تُرْجِمَ إلى اللغات الأوروبية، وظل ثابتًا حتى العصور الحديثة. وتوالت تسميات أخرى للخليج في القرن السادس عشر؛ فالعثماني بيري ريّس (المتوفى ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤م) قد أسماه: بحر قرمز (= لعله: هرمز) وخليج المحيط الهندي، وأعطاه العثمانيون الذين استولوا على البصرة من البرتغاليين في العام ١٥٤٦م ثلاثة أسماء: خليج البصرة وخليج القطيف وخليج العرب، وقد استخدمت تلك الأسماء في خرائط متتالية، مثل خريطة رسام الخرائط الإيطالي جياكومو كستالدي وخريطة غاندرسون (١٥٦٨م)، التي أعطت اسم بحر القطيف (مير الكتيف)، في حين أن خريطة دييغو ريبورو (١٥٢٩م) حافظت على الاسم القديم ساينس برسيكس. وظلَّت كافة تلك التسميات قيد الاستعمال في خرائط القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر حتى ستينيات وسبعينيات القرن الـ ٢٠؛ حيث أصبحت الخليج العربي، وكان الجغرافيون المسلمون الأوائل يدعون المحيط الهندي بأكمله بالبحر الأخضر، وهذا عائد إلى كون البحر أخضر في الغالب؛ أخضر فاتحا للزرقة، وكانت هناك تسميات أخرى -أيضًا- مثل: بحر الهند، وبحر الصين، وكان المحيط الهندي مُقَسَّمًا إلى سبعة بحار، يتمتع كل منها بمزايا مختلفة:

١) الخليج، ويشمل الممر الممتد بين جنوبي بلاد ما بين النهرين إلى عمان،
٢) لار، وربما يشير إلى القسم الممتد بين شرق إفريقيا وغرب الهند،
٣) هرقند، الذي يقع في خليج البنغال،
٤) كاله بار الذي يحيط بالساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو،
٥) سلاهيت في منطقة سومطرة،
٦) قدردنج، وهو البحر الممتد بين جزر سومطرة وكلمنتان،
٧) سانجي: الذي هو بحر الصين الجنوبي[١].

(١) دبونيسيوس آجيوس، **السفن الكلاسيكية في الإسلام من بلاد النهرين إلى المحيط الهندي**، (المركز الوطني للوثائق والبحوث، ط: الأولى، ٢٠١٠م)، ص٥ وما بعدها.

يُعَلِّق إبراهيم خوري والدكتور أحمد التدمري في كتابهما **سلطنة هرمز العربيَّة** على ذلك الأثر السابق بالقول: «الوثيقة الفارسيَّة تعتمد على الطبوغرافيَّة الجغرافيَّة؛ أي على واقع حسيٍّ ملموس، يتلخَّص في معادلة بسيطة، يسمَّى بمقتضاها كل جزء من البحر الأعظم الملاصق لأحد البلدان، أو لإحدى المدن باسم ذلك البلد أو تلك المدينة، وعليه يصبح بحر العراق مقابل ساحل العراق، وبحر عربستان (خوزستان) مقابل ساحل خوزستان، وبحر فارس مقابل ساحل فارس، وبحر كرمان مقابل ساحل كرمان، وبحر عمان مقابل ساحل عمان، وهكذا دواليك، وبالتالي عندما يقال بحر فارس -مثلًا- يقصد حصرًا الجزء من البحر الأعظم، المقابل لساحل إقليم فارس دون سواه، بلا زيادة ولا نقصان، فهو جزء من كل، لا الكل البتة، أمَّا الكل فعربي، باستثناء القطعة الفارسية الصغيرة»[١].

يقع الخليج العربي بين خط عرض ٢٣ إلى ٣٠ درجة شمالًا، وخط طول ٤٨ إلى ٥٦ درجة جنوبًا، ويمتدُّ من إيران شرقًا، إلى شبه الجزيرة العربية (دول الخليج العربي) غربًا، ويحدُّه العراق شمالًا، ومضيق هُرْمُز جنوبًا[٢]، ويبلغ طوله: (٩٦٥ كم)، ومساحته: (٢٣٣,١٠٠ كم٢)، ويبلغ عرضه في أقصى حدٍّ له: (٣٧٠ كم٢)، وفي أدنى حدٍّ له: (٥٥ كم٢)؛ في مضيق هُرْمُز[٣]، ويبلغ أعمق قسم فيه قرابة: (١٠٠ م)، قرب جزيرة هرمز، وحجم مياهه: (٨٥٠٠ كم مكعب)، وهو بهذا أكبر قليلًا من خليج سانت لورنس، وحوالي ثلثي حجم بحر البلطيق، وأقل من نصف مساحة كل من بحرَيْ القزوين (٤٣٨,٥٠٠ كم٢)، والمتوسط (٤٣٥,٠٠٠ كم٢)[٤].

---

(١) إبراهيم خوري، والدكتور أحمد جلال التدمري، **سلطنة هرمز العربية «سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي»**، (مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م)، ج١، ص١١.

(٢) بتصرف: حمود شاكر، **موسوعة الخليج العربي**، (دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمَّان، ط: الأولى، ٢٠٠٥م)، ص٦.

(٣) فرانسيس ليبر وإي ويغلزورث، **الموسوعة الأمريكية**، (فيلادلفيا: كاري وليا كاري، ط: ١ / ١٨٢٩م)، ج٢١، ص٧٥١.

(٤) بتصرف: حمود شاكر، **موسوعة الخليج العربي**، (دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمَّان، ط: الأولى، ٢٠٠٥م)، ص٦.

ويعدُّ دجلة الذي يشقُّ العراق من شماله إلى جنوبه من أشهر أنهار العرب، يلتقي بنهر الفرات في جنوب العراق، فيكونان معًا: شط العرب، الذي يصبُّ في الخليج.



[خريطة –١: حوض نهريّ دجلة والفرات. المصدر: Fanack Water]

جاء في **موجز دائرة المعارف الإسلامية**: «المعنى الأصلي للشَّط: ضفة مجرى من الماء، وفي العراق يراد بالشط: النهر الكبير، تستخدم بهذا المعنى -أيضًا- كلمة بحر في مصر، ووادٍ في مراكش. وشط العرب هو الاسم الذي يطلق على المخرج الذي تكوّن بفعل المد والجزر؛ من اجتماع مجرَيَي الفرات ودجلة، وكان يعرف في العصور الوسطى باسم دجلة العوراء، وفيض البصرة، ويعرف في الفارسية باسم بهمنشهير، ومن أسمائه الحديثة نهر البصرة؛ وقد جرى القول بأنه يمتد من قُرنة إلى عبادان أو فاو. وظل هذان المجريان يلتقيان بعضهما ببعض عند القرنة خمسة قرون أو ستة، واستمر هذا حالهما حتى عهد قريب. ولكن هذا الالتقاء يحدث الآن على بعد ميلين أسفل المجرى عند (كرمة علي)، فوق البصرة بمسافة ليست كبيرة، ويتلقى شط العرب -بالإضافة إلى مياه هذين النهرين الكبيرين- مياه نهر كارون وفروعه، ويبلغ طول شط العرب

نحو مائة ميل، وعرضه نحو ١٢٠٠ ياردة. وهو صالح لملاحة السفن التي يبلغ غاطسها خمسه عشر قدمًا، ويعوق الملاحة فيه الحاجز الذي عند المصب، لذا أُقِّب بالعوراء»[١].

وتعد البصرة (التي تبعد عن العاصمة بغداد أكثر من ٥٠٠ كم) الميناء الرئيس للعراق، على الطرف الشمالي من ذلك الشط.

بلغت الأنهار على ضفتي شط العرب ستمائة وأربعة وثلاثين نهرًا -بحسب بعض عُرَفاء البصرة، كما أحصت ذلك بعض الدراسات-، بعضها حديث والبعض الآخر قديم جدًّا، وقد ورد ذكرها في كتابَيْ **معجم البلدان** لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م)، و**فتوح البلدان** للبلاذري (ت٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م)، وفي غيرهما من كتب التاريخ، وكل نهر من هذه الأنهار يتشعب منه عدة جداول صغار[٢].

بالعودة إلى الخليج وبحره يُعرِّف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م) في **معجم البلدان** بهذا اللسان المائي، الذي يشمل في حاضرنا خليج عُمان (الخارجي) والخليج العربي (الداخلي) قائلًا: «هو شعبة من بحر الهند الأعظم،...، وحده من التيز من نواحي مكران على سواحل بحر فارس إلى عبادان، وهو فوه دجلة التي تصب فيه، وأول سواحله من جهة البصرة وعبادان أنك تنحدر في دجلة من البصرة إلى بليدة تُسَمَّى: المحرزة في طرف جزيرة عبادان، تتفرق دجلة عنده فرقتين: إحداهما تأخذ ذات اليمين فتصب في هذا البحر عند سواحل أرض البحرين، وفيه تسافر المراكب إلى البحرين وبَرِّ العرب، وتمتد سواحله نحو الجنوب إلى قطر وعمان والشحر ومرباط، إلى حضرموت إلى عدن، وتأخذ الفرقة الأخرى ذات الشمال، وتصب في البحر من جهة بَرِّ فارس، وتصير

(١) م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، تحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، مراجعة: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، (مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م)، ج٢٠، ص٦٢٦٣

(٢) باش أعيان زادة أمين عالي البصري «البصرة وأنهارها» **مجلة لغة العرب العراقية** (وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، مطبعة الآداب، بغداد، العدد: ٢٦، تاريخ: ١/ ٨/ ١٩١٣م)، ج٣، ص٥٩ وما بعدها.

عبادان لانصباب هاتين الشعبتين في البحر جزيرة بينهما، وعلى سواحل بحر فارس من جهة عبادان من مشهورات المدن مهروبان، قال حمزة: وههنا يسمى هذا البحر بالفارسية زراه أفرنك، قال: وهو خليج مُنْخَلِج من بحر فارس مُتوجِّهًا من جهة الجنوب صعدًا إلى جهة الشمال حتى يجاوز جانب الأبلَّة، فيمتزج بماء البطيحة... آخر كلامه، ثم يمر من مهروبان نحو الجنوب إلى جنابة -بلدة القرامطة-، ومقابلها في وسط البحر جزيرة خَارَك، ثم يمرُّ في سواحل فارس بسينيز وبوشهر ونجيرم وسيراف، ثم بجزيرة اللار إلى قلعة هرمز، ومقابلها في البحر جزيرة قيس بن عميرة تظهر من بر فارس،...، ثم هرموز في بر فارس، ومقابلها في اللجة جزيرة عظيمة تعرف بجزيرة الجاسك (=**جاسك**)، ثم تيز مكران على الساحل، فبحر فارس، وبحر البحرين وعمان واحد، على ساحله الشرقي بلاد الفرس، وعلى ساحله الغربي بلاد العرب»[1].



أمَّا سراج الدين ابن الوردي (ت٨٥٢ هـ، وقيل: ٨٦١ هـ / ١٤٥٧م) في **خريدة العجائب وفريدة الغرائب** فيقول: «يسمى البحر الأخضر، وهو شعبة من بحر الهند الأعظم، وهو بحر مبارك، كثير الخير، دائم السلام، وطيء الظهر، قليل الهيجان بالنسبة إلى غيره»[2]، ونقل عن شخص منسوب إلى الصين ما خصّه الله به من الخيرات الكثيرة، والبركات الغزيرة، والفوائد والعجائب، والطرف والغرائب، يقول: «منها: مغاص الدُّرِّ، الذي يخرج منه الحَبُّ الكبير البالغ، وربما وجدت الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها. وفي جزائره معادن أنواع اليواقيت والأحجار الملونة النفيسة،

(١) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، **معجم البلدان** (دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥ م)، ج١، ص٣٤٣ وما بعدها.

(٢) سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: المحقق: أنور محمود زناتي، (مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م)، ص٢١٩.

ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنباذج والعقيق وأنواع الطيب والأفاويه»[1]. ثم أخذ يعدد جزائره، وما تحويه من غرائب المشاهدات. ويشبه هذا الوصف ما جاء لدى زكريا القزويني (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣ م) في **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، ونَصُّ كلامه: «هو شعبة من بحر الهند الأعظم، من أعظم شعبها، وهو بحر مبارك، كثير الخير، لم يزل ظهره مركوبًا، واضطرابه وهيجانه أقل من سائر البحار»، واستعرض ما قيل فيه ناقلًا أنه خُصِص بمزيد الخيرات والفوائد والعجائب، فإذا فيه المَدُّ والجزر وغزارة الماء، قال: «وفيه مغاص اللؤلؤ الجيد البالغ، الذي لا يوجد مثله في شيء من البحار، وفي جزائره معدن العقيق، وأنواع اليواقيت والسنبادج، ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الطِّيب والأفاويه، وفيه الدردور -أيضًا-، الذي لا ينجو منه من المراكب إذا وقع فيه إلا ما شاء الله، وفيه عوير وكسير؛ وهما موضعان قلَّما يسلم منهما مركب»[2].

ويصف سراج الدين ابن الوردي (ت٨٥٢ هـ، وقيل: ٨٦١ هـ / ١٤٥٧م) -آنف الذِّكر- في **خريدته** بحر عُمان وأرضها والجزر المحيطة بها بالقول: «وفي أرض عمان مغاص اللؤلؤ الجيد؛ وفي بحر عمان جزيرة قيس[3]، طولها اثنا

(١) سراج الدين ابن الوردي، **المصدر نفسه**، ص٢١٩.

(٢) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، تح: قاضي محمد بن يوسف، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط: الأولى، ٢٠٠٦م)، ص١١٤ وما بعدها.

(٣) **جزيرة قيس**: جزيرة صغيرة في الخليج العربي، في ذلك الجزء الذي يسميه الجغرافيون العرب في العصور الوسطى (بحر عمان)، عند خط طول ٥٤ شرقًا، وعند خط عرض ٣٠ و ٥٦ شمالًا، وقيس التي تلي قشم يمكن أنْ تعدَّ من أهم جزر الخليج العربي، وتبلغ حوالي عشرة أميال طولًا وخمسة عرضًا، ويفصلها عن البرّ الرئيسي مضيق عرضه حوالي ١٢ ميلًا، وهو ممر آمن، وبغضّ النظر عن بعض المواضع الصخرية، فالجزيرة -عمومًا- مستوية تمامًا، وتربتها قابلة للزراعة أكثر من تربة أية جزيرة خليجية أخرى، وقد ذكرها الجغرافيون الفرس والعرب في العصور الوسطى، مشيرين لوفرة نخيلها وحدائقها وخزانات المياه بها، وإلى جانب ثروتها الزراعية ونشاطها التجاري والملاحي كان سكان الجزيرة يعملون في صيد اللؤلؤ، تلك الحرفة الشاقة (انظر ما كتبه ابن خرداذبة وياقوت والدمشقي وابن بطوطة)، واسم قيس مقرب من الاسم الفارسي قس أو كيش (والكلمة قاس

عشر ميلًا في مثلها، وصاحب هذه الجزيرة تصل مراكبه إلى بلاد الهند»(١)!

موجودة -أيضًا-، وقد أوردها الدمشقي)، ونجد أن المؤلفين البرتغاليين والهولنديين في القرن الخامس عشر والسادس عشر للميلاد يطلقون على الجزيرة أسماء أخرى، مثل كويكس Quixi وكويز Queis وكيز Kaez وكويش Queche وكاس Qas وجيس Guess ... إلخ، ويذكر ياقوت الحموي أنّ أميرًا عربيًّا يسمى قيس بن عميرة، امتلك جزيرة كيش هذه، ومنذ امتلاكه لها سميت جزيرة قيس بن عميرة، أو جزيرة بني عميرة، وهذا الاسم يرجع لما قبل الإسلام؛ لأننا نجد كيش مذكورة فعلا في الفترة الساسانية كواحدة من الأبرشيات السبع بإقليم بيرسيس Persis، وهناك إشارات إلى كيش حوالي منتصف القرن السادس في الأدب السريانية. وقد ورد ذكر هذه الجزيرة مرتين فقط في التراث الأدبي والهندي باسم كارين Karain، ووردت في كتابات بليني، باسم أفروديسيا Aphrodisia، وربما كانت كارين هي الشكل الأول الذي انقلبت عنه كاش أو كيش. وبعد الإسلام كانت قيس تابعة لولاية أردشير خورا في فارس، وفي أواخر القرون الوسطى -فقط- أصبح للجزيرة أهمية كبرى عندما -كما ذكرنا آنفًا- استولى عليها أمير يعود أصله إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، وبدأ هذا الأمير في بناء أسطول، وراح يمد نفوذه بالتدريج، فاستولى على سيراف التي كانت تتمتع برخاء عظيم؛ بصفتها المركز الرئيسي للتجارة الهندية والصينية، أصبحت قيس مركزًا إداريًّا مهمًّا، وفي عهد بني بويه ارتفع شأن أسرة قيس العربية كقوة تسيطر على الخليج العربي كله، أمَّا سيراف التي كانت غالبًا ما تعدُّ -خطأ- مدينة على الساحل قرب جزيرة قيس فقد أصبحت تدريجيًّا مهجورة؛ لأن أمراء قيس حولوا التجارة إلى الجزيرة نفسها، ومدُّوا سلطانهم إلى عدة مناطق في البر الرئيسي المواجه لجزيرة قيس، وكان أسلافهم قد نجحوا في السيطرة على هذا الشريط البري المواجه لجزيرة قبيلة عربية جنوبية -أيضًا-، هم بنو عمارة، لذا فقد كان هذا الشريط يسمى سيف عمارة أو ساحل عمارة، وامتد حكم أسرة قيس إلى الساحل الشرقي للخليج امتد -أيضًا- إلى الساحل الغربي (إقليم عمان)، لذلك يسمى ياقوت والدمشقي أمراء قيس اسم شيوخ عمان. وكانت رحلة بنيامين الرّبي الطليطلي أثناء فترة رخاء قيس (النصف الثاني من القرن الثاني عشر)، ولاحظ بإعجاب أن سوق المدينة كان عامرًا، وأن تجارتها الرئيسية كانت في المصنوعات الهندية والفارسية، وكان غالبية السكان كانوا عربًا وليسوا فرسًا، وكذلك كان الحال في معظم الجزر، وقد أشار ماركو بولو إلى هذه الجزيرة باسم كيرسي (قيسي)، وكانت السفن المتجهة إلى الهند ترسو بها، أمَّا سبب انهيار قيس فهو الازدهار التجاري لمملكة هرمز الصغيرة، التي كانت تحت حكم أسرة عربية -أيضًا-، وقد حاول حاكم قيس في أواخر القرن السادس الهجري أن يستولي على هرمز دون جدوى، وحوالي سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م اشترى ملك هرمز وقتئذٍ من نعيم قيس جزيرة جرون، التي تقع في مواجهة عاصمته، وبعد ذلك بسنوات قليلة نقل عاصمته إلى هذه الجزيرة، التي قدمت له حماية أكثر وأصبحت بمنزلة هرمز الجديدة، وازدادت أهميتها بحكم موقعها الملائم قرب أضيق جزء من الخليج، ونافست جزيرة قيس، وجذبت شيئا فشيئا تجارة الهند، وقد أدى هذا إلى حروب طويلة وصراع بين المملكتين في وقت من الأوقات أصبحت قيس -بالفعل- تحت سيطرة هرمز، وفي النهاية فقدت قيس أهميتها سوقًا للخليج، وبدءًا من القرن العاشر الميلادي لم يعد لها إلا قيمة ثانوية إلى أن استولى شاه عباس الأول عليها سنة ١٦٢٢م، فارتبطت مكانتها ببندر عباس، ثم ارتفع شأن بوشهر بعد منتصف القرن الثامن عشر الميلادي [م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج٢٧، ص٨٤٥٦].

(١) سراج الدين ابن الوردي، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، ص١٦٠.

ويصف مراكبها بالقول: «ويحكى أن عنده في الجزيرة المذكورة على مرسى البحر من المراكب التي تسمَّى السفينات مائتي مركب، وهذه المراكب من عجائب الدنيا، وليس على وجه الأرض ومتن البحور مثلها أبدًا؛ وهي أن المركب الواحد منها منحوت من خشبة واحدة؛ قطعة واحدة، والمركب الواحد منها يسع مائة رجل وخمسين، وبهذه الجزيرة دواب ومواشي وأشجار وفواكه»[1]، وفي موضع آخر يقول واصِفًا هذا البحر: «وهو بحر كثير العجائب، غزير الغرائب، وفيه مغاص اللؤلؤ، ويخرج منه الحب الجيد، وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة، منها: جزيرة خَارَك، وهي كبيرة عامرة آهلة، وبها مغاص اللؤلؤ ...»[2].



[صورة –١: لمجموعة من غواصي اللؤلؤ بالخليج.]

(١) سراج الدين ابن الوردي، **المصدر نفسه**، ص١٦٠.

(٢) سراج الدين ابن الوردي، **المصدر نفسه**، ص٢٢٤.

وضرب أحد الشعراء المثل بلؤلؤ عمان، حين قال في ممدوحه[1]:

لَـمْ يَكُـنْ فِـي كُلِّ بَحْـرٍ لُؤْلُـؤٌ إنَّمَـا اللُّؤْلُـؤُ فـي بَحْـرِ عُمَـانِ

فـي الطـرف الآخـر تقـع القطيـف علـى خليـج يشـمل جزيـرة تـاروت، يُعـرف بـ: خليـج القطيـف، ويُسمَّى -أيضًـا-: بحـر القطيـف. يـرى المـؤرخ الألمانـي **لدويـك هـرن** (١٧٦٠ - ١٨٢٤م) أن خليـج الجرعـاء والمدينـة المسـماة بهـذا الاسـم كانـا حيـث يُـرَى اليـوم خليـج القطيـف، والمدينـة المعروفـة بالقطيـف الواقعـة علـى السـاحل الغربـي مـن الخليـج هـي بيـن الدَّرجـة ٢٦ والدرجـة ٢٧ عرضًـا فـي الشـمال، وأنّ جزيرتـي تِيلُـوس وَأَرَادُوس همـا -علـى رأيـه- جزيرتـا البحريـن الكبريـان، المشـهورتان بلآلئهمـا. والـدرُّ فـي بحرهمـا كثيـر، وتلـك الفرائـد هـي مصـدر ثـروة أولئـك النـاس فـي الزمـن القديـم. ويذكـر المـؤرخ الألمانـي (**هـرن**) -فيمـا تنقلـه عنـه **مجلـة العـرب العراقيـة**-: «إن جزيـرة **دودان** الـوارد ذكرهـا عنـد **العبريين** هـي إحـدى جزيرتـي البحريـن، أو ربمـا كانـت جزيـرة كاظمـة، الواقعـة فويقهـا شـمالًا، وبهـذه الصـورة تُـؤَوَّل ثـروة تلـك الديـار، وهـي ثـروة قـد ارتـاب بعـض مؤرخـي الكتـب المنزلـة وغيـر المنزلـة فـي صحتهـا، ممَّـن تكلـم عـن تلـك الأرجـاء. لا جـرم أن خليـج فـارس (= الخليـج العربـي) كان -فـي تلـك الأزمنـة الواغلـة فـي القـدم- السـبيل المفتـوح للعـرب فـي تجارتهـم كلمـا سـاروا إلـى الهنـد عـن طريـق البحـر». جـاء فـي التعليـق: «إنْ كان الأقدمـون حاولـوا أسـفارًا طويلـة علـى البحـار مـع مـا كانـت عليـه الملاحـة مـن الطفولـة، فيجـب علينـا أن نَتَكَهَّـن أنَّهـم لـم يبتعـدوا كثيـرا عـن الشـواطئ؛ إذ كانـوا يجـدون فيهـا كنًّـا أو كنَفًـا يتقـون فيهـا شـرَّ العواصـف، وعليـه كان سـكان شـرقي جزيـرة العـرب فـي أحسـن موطـن ليبحـروا منـه إلـى الهنـد؛ ويأتـوا منهـا بحاصلاتهـا النَّفيسـة، ليبدلوهـا بسـلع الفينيقيِّيـن؛ فقـد ورد فـي سـفر حزقيـال: (كان ولـد دودان يتاجـرون ويتَّجِهُـون إلـى بـلاد كبيـرة، ويبادلـون أصحابهـا بالقـرن والعـاج والساسـم) [حزقيـال ١٥: ٢٧]، وعنـد عودتهـم مـن تلـك الأسـفار النَّائيـة الخطـرة كانـت تجتمـع قوافـل دودان علـى سـواحل

(١) عبـد الـرزاق بـن حسـن بـن إبراهيـم البيطـار الميدانـي الدمشـقي، **حليـة البشـر فـي تاريـخ القـرن الثالـث عشـر**، حققـه ونسـقه وعلـق عليـه حفيـده: محمـد بهجـة البيطـار، (دار صـادر، بيـروت، الطبعـة: الثانيـة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، ص٢٩.

جزيرة العرب القريبة من الجرعاء، وتذهب إلى أرجاء بابل، أو إلى ديار فينيقية البحرية، مجتاحة فلوات واسعة الأطراف، فلقد قال أشعيا في سفره (١٣: ٢١): (بيتوا في غاب العرب؛ يا قوافل الدوانيين). أجل، لم يكن من الممكن للحضر أن يأووا إلى قفار بعيدة الآفاق، بل إلى رياضها التي كانت تنشؤها الطبيعة في تلك الأرض الموحشة الخالية...»[١]، إلى آخر ما جاء.

بذلك يعلم أن شبه جزيرة العرب كانت -بموقعها المتوسط بين الشرق والغرب- بمنزلة المعبر الذي لا مفر للتجارة العالمية من اجتيازه. ما جعلها، ملتقى للتيارات الحضارية الآتية من شتى الجهات، فتفاعلت معها، وأنتجت بدورها حضارة ضربت في مضمار التقدم والازدهار شوطًا مرموقًا.

فقد اتَّصلت -كما يقول أحد الدَّارسين- بحضارة البنْجَاب في الهند عن طريق المحيط الهندي، وبحضارة بلاد الرَّافدين عن طريق الخليج، وبالحضارة المصرية عن طريق وادي الحمامات، الذي يصل الشاطئ الغربي للبحر الأحمر بالعاصمة المصرية القديمة «طيبة»[٢].

ويمكن من خلال الآتي تلخيص بعض الاكتشافات الأثرية في سواحل الخليج وجزره خاصَّة (الغربية منها)، المُدَلِّلَة على البعد الحضاري لهذه المنطقة؛ طبقًا لجهود قامت بها بعثة دانمركية لآثار ما قبل التاريخ، وبعثات أخرى تابعة لها، حسب ما جاء في كتاب **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**:-

(١) بول بوبنوي «الجرعاء أو الجرعة» **مجلة لغة العرب العراقية**، ج٤، ص٤٢٠ وما بعدها.

(٢) توفيق برو، **تاريخ العرب القديم**، (دار الفكر، د. م، ط: الثانية ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م)، ص٦٤ وما بعدها.

أ) في البحرين[1]:

م	العام	المجال	اللقى الأثرية والمستكشفات	النتائج
1	1953م	جبل الدخان والمنطقة الصحراوية في البحرين، ومنها إلى غيرها من مواطن العصور الحجرية، ثم اتسع مجال البحث إلى رجم المقابر، وتنقلت أعمال الكشف الأثري إلى حيث تتبعت شواهد العمران القديم في العواصم الأولى التي نسبت إلى عهود متفاوتة، يحتمل أن أقدمها عاصر الحضارة السومرية، وعاصر بعضها العصر الآشوري الحديث والعصر البابلي الأخير، وعاصر أحدثها الحضارة السليوكية الهيلنستية والحضارة البارثية، مع انقطاع عمرانها في فترات أخرى بعوامل مختلفة.	وتمثلت أهم مكتشفات البعثة في أطلال معابد باربار بمستوياتها الثلاث المتعاقبة وبعض عناصرها الباقية، الأمر الذي شجع على تسمية أهم الفترات الحضارية بجزيرة البحرين باسم حضارة باربار، وتنوعت حصيلة ما بقي من مناطق السكن والعبادة والدفن، من أنواع الآثار المنقولة. فشملت كمية كبيرة نسبيًا من أواني الفخار والأواني الحجرية، ومجموعات من الأختام الدلمونية المستديرة ذات القمة المدببة والمسطحة. والتي نقش بعضها بمناظر محلية، ونقش بعضها الآخر بمناظر تشبه مناظر الأختام القديمة في العراق وفي وادي السند، وذلك مما يدل على العلاقات الحضارية أو التجارية بين هذه الأقطار الثلاثة، وذلك فضلًا على مجموعات من الأواني والتماثيل المعدنية والمرمرية الصغيرة، وقطع نحاسية وأخرى من العقيق واللازورد. وأوزان محلية ومنقولة ... إلخ.	أيَّدت هذه الآثار المنوَّعة الأهمية النسبية لجزيرة البحرين في العصور القديمة؛ كمركز لمنطقة دلمون، التي رددت المصادر المسمارية ذكرها، ومركزًا لحضارة خاصة بها؛ وهي حضارة باربار، فضلًا على كونها جزءًا من حضارة الخليج في مجمله.

(١) بتصرف، واختصار: عبد العزيز صالح، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ط، د. ت)، ص١٢٩ وما بعدها.

ب) في الكويت[1]:



[صورة – ٢: جانب من موقع أثري معروف بجزيرة فيلكا[٢]]

م	العام	المجال	اللقى الأثرية والمستكشفات	النتائج
١	١٩٥٨م	جزيرة فَيْلَكَا أو جزيرة أَكَارُوس -مثل ما سميت بالإغريقية في عهد الإسكندر الأكبر-.	تعددت الآثار الثابتة في مواقع التنقيب في جزيرة فَيْلَكَا، وتمثَّلت في أطلال محلات سكنية، وأفران ومواقد، وأسوار وحصون، ومعابد محلية، مثل معبد إنزاك ومواقع عبادة آلهة الينابيع ومصادر المياه، وأخرى هيلنستية، مثل: معبد أرتيميس، وتباينت أطلال هذه الآثار في أحجامها، وفي مدى أهميتها،	بقيت البعثة فيها على مستويات متعاقبة، عادت بأقدم مظاهر سكانها إلى أواسط وأواخر العصر الحجري القديم، وإلى العصر الخالكولتي "خالكس": (النحاسي – الحجري)، وقيل: إن بعضها عاصر الحضارة السومرية في العراق، خلال النصف الأول من الألف الثالث ق. م،

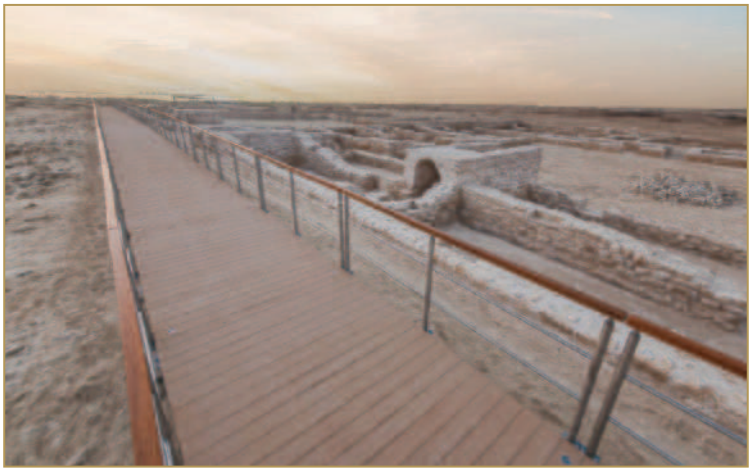
(١) بتصرف، واختصار: عبد العزيز صالح، **المصدر نفسه**، ص١٣٠ وما بعدها.

(٢) ينظر موقع صحيفة «رؤى» الإلكترونية، في نقلها تصريح المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب حول آثار فيلكا:
https://www.rouanews.com/87466

			كما تباينت وتداخلت في أزمنتها، لا سيما بالنسبة لمناطق السكن ومراكز العبادة، التي أعيد استخدام بعضها جزئيًا أو كليًا في فترات متعاقبة، بحيث قد يضم الموقع الواحد أحيانًا بين آثار من عصور ما قبل التاريخ وبين آثار من العصر الهيلينستى متقاربة من بعضها أو مختلطة مع بعضها، وقد لوحظت كثرة استخدام الأحجار في المباني القديمة على عادة بعض أهل جنوب شبه الجزيرة العربية، مع قلة البناء باللبن الذي اعتاده أهل العراق القريبين منهم، وكالعادة احتوت هذه الأطلال على آثار صغيرة منقولة، تضمنت أعدادًا من أواني الفخار، والأواني الحجرية، والأسلحة الصغيرة، والأحجار المنقوشة، والتماثيل البشرية والحيوانية الصغيرة، وقطع من العملات المحلية والهيليستية، والعربية القديمة، وعدة آلاف من أختام صغيرة،	وحضارة كولي في السند، وما يمتد من العصر الآكدي حتى عهد إسين -لارسا في العراق (من أوائل القرن ٣٣ ق. م إلى أواخر القرن ١٨ ق. م.)؛ حيث قلت مظاهر العمران لفترات طويلة، حتى عاد نشاطها مع عهد الإسكندر والعصر السليوكي، الذي مثلت فيلكا فيه مركزًا تجاريًّا وحضاريًّا، جمع إلى صبغته المحلية والخليجية عناصر أخرى إغريقية وهيلينستية، وفدت مع نشاط الملاحة والتجارة في هذا العصر وما تلاه،

			تنوَّعت بأشكالها وموضوعاتها، بين أختام إقليمية مستديرة، أنتجتها حضارة الخليج، وأختام أسطوانية، قلَّدت أختام العراق، وأختام رباعية، قلدت أختام وادي السند، بل وشكل أحد الأختام على هيئة الأختام المصرية القديمة، ونقشت على هذه الأختام أشكال مختصرة لكائنات بشرية وحيوانية وأشياء طبيعية وزخارف تخطيطية، عبَّرت عن بعض عقائد أصحابها، وأخيلتهم، وأساطيرهم، ومستوى فنونهم.	وظلت اتصالات الجزيرة بشبه الجزيرة العربية قائمة، وعثر في أرضها على نصوص عربية قديمة.

ج) في قطر[1]:



[صورة –٣: موقع الزبارة الأثري، المدرج ضمن قائمة اليونسكو للتراث العالمي. المصدر: موقع متاحف قطر[2]]

(١) بتصرف، واختصار: عبد العزيز صالح، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، ص١٣١.

(٢) ينظر موقع «متاحف قطر» على الرابط:./https://qm.org.qa/ar/visit/heritage-sites/al-zubarah

م	العام	المجال	اللقى الأثرية، والمستكشفات	النتائج
١	١٩٥٩م	الساحل الغربي من قطر	عثرت البعثة الدنماركية على كميات كبيرة من أدوات حجرية، صنفتها في أربع حضارات بدائية، ترجع إلى فترات من العصر الحجري المتوسط والعصر الحجري الحديث، والعصر النحاسي الحجري. وغلبت على حياة الدهور والعصور حرفة الصيد، وحرفة الرعي، ثم القليل من الزراعة، ووجدت البعثة رسومًا مختصرة على جوانب الصخور، صوَّرت مناظر زخرفية وملاحية وعقائدية، ووجدت بقايا بلدة يرجع عمرانها إلى أواسط الألف الأول ق.م	كشفت البعثة -إلى جانب البعثات الأثرية الأجنبية الأخرى- أن قطر كانت مأهولة بالسكان منذ الالف الرابع قبل الميلاد، وأقامت علاقات تجاريه مع بلاد ما بين النهرين وغيرها.

د) في الإمارات[1]:

م	العام	المجال	اللقى الأثرية، والمستكشفات	النتائج
١	١٩٥٩م	ركزت البعثة أغلب أعمالها في أبو ظبي في جزيرة أم النار التي قيل: إنها اكتسبت اسمها من كثرة ما وجد بها من أحجار كانت تستخدم محطات لإيقاد النار، ثم اتسع البحث إلى منطقة العين وقرية هيلي.	ظهرت شواهد أربع مراحل للعمران في محلات قديمة ذات مساكن منوعة، ووجدت -أيضًا- أعداد كثيرة من رجم المقابر المستديرة -الفردية والأسرية-، وأرجع أقدمها إلى فترات من الألف الثالث ق. م، وبني أكبرها بالحجر، وصُوّرت على مداخلها مناظر إبل وماشية وحيَّات، واحتفظت بعض المقابر ببعض ما زود الموتى به من أوان وخناجر وأدوات للزينة، ويحتمل أن أهل جزيرة أم النار القدامى أخذوا في بعض عصورهم بتضحية الأتباع حين دفن سادتهم.	قامت البعثة الدنماركية بإجراء العديد من عمليات التنقيب عن الآثار، واكْتُشِفَ من خلالها أن الإنسان استوطن منطقة العين قبل الميلاد؛ حيث ثبت ذلك وتأكَّد من خلال عثورهم على بعض الأدوات، مثل: الفخار والأدوات الحجرية في منطقة جبل حفيت؛ حيث يستدل بأن هذه الأدوات يعود تاريخها إلى العصر البرونزي[2].

(١) بتصرف، واختصار: عبد العزيز صالح، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة**، ص١٣١ وما بعدها.

(٢) **تقرير مدافن حفيت**، دائرة الثقافة والسياحة بأبو ظبي. ينظر الموقع الإلكتروني عبر الشابكة:
https://dct.gov.ae/ar/what.we.do/culture/museums/jebel.hafeet.tombs.aspx

هـ) في المملكة العربية السعودية[1]:



[صورة ـ ٤: فن النقش على الحجارة. المصدر: أبرز المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية، ص٥٧]

م	العام	المجال	اللقى الأثرية، والمستكشفات	النتائج
١	١٩٥٩م	تـــــاج، والقطيف، وتـــاروت، والـعـقـيـر، والظهران، وجبيل	عُثِرَ -فيما عثر عليه- على أعداد من التماثيل الطينية الصغيرة لإناث وحيوانات، وعثر على نقش بكتابة عربية جنوبية قديمة في تاج، وفي شبه جزيرة تـاروت على امتداد القطيف، تعددت رجم المقابر ذات الشكل المخروطي، ووجدت البعثة الدانمركية آثـار عـمـران متقطع متفاوت، قد يبدأ معاصرًا لحضارة العبيد في أقدم طبقاته، ويمتد به الزمن حتى عهد حضارة باربار في البحرين، ويضم مُخَلَّفات من الأدوات الحجرية الصغيرة لعصور ما قبل التاريخ، ومخلّفات من كسر الفخار.	جمعت البعثة الدانمركية أعـــدادًا كـبـيـرة من كسر الـفـخـار الخشن والـرقـيـق، والأوانـــي الفخارية والحجرية، ومباخر مربعة، ويبدو أنـهـا كـانـت مـن آثـار عمران لبلدة عاصرت الحضارة السليوكية أو الهيلينستية. ونبَّه بيتر بـروس كـورنـوول إلى أهمية موقع الظهران، وضـخـامـة جبَّـانـتـهـا القديمة، ونسبها إلى كـبـار منطقة دلـمـون، الـذيـن شـمـل نفوذهم البحرين والأحساء.

(١) بتصـرف، واختصـار: عبـد العزيـز صالـح، **تاريـخ شـبه الجزيـرة العربيـة فـي عصورهـا القديمـة**، ص١٣٢ ومـا بعدهـا.

			وامتدت البحوث إلى جرها القديمة؛ وهي الجرعاء العربية والعقير الحالية، على أساس ما شهد به الرحالة الكلاسيكيون من ثرائها ونشاطها الواسع في تجارة المرور "الترانزيت"، خلال العصر السليوكي. وقد تعددت بالفعل أكوام أثرية كثيرة فيما بين العقير وبين الظهران، واستغلت البعثة الدانمركية ما وجد على سطوحها من كسر الفخار والأواني الحجرية لتصنيفها وتوقيت صناعتها، وفي الوقت ذاته كان لقرب مناطق النفط من الظهران أثر في توجيه الأنظار إلى ما كشف في أرضها مصادفة من الآثار خلال مد الطرق وتعبيدها وحفر الآبار. وتفاوتت مقابر هذه الجبَّانة فيما بينها في سعتها وأهميتها ومحتوياتها، واحتوى أكبرها على توابيت حجرية وجدران مبنية.	

أما في عُمان فبحسبنا الوقوف على بعض ما سجّلته البحوث التي أفصح عنها صريح جهد القائمين على التحضير العلمي والفني لـ: **متحف عُمان عبر الزمان** (بولاية منح)، والتي راجعت مادتها -بالتعاون مع بعض المختصين-، ويمكن تلخيص أهمِّ ما يرتبط بعلاقة مجان القديمة تحديدًا ببلاد الرَّافدين -تضييقًا لنطاق التمثيل-، في الآتي[1]:

(١) - فريق عمل، ملفات حول: **مجان.. المكتشفات، واللقى الأثرية، وعلاقتها ببلاد الرافدين**، ترجمة: د. هلال الحجري، ومحمد السالمي، تحرير ومراجعة: د. محمد الحارثي، ود. سعيد الريامي، بتاريخ: ١٩-١٢-٢٠٢٠م (يحتفظ الباحث بنسخة من الملف).

- فريق عمل، **المستوطنون الأوائل**، تخطيط وتحضير: أسمهان الجرو، وعبد الرحمن المعشني، وناهد القريشي، ترجمة ومراجعة: د. محمد الحارثي، ود. سعيد الريامي، بتاريخ: ١٩-١٢-٢٠٢٠م (يحتفظ الباحث بنسخة من الملف).

- مجـان أو (مـكان) هـو الاسـم الـذي كان يُطلـق فـي بـلاد الرافديـن (العـراق)، علـى شـبه جزيـرة عُمـان، فـي الألفيـة الثالثـة وأوائـل الألفيـة الثانيـة قبـل الميـلاد. وُجِدَ اسمها محفورًا علـى ألـواح طينيـة مكتوبـة بخط مسماري، وهي الطريقـة التـي كتبـت بهـا اللغتـان السـومرية والأكاديـة. وتذكـر أسـاطير بـلاد الرافديـن أن معبـود مجـان يدعـى (نينسـيكيلا)، ابـن الآلهـة الأم (نينهرسـاجا).
- تخبرنـا النصـوص المسـمارية أن مملكـة مجـان كانت خـلال العصـر البرونزي دولـة تجاريـة مزدهـرة، وتشـير الأدلـة الأثريـة إلـى وجـود نشـاط تجـاري داخلـي، وتبـادل خارجـي خاصـة مـع بـلاد الرافديـن (العـراق حاليًّـا)، وإيـران ووادي إنـدوس (باكسـتان وشـمال غـرب الهنـد حاليًّـا).
- كان النحـاس يُبـاع علـى شـكل سـبائك، وكانـت مجـان خـلال العصـر البرونزي أحـد أهـم مُصـدِّري النحـاس إلـى بلـدان الشـرق الأدنـى القديـم. اسـتخدم النحـاس والبرونـز فـي صناعـة الأسـلحة والأدوات والأوانـي، بالإضافـة إلـى المقتنيـات الفاخـرة كالتماثيـل والمرايا.
- عُثـر علـى إحـدى السـبائك فـي سوسـة (شـمال غـرب إيـران حاليًـا) -عاصمـة دولـة عيـلام-؛ حيـث كانـت مخبـأة فـي جـرّة دفـن مـع كنـوز أخـرى. يشـير التحليـل الكيميـاوي للسـبيكة إلـى أن النحـاس اسْـتُخْرِجَ مـن جبـال الحجـر، وبعـد صهـره شُـحن مـن مجـان إلـى هـذا الموقـع، مـع توقـف فـي محطـات خـلال الرحلـة للتجـارة والمؤونـة.
- تشـير النقـوش المسـمارية إلـى أن ملـوك بـلاد الرافديـن كانـوا يسـتوردون النحـاس والفضـة مـن مجـان، ومـن المحتمـل أن النُّحـاس كان يُنقـل عبـر المسـار الشـمالي المحـاذي للسـاحل، مـع توقُّـف فـي بعـض الموانـئ والجـزر. وجـاء فـي بعـض النصـوص: «عسـى أن تهبـك أرض مجـان أقـوى أنـواع النحـاس، الـذي لا يضاهـى فـي قوتـه، والديورايـت، وأحجـار شـوعو، وأحجـار شـومين».
- صُنعـت معظـم تماثيـل جوديـا -أميـر مملكـة لجـش (جنـوب العـراق حاليًّـا)-، مـن الديورايـت؛ وهـو حجـر أسـود صلـب، كان الطلـب عليـه كبيـرًا فـي بـلاد

الرافدين. يُجلب هذا الحجر من مجان. عرف عن الملك جوديا إصراره على استخدام هذا الحجر لجودته ومتانته. كان هذا الحجر يُستورد إلى لجش بتكلفة باهظة.

- وجدت مسلّة هرمية، شيدها مانيشتوسو، ابن سرجون، وثالث ملوك الأسرة الأكادية في بلاد الرافدين (٢٢٧٠ - ٢٢٥٥ ق.م). وقد كان الديورايت -أيضًا- هو المادة المفضلة لصنع التماثيل والنصب التذكارية؛ تكريمًا للملوك.
- يدل نوع الحجر الصابوني المستخدم في نحت بعض الآنية إلى أن مصدره من مجان، صُدِّر تصديره من الساحل الغربي لمجان إلى دلمون (الكويت، والبحرين، وقطر، وشرق السعودية -حاليًّا-).
- يُعتقد أن بعض الجرار كانت تنتج بكميات كبيرة في مجان، حيث كانت تستخدم لتخزين المنتجات الغذائية لأجل تصديرها إلى البلدان الأخرى، وكانت عادة ما تُغطى بقطعة قماش حمراء اللون، ويُزيّن سطحها بخطوط مستقيمة ومُتَعَرِّجَة. وجدت مثل هذه الجرار في بلاد الرافدين، وعلى طول الساحل الغربي للخليج العربي.
- تُظهر السجلات المسمارية الصادرات من الأطعمة المختلفة التي كانت تُتَداول بين بلاد الرافدين ومجان. كانت مجان تستورد الشعير وزيت السمسم والصوف، وتصدر الأسماك المجففة، والبصل، والغنَم. يُشير اسم المُصَدِّر لتلك السِّلع إلى أهميتها، وندرتها.
- قبل ٤٠٠٠ عام استخدم صناع السفن في عُمان القار في طلاء الجزء السفلي من سفنهم (البطانة)؛ ليكون عازلًا يمنع من تسرُّب الماء؛ وهو مادة نفطية طبيعية تتسرَّب من باطن الأرض. يكشف التحليل الكيمياوي أن هذا القار استُورد من بلاد الرافدين (العراق حاليًا) إلى مجان، وعُثر عليه في موقع رأس الجنز الأثري، الذي كان ميناءً ومركزًا تجاريًّا رئيسًا.
- كان الذهب وما يزال معدنًا نفيسًا عالي القيمة، وكان غالبًا ما يُستخدم في تصنيع الحلي والمجوهرات. يُقال: إن ملكًا من ملوك مجان قدَّمَ مسحوقًا

من الذهب هديةً لملك في بلاد الرافدين.

- بالرغم من أن كتابات بلاد الرافدين الدينية والعسكرية تذكر مجان، إلا أنَّ سجلاتها التجارية هي المصدر الأغنى بالمعلومات عن العلاقة التي كانت تربط الحضارتين؛ فهي تحوي قوائم مفصلة بالسلع المتبادلة بينهما، والحصص الغذائية التي كان يُزوّد بها بناة السفن في مجان.
- عُثِرَ على لوح مسماري لسرجون الأكادي، يشير إلى سفن مجان ودلمون، الراسية على رصيف أكاد، التي أقبلت من بحر مجان.
- شنَّ حفيد سرجون الأكادي (نارام سين) حملة عسكرية على منطقة الخليج، وداهم حاكم مجان، ثم عاد إلى بلاد الرافدين بأنواع مختلفة من المواد الخام والمصنوعات اليدوية، التي حوت أواني من الحجر الليّن، أمر أن ينقش عليها عبارة: غنائم مجان.
- تذكر النقوش المسمارية أسماء بعض حكام شخصيات مجان الأوائل، مثل: ماني، الذي أسره نارام سن أثناء حملته على مجان، وكذلك ودوم، الذي حضر مبعوثًا لبابل من قبل الملك نادوب، كلا الملكين يحملان أسماء عمورية؛ ما يعني أن هذا القبيل كان يسكن وقتها عُمان.

.. إلى غير ذلك، مما يطول باستعراضه والاسترسال فيه المبحث التمهيدي.



[صورة – ٥: عُثر على هذا النموذج من القوارب الطينية في أحد الأضرحة الملكية بمدينة أور في بلاد ما بين النهرين، ويمكن من خلاله معرفة الشكل الذي كانت تصنع عليه قوارب مجان؛ حيث تشير كتابات بلاد ما بين النهرين إلى بضائع كانت تُباع لصناع السفن الذين كانوا يأتون من مجان. وقد عثر في قرية رأس الجنز الساحلية في عمان على بقايا لمواد استعملت لصنع القوارب يعود تاريخها إلى ٢٥٠٠-٢١٠٠ قبل الميلاد. المصدر: متحف عمان عبر الزمان].

ويبدو -مثل ما تقول إحدى الدراسات- أن عامل الموقع وعبقرية المكان أتاح لمجان أن تجني ثمار هذا التموضع المُمَيْز الذي ربط بينها وبين مدنيات العالم القديم عبر طرق التجارة، التي بدأت تتضح معالمها خلال هذه الفترة، ومما لا شك فيه أن من يستطيع أنْ يتقلَّد زمام الأمور، وأن يشرف على هذه الطرق، تتاح له فرصًا استثنائية لمزيد من الثروة، وهكذا أفادت مجان من عاملي الأرض، ومكتسبات التجارة في تطوير منظومتها الاقتصادية الداخلية، وإذا ما علمنا أن بلاد الشام استطاعت أن تكون الأنموذج الذي يربط دائرة بلاد الرافدين بوادي النيل والبحر الأسود، فإنَّ مجان استطاعت -وبفضل موقعها المميز- أن تربط بين شرق الجزيرة العربية ووادي السند وبلاد الرافدين[1]. تضيف الدراسة: «إن النظرية التي يتبنَّاها بعض الباحثين حول ظاهرة التحول الكبير في اقتصاديات المراكز الحضارية الساحلية، والتي وجدت قبولًا كبيرًا، مفادها أن الحاجة التي تولدت لدى المجتمعات الحضارية المجاورة -كبلاد الرافدين وبلاد الشام ووادي النيل- لبعض السِّلَع الضرورية التي لم تكن توجد فيها، عجَّل في الاستجابة السريعة لدى بعض المجتمعات، التي كانت تمتلك تلك الموارد للوفاء بالاحتياجات التنموية لمدن وحواضر المراكز الحضارية، في كلٍّ من بلاد الرافدين ووادي النيل وبلاد الشام، وكان لا بدَّ لها أن تجاري وتواكب في نفس الوقت التقنيات المتطورة، وعجلة التنمية السريعة، التي بدأت تلوح في الأفق خلال بواكير الألف الثالث ق.م؛ ما أسهم في تطوير منظومتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولعب دورها الحيوي في شبكة التجارة الإقليمية، التي بدأت تتشكل خلال تلك الفترة»[2].

(١) علي بن راشد المديلوي، **الطفرة الحضارية في مجان وإشكالية التنظيم السياسي خلال فترة الالف الثالث قبل الميلاد «تصدير النحاس أنموذجًا»**، ص٣ (بحث مرقون يحتفظ الباحث بنسخة منه). نقلا عن:
Berthoud, Cleuziou, "Farming Comunities of the Oman Peninsula", p.245; Cleuziou & Tosi, "Ra's al-Jinz" p.19.

(٢) علي بن راشد المديلوي، **المصدر نفسه**، ص٤ (بحث مرقون يحتفظ الباحث بنسخة منه). نقلا عن:
Cleuziou, S. Tosi, M, In the Shadow of the Ancestors: The prehistoric Foundations of the Early Arabian Civilization in Oman, Ministry of Heritage and Culture. Sultanate of Oman, 2007, p.97.

وعودًا إلى جهود التنقيب والبحث في منطقتنا الخليجية، فقد نشطت بعد البعثة الدنماركية آنفة الذكر -عبر مسيرة حافلة- الكثير من فرق البحث الأثري -المحلية والأجنبية-، التي نقَّبَتْ في مناطق مختلفة من عُمان والإمارات والبحرين وقطر والمملكة العربية السعودية بعامة، وكانت النتائج التي خرجت بها تقطع بضرس، على أهمية هذا الساحل الحضارية، وعلى التأثير الكبير والإشعاع الحضاري لبلاد ما بين النهرين عليها، الذي اشْتدَّ -بمرور الزمن- شيئًا فشيئًا.

إنَّ الموقع الجغرافي للخليج العربي -وفق ما تشير إليه بعض الدراسات-، الذي ترتبط مياهه بمياه بحر العرب في المحيط الهندي من جهة، ويتوغل داخل الأرض اليابسة؛ حيث يقرب المسافة البرية عبر منطقة الهلال الخصيب بين المحيط الهندي والبحر المتوسط من جهة أخرى، جعلته ينهض بدور مميز ليس في التجارة العالمية فحسب، بل أصبح بوتقة لانصهار حضارات العالم القديم والحديث؛ فعن طريقه وعبر مياه نهر الفرات يمكن الوصول إلى سواحل البحر المتوسط الشرقية، ومنها إلى الأقاليم الأوروبية وشمال إفريقيا، وعن طريقه -أيضًا- وعبر مياه نهر دجلة يمكن الوصول إلى بحر قزوين، ثم شمال شرقي أوروبا وشمال غرب آسيا، وخلال بوابته الجنوبية يمكن الوصول إلى جميع الأقطار في جنوب شرق آسيا، ووادي السند، أما في الجهة الغربية فإنَّ مياهه توصل إلى الساحل الشرقي للقارة الإفريقية وحتى سواحل البحر الأحمر شمالًا[1].

وفي هذا السِّياق فقد كان للبصرة -لاحقا- دور محوري -أيضًا- في ذلك التواصل الحضاري، والتفاعل المُنْتِج والبنَّاء بين الشرق والغرب؛ إذ كانت مرفأ تجاريًّا وملاحيًّا مُهِمًّا عبر التاريخ. لا شكَّ أنَّ استقرار عرب الخليج في البصرة أسهم في نمو ذلك النشاط، مع بلاد المحيط الهندي والشرق الأقصى، غير أنَّ عوامل أخرى -بحسب قول د. صالح العلي (ت ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م) في **خطط البصرة ومنطقتها**- ساعدت -أيضًا- على إنماء أهميتها التجارية؛ حيث

(١) د. قصي منصور التركي، **الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد "التاريخ السياسي والحضاري"**، (صفحات للدراسات والنشر، د. م، ط: الأولى، ٢٠٠٨م)، ص٦٤.

صارت ثغر العراق الذي تمر به التجارة إلى هذا الإقليم الغني، ولا ريب في أنَّ هذا الازدهار التجاري كان له الأثر في نمو الحياة الاقتصادية فيها، وتوجيهها، ومكَّنها -بالتالي- من الاحتفاظ بمكانتها حتى قيام الخلافة العباسية، في حين أنَّ الكوفة أصابها بعد قيام تلك الخلافة التدهور والضُّمور[1].

بكلمة واحدة كانت البصرة مَجْمَعَ الخليج، وسُرَّته، ومُنْتَهَاهُ؛ فعند شطِّها (شط العرب) يلتقي الساحلان -الشرقي والغربي-؛ وتأخذ بذلك البصرة زمام أمريهما؛ وقد أَلْمَحَ إلى هذا المعنى وتفطن إليه -في مرحلة باكرة جدًّا ابن الفقيه الهمداني (نحو ٣٤٠ هـ / ٩٥١م) في كتابه **البلدان**، وهو يقول: «من وَلِي العراق فقد ولي البصرة والكوفة والأهواز وفارس وكرمان والهند والسند وسجستان وطبرستان وجرجان، والعراق في الطول من عانة إلى البصرة، والبصرة تتاخم الأهواز، والأهواز تتاخم فارس، وفارس تتاخم كرمان، وكرمان تتاخم كابل، وكابل تتاخم زرنج، وزرنج تتاخم الهند»[2] انتهى كلامه.

وإذا كانت البصرة قد ضربت شوطًا بعيدًا في تفاعلها الحضاري مع العالم، وفي ربط الشرق بالغرب، فقد اكتسبت -كذلك- بُعْدًا إداريًّا في مرحلة قريبة منا؛ فقد كان لواء البصرة العثماني مُهَيْمِنًا على جواره، حتى اضمحلَّ العثمانيون، وتلاشى دورهم في المنطقة. عُرِف هذا اللواء بأنه زراعي، شُهِر بكثرة نخله، وجودة تمره. كان يحده من الشمال لواء العمارة، ومن الجنوب الخليج، ومن الشرق بلاد إيران، ومن الغرب الصحراء الشامية، هواؤه رطب ثقيل، وماؤه عذب؛ لأنَّه يتكون من نهرين عذبين عظيمين؛ هما دجلة والفرات، ومعظم أراضيه تُسْقَى سَيْحًا؛ لأنَّ المدَّ والجزر الناشئين من جاذبية الشمس والقمر وسيلانيَّة الماء هما العاملان الأساسيان في صعود الماء وهبوطه، والمدُّ هو الذي يروي أراضي هذا اللواء، ويجعلها غابة كبيرة من النخل؛ فالماء في شط العرب يعلو في كل ٢٤ ساعة مرتين، فيسقي الأراضي الكثيرة بدون استعمال

(١) د. صالح أحمد العلي، **خطط البصرة ومنطقتها «دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى»**، (المجمع العلمي العراقي، جمهورية العراق، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م)، ص٧.

(٢) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، **البلدان**، تح: يوسف الهادي، (عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)، ص١٩٩.

آلات السقي المختلفة، فإذا أتَمَّ فعله عاد إلى حيث أتى. مركز هذا اللواء: مدينة البصرة، وهي -كما وُصِفَت- مدينة عظيمة، لم تكن على أيام الفرس، وإنَّما مَصَّرَها العرب.



[صورة – ٦: أطلال مدينة البصرة القديمة. المصدر: مركز تراث البصرة(١)]

وفي هذه المدينة مبانٍ جليلة، وبيوت عامرة، وجادات واسعة، وخانات كثيرة، ومساجد جميلة، وفنادق أنيقة، وحمامات منتظمة، ومخازن تجارية مهمة، ومدارس وكتاتيب عديدة، وبساتين لا تحصى، وجنائن لا تُسْتَقْصى، وغير ذلك من لوازم الحواضر الكبرى، وهي تبعد عن ساحل شط العرب الأيمن بميل ونصف ميل في جهته الغربية، وتقرب منها قصبة العشار الجميلة، القابعة على ضفة شط العرب اليمنى، والتي بمنزلة سوق للبصرة.

يتقوَّم لواء البصرة من مركزه وثلاثة أقضيه مهمة. أمَّا مركزه فمدينة البصرة التي تقدم ذكرها، وأما أقضيته الثلاثة فهي: (١- قضاء السيبة، ٢- قضاء شط العرب، ٣- قضاء القرنة)(٢).

وكان من المُؤَمَّل للبَصْرَة أنْ تُصْبِح ميناءً رئيسًا لا للعراق فحسب، وإنَّما لكلِّ الخليج وإيران، على أنْ تَصِلَها البواخر عابرات المحيط مباشرة، ومن غير

(١) ينظر رابط الموقع الإلكتروني: https://mk.iq/basrah/turath/$4570.

(٢) السيد عبد الرزاق الحسيني «لواء البصرة» **مجلة لغة العرب العراقية** (وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، مطبعة الآداب، بغداد، العدد: ٧٩، تاريخ: ١/ ٤/ ١٩٣٠م)، ج٨، ص٢٥١ وما بعدها.

أن تتوقف في إحدى الموانئ في الخليج، لتُفَرِّغَ كامل شحناتها فيها من السِّلع التجارية اللازمة لمنطقة الخليج، على أن تُزَوَّد باقي موانئ الخليج الأخرى بما تحتاج إليه من بضائع من مستودعات البصرة بواسطة بواخر ساحلية وسفن محلية، وفي ذلك توفير في الجهد والوقت والمال، وكان المفروض أنْ تتحوَّل هذه الآمال إلى حقائق في سبعينيات القرن التاسع عشر عندما سعى الوالي مدحت باشا إلى بسط السيادة العثمانية على الساحل الغربي للخليج، وحاول تطوير شركة عُمان العثماني للنقل البحري، وباشر بتحسين ميناء البصرة، إلا أن مبادراته تلك نبهت بريطانيا إلى المخاطر لنفوذها في منطقة الخليج، الأمر الذي دفعها إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالدفاع عن مصالحها في المنطقة؛ حفاظًا على أمن طريقها إلى الهند[1].

تاريخيًّا تعرَّضت البصرة للكثير من النوازل والأحداث الجِسام، التي ليس آخرها ما أصاب العراق كلها جرّاء الحصار والدمار، الذي خلفته الحروب المتعاقبة. مع هذا تقف البصرة الحديثة شامخة رغم عوادي الزمن، شموخ نخلها، وشواخصها الأزليَّة، مُذكِّرة بماضٍ عريق، كان لأبناء الساحل الغربي ورجالاته أدوارهم المشهودة، ومآثرهم المعدودة فيه.

البصرة اليوم تعدُّ المركز الإداري والسياسي لمحافظة البصرة، وتقع على الضفة الغربية لشَطِّ العرب، وتبعده عن مصبه مسافة ١١٠ كم. وتقع على دائرة عرض ٣٠ درجة و٣٠ دقيقة شمالًا، وخط طول ٤٧ درجة و٥٠ دقيقة شرقًا، تحدُّ البصرةَ عِدَّةُ مُدُنٍ وأقضية، منها: أقضية المدينة والقرنة وشَطُّ العرب، من الشمال والجنوب، ومن الجنوب الغربي: مدينة الزبير وأبو الخصيب والفاو.

وتُبَيِّنُ بعض التقارير بأنَّ هذه المحافظة من المحافظات المهمة في العراق؛ فهي تزخر بحقول النفط الغنية، ومنها: حقل الرميلة، وحقول الشعيبة، وحقل غرب القرنة، وحقول مجنون، وبحكم موقعها؛ حيث تقع في سهول وادي الرافدين؛ فإنَّها تُعَدُّ من المراكز الرئيسة لزراعة الرز، والشعير، والحنطة،

(١) د. حسين محمد القهواتي، **دور البصرة التجاري ١٨٦٩م – ١٩١٤م**، (دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط: الثانية، ٢٠١٨م)، ص٢٥.

والدخن، وتشتهر بتربية الماشية، وتقع المحافظة على أرض متباينة التضاريس؛ بين سهل وهضاب وصحراء. ويُنْظَر إليها -أيضًا- بوصْفها من المحافظات السياحية؛ طبقًا لما تحتويه من آثار وأضرحة دينية[1].

وبعد فإذا كان التواصل بين الخليج والبصرة على النحو آنف الذكر تجاريًّا وملاحيًّا، فلقد كان قبل ذلك بأزمنة بعيدة جدًّا نَشِطًا أدبيًّا وعلميًّا. إنَّ المتابع لأحوال البصرة وأنشطتها العلمية يجد أن البصرة كانت مدرسة فكرية وفقهية ونحوية، وكانت سوقًا أدبيًّا، يجتذب إليه الشعراء من كل حواضر الجزيرة العربية؛ فقد كانت الأسواق ملهمة للشعراء، وجاذبة لهم؛ فهي وإن كانت أسواقًا تجارية إلا أنَّ هذه المشاهد يحضرها عادة الشعراء والأدباء الكبار، الذين حلَّقوا في سماء الإبداع؛ فقد كان المِرْبَدُ عين البصرة التي كانت بدورها عين العراق، وفي المِرْبَدِ كان أمثال: الفرزدق وجرير (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨م)، وأضرابهما من الشعراء، يتحاورون فيما بينهم بالشعر، ويتجاذبون أبياته، ويرددونه ويديرونه في وسطهم الأدبي والاجتماعي، ويعرضون على أقرانهم كل جديد، ويتبارون فيما بينهم أيُّهم يبزُّ الآخر. في هذا الجو المُلْهِم، وفي كنف تلك السوق الواعدة اشْتَدَّ عودُ كثيرٍ من الشعراء، الذين وجدوا فيه ضالتهم، وأَلِفُوا من شعرائه ما يقوّي عارِضَتَهُمْ الأدبية، ويبعث على الإبداع، ويصقل المواهب والمهارات، ويهيّج القرائح، ويستفزُّ العواطف، ويحمل على قول شعر رصين الفرائد، صقيل الخرائد، جزْل المؤتلفات والشوارد، متين التراكيب، باهر الأساليب، فخْمٍ ضخْمٍ، عرَّفَ بأصحابه، عرْفانهم بسوقِ المِرْبَدِ، وما يُطْلَبُ منهم، أو يَتَطَلَّبُونه من نظائرهم. ولا غرو فإنَّ البصرة كانت وِلَّادة؛ نشأ في بُطْنَانها الأدباء والشعراء، وتقلّب على معاطفها العلماء والعُرَفَاء، وسحب أذيال المجد على ترابها القادة والوجهاء.

لقد بلغ من تعلُّق الناس بالشعر والأدب في البصرة، أنهم كانوا يجتمعوا حتى على الخبَّازين ممن يقول الشعر، ومن طريف ما وقع في ذلك أن نصر بن أحمد بن مأمون البصري (ت٣١٧ هـ / ٩٣٩م)، المعروف بالخبز أرزي (أبو القاسم)

(١) بتصرف: د. ك، **تقرير حول محافظة البصرة**، ينظر الموقع الآتي عبر الشابكة:
https://investpromo.gov.iq/wp-content/uploads/2013/05/Basra-province-ar.pdf

-وهو من شعراء البصرة-، كان أميًّا لا يكتب، وكان يخبز خبز الأرز بالبصرة، وكان ينشد أشعاره والناس يزحمون عليه، وكان ابن لنكك مع علو قدره يعتني به، وجمع له ديوانه، ونزَلَ بغداد، وأقام بها مُدَّة، وقرئ عليه ديوانه[1].

ولم يكن شعراؤها بسطاء، بل كانوا على درجة عالية من الوعي، والاحتراف، والتفنن، والقصد إلى ما يقولون. يُذَيِّل الدكتور عبد الله الطيِّب (ت١٤٢٤ هـ / ٢٠٣٣م) في **المرشد إلى فهم أشعار العرب** على قول المعلَّى الطائي، من شعراء البصرة (ذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء العباسيين)، يصف مُغَنِيَة:

تَزَيَّا بِأَزْيَاءِ الرِّجَالِ تَمَرُّدًا ... وتَأْنَفُ مِنْ لبْسِ القلادَةِ والشَّنْفِ
وتجْمَعُ بين السَّجْعِ والرَّجزِ في الغِنَا ... وتسْكُتُ مِنْ حِذْقٍ على مقْطَعِ الحَرْفِ

بقوله: «يعني تسكت عند الجيم من الرجز، فلا ينكسر البيت، ولم يرد المقطع بمعنى الموقف؛ إذ ليس هذا بمَوْضِعِ وَقْفٍ، وقولنا لم يرد المقطع بمعنى الموقف نحترس به من قولهم: مقاطع قرآن؛ أي مَوَاقِفِهِ، ومقاطِع الشِّعْر؛ أي أواخره، ويجوز عقْلًا أن يكون أراد بمقطع آخر حرف الجيم وهو فتحة في مذهب الخليل (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، ولكن في هذا من التكلف في تفسير كلامه -وهو كما ترى- ما لا يخفى، ثم ما كل من كان على زمان الشاعر كان إن كان من أهل الأدب والعربية يقول بتأخر الحركة عن الحرف كما كان يقول الخليل، وإن كان قول الخليل هو الصحيح، قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) في باب حروف البدل في غير الإدغام، «وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه؛ فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك». أ. هـ. قلت: وإنما ذكر حروف الزيادة من قبل، وما أرى إلا أنَّ الشاعر المُعَلَّى عنَى المقطع



(١) د. ك، **المصدر نفسه**، ينظر الموقع الآتي عبر الشابكة:
https://investpromo.gov.iq/wp-content/uploads/2013/05/Basra-province-ar.pdf

الموسيقي، وهو يعادل الحرف المتحرك -كما فسَّره الفارابي-؛ وذلك لأن حديث المُعَلَّى عن مُغَنِّيَة، وقصْدُهُ إلى التَّظرُّف واضح من صفة الزِّيِّ المُتَمَرِّد الذي ذكره»[1].

بل يلمح أحد المتخصصين عناية الأدب البصري بالمفردات والغريب، ومزاحمة شعراء البادية في الغريب، يقول شوقي ضيف (ت٤٢٦١ هـ/ ٢٠٠٥م) في **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**: «ظلت النماذج البدوية حيَّة في تلك الحقب التي تطور فيها الشعر في مدن العراق بتأثير العلاقات الاجتماعية والحضارية النامية؛ فقد نصب اللغويون تلك النماذج مثلًا أعلى للشعر الفصيح، وروَّجوا لها في البلاد ومجالس الوزراء، وبذلك أصبح هناك ضربان واضحان من الشعر: ضرب بدوي يتمسك بالتقاليد القديمة، وضرب حضاري، ينفك قليلًا أو كثيرًا عن تلك التقاليد حتى يساير العصر، وأخذ أصحاب الضَّرْب الأوَّل يكثرون في شعرهم من الغريب؛ حتى يجد فيه اللغويون ما يسدُّ حاجتهم في البحث والدراسة من الشواهد والأمثال، وكانوا يؤلِّفونه غالبًا من الرجز، على نحو ما هو معروف عن أبي نخيلة (ت: نحو ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م)، والعماني (ت: نحو ٢٢٨ هـ/ ٨٤٣ م)، ورؤبة (ت ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م)، وابنه عقبة، وكانوا يُدِلُّون بنماذجهم تلك على شعراء المدن، فبعثوا فيهم نزعة إلى تقليدهم في ذلك الميدان، حتى يثبتوا لهم وللغويين أنهم يتفقون عليهم، حتى في تلك الصناعة البدوية المسرفة في البداوة...»[2]، وبعد التمثيل على ذلك نراه يقول: «وليس بشَّار (ت ١٦٧ هـ/ ٧٨٤ م) وحده الذي أثبت أنه يستطيع التفوق على شعراء البادية في أرجازهم المملوءة بالغريب؛ فقد تبعه أبو نواس (ت ١٩٨ هـ/ ٨١٤ م) يحاول أن يهزمهم هزيمة ساحقة في هذا الميدان، وكان أبو نخيلة (ت: نحو ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م) قد سبقه إلى صنع أراجيز كثيرة في الطرد والقنص، يصف فيها الصيد والكلاب والوحش وحيوان الصحراء، على طريقة القدماء، فصنع على مثال طردياته

(١) عبد الله الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، (دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)، ج٤، ص٣٩

(٢) أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الشهير بشوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، (دار المعارف بمصر، ط: ١٢، د. ت)، ص١٢٥

طرديات جديدة، أظهر فيها براعة وتفوقًا منقطع النظير، حتى ليقول الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) في تقديمه لطائفه منها: (وأنا كتبت لك رجز أبي نواس في هذا الباب لأنه كان عالِمًا راوية، ...، وصفات الكلاب مستقصاه في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع، وجودة السبك، والحذق بالصنعة، وإن تأملت شعره فضَّلته؛ إلا أن تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبدًا أشعر، وأن المولَّدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تُبْصِر الحقَّ من الباطل ما دمت مغلوبًا)»[1].

يَخْلُص بعدها إلى القول: «على هذا النحو زَحَم شعراءُ البصرة والكوفة وبغداد شعراءَ البادية في نماذجهم من الأراجيز المحشوَّة بالألفاظ الغريبة، وأثبتوا أنهم يبزُّونهم، حتى في تلك النماذج الخاصة. ولعل في هذا ما يدل -من بعض الوجوه- على مدى ما كان يأخذ به الشاعر الحضري في تلك الأزمان نفسه من التثقف ثقافة عميقة بالشعر العربي الموروث واللغة العربية الصحيحة، يأخذها عن أهلها بالْمَرْبَى فيهم، والرحلة إلى بواديهم، فهم يروون أن بشارًا (ت ١٦٧ هـ / ٧٨٤ م) كان يقول: (من أين يأتيني الخطأ؛ ولدت ههنا في البصرة، ونشأت في حجور ثمانين شيخًا من فصحاء بني عُقَيل، ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت على نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت [دخلت البادية] إلى أن أدركت؛ فمن أين يأتيني الخطأ). أما أبو نواس فقد خرج إلى البادية وأقام فيها حولًا كاملًا؛ ليثقف اللغة من منابعها الحقيقية. ويقول الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) عنه: (ما رأيت أحدًا كان أعلم باللغة من أبي نواس (ت ١٩٨ هـ / ٨١٤ م)، ولا أفصح لهجة، مع حلاوة ومجانبة لا استكراه)، ويقولون: إنه كان يحفظ دواوين ستين امرأة من العرب فضلًا عن الرجال، وإنه حفظ سبعمائة أرجوزة غير ما حفظه من قصائد الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وأوائل المحدثين، وقال أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م): «لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرَّفَث لاحتججنا بشعره؛ لأنه محكم القول»، وأكبر الظن أن فيما قدمنا ما يدل على مبلغ ما كان يأخذ به بعض الشعراء الحضريين العباسيين أنفسهم من التثقف باللغة والشعر القديم، حتى استحالت إليهم السليقة العربية،

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ص١٢٥ وما بعدها.

ووقفوا على طريقة القوم في التعبير والصياغة وقوفًا دقيقًا»[1].

وإذا كانت هذه هي مكانة شعراء البصرة، وذلك هو شعرهم؛ فلا ريب أن احتكاكهم بالشعراء الآخرين، وانتقالهم بين الأسواق الأدبية المختلفة، وسكنى بعض الشعراء بين ظهرانَيْهم أثرى تلك التجربة، وزاد من زخمها، وأضفى عليها الكثير من الإفادة والغنى.

وفي هذا السياق فإنَّ انتقال شعراء الساحل الغربي للخليج وغيرهم إلى البصرة أسهم بشكل واضح جدًّا في إغناء الحياة الأدبية بالبصرة، ودخول نفَسٍ شعري جديد فيها، تأثر -لا ريب- بأجواء البصرة، وبالعناصر الأجنبية التي وُجِدت هناك، وبالمؤثرات الأخرى المهيمنة عليها، فانعكس ذلك كلُّه على المُخْرَج النهائي (النتاج الأدبي)، وامتزج بروح البصرة العَصِيَّة على الانكسار، بل انصهر كل أولئك- في بوتقة واحدة متجانسة، ما جعل من الأدب البصري أدبًا متفرِّدًا. ثمَّة مؤثرات أجنبية داخلت ذلك المشهد -لا ريب-؛ بسبب العناصر الأجنبية بها -المشار إليها-، ثم هناك ساكنة المكان القدامى، والمهاجرون إليه، ثم المترددون عليها، كان لكلِّ ذلك أثره وانعكاسه على الشعر والأدب في البصرة. يُضاف إلى كل أولئك البيئة المختلفة في هذه الحاضرة؛ بما كان يطبعها من مدَنِيّة، تختلف عما أَلِفَهُ الشعراء في البوادي؛ حيث الحياة الفطرية، وشظف العيش، وشِدَّته، والجدب وضَرَاوته، والجوع والفقر والعناء في تأمين حاجة الأهل والعيال، أمَّا الحواضر فبخلاف ذلك.. بأسواقها، وبيوتها، ونشاطها، وحركة التجارة والملاحة فيها، ويَسَار بعض أهلها، وغناهم، وتوسيع بعضهم لبعضٍ، وهي كذلك ميدان فسيح للقاء والتفاعل، والمقابسة والتواصل، والتلاقح الفكري والأدبي.. يلتقي فيها العربي بالأعجمي، والشرقي بالغربي، وتختلط بها الألسن والثقافات، وتمتزج في بحبوبتها الوجوه والأشكال والصور والخلفيات ببعضها، فإذا بها صورة واحدة، ومشهدًا متناغمًا، وفسيفساء تعطي المكان مسْحة وبصمة خاصة؛ فلا غرو بعدها أن يقول أحد الدارسين: أية شخصية بصريّة ليست في الواقع إلا نبتة طلعت في تربة، أخصبتها أيدٍ لم تكلَّ يومًا من الأيام[2]. لقد أدرك مَنْ أدرك سرَّ البصرة القديم، وجاذبيتها؛ فعَمِلَ على إحياء مكانتها،

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ص١٢٦ وما بعدها.

(٢) د. أحمد كمال زكي، **الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري**، (دار الفكر، دمشق، ط: الأولى ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م)، ص١٢.

وبعث حياتها ونشاطها وفاعليتها من جديد، لكن بصور وأشكال مختلفة، تتمثّل القديم، وتستلهمه، وتستوحي منه عطاءه وعنفوانه، لقد أدرك هؤلاء أن البصرة التاريخية -بما هي نسيج واحد متماسك بكل أطيافه وانتماءاته ومدارسه الفكرية واللغوية والأدبية-، أدركوا أن ذلك النسيج لم يلتحم، ويشتدّ ويتوشّج، لولا تلك الإرادة الصادقة التي انصرف همُّها للعلم والأدب، انصرافها للبناء والتعمير، وأنَّ جمع الأوائل في أسواق البصرة، وحلقات درسها، ومساجدها وساحاتها، يمكن أن يجمعهم اليوم في قاعات جامعاتها ومراكزها الثقافية والأهلية، ومسارحها، وميادينها، وحتى في أنديتها، التي شهدت **كأس الخليج العربي ٢٥**، فإذا بالقلوب تجتمع، وإذا بالنفوس تأْتَلِف، وإذا بالذكريات المَوَّارة تنبعث من جديد، وإذا بالألفة والمحبة، والشعر والأدب يعودان من جديد[١].

(١) غزُرَ إنتاج الشعر الشعبي خاصة؛ احتفاء بهذه المناسبة، ونصوصه مبثوثة في المواقع والمنتديات المختلفة، من ذلك -على سبيل المثال-، قول شاعر شعبي، يكنى أبو الوليد:

عراقي وافتخر والكل يعرفوني ... إللي ما يعرفني ساكن عيوني
الأول بالحضارة وتاريخي منارة ... وافرح بالعرب لما يضيفوني
عراقي وافتخر والكل يعرفوني
إذا قلنا قطر معناها الملوحة ... دق باب القلب تطلع لك الدوحة
عنابي الهوية أخوي وعاش بيهْ ... أولهم قطر في الدول دعموني
عراقي وافتخر والكل يعرفوني
شوصفلك بعد ما تكفي كلماتي ... أنا حيل أعشق الشعب الإماراتي
هذولا عيال زايد أحبهم حيل وايد ... وانت الشارقة بالوطن شرفوني
عراقي وافتخر والكل يعرفوني
أهل السلطنة شجد فرحة الديرة ... وداعتك فيهم ألف غيره
ولد قابوس ذولا يشرفون البطولة ... قالوا لي هويتك جبت ماعوني
عراقي وافتخر والكل يعرفوني
واجي لارض المنامه منبع الخوّه ... بالبحرين وادم تنقض مروه
جنة عدن بيها تبين وحيل فيها ... صيادين لولو ذولا صادوني
عراقي وافتخر والكل يعرفوني
وبعد يمنا شعب يحتاج له بروحه ... لي يسافر الكويت يطيبن جروحه
شحلات السالمية الكرم مية بالميةْ ... ولد الشيخ أحمد ذولا يعنوني
عراقي وافتخر والكل يعرفوني
وإذا قلنا القبائل يا وجت بانتْ ... ترى أصل العرب من اليمن كانتْ
بجاه الله وعبيدهْ اليمن تبقى سعيدهْ ... دولة حضرموت وأصل الفنونِ
عراقي وافتخر والكل يعرفوني
ومن أرض الرسالة وكعبة الوادم ... السعودي عقالنا يا هيبة الغانم
الرياض وأهل جده شمَخْلاها المودة ... مقصر بالعشق لو كنت مجنونِ
عراقي وافتخر والكل يعرفوني



[صورة – ٦: الشاعر حازم جابر، وقصيدته: شط العرب والسياب.. رحبوا بأحلى الأحباب؛ ضمن احتفالية كأس خليجي ٢٥]

لقد كانت مبادرة إحياء المِرْبَد القديم باعثة للآمال؛ حيث تقاطر الشعراء والأدباء على العراق لا من الخليج بل من عالمنا العربي والإسلامي كله؛ من خليج عُمان حتى الأطلسي، ومن جبال الحجر الشرقي بعُمان، حتى جبال الأطلس بالمغرب.

كانت البصرة -في مرحلة ذهبية من عمر الأدب- فضاء رحبًا للإبداع، وملتقى للعلماء والأدباء والمفكرين، وساحة بل مضمارًا بعيد المدى، وأفقًا مُمْتدًّا للأفكار، ومنبرًا عاليًا ومنصّة حرّة للرأي والرأي الآخر، مَكَّنَ قربها من مدرسة نيسابور

هلا بأهل الخليج الخيمة والدلة ... ومن بصرة الخير الجذع والنخله
معزّبنا راقي أبو البصرة العراقي ... رفع اسم البلاد وفرّح عيوني
عراقي وافتخر والكل يعرفوني

وقال آخر من شعراء البصرة:

يا هلا بكل من جَصَدْنا وجانا من بعيد ... يا هلا ومِيَّة هلا بجية الخليجْ
اليوم بصرتنا تونَّست والله بكاس الخليج ... من مريتو هنا اليوم البصرة تونَّستْ

وقال:

هلا وميَّة هلا بالطَّبَّه والميدانْ ... وهلا بجَيّة الخليج الثابت العنوان
شيَّمْتوا الملاعب من زمان اللفاتهم ... من طيّبتوا عليهم شيَّمْتوا الملعبْ

في المقابل قال أحد شعراء الخليج بهذه المناسبة؛ مشيدا بكرم أهل البصرة، وحفاوتهم بالضيف:

ترفَّقوا يا ربعنا بالله شويْ ... خفُّوا كفاكم رحمة لوالديكمْ
كلَّ الجمايل حزتوا وهيا بعد حي ... في طيبكم احرجتوا الي يجيكمْ
دمْتُوا على ما نْتُو مثل واهج الضَّيْ ... وهذي مرابيكم وعاشَتْ يدِيكمْ
طبتوا ولا طاب الرَّدِي ناقل السيْ ... والله على ما تفعلون يهَديكمْ

... [نصوص شعرية، رقنها الباحث؛ نقلا من قائليها بالسماع].

مـن إذكاء نشـاط علمائهـا ومفكريهـا العقلـي، ورَسَّـخَ التصاقهـا بالجزيـرة العربيـة، وتقاطـر الأدبـاء عليهـا مـن قوتهـا الأدبيـة، وعنفـوان نثرهـا، وثـراء لغتهـا الشـاعرة، وانفتحـت بمينائهـا علـى العالـم، فكانـت وكانـت العـراق معهـا مَعْبـرًا للحضـارة، وناقـلًا أمينًـا للأفـكار، قديمًـا كانـت تنقـل السـلع التجاريـة، وتُبَـادِل وتُعَـاوِض الدنيـا بأسْـرها، وتتَّصـل بالهنـد والسـند والصيـن، فضـلًا عـن ارتباطهـا الوجـودي بجوارهـا الجغرافـي، للخليـج العربـي (بسـاحليه الشـرقي والغربـي)، الـذي لا فـكاك لهـا عنـه أبـدًا، كذلـك كان ارتبـاط العـراق والشـام بالبحـر الأبيـض المتوسـط وموانـئ العالـم فـي الضفـة الأخـرى، مـا جعـل المنطقـة بحـق ملتقـى للحضـارات، وجِسْـرًا ثقافيًّـا وأدبيًّـا، حمـل معـه ثقافـة الشـرق إلـى الغـرب وثقافـة الغـرب إلـى الشـرق، وحضـارة الشـرق إلـى الغـرب، وحضـارة الغـرب إلـى الشـرق.



[رسم – ١: تخييل لارتباط الخليجيين بحاضرة البصرة عن طريق البحر، باستخدام الذكاء الاصطناعي]

الفصل الأول

الساحـل الغـربي للخليـج العـربي .. الحواضر، والجزائر

1- بعض أهم الحواضر الخليجية عبر التاريخ:

يُقَدِّم العرض الآتي وَصْفًا لأهم الحواضر الخليجية على السَّاحل الغربي، كما وردت في كتب المعجميين والبلدانيين والجغرافيين العرب، والدراسات الحديثة، وغيرها، مما له ارتباط بموضوع البحث غالبًا، مع الإشارة إلى أهم المعالم، وما تُعْرف به، أو يشتهر أهلها بعمله، وعلاقة كل أولئك بما نتدارسه: -

1-1- كَاظِمَة:

يرد ذكر كاظمة[1] كثيرًا في كتب الأدب والتاريخ العربي، وتعد الأقرب للبصرة بالنظر إلى الحواضر الخليجية الأخرى، وهي -بلا ريب- أرض كويتية -بحسب الخرائط الملاحية، والأطالس، وكتب الجغرافيين-. وقعت بها تاريخيًّا معركة ذات السلاسل المشهورة، التي انتصر فيها المسلمون على الفرس (عام ٦٣٣ ميلادي، الموافق له: سنة ١٢ هجري)؛ بقيادة الصحابي خالد بن الوليد (ت٢١هـ / ٦٤٢م). ارتبطت كاظمة بالكثير من الوقائع والأحداث التاريخية الأخرى، التي يطول باستعراضها البحث. أهم معالمها التاريخية: **جبل المَقَر**، الذي عناه الشاعر بالقول:

فإنْ أصْبَحْتَ تطْلبُ ذاك فانْقلِ ... شَمَامًا والمَقَرَّ إلَى وعَالِ

(شمام): جبل بالعالية، ويروى: سنامًا: وهو على ليلة من البصرة -على حد تعبير الشارح-، و(المَقَرُّ): جبل كاظمة، و(وعَال): بالسَّواد من أرض بني تميم[2].

---

(١) **كاظمة** -الحديثة-: توجد بالكويت في محافظة الجهراء، على بعد ٤٠ كم شمال غرب مدينة الكويت على ساحل جون الكويتية، والحديث بالمتن حول كاظمة التاريخية، التي تنداح وتتسع، لتشمل مساحات واسعة من أرض الكويت وما وراءها.

(٢) الخطفي جرير بن عطية بن حذيفة، **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**، تح: د. نعمان محمد أمين طه (دار المعارف، القاهرة، مصر، ط: الثالثة، ١٤٤٠ هـ)، ج٢، ص٥٥.

وبجبل المقر قبر والد الفرزدق (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) الشاعر المعروف، ويقع الجبل وسط كاظمة[١]، وسيأتي بحث ذلك عند التعريف به، يقول:

وَنَاجِيَـةُ الْخَيْـرِ وَالأَقْرَعَـانِ وَقَبْـرٌ بِكَاظِمَـةَ الْمَـوْرِدِ

جاء في الشرح: «ردَّه على كاظمة؛ وهو موضع معروف على البحر؛ يريد ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. و(الأقرعان): الأقرع وفراس ابنا حابس بن عقال. والعرب إذا جمعوا بين اسمين، أحدهما أنْبَهُ من الآخر وأخَفُّ في اللفظ، جمعوهما به، فقالوا: سُنَّة الْعُمَرَيْنِ؛ يريد أبا بكر وعمر. وقالوا: الأحْوَصَانِ؛ يريد الأحوص ابن جعفر وابنه، و(قبر بكاظمة)؛ يعني: قبر أبيه غالب، وقوله: (مَوْرِد)، قال: إنما أضاف كاظمة إلى الْمَوْرِد؛ وذلك لأنَّها مياهٌ تُورَد كثيرًا. دائمة الماء، فأضاف ذلك إليها»[٢].

يقول امرؤ القيس (ت ٨٠ ق هـ / ٥٤٥ م) واصفًا:

فُهُـنَّ أَرْسَـالٌ كَمَثَـلِ الْـدَّبَى أوْ كَقَطَـا كَاظِمَـةَ الْنَّاهِـلِ

قال أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) في **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**: «قوله: (فهن أرسال) يعني: الخيل تأتي أرسالًا: قطعة بعد قطعة، وهنَّ ترتفع بالأرسال، والأرسال به. والكاف في موضع رفع، كأنه قال: مثل الدَّبَى، والكاف الثانية منسوقة. و(كاظمة): مخفوضة بإضافة القطا إليها. و(الْنَّاهِل): مخفوض لأنه نعت للقطا. و(الدَّبَى -ترسم بالألف اللينة أيضًا-): الجراد، شبَّه كثرتها بها. و(كاظمة): أرض. و(الْنَّاهِل): العطشان. يقول: خيلنا ترد القتال كما ترد القطا العطاش الماء. هذا قول الأصمعي»[٣]، ومن المعلوم -على ذكر هذا



(١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، تح: عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، ج٦، ص١٢٤.

(٢) التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى، **شرح نقائض جرير والفرزدق**، تح: محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص (المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الثانية، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٩٠٩.

(٣) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تح: عبد السلام محمد هارون (دار المعارف «سلسلة ذخائر العرب (٣٥)»، ط: الخامسة، د. ت)، ص٩.

الطائـر- أن أرض كاظمـة كانـت -فيمـا مضـى- مَوْطِنًـا لأسـراب القطـا بنوعيـه (الكُـدْرِيّ) و(الْصَّيَّـاح)، وكانـت مَفاحِـص بيضهـا تنتشـر بكثـرة أيـام الربيـع علـى أرضهـا، وقـد قَلَّـتْ فـي زماننـا؛ بسـبب الصيـد الجائـر، والزَّحـف العمرانـي، والضوضاء.

وتجمع كاظمة في الشعر العربي على: الكواظم، مكسَّرةً، قال الشاعر:

وَيَـا لَيْـتَ زَوْرَاءَ الْمَدِينـةِ أَصْبَحَـتْ بِأَحْفَـارِ فلْـجٍ أَوْ بِسِـيفِ الْكَوَاظِـمِ

(السِّـيف): شَـطُّ البحـر، و(الكواظـم) يعنـي: كاظمـة ومـا حولهـا؛ وهـو موضـع معـروف[1]. وارتبـاط كاظمـة بالبحـر لا يـكاد يفـوت الشـعراء، فهـذا شـاعر آخـر يقـول[2]:

شَـدُّوا الْمَطِـيَّ عَلَـى دَلِيـلٍ دَائِـبِ مِـنْ أَهْـلِ كَاظِمَـةَ بِسِـيفِ الأَبْحُـرِ

والبيـت وإن كان شـاهدًا علـى الحـروف التـي يقـوم بعضهـا مقـام بعـض فـي كتـب العربيـة[3]، إلا أنـه ممـا يمكـن التمثيـل بـه علـى تلـك العلاقـة الأزليـة، التـي ربطـت إنسـان كاظمـة القديـم بالبحـر، ومـا تـزال حتـى يومنـا هـذا. وإلـى ذلـك يُلْمِـعُ فـروة الأسـدي (ت: غيـر معلـوم)، واصفًـا الرِّحْلـة عبرهـا إلـى البصـرة، قائـلًا[4]:

ضَمِنَـتْ لَهُـنَّ أَنْ يَهْجُـرْنَ نَجْـدًا وَأَنْ يَحْلُلْـنَ كَاظِمَـةَ الْبُحُـــورِ

وبتتبُّـع مـا ورد فـي الشِّـعر العربـي، نجـد أنَّ عـددًا مـن الشـعراء كانـوا يتفاءلـون بمَهَـبِّ ريحهـا، ويهيمـون بالبـرق مـن ناحيتهـا؛ فـي فاتحـة أشـعارهم، علـى حـدِّ قـول أحدهـم:

---

(١) التيمي، أبو عبيدة، **شرح نقائض جرير والفرزدق**، ج٢، ص٥١٤.

(٢) البيـت مـن البسـيط، لأحمـد بـن عبـد الملـك بـن مـروان. ينظـر: [الثعالبـي، عبـد الملـك بـن محمـد بـن إسـماعيل أبـو منصـور، **يتيمـة الدهـر فـي محاسـن أهـل العصـر**، تـح: د. مفيـد محمـد قميحـة (دار الكتـب العلميـة، بيـروت / لبنـان، ط: الأولـى، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م)، ج٢، ص٣٨].

(٣) قولـه: علـى دليـل، أي بدليـل، مثـل قولـك: اركـب علـى اسـم الله، أي باسـم الله [الأزدي، أبـو بكـر محمـد بـن الحسـن بـن دريـد، **جمهـرة اللغـة**، تـح: رمـزي منيـر بعلبكـي (دار العلـم للملاييـن – بيـروت، ط: الأولـى، ١٩٨٧م)، ج٣، ص١٣١٤].

(٤) ابـن الحائـك، أبـو محمـد الحسـن بـن أحمـد بـن يعقـوب بـن يوسـف بـن داود الشـهير بالهمدانـي، **صفـة جزيـرة العـرب** (مطبعـة بريـل، ليـدن، ١٨٨٤ م)، ص١٣٥.

هبَّتْ لنَا الْرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وَهْنًا فَكَمْ رَدَّ نفْحُ الْرِّيحِ مِنْ رَوْحِ
وَمَا عَرَفْتُ نَسِيمُ الْرِّيحِ مِنْ بَلَدِي إِلَّا بِعَرْفِ حَبِيبٍ هَبَّ فِي الْرِّيحِ

ولعل من أشهر أولئك على الإطلاق شرف الدين البوصيري (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م)، الذي استهلَّ رائعته في مدح النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بالقول:

أمْ هبَّتِ الْرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إِضَمِ

وذهب بعضهم إلى أن كاظمة التي يذكرها شعراء المديح النبوي، في المدينة أو في الحجاز، أو هي اسم من أسماء المدينة المشرّفة[1]؛ معللاً ذلك بالقول: «لأنه ذكر (إضَم): وهو وادٍ حجازي، يبدأ بعد اجتماع سيول المدينة»[2]، قلت: وما المانع -دون قطع بذلك- أن يكون قد قصد الموضع الذي نُعرّف به، ونتدارس ما قيل حوله، بخاصة إذا ما علمنا أنَّ عين الشاعر البوصيري كانت على الجزيرة العربية من جهة الغرب؛ فلا فرق معه حينئذٍ بين موضع فيها وآخر؛ فما يهبُّ عليه أو يرى وميضه من جهة الجزيرة العربية يحمله على الهياج والتأثر، فضلًا عن كون كاظمة -محلِّ البحث- كانت طريق الحج العراقي -كما يُعْلَم-، وهو بعْدُ هنا يتساءل: ما الذي هيَّج أشجانه، وبعث أحزانه، ومزج دمعه بدمه، جعل ذلك على سبيل الخطاب؛ لمخاطب افترض وجوده؛ على طريقة الشعراء؛ يقول: أهاجتك تلك الريح التي هبّت عليك من تلقاء كاظمة، أم ذلك البرق الذي ترى وميضه على الأفق الشَّرْقي؛ بوادي إضَم؟!

وبصرف النَّظر عن كون هذه الريح طيب المحبوب، أو ريح من جهة أرضه، أو قريبًا من ذلك، إلَّا أنَّنا نجد غير واحد من الشعراء يستحضر هذا المعنى في شعره؛ فهذا شاعر آخر يقول:

أسْتَوْدِعُ اللهَ أحْبَابِي الَّذِينَ نَأَوْا وخلَّفُونِيَ فِي نِيرانِ تَبْرِيحِ
أستنشقُ الرِّيحَ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ لَقَدْ قَنَعَتُ مِنْ الأحْبَابِ بِالرِّيحِ

وما أجمل تمهيد الصَّفَدي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) في **لوعة الشاكي ودمعة**

(١) أفندي، عمر بن أحمد الحنفي، **عصيدة الشهدة** (د. ن، ط: الأولى، د.م «مطبوع حجري»)، ص٧.

(٢) شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة** (دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط: الأولى - ١٤١١ هـ)، ص٢٢٩.

الباكي للبيتين بالقول: «أستنشق ريح الصبا من جهة المحبوب، وأستبشر بريحه مع ريحه، حتى كأنني يعقوب، وأُسَرَّ حتى بالطيف من رؤياه، وأقنع حتى بالريح من هواه»[1].

وكقول الحسن بن مهيار (ت والده ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م)[2]:

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ كَاظِمَةٍ ... شَدَّ مَا هِجْتِ الْبُكَا وَالْبُرَحَا
الْصَّبَا إنْ كَانَ لا بُدَّ الصَّبَا ... إنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي أَرْوُحَا

وأما البرق من جهة كاظمة فكقول أبو الغنائم النّيلي الكاتب (ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م)[3]:

يَا شَائِمَ الْبَرْقِ مِنْ شَرْقِيِّ كَاظِمَةٍ ... يبدو مِرَارًا وَتَخْفِيهِ الْدَّيَاجِيرُ
سَلِّم عَلَى الْدَّوْحَةِ الْغَنَّاءِ مِنْ سلَمٍ ... وَعَفِّرِ الْخَدَّ إنْ لاحَ الْيَعَافِيرُ
واسْتَخْبِرِ الْجُؤْذَرَ الْسَّاجِي اللحَاظِ أخَا ... التَّعْذِيرِ هَلْ عَاقَهُ عَنَّا مَعَاذِيرُ؟

وليس من همنا -بطبيعة الحال- استقصاء كل ما جاء بالشعر العربي حولها؛ فقد تجرَّدت لذلك بعض الدراسات المُتخَصِّصَة، حتى قال أحدهم على لسان واضعيها، بلغته الأدبية: «نرى أن كاظمة وربوعها وأطلالها خُلِّدَتْ في الوجدان العربي، حتى أصبحت كاظمة عنوانَ الحُبِّ، وبريد الأشواق، حتى للشعراء الذين لم يمروا بها، أو ينزلوا حول عيونها العذبة؛ فهم على البعد يرونها محراب حبهم، ومربع شوقهم، فأبدعوا القول فيها، لذلك خلّدت كاظمة، تلك



(١) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، **لوعة الشاكي ودمعة الباكي**، ضبط وشرح وتصحيح: محمد أبو الفضل محمد هارون (المطبعة الرحمانية، مصر. ط: الأولى، ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م)، ص٤٧.

(٢) الباخرزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب، **دمية القصر وعصرة أهل العصر** (دار الجيل، بيروت ط: الأولى، ١٤١٤ هـ)، ج١، ص٣٠٩.
* **ملاحظة**: لعل المقصود أباه مهيارا الديلمي.

(٣) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام التدمري (دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، ج٤٤، ص١٤٨.

الأرض الطيبة التي احتضنها البحر، وحفّت بها الصحراء، فأيُّ جمال لمثلها بين الماء والرمال، ومحط الركب، ومرتع الغزلان، وكناس الظباء، ومراح المسافرين من التجار والحجاج، وهم يتمتعون بربيعها النَّزِه، ويتنسمون أريج زهورها وأورادها، وشيحها وقيصومها وعرارها، وهم يتمتعون بأنواع طيورها وهي ترتاد أكنانها؛ لتنشد لهم في الصباح أرقَّ ألحانها، فتثير شَجْوَ المحب، وتسكب عبرة الوَالِه»[1].

وبالرجوع إلى المعجمات العربية، وكتب البلدانيين، بعيدا عن لغة الشعر والأدب ندرك جيدًا أن كاظمة التاريخية، كانت أوسع مساحة، من تلك المعروفة في راهننا المنظور إليه، فقد كانت تشمل مواقع أخرى ورد ذكرها في الشعر العربي -أيضًا-، ويمكن من خلال الاستعراض الآتي الوقوف على أهم ما قيل حول التعريف بها، ووصف أهم ما تشتمل عليه:

أ) قال أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م)، في **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: «كاظمة: اسم ماء. قال الأصمعي: تخرج من البصرة، فتسير إلى كاظمة ثلاثًا، وهي طريق المُنْكَدِر، لمن أراد مكّة من المنكدر. ثم تسير إلى الدَّوّ ثلاثًا، ثم تسير إلى الصَّمَّان ثلاثًا، ثم إلى الدَّهْنَاء ثلاثًا»[2].

ب) وقال الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٥ م) في **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: «ومن الصَّمَّان إلى طَقْجَةَ مرحلة؛ وهي قرية صغيرة يتصل أرضها بأرض البحرين، ومنها إلى المدينة المسماة كاظمة أربع

(١) الأنباري، أحمد زكي، **كاظمة في الشعر العربي**، تدقيق: محمود البجالي وريم معروف (مؤسسة عبد العزيز البابطين الثقافية، الكويت، ط: الأولى ٢٠١٦م)، ص٧ وما بعدها.

* **ملاحظة**: من بين الشعراء البصريين الذين أوردهم الأنباري في دراسته، والذين ذكروا كاظمة في شعرهم: (شهاب الأمراء علي بن محمد العنبري أبو الحسن، ص٢٥؛ و: محمد بن المغيث بن حفص الحنفي أبو المغيث الأمير حسام الدولة، ص٧٤؛ و: أبو نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول، ص٧٥؛ و: خداش بن بشر بن خالد أبوزيد التميمي المعروف بالبُعَيْث، ص٩٨؛ و: أبو محمد محمد بن القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، ص١١٤؛ و عبد الجليل بن ياسين بن إبراهيم الطباطبائي البصري)، فضلا عن: الفرزدق، إلى جانب غير واحد من شعراء العراق؛ من: الكرخ والرصافة والحلة وبغداد والموصل والنجف وغيرها.

(٢) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** (عالم الكتب، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٣ هـ)، ج٤، ص١١٠٩.

مراحل. وكاظمة حصن منيع على جبل عالي الذروة، وهذه الأربع مراحل ينزلها المسافرون مع العرب على مياه وآبار وعيون»[1].

ج) وقال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) في **معجم البلدان**: «جو: على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة، وماؤها شروب، واستسقاؤها ظاهر، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، فمنه:

يا حبذا البرق من أكناف كاظمة ... يسعى على قصرات المرخ والعُشَرِ
لله در بيوت كان يعشقها ... قلبي ويألفها إن طيبت بصري
فقدتها فقد ظمآن إداوته ... والقيظ يحذف وجه الأرض بالشررِ
أمنية النفس أن تزداد ثانية ... وحالنا والأماني حلوة الثمر»[2]

يستفاد مما تقدم الآتي:

- كاظمة: قرية على شاطىء البحر، تتبع حاليًّا الكويت، سميت بذلك لأن البحر قد كظمها عن الانفساح، وكذا هي منعته عن الانسياح[3]. وتتسع أرضها التاريخية لتشمل الكويت، وتتعمق أكثر فأكثر جهة البحرين، وتُذْكَرُ مرَّة معها، ومَرَّة مع الحَسَا، ومرة أخرى مع البصرة.
- اسم كاظمة قديم جدًّا، وقد ذكرت في الشعر العربي، وذكر أنها على ساحل البحر، وبها حصن وتجار ودور مبنية، وكان الشعراء يهيجون ببرقها[4]، وبالريح التي تهب من جهتها، حتى باتت مضرب الأمثال.
- تُعَدُّ كاظِمَة نقطة مُهِمَّة في الطريق إلى البصرة، وهي تقسم محطات، ينزل الناس فيها على الآبار والعُيُون؛ من عمان إلى البصرة.

---

(١) الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٩ هـ)، ج١، ص١٦٢.

(٢) الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤٣١.

(٣) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت)، ج١٠، ص١٩٨.

(٤) د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (دار الساقي، د. م، ط: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج١٣، ص٤٤؛ ج١٤، ص٢٢.

- يذكر بعضهم كاظمة أخرى قرب المدينة المنورة، ولم يحدد موضعها -على وجه الدقة-، وحملوا بعض ما ورد في الشعر عليها.
- بالرجوع للمعجمات العربية وكتب البلدانيين يذكر تبعا لكاظمة، أو قريبًا منها، أو على حافتيها، أو علامة عليها، عدد من المواضع والمعالم التاريخية وغيرها المختلفة، مثل: (أوَارَة[١]، وبُلُّوقَة[٢]، وثَهْلَل[٣]، ودَدِ[٤]،

---

(١) **أوَارَة**: جبل تاريخي بالكويت، شهد وقعتين تاريخيتين، الأولى بين المنذر وبكر بن وائل، والثانية بين عمرو بن هند وتميم. يقول الشاعر:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثَ حَتَّأَتَيْنَ على أُوارةَ فالعَـــــدانِ

قال ياقوت الحموي: «اسم ماء أو جبل لبني تميم، قيل: بناحية البحرين، وهو الموضع الذي حرق فيه عمرو بن هند بني تميم،...، وكان من حديث ذلك أنَّ أسعد ابن المنذر أخا عمرو بن هند كان مستودعًا في بني تميم فقتل فيهم خطأ، فحلف عمرو بن هند ليقتلنَّ به مائة من بني تميم، فأغار عليهم في بلادهم بأُوَارَة، فظفر منهم بتسعة وتسعين رجلًا، فأوقد لهم نارًا وألقاهم فيها، فمرَّ رجل من البراجم فشم رائحة حريق القتلى، فظنَّه قتار الشواء فمال إليه، فلما رآه عمرو بن هند قال: ممَّن أنت؟ قال: رجل من البراجم، قال: إنَّ الشَّقِيَّ وافد البراجم، فأرسلها مثلًا، وأمر به فألقي في النار، وبرت يمينه، فسمت العرب عمرو بن هند مُحَرِّقًا، والبراجم خمسة رجال من بني تميم: قيس وعمرو وغالب وكلفة والظليم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم، اجتمعوا وقالوا: نحن كبراجم الكف، فغلب عليهم، قال الأعشى:

هَـا إنَّ عَجْـزَة أمِّـــــهِ بِالْسَّـفْحِ أسْفَـــــلَ مـن أوَارَه

وقال زهير:

عَدَاوِيَّـة هَيْهَـاتَ مِنْـكَ مَحَلُّهَـا إذا مَـا هِـيَ احْتَلَّـتْ بقـدَس أوَارَة

وقال ابن دُرَيْد في مقصورته:

ثـمَّ ابْـنُ هِنْـدٍ بَاشَـرَتْ نِيرَانُـه يَـوْمَ أوَارَةٍ تَمِيمًـا بِالْصَّـــــلا

... [الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٧٤].

(٢) **بُلُّوقَة** -بالقاف، على وزن فَعُولَة، بفتح أوّله-: مكان بناحية البحرين، فوق كاظمة، قال عمارة بن طارق:

فـوردت مِـنْ أيْمَـنِ الْبَلَالِـق حيـث تَحَجَّـى مطْـرَق بِالفَالِـقِ

... [البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٢٧٧]. والْبَلَالِيق -لغة-: المَوَامِي، واحدها: بَلُّوقَة؛ وهي المفازة [جمال الدين ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب** (دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ)، ج١٠، ص٢٦].

(٣) **ثَهْلَل** -بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، ولامين، على وزن فَعْلَل-: موضع قريب من سِيف كاظمة؛ قال مزاحم بن الحارث:

نَوَاعِـمُ لَـمْ يَأْكُلْـنَ بِطِّيـخَ قَرْيَـةٍ ولَـمْ يَتَجَنَّيْـنَ الْعَـرَارَ بِثَهْلَـلِ

... [البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٣٤٧].

(٤) **دَدِ**: موضع بسيف كاظمة، قال طرفة بن العبد: (... خلايا سَفِينٍ بالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ) [ابن الحائك، **صفة جزيرة العرب**، ص١٧٤]، وقيل: وادٍ بعينه [الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص١٩٨٨].

والذَّرَانِح[١]، وذو طُلُوح[٢]، والرَّحَا[٣]، والسِّيدَان[٤]،

(١) **الذَّرَانِح** -بعد الألف نون، وآخره حاء مهملة-: موضع بين كاظمة والبحرين، قال المُثقِّب العبدي:

لِمَنْ ظَعَنٌ تُطَالِعُ مِنْ صَبِيبِ ... كَمَا خَرَجَتْ مِنَ الْوَادِي لُجَيْنِ
مَرَرْنَ عَلَى شَرَافٍ فَذَاتِ رِجْلٍ ... وَنَكَّبْنَ الذَّرَانِحَ بِالْيَمِينِ

...، ولعل الذَّرَايح جمع ذَرِيحَة؛ وهي الهضبة [الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٤].

(٢) **ذو طلوح**: في ديار تميم، من نحو كاظمة، قال جرير: (... مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحِ) [ابن الحائك، **صفة جزيرة العرب**، ص١٧٥]؛ وهو وادٍ في أرض بني العنبر منهم، سُمِيَ بذلك لكثرة ما فيه من طلح، وعرفه بعضهم بأنه موضع بين اليمامة ومكة [الزَّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: جماعة من المختصين (وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط: ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١م)، ج٦، ص٥٨٧]. قال الطَّيِّب مُتعَقِّبًا: «ويلاحظ وجود وادٍ بهذا الاسم أشهر من هذا شرق الدهناء، فصل عنه في قسم (شمال المملكة) من (المعجم الجغرافي). وموضع في بلاد آل ضباب في حمى ضرية، ذكره ياقوت، ولعل تكرار الأسماء ناشئ في الأصل عن وصف تتفق فيه المسميات، وهو كونها مما ينبت فيه الطلح» [الطيب، محمد بن سليمان، **موسوعة القبائل العربية** «بحوث ميدانية وتاريخية» (دار الفكر العربي، د. م، ط: الثالثة، ١٤٢١ - ١٤٣١ هـ)، ج١٠، ص١١١]. قلت: الوصف الأخير في المصدر السابق يقترب من القويع في محافظة حوطة بني تميم، التابعة للرياض، غير أنه لا مانع من أن يطلق على غير موضع.

(٣) **الرَّحَا**: جبل بين كاظمة والسِّيدَان عن يمين الطريق من اليمامة إلى البصرة [التبريزي، يحيى بن علي بن محمد، أبو زكريا، **شرح ديوان الحماسة** «اختيار أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ» (دار القلم، بيروت، د. ت)، ج٢، ص٢١٩].

(٤) **السِّيدَان**: موضع وراء كاظمة بين البصرة والبحرين، يقارب البحر، كذا قال الحموي. يواصل: «قال المُخَبَّل السّعدي:

ذَكَرَ الرَّبَابَ وَذِكْرُهَا سُقْمُ ... فَصَبَا وَلَيْسَ لِمَنْ صَبَا حِلْمُ
وإِذَا أَلَمَّ خَيَالُهَا طَرَقَتْ ... عَيْنِي، فَمَاءُ شُؤونها سَجْمُ
وأَرَى لَهَا دَارًا بِأَغْدِرَةِ الـ ... سِّيدَانِ لَمْ يَدْرُسْ لَهَا رَسْمُ
إلا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ ... عَنْهُ الْرِّيَاحُ خَوَالِدٌ سُحْمُ

قال أبو خليفة الفضل بن الحباب: حدثني المازني، قال: حدثني الأصمعي، قال: قرأت على أبي عمرو ابن العلاء شعر المُخَبَّل السَّعدي، فلما بلغت إلى قصيدته التي أولها:

ذكْرُ الْرَّبَابِ وَذِكْرُهَا سُقْمُ

فمرَّ فيها: وأرى لها دارا بأغْدِرَة السِّيدَان، فقال أبو عمرو: قد رابني هذا، وكيف يكون هذا للمُخَبَّل وأغدرة السيدان وراء كاظمة وهذه ديار بكر بن وائل؟ ما أرى هذا الشعر إلا لطرفة، قال الأصمعي: فلم يزل ذلك في نفسي حتى رأيت أعرابيًّا فصيحًا من بكر بن وائل ينشد من هذه القصيدة أبياتًا، منها هذه:

وتقولُ عَاذِلَتِي، وَلَيْسَ لَهَا ... بِغَدٍ وَلَا مَا بَعْدَهُ عِلْمُ
إنَّ الْثَّرَاءَ هُوَ الْخُلُودُ وَإنَّ ... الْمَرْءَ يُكْرِبُ يَوْمَه الْعُدْمُ
وَلَئِنْ بَنَيْتُ إلَى الْمُشَقَّرِ فِي ... هضَبٍ تُقَصِّرُ دونه الْعُصْمُ
لتنقبَنْ عنِّي المَنِيَّةُ إنَّ ... اللهَ ليسَ لِحُكْمِهِ حُكْمُ

والصُّلَيْب[١]، والعُدَّان[٢]، وعين أصْهَب[٣]، والقدْمَة[٤]، ومَلْحُوب[٥]،

...» [الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٢٤].

(١) الصُّلَيب -تصغير صُلْب-: جبل عند كاظمة، به وقعة للعرب [ابن شمائل القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق، البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** (دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ)، ج٢، ص٨٥٠].

(٢) **العدّان**: موضع بديار بني تميم، بسيف كاظمة، وقيل: ماء لسعد بن زيد مناة بن تميم [التبريزي، **شرح ديوان الحماسة**: ٣٥٧/١].

(٣) عين أصْهَب: وراء كاظمة، تجمع على أصْهَبِيَّات، قال الشاعر:

دَعَاهُنَّ مِنْ ثَاجٍ فأزْمَعْنَ رَدَّهُ ... أوِ الأصْهَبِيَّاتُ الْعُيونُ السَّوائحُ
فَظَلَّتْ بِأَجْمَادِ الْزُّجَاجِ سَوَاخِطًا ... صِيَامًا تَغَنَّى تحْتَهُنَّ الْصَّفَائِحُ

[البَطَلْيَوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، تح: الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ١٩٩٦م)، ج٣، ص١٨٤].

(٤) **قدمة** و«قيدمان» و«قيذما» وما شاكل ذلك في المؤلفات العربية، ولا يُعْرَف من أمرهم شيئًا يذكر في الزمان الحاضر، ولعلهم «القدمونيين» الذي أدخلت أرضهم في جملة «الأرض الموعودة» المذكورة في التوراة، وكانت مواطنهم عند البحر الميت. ومن العلماء من يظن أن لهم صلة بـ «بني قديم» «Bene Kedem»، أي: «أبناء الشرق»، وذهب «فورستر» إلى احتمال كون «قدمة» موضع «رأس كاظمة» على الخليج. ولما كانت «قدمة» من القبائل الإسماعيلية، وقد ذكرت مع القبائل الإسماعيلية في التوراة، ومواطنها كلها لا تبعد كثيرًا عن فلسطين، فإني أرى [والكلام لجواد] أن مواطن هذه القبيلة يجب أن تكون -أيضًا- في هذه المواضع؛ أي في مكان لا يبعد كثيرًا عن فلسطين [جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٢، ص٩٦].

(٥) **مَلْحُوب**: اسم موضع قريب من كاظمة، قال جرير بن عطية:

أمْ كَلَّمَتْكَ بِسَلْمَانَيْنِ مَنْزِلَةً ... يَا مَنْزِلَ الْحَيِّ جَادَتْكَ الأهَاضِيبُ
كَلَّفْتَ مَنْ حَلَّ مَحْلُوبًا وكَاظِمَةً ... هَيْهَاتَ كَاظِمَةٌ مِنَّا وَمَلْحُوبُ

وجاء -أيضا- في المعنى ما قاله ياقوت الحموي: «ملحوب -بالفتح ثم السكون، وحاء مهملة، وواو ساكنة، وباء-، وطريق ملحوب أي واضح وسهل، وهو اسم موضع، قال الكلبي عن الشرقي: سمي ملحوب ومليحيب بابني تريم بن مهيع بن عردم بن طسم. وملحوب: اسم ماء لبني أسد بن خزيمة. ومليحيب علم على تل، وقال الحفصي: ملحوب ومليحيب قريتان لبني عبد الله بن الدئل بن حنيفة باليمامة، وقال عبيد:

أقْفَرَ مِنْ أهْلِهِ مَلْحُوبُ ... فَالْقُطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

وقال لبيد بن ربيعة:

وَصَاحِبُ مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بمَوْتِهِ ... وَعِنْدَ الرَّدَاعِ بَيْت آخر كَوْثر

وصاحب ملحوب هو عوف بن الأحوص بن جعفر ابن كلاب مات بمَلْحُوب، والرَّدَاع: موضع مات فيه شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وقال عامر ابن عمرو الحصني ثم المكاري:

بِسَهْلَةَ دَارٌ غَيَّرَتْهَا الأعَاصِرُ ... تُرَاوِحُهَا وَالْعَادِيَات الْبَوَاتِرُ
قَطَار وَأرْوَاح فَأضْحَتْ كَأنَّهَا ... صَحَائِفُ يَتْلُوهَا بِمَلْحُوب وَابِرُ
وأَقْفَرَتْ الْعَبْلَاءُ وَالْرَّسُّ مِنْهُمُ ... وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ يَثْقبٌ فَقَرَاقِرُ

... [الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٩١].

والمَرَايض[1] .. إلخ)، وغيرها.

ختامًا يجمل بي تَتِمَّةً لما ذُكر سوق بعض ما جاء على لسان **ب. ج. سلوت** (معاصر)، في بحثٍ قيّم، ضمَّنه كتابه **نشأة الكويت**، حول حضور كاظمة في ذاكرة الخريطة العالمية، فبعد حديث واصفٍ حول الإشارات الأولى للاسم. قَدَّمَ تحت عنوان: **خرائط كاظمة تزداد دقة** نظرة تقييمية للأعمال اللاحقة، وأهمَّ الملاحظات التي اسْتَوْعَتْهَا، وأهمَّ المصادر التي عوَّلَ الرَّسامون وواضعو الخرائط عليها، وممن نقلوا أعمالهم تلك، وأهم ما طبعَها -عبر مسيرة خرائطية حافلة-، يقول: «في القرن الثامن عشر توافرت معلومات جديدة لرسامي الخرائط العلميين؛ فتطور أسلوبهم في تقييم المصادر، وأصبح ذلك الأسلوب أكثر حداثة، وإن كان ذلك قد تمَّ ببُطْءٍ، فبدأوا في استخدام الخطوط الهندسية للخرائط البحرية، كما بدأوا في نقل أسماء الأماكن منها، وإن كانوا قد حافظوا على أسماء الأماكن العربية المأخوذة من الإدريسي (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م). وتُعَدُّ خريطة تركيا وجزيرة العرب وفارس لرسام الخرائط الفرنسي الشاب جيوم دليل (Guillaume Delisle) في ١٧٠١م علامة تطوُّر؛ فقد اختفت معظم الجزر التي كان من الصعب تحديدها على الخرائط الجغرافية السابقة، وأخذ الخليج ومنظومة الأنهار أسفل البصرة الشكل الذي ظهر به في الخرائط البحرية، باستثناء واحد ظاهر؛ وهو نهر كبير غير طبيعي يمتد بين البصرة والقطيف، وهكذا فإن المنطقة الساحلية للكويت، ونَجْد تظهر كجزيرة كبيرة تسمى خُضْر (Chader)، وهذا النهر والجزيرة نتجا عن سوء فهم لنصوص كتب الرحالين؛ فقد كتب زوار البصرة يقولون: إن هناك طريقين للملاحة من البَصْرَة إلى الخليج، أحدهما نهر ضحل تستخدمه السفن المحلية الصغيرة إلى البحرين والقطيف، ويعرف باسم نهر القطيف، والنهر الآخر عميق تستخدمه السفن الأوربية، ولكي يتضح هذا الأمر فلا بد أن ندرك أن الطريق بين البصرة والفاو على طول الجانب الأسفل لشَطِّ العرب كان ضحلًا عند مدخله بالنسبة إلى السفن الشراعية الأوربية الكبيرة، وخلال القرن السابع عشر وجزء من القرن الثامن عشر كان بهمشير الخور الضيق الذي يمتد من عبدان إلى الخليج أكثر عُمْقًا، ولذلك فقد كان منفذ السفن الأوربية إلى البصرة. وتقع جزيرة خضر بين بهمشير وأسفل شط العرب، وهي الآن جزء من إيران،

(١) **المرايض** -بالفتح-: وهو مِن اسْتَرَاضَ الوادي؛ إذا استنقع فيه الماء، ومنه سُمِّيَت الروضة؛ وهي مواضع في ديار بني تميم، بين كاظمة والنَّقِيرَة [الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٩٦].

ولكنها في ذلك الوقت كانت تابعة للبصرة، وقد اكتشف هوتز (Hotz) -وهو مؤرخ هولندي هاوٍ- حقيقة أن بهمشير كانت الطريق الملاحي في ذلك الوقت وليس شط العرب، وقد كان هوتز رئيس شركة تجارية هولندية ذات نشاط في منطقة الخليج حوالي عام ١٩٠٠م، وهذا النهر الذي يمكن رؤيته بسهولة في اللوحات (٣٠ – ٣٤) سهل التفسير؛ إذ إنه ناتج عن سوء فهم لشَطِّ العرب، وجزيرة (Chader) ما هي إلا سوء فهم لجزيرة خضر، وهناك اسم جديد مهم في المنطقة؛ وهو جبل سنام، ويضعه دليل في خريطته الأولى هذه داخل حدود العراق العثماني (وفق الخريطة التي نشرتها لجنة الأمم المتحدة لترسيم الحدود في عام ١٩٩٣م)، ولكن في خرائط دليل اللاحقة (انظر نسخة أوتنز، لوحة رقم ٣٣) تمتد الحدود على هذا التل مباشرة، وهذا يبرز كم كانت دقيقة المعلومات التي استطاع بعض رسامي الخرائط القدامى الحصول عليها عن الحدود. جاءت معلومات دليل عن تلك الحدود من مصدر أكثر قِدَمًا، ويذكر الرَّحالة البرتغالي «بدرو تكسيره» الذي زار البصرة عام ١٦٠٠م أنَّ حدود محافظة البصرة تقع عند جبل سنام. وقد كان **جيوم دليل** أول رسام خرائط يترك لنا ملاحظات علمية تعيننا على تتبع تفكيره، وقد قُلِّدَتْ خرائط جيوم دليل في لندن، وكان ذلك بعد فترة طويلة، وقام بذلك جون سينكس (J. Senex)، إيمانويل باون (Bowen)، وهيرمان مول (Holl) والأخير كان من أصل هولندي، وقد كان صانع خرائط غزير الإنتاج في لندن. وقد كان هذا الأسلوب في التفكير -وهو إعادة تصميم الخرائط الجغرافية على أساس من الخطوط العامة للخرائط الملاحية- هو ما تبعه **بيتر فان در** (Peter Van der Aa)؛ وهو ناشر في ليدن، نشر مجموعة مهمة من ترجمات للرحلات الأساسية إلى آسيا وأفريقيا وأمريكا إلى اللغة الهولندية. وفي الطبعة الفاخرة ذات القطع الكبير لهذه المجموعة (هناك طبعة أبسط بالقطع الصغير)، وهي خرائط للخليج جديرة بالاهتمام، مرفقة بترجمات للنصوص البرتغالية لكل من البوكارك (Albuquerque)، ومنزاس (Menezes)، وجاده كاسترو (João de Castro). والنقطة المهمة في الخرائط التي نشرت عام ١٧١٤م هي أن بيتر فان در آ Peter Van der A على ما يبدو قد استخدم خرائط دليل، كما أن جبل سنام يظهر على هذه الخريطة. وقد حدث تطور آخر في ذلك الوقت ففي عام ١٧١٨ نشر المستشرق الفرنسي جان ده لاروك (de la Roque). ترجمة نص للجغرافي العربي أبي الفداء، ويذكر هذا النص أن كاظمة كان لها

مرفأ كبير، ومن الواضح أنه يعني جون الكويت، وهذه الترجمة تأتي ضمن طبعة رحلة لوران دأرفيو (Laurent d'Arvieux) إلى سوريا: (ومن الأماكن المشهورة بالبحرين كاظمة -بكاف وألف وظاء معجمة مكسورة وميم وهاء-؛ وهي جون على ساحل البحر بين البصرة والقطيف. وبين كاظمة والقطيف مسيرة أربعة أيام، وهي في سمت الجنوب عن البصرة، ويقال لها كاظمة البحور. وهي منازل للعرب، وبها مراعٍ جيدة، وآبار كثيرة قريبة المدى).



[خريطة –٢: وضعها الأخوان أوتنز للدولة العثمانية وفارس، ولم يثبت عليها تاريخ، إلا أنها كانت معروضة للبيع عام ١٧٣٧م. وتبدو الحدود بين منطقة الكويت والدولة العثمانية واضحة تماما، أما كاظمة فتظهر على الساحل، وفي مقابلها جزيرة كتب عليها ميناء كاظمة. المصدر: الكويت قراءة الخرائط التاريخية، ص١٧– مركز البحوث والدراسات التاريخية (أرشيف الدولة العامة في هولندا «Slot ٣٦»)].

وقد استخدم رسام خرائط آخر -وهو الشاب الفرنسي جان بابتيست بورچينيو دآنفيل (Jean -Baptiste Bourguignon d'Anville)- النصوص العربية الكلاسيكية لعمل خريطة جديدة تمامًا لشبه جزيرة العرب، وهذه الخريطة النادرة هندستها بدائية نوعًا ما، وتظهر عليها كاظمة ومرفأ كاظمة بوضوح في المكان الصحيح، وقد ذكر في عنوان الخريطة أن مصدرها هو أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)، وبعد ظهور تلك الخريطة بدأ دليل يحسن من خرائطه التي أظهرت كاظمة على الساحل مدينةً عظيمة، كذلك غالبًا ما تظهر مرفأ كاظمة الكبير، وقد أطلق عليه باللاتينية «ميناء كاظمة» (portus Cathemae). ويبدو هذا المرفأ كاسم؛ إذ لا يُوجَد جُونٌ في هذا المكان، مع أن جزيرة فيلكا -دون ذكر اسمها- نقلت من الخرائط الملاحية، وأقدم خريطة رأيتها من هذا النَّوع هي خريطة لأفريقيا طبعت عام ١٧٢٢م. وغالبا ما كان دليل لا ينشر خرائطه في باريس فحسب، ولكن في أمستردام -أيضًا-؛ حيث كان يعمل ناشرو الخرائط المبرزون ذوو الاتصالات المتميزة في السوق، وهذا هو السبب في أنَّ كثيرًا من نسخ دليل ذات الطبعات الجميلة تحمل بجوار اسم الكاتب خاتم شركات كبيرة في أمستردام، مثل: كوفنز، مورتيه، وأوتنز. وقد نشر الأخوان أو تنز في أمستردام خريطة الامبراطورية العثمانية في الأربعينيات من القرن الثامن عشر، وهي من أرقى نسخ خرائط جيوم دليل، وهذه الخريطة استمدت كل البيانات من (أبو الفداء)، ومثلما قلَّدت نسخة خريطة دليل التي ظهرت عام ١٧٠١م فقد قلدت خرائطه اللاحقة باستمرار خلال القرن الثامن عشر، وقد أعيد إنتاج نسخ كثيرة للخرائط التي نشرت في فرنسا وهولندا وإيطاليا وبريطانيا، وأحيانًا كانت نسخا من نوعٍ رديء الجودة، ولكن الخرائط التي أخرجها تيريون (Tirion) كانت نسخًا جيدة ذات انتشار واسع؛ لأنها كانت ضمن أطروحة ذات مجلدات عدة، تتناول جغرافية العالم، على أنَّ بعض الخرائط التي أنتجتها دار هومان الألمانية كانت من النوع الجيد -أيضًا-، وقد كان رسام الخرائط الفرنسي نيكولاده فير (Nicolas de fer) معاصرًا لدليل، ولكن إنتاجه عادة ما يعدُّ أقل جودة من إنتاج دليل، وقد ترجم ده فير الاسم البرتغالي لفيلكا إلى الفرنسية: إليا ده أگوادا (جزيرة

أكـوادا)، ومـن أبـرز خصائـص إنتـاج ده فيـر وجـود اسـم كاظمـة فـي منطقـة قطـر جنوبًـا، وأحيانًـا كان المقلـدون مثـل روبيـر ده فوگنـدي (R. de Vaugondy) يخلطـون بيانـات مـن دليـل مـع بعـض بيانـات أخـرى مـن ده فيـر، وعندئـذٍ ظهـرت خرائـط بهـا كاظمتـان»[1].

ويمكن إجمال أهم ما أورده في النُّقَط الآتية:

- ظهـر اسـم كاظمـة فـي العـام ١٦٥٢م علـى خريطـة فرنسـية، لتمثـل المنطقـة المعروفـة بهـذا الاسـم علـى السـاحل الشـمالي لجـون الكويـت، شـمال شـرق الجهـراء، علـى بعـد عـدَّة كيلـو متـرات.
- وضعـت كاظمـة فـي موضـع غيـر دقيـق نسـبيًّا فـي الخرائـط الأولـى، إلا أن الموقـع سـرعان مـا تحَسَّـنَ شـيئًا فشـيئًا، بـدءًا بخرائـط العـام ١٧٣٠م.
- كان موقـع كاظمـة مستقلًّا خـارج الحـدود العراقيـة، وإن وُضـع خطـأً قبـل أن تُحَـدَّثَ الخرائـط؛ بمـرور الزمـن، وقـد حـدد الموقـع بدقـة فـي خرائـط القـرن الثامـن عشـر داخـل منطقـة الكويـت.
- وجـدت بعـض الأخطـاء والتصحيـف فـي الخرائـط القديمـة نتيجـة عـدم التحقيـق، ونظـرًا لغيـاب المعلومـات الدقيقـة، والافتقـار إلـى الوقـوف الميدانـي علـى بعـض المواضـع الـواردة، واستنسـاخ بعـض الرسـامين مـن بعـض.
- نظـرًا لمـا توافـر مـن معلومـات دقيقـة لاحقًـا (خـلال ق ١٨م)، تمَكَّن الرَّسـامون العِلْمِيُّـون للخرائـط مـن تطويـر أسـلوبهم؛ بشـكل أكثـر حداثـة فـي تقييـم المصـادر، وبـدأوا فـي اسـتخدام الخطـوط الهندسـية للخرائـط البحريـة، ونقلـوا أسـماء الأماكـن منهـا، وإن كانـوا قـد حافظـوا علـى أسـماء الأماكـن العربيـة المأخـوذة مـن الإدريسـي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م).
- كشـفت الخرائـط الجديـدة عـن الطـرق الملاحيـة مـن الخليـج إلـى البصـرة، واشـتملت علـى إضافـات قيّمـة ترتبـط بالكويـت وكاظمـة تحديـدًا، وإن وقـع سـوء فهـم أحيانًـا فـي معرفـة شـط العـرب.

(١) ب. ج. سلوت، **نشأة الكويت**، (مركز البحوث والدراسات الكويتية، ط: الأولى، ٢٠٠٣م)، ص٥٧ وما بعدها.

- باتت الحدود في تلك الخرائط أكثر وضوحًا من سابقاتها، واتخذت معالم واضحة للفصل بين المناطق، وبدت بذلك معلومات رسامي الخرائط القدامى حول الحدود أكثر دقة من ذي قبل.
- حدث تطور آخر في عام ١٧١٨م، حيث أظهرت ترجمة بعض النصوص الجغرافية أن كاظمة كان لها مرفأ كبير (من الواضح أن المقصود جون بالكويت)، الأمر الذي ألقى بظلاله على المعلومات المقدمة لواضعي الخرائط والرسامين.
- استخدمت النصوص العربية الكلاسيكية -في مرحلة تالية-؛ لعمل خريطة جديدة تمامًا لشبه الجزيرة العربية، والخريطة النادرة التي وظّفت تلك الأسماء -وإنْ كانت هندستها بدائية نوعًا ما-، إلا أنّ كاظمة ومرفأها يظهران عليها بوضوح، في المكان الصحيح.
- وجدت طبعات مختلفة وجميلة للخرائط المُحَدَّثة، لم تنشر في باريس فحسب، ولكن في أمستردام -أيضًا-؛ حيث كان يعمل ناشرو الخرائط المبرزون، ذوو الاتصالات المميزة في السوق.
- أعيد إنتاج نُسَخٍ كثيرة للخرائط التي نشرت في فرنسا وهولندا وإيطاليا وبريطانيا، ورغم رداءة بعضها أحيانًا، بيد أنَّ الخرائط التي أخرجها بعضهم كانت نسخًا جيدة ذات انتشار واسع.
- لا يمكن إنكار وقوع بعض الخَلْط لاحقًا في عدد ضئيل جدًّا من الخرائط ضيقة الانتشار؛ إذ أثبتت واحدة من تلك الخرائط كاظمتين، إحداهما قريبة من قطر جنوبًا، ومع هذا فإن ما استقرّ عليه الوضع الخرائطي في مراحله النهائية رفع كثيرًا من اللبس والإشكال؛ بسبب الخلط، والاستنساخ، وضبابية بعض المعلومات، والاستخدام التجاري لبعض الطبعات.

2-1- القطيف[1]:

تُعَدُّ القطيف من أقدم الواحات المأهولة بالسكان في التاريخ[2]. تعاقبت عليها أممٌ وشعوب مختلفة، دخل أهلها الإسلام طوعًا، وانخرطوا -كغيرهم- في نشر الدين الجديد؛ كان يحكمها باسم الفرس المنذر بن ساوى (ت١١هـ / ٦٣٣م)، فوَجَّهَ إليه النبي -عليه السلام- كتابًا دعاه فيه إلى الإسلام، جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى. سلام على من اتّبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم، يجعل الله لك ما تحت يديك. واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخُفِّ والحافر)[3]، فأسلم المنذر، ودعا قومه للدخول في هذا الدين، وكانت وقتها تضم مجوسًا ويهودًا. وكتب لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: (أمَّا بعد يا رسول الله: فإني قرأت

---

(١) **القطيف** الحديثة: تتبع المملكة العربية السعودية، وتقع في المنطقة الشرقية منها تحديدًا، على خط طول ٥٠ درجة شرقًا ، ودائرة عرض ٢٦ درجة و٥٢ دقيقة شمالًا، وترتبط بشبكة جيدة من الطرق مع بقية مدن المملكة، وهي قريبة من جسر الملك فهد، الرابط بين المملكة العربية السعودية ومملكة البحرين، ويخدمها جوًّا مطار الملك فهد الدولي، وتشغل الواحة مساحة كبيرة، تضم مدن القطيف -مركز المحافظة-، وسيهَات، وعُنَك، وصَفْوَى، والعَوَّامِيَّة وقُرَى، والأوْجَام، والقَدِيح، والخُوَيْلِدِيَّة، والجَارُودِيَّة، وأمّ الحمام، وسَنَابِس، ودَارِين، وجزيرة تَارُوت [هيرمان بينار، وسلفاتوري فوندارو، ووكوستانزا لمونتيا، وآخرون، **الرؤية العمرانية الشاملة لمدينة القطيف**، تصميم: أميرة الحسن (وزارة الشؤون البلدية والقروية، المملكة العربية السعودية، ط: ١/ ١٤٤٠ هـ)، ص٣١]. تمتد القطيف بمجموعها من صفوى شمالًا حتى الظهران جنوبًا، فيشمل ذلك: الواحة والقلعة وتوابعها. قال ابن مقرب العيوني (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م):

وَالْخَطُّ مِنْ صَفْوَاء حَازُوهَا فمَا ... أَبْقَوْا بِهَا شِبْرًا إلى الْظَّهْرَانِ

[ابن مقرب العيوني، علي بن المقرب بن منصور، **ديوان ابن مقرب العيوني** (مكتبة التعاون الثقافي، د. م، ط: ٢٠٠٨م)، ص٦٣٨] وهي غنية بالنفط والتمور والفواكه والأسماك، وكانت معروفة باستخراج اللؤلؤ. والقطيف -لغة- على بناء فعيل؛ من قطفت الثّمر [البكري، **معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع**، ج٣، ص١٠٨٤]، وقيل: القطيف: المقطوف من التمر، وقيل: سرة القطيف من بلاد عبد القيس موضع نخلهم، فلعله أراد به التمر الذي يأخذونه من هذا الموضع [الأصفهاني، أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني، **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، تح: عبد الكريم العزباوي، (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ج٢، ص٧٢٨]. وهي عربية خالصة، وقيل: بل هي مُعَرَّب أكتيوس، والصحيح عندي الرأي الأول.

(٢) د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٢، ص١٨٤.

(٣) الحيدر آبادي، محمد حميد الله الهندي، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** (دار النفائس، بيروت، ط: السادسة، ١٤٠٧هـ)، ص١٤٥.

كتابك على أهل بحرين، فمنهم من أحَبَّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود. فأحدث في ذلك أمرك)[1]، فرد عليه -صلى الله عليه وآله وسلم-: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى. سلام عليك. فإنِّي أحمد الله إليك الذي لا إله غيره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. أمَّا بعد: فإنِّي أُذَكِّرُك الله -عزَّ وجلَّ-؛ فإنَّه من ينصح فإنَّما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويَتَّبِع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي. وإنّ رسلي قد أثنوا عليك خيرًا، وإنِّي قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسْلَموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم. وإنَّك مهما تصلح فلن نَعْزِلَك عن عملك. ومن أقام على يهوديتّه أو مجوسيّته فعليه الجزيَّة)[2]، وكتب له -أيضًا- في شأن قومه: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى: سلام الله عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتابك جاءني، وسمعت ما فيه، فمن صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ما لنا، وعليه ما علينا. ومن لم يفعل، فعليه دينار من قيمة المعافريّ. والسلام ورحمة الله، يغفر الله لك)[3].



[وثيقة – ١: رسالة النبي (عليه السلام) للمنذر بن ساوى. المصدر: متحف الطوب قابي بإسطنبول]

(١) الحيدر آبادي، محمد حميد الله الهندي، **المصدر نفسه**، ص١٤٨.

(٢) الحيدر آبادي، محمد حميد الله الهندي، **المصدر نفسه**، ص١٤٦.

(٣) الحيدر آبادي، محمد حميد الله الهندي، **المصدر نفسه**، ص١٤٨.

وقد توفي المنذر بن ساوى بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى بأيام قليلة، فتعاقب على البلاد طيلة أيام الخلافة الرَّاشدة عِدَّة ولاة، يُعَيَّنون من قِبَلِ الخلفاء، وظلَّ خراجها من أهم الرَّوافد لإنعاش الدولة الإسلامية الناشئة، ودعم مسيرة الجهاد؛ بما يلزمها من الأموال والمُؤَن(١).

تاريخيًّا توصف القطيف بأنها قرية عظيمة الشأن، ساحلية، سكنتها جذيمة؛ من عبد القيس(٢)، وقد شغلت مضارب عشائر عامر مناطق واسعة من بوادي البحرين، قال الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٥ م) في **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: «ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة برٌّ متصل لا عمارة فيه؛ أي ليس به حصن ولا مدينة، وإنما به أخْصَاص لقومٍ من العرب، يسمون: عامر ربيعة»(٣)، وهناك إلى جانب عبد القيس وبني عامر بعض العشائر من (خندف)، وأخرى قحطانية(٤). وهي أرض منْخَلَة، قال الشاعر(٥):

فَإنْ تَمَنَّعُوا مِنَّا الْمُشَقَّرَ والْصَّفَا فإنَّا وَجَدْنَا الْخَطَّ جَمًّا نَخِيلُهَا

(الْخَطُّ): خَطُّ عبد القيس؛ وهو كثيرُ النخلِ -حسبما وُصِفَ-(٦). وقرى الخط واقعًا تضم أسياف البحرين وعُمان، ويُعْرَف الخَطِّ -أيضًا- بخَطِّ عُمان، ومن قُرَاهُ -علاوة على القطيف-: (العقير، وقطر)(٧). وقد سكنته قبائل عربية، وشَهِدَ

(١) آل ملا، عبد الرحمن بن عثمان بن محمد، **تاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين** (مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، د. م، د. ط، ٢٠٠٢)، ص٨٥ وما بعدها.

(٢) ابن الحائك، **صفة جزيرة العرب**، ص١٣٥.

(٣) الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج١، ص٣٨٦.

(٤) آل ملا، عبد الرحمن بن عثمان بن محمد، **تاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين**، ص٣١ وما بعدها.

(٥) البيت من الطويل، وهو لا مرىء القيس في ملحق ديوانه، ص٤٧١؛ وتاج العروس: ١٩/ ٢٤٩ (خطط)؛ وللأعشى في ديوانه، ص ٢٢٧؛ ومعجم البلدان ٢/ ٣٧٨ (الخط). ينظر: [د. إميل بديع يعقوب، **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية** (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص٦، ص٣٢٨].

(٦) الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن، **العباب الزاخر واللباب الفاخر**، تح: محمد حسن آل ياسين (وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط: ١٩٨١م)، ج١، ص٢٤٩.

(٧) الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٣٧٨.

أممًا وشعوبًا متعاقبة بمرور الزمن، لذا تحوي القطيف عددًا من المواقع الأثريَّة المهمة، وكانت مسرحًا للكثير من الأحداث، وتُذْكَرُ قديمًا -إذا ذُكِرَتْ- مقرونة تارة بالبصرة، وتارة أخرى بالأحساء والبحرين؛ حسب حالتي المد والجزر المعروفتين في السياسة؛ وما تشْهَدَانِه من تقاسم السُّلْطة والتبعيَّة، واختلاف الحدود الجغرافية؛ بتوالي الحُكَّامِ، وتَعَاقُبِ الحكومات المختلفة.

وتبعًا لدراسة مُوسَّعة راصدةٍ أهمَّ ما انتهى إليه الباحثون والجيولوجيون وعلماء الآثار فإن سكان القطيف يعدون من أقدم الناس استيطانًا واستقرارًا في هذه المنطقة، بينما ذهب باحثون آخرون إلى أن هذه المنطقة كانت مأهولة بالناس أيام العصور الجليدية المتأخرة في أوربا؛ أي قبل خمسين ألف سنة، وأن ساحل الخليج -ولاسيما المنطقة الواقعة بين الدوادمي وشمال القطيف-، كانت مزدحمة بالسكان في العصور البرونزية؛ أي حوالي (٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ قبل الميلاد)[١]، وتُلْمِح الدراسة إلى أنَّ عوامل الطقس، وخصوبة التربة، وكثافة الغابات الخضراء كان لها الأثر في نزوح الشعوب والقبائل الأخرى للاستيطان فيها[٢]، وتؤكِّد بعض الأدبيات نزوح عرب الجزيرة العربية القاطنين في الجزء الجنوبي والشمالي منها إلى منطقة القطيف على أثر موجات الجفاف التي ألَمَّتْ بالمنطقة قبل قرون، مما جعل المنطقة مَعْبرًا للهجرات الجماعية البشرية؛ بحثًا عن مناطق أكثر وفرة في المياه والموارد الطبيعية (الزراعية)[٣].

(١) المشيخص عبد العظيم، **القطيف ومتعلقاتها. أبعاد وتطلعات** (شركة الشيخ للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج١، ص٥٣.

(٢) المشيخص عبد العظيم، **المصدر نفسه**، ج١، ص٥٣.

(٣) المشيخص عبد العظيم، **المصدر نفسه**، ج١، ص٥٣.



[صورة –٧: نقش آشوري يظهر سفنًا فينيقية تنقل الخشب. المصدر: الموسوعة العربية لجباغ سيف الدين، ج ١٥، ص٨٣]

تواصل الدراسة القول: «مما تجدر الإشارة إليه أن الشعوب الفينيقية نزحت من جنوب الجزيرة العربية ثم أقامت على ساحل الخليج العربي قبل أن تستقر في موطنها المنسوب إليها حاليًّا (فينيقيا)؛ بدليل أنها سمت بعض مناطقها بأسماء مدن المناطق، كاسم الجبيل وصور وغيرهما، وهناك شواهد كثيرة تُدَلِّل على استيطان العنصر البشريِّ في هذه المنطقة قبل ما يزيد عن ستة آلاف سنة قبل الميلاد؛ أي قبل نحو ٨٠٠٠ عام تقريبًا، والمراجع للشواهد التاريخية القديمة للمنطقة، يقف على أهم معالمها التاريخية القديمة؛ فبعض المدن المعاصرة كان لها حقبة تاريخية قديمة، وإن كان في المنطقة كثير من المدن التي اندثرت واندثر باندثارها التاريخ، كمدينة الزَّارَة، وجزيرة دارين القديمة، ومنطقة جاوان الواقعة في شمال القطيف، ومنطقة الرفيعة الواقعة في جزيرة تاروت، وبعض المناطق الواقعة غرب القطيف، إلى غيرها من المعالم التي اندثرت بسبب العوامل الطبيعية، أو لأسباب جغرافية أو اقتصادية ... الخ»[١]. وتنتهي الدراسة بعد استعراض مُتَمَكِّث إلى الآتي: «إذا وقفنا عند المؤسسات الأثرية التي قامت بدراسة شاملة لمعالم القطيف التاريخية، نراها تؤكد بما لا يدعو إلى الشك على توغل طبقات مختلفة من الشعوب والقبائل التي استوطنت هذه المنطقة؛ فآبار

(١) المشيخص عبد العظيم، **المصدر نفسه**، ج١، ص٥٤.

القطيف وصفوى تُعد من أقدم الآبار التاريخية التي أنشأت في المنطقة، وهي تقع على مسافة ٣،٥ كم من الساحل، وتمتد لمسافة ١٢ كم بين مدينتي القطيف وصفوى، وتدخل في معيتهما المناطق الواقعة في الوسط بين المدينتين، أو المناطق الواقعة على جوانب المنطقتين، فيكثر فيها الآبار، التي يعود تاريخها إلى العصور السلوقية أو البارثية أو الرومانية»[١].

ومما هو معلوم بالاستقراء أن البحرين التاريخية -في أقصى امتدادٍ لها- تنتظم عددًا من الحواضر المحيطة بها؛ من الكويت إلى عُمان، أطلق على ما هو حولها -تاريخيًّا-: مخاليف البحرين، وتشمل: (الْخَطَّ، والقَطِيفَ، وهَجَر، وقَرْدَق، وبَيْنُونَة، وزَارَة، وجُوَاثَا، وسَابُور، ودَارِين، وغَابَة)[٢]. يُفصِّل الهمداني (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) في **صفة جزيرة العرب**، الكلام حولها قائلا: «مدنية البحرين العظمى هَجَر؛ وهي سوق بني محارب من عبد القيس، ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين؛ فالقطيف موضع نخل وقرية عظيمة الشأن، وهي ساحل، وساكنها جذيمة من عبد القيس، سيدهم ابن مسمار ورهطه، ثم العقير من دونه؛

---

(١) المشيخص عبد العظيم، **المصدر نفسه**، ج١، ص٥٣.

(٢) المرجاني، محمد عفيف الدين بن عبد الله بن عبد الملك، **بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار**، تح: أ د محمد عبد الوهاب فضل (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٢ م)، ج٢، ص٨٦٤.

* **ملاحظة**: عرّف المحقق بأهم تلك المخاليف نقلًا من **معجم البلدان**، كما فعل الماتن، وجاءت اختياراته كالآتي:

- الخط: بضم الخاء وتشديد الطاء؛ وهو خط عبد القيس بالبحرين، وأعظم مدنها. انظر: معجم البلدان ٣٧٨/٢.
- القطيف: بفتح أوله وكسر ثانيه، مدينة بالبحرين، وهي قصبتها. انظر: معجم البلدان ٣٧٨/٤.
- هجَر: بفتح أوله وثانيه، مدينة قاعدة البحرين. انظر: معجم البلدان ٣٩٣/٥.
- بينونة: موضع بين عمان والبحرين. انظر: معجم البلدان ٥٣٦/١.
- زارَة: إحدى قرى البحرين، وبها عين مشهورة. انظر: معجم البلدان ١٢٦/٣.
- جواثا / جواثى: بالضم وبالمد والقصر، حصن لبني عبد القيس بالبحرين. انظر: معجم البلدان ١٧٤/٢.
- سابور: موضع البحرين، فتح على يد العلاء بن الحضرمي في عهد أبي بكر. انظر: معجم البلدان ١٨٦/٣.
- دارين: فرضة البحرين، يجلب إليها المسك من الهند. انظر: معجم البلدان ٤٣٢/٢.
- غابة: قرية بالبحرين. انظر: معجم البلدان ١٨٢/٤.

وهو ساحل وقرية دون القطيف من العطف، وبه نخل، ويسكنه العرب من بني محارب، ثم السِّيف سيف البحر؛ وهو من أوال، على يوْمٍ، وأوال جزيرة في وسط البحر مسيرة يوم، وفيها جميع الحيوان كله إلا السباع، ثم السِّتَار تُعَرِّفُ البحرين؛ وهو مَنَادِي بني تميم فيه، مُتَّصِلَّةُ البيضاء، وكان بها نخل وسكن، والفَطْحُ وهو طريق بين السِّتَار والبحر إلى البصرة، ومن المياه المتصلات: مَعْقِلات، ثم خمس، ثم مَعْقِلَا طُوَيْلِع؛ وهو عن يمين سنام، ثم كاظمة البحور ساحل، وفيها يقول فروة الأسدي (ت: غير معلوم):

عَدَتْهُنَّ الْمَخَاوِفُ عَنْ سَنِيحٍ وَعَنْ رَمْلِ النَّقَار فَهُنَّ زُورُ

هي النقار، وهي الجفار، وهي الحظائر -حظائر مدرك-.

ضَمِنْتُ لَهُنَّ أنْ يَهْجُرْنَ نَجْدًا وأنْ يَحْلُلْنَ كَاظِمَةَ الْبُحُورِ

ثم رحلية إلى البصرة»[1].

بالجملة فقد كان لهذا الخط، ولساحل القطيف تحديدًا أهمية حضارية خاصّة، في ربط الجزيرة العربية بالضفة المقابلة لها، وبالتجارة العالمية إلى الهند وغيرها من دول وحضارات العالم الحي يومئذٍ، ومكَّنَ الأمم والشعوب الأخرى من التواصل والاتصال بها؛ وهذا ما أشار إليه جواد علي (ت١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) في **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**؛ عند الحديث حول عبقرية الموقع، وأهميته -عبر التأريخ-، قائلًا: «وبحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع العقير، وهي الآن ميناء صغير. وعلى مقربة منها خرائب عادية، يعتقد العلماء أنها موضع (gerrhaei) المدينة التجارية العظيمة التي اشتهر أمرها، وبلغت شهرتها اليونان والرومان. وكانت محطة من المحطات التجارية العالمية، وملتقى طرق القوافل التي كانت ترد من جنوب بلاد العرب قاصدة العراق. وقد أغرت الطامعين؛ فطمعوا في الاستيلاء عليها، وأوحت إلى الكتبة (الكلاسيكين)؛ فكتبوا فيها قصصًا من نسج الخيال، وتقع على خليج سماه الكلاسيكيون (SINUS GERRAICUS)؛ أي خليج جرهاء.

(١) ابن الحائك، **صفة جزيرة العرب**، ص١٣٥.

وتقع القطيف على خليج يشمل جزيرة (تاروت)، وتعدُّ المدينة البحرية الرئيسية في الأحساء. يرتفع سطحها بضع أقدام عن سطح البحر، وتكثر بها مياه العيون، وتشاهد عندها خرائب عادية، يُسْتَدَلُّ منها على أن هذه المدينة كانت ذات تأريخ قديم، ربما يعود إلى آخر عهدٍ من عهود العصر النحاسي. وفي هذه المنطقة، يجب أن يكون موقع مدينة بلبانا " "bileana" "bilbana"و"bilana"، إحدى مدن الجرهائيين، ومواطن قبيلتي "gaulopes" و "chateni" على سواحل خليج سماه: بلينوس "sinus gaulopes"؛ أي خليج كيبيوس. ويرى شبرنكر أنه خليج القطيف، ويذكرنا اسم "chateni" خطيني باسم الخط، ويطلق في العربية على سيف البحرين كله، وربما كان (كيبيوس)، الذي سُمّيَ الخليج به، هو تحريف"cateus" ، الذي يشير بكل وضوح إلى اسم القطيف.

وأمَّا جزيرة تاروت الصغيرة التي في هذا الخليج، فالظاهر أنها جزيرة «tahr» أو «taro» أو «ithar» في جغرافية بطليموس، وفيها مدينة دارين، ويظهر أنها أقيمت على أنقاض أبنية قديمة، ولعلها كانت معبدًا للإله عشتروت. اشتهرت به، ثم حذف المقطع الأول من اسم الإله اختصارًا، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين، وهما تاروت»[1].

وعلى ذلك القدر من الأهمية الحضارية للموقع والأماكن المحيطة به كان للقطيف حضورها المهم والمحوري في الشعر العربي والخليجي -على حدٍّ سواء-؛ فهي مرَّةً الواحة الوادعة والآمنة، والمرعى الذي تسرح فيه النَّعَم، وهي المُسْتَرَاح من عناء الرِّحلة الطويلة، والنَّصَب الذي يجدونه من وَعْثَاء السفر، وهي المحطة للتزود بما يحتاجون إليه، والمعبر لما بعده.. إلخ، وقد يسأل الله الخير لهذه الأرض ولما جاورها مُسْتَسْقِيًا. أنشد الحزازة العامري (شاعر إسلامي)، يذكر آلاء الله -عزَّ وجلَّ-، ورحمته، مُسْتَسْقِيًا لقومه، داعيًا مولاه أن تشملهم وتشمل أرضهم بلدًا بلدًا، ووديًا وديًا، وجبلًا جبلًا:

إنَّ هَذا الْجُمُودَ لِلسَّنَةِ الْشَّهْبَاء ... والْمُصْمَئِلَّةِ الدَّهْيَاءُ
فَأغِثْنَا إلاهَنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ... بِغَيْثٍ تَجُرُّهُ الأنْوَاءُ

(١) د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج١، ص١٧٥ وما بعدها.

يُنْعِشُ الْنَّاسَ فِي الْسَّوَارِحِ وَالوَحْـ ـــش وتَحْيَـى الجَدِيـدَةُ الْغَـــبْرَاءُ
فَلَكَمْ ثُـمَّ كَمْ رَأَيْتُ غُـــــيُوثًا لَـكَ تَقْتَادُهَـا الْرِّيَـاحُ الْرَّخَـــــاءُ
سَـاقِيَ الْشِّـحْر فَالْمَـزُون فَمَـا حَـــا زَت ذَوَاتُ القطيـفِ فَالأحســـاءُ
فَالْيَمَـاوَاتُ فالـكِلابُ فبَحْرَيْـــ ـــن فَحَـزْوَى تَمِيـم فَالْوعَـــسَاءُ
فالنمّـارانِ فاللّـوى مـــــن أثـالٍ فالْعَقِيقَـانِ عَاليَـا فَالْجَـــــواءُ
فكِثَـابُ الدَّبِيـلِ فَالْحُمْـرَةُ الْعَلْـــيَا فقَهْـرُ الْوحَـاف وَالْقَوْفَـــــاءُ
فعَلَـى مَـأْرِبٍ فَنَجْـرَان فَالْجَـــوْ فِ فَصَنْعَـاءَ صَبَّـةٌ عَـــزْلاءُ
فقـرَى الْحِنْـوِ فَالْمَنَاضِـج مِنْهَـــا فسُـروم الْكُـروم فَالْطَرْفَـــاءُ
رُوِيَـتْ فَهْـي لِلْنُّـزُولِ مِـنَ الغيـــ ـــثِ عَلَيْهَـا دَجِنَّـةٌ خَضْـــرَاءُ

إلـى آخـر مـا جـاء فيهـا، وقـد أحصيـت فـي هـذه الأبيـات أكثـر مـن خمسـين موضعًـا، وبصـرف النظـر عـن صحـة هـذه الأبيـات، ومـا وقـع فيهـا مـن زيـادات، إلا أنـه ذَكَـرَتْ وقَيَّـدَت مواطـن معروفـة، ووثَّـقَ مَحَـلَّات غَبَـرَ ذكـر بعضهـا، تعكـس -فـي الواقـع- وعيًـا عميقـا بجغرافيـة الجزيـرة العربيـة، ومسـايل الأوديـة فيهـا، وهـذا ممَّـا اختـصَّ بـه -لا ريـب- العـرب مـن بيـن سـائر الأمـم.



[صورة – ٨: أرض القطيف الساحلية]

جدير بالذكر أنَّ الجغرافيين وكتب البلدان عرَّفت بدورها بالقطيف، وطرقها، وحدودها، وتبعيَّتها؛ باختلاف الأزمان، وأكَّدَتِ الموقع المُهِمَّ الذي تَحْتَلُّه، وتعرَّضَت لبعض الجوانب التي لا تُلْتَمس عادة إلا من خلال مثل هذه المدونات؛ فممَّا جاء -مما رَصَدْتُهُ أثناء تحرير هذه العجالة- الآتي:

أ) قال الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م) في **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: «أمَّا مدينة القطيف فإنها مجاورة للبحر، وهي في ذاتها كبيرة، وبين القطيف والأحساء مرحلتان، ومن القطيف إلى حمص يومان، وهي على البحر الفارسي، ومن مدينة القطيف إلى بيشة مرحلة كبيرة، ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة برٌّ متصل لا عمارة فيه؛ أي ليس به حصن ولا مدينة، وإنما به أخْصَاص لقوم من العرب يُسَمَّون: عامر ربيعة. ومدن البحرين، منها: هجر، وحمص، والقطيف، والأحساء، وبيشة، والزارة، والخط؛ التي تنسب إليها الرماح الخطية»[١].

ب) وقال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) في **معجم البلدان**: «القطيف: مدينة بالبحرين، هي اليوم قصبتها، وأعظم مدنها، وكان قديمًا اسمًا لكورة هناك غلب عليها الآن اسم هذه المدينة، وقال الحفصي: القطيف قرية لجذيمة عبد القيس، وقال عمرو بن أسوى العبدي (ت: غير معلوم):

وَتَرَكْنَ عَنْتَرَ لا يُقَاتِلُ بَعْدَهَا أَهْلَ القَطِيفِ قِتَالَ خَيْلٍ تَنْفَعُ[٢]

ولما قدم وفد عبد القيس على النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال لسيّديها: الجون والجارود (ت ٢٠ هـ / ٦٤١ م)، وجعل يسألهما عن البلاد، فقالا: يا رسول الله دخلتها؟ قال: نعم دخلت هجَر، وأخذت إقليدها، وكان نجْدة الحروريُّ (ت ٦٩ هـ / ٦٨٨ م) أنفذ ابنه المطرح في خيل إلى عبد القيس بالقطيف ليتصدقهم، فقتل المطرح في الحرب، ثم انتصرت الخوارج عليهم، فقال حمل بن المعني العبدي (ت: غير معلوم):

(١) الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج١، ص٣٨٦.

(٢) في بعض المصادر: تنقع -بالقاف-؛ أي تثير النَّقْعْ.

نَصَحْتُ لِعَبْدِ الْقَيْسِ يَوْمَ قَطِيفِهَا فَمَا خَيْرُ نُصْحٍ قِيلَ لَمْ يُتَقَبَّلِ
فَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْقَطِيفِ فَوَارِسٌ حُمَاةٌ إِذا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ بِكَلْكَلِ»[1].

ورد ذكر القطيف -أيضًا- في كتب أدب الرحلات كثيرًا، وأدباء الرحلة غالبًا ما يُقدِّمون وصفًا تفصيليًّا لبعض الأمور التي تغيب عادة عن الكتب الموسوعية المعرفة بالبلدان، ويتطرقون -كذلك- لحوادث، وأخبار، وأعلام، وطرائف، وربما مهمات قد كُلّفوا بها، أو شغلوا أنفسهم بمتابعتها، مما لا يمكن العثور عليه إلا في مثل هذه الأعمال التي تقدم عادة إضافة نوعية قيمة، لا غنى لأيِّ دارس لتاريخ منطقة ما عنها. وللتمثيل فإنَّ من بين من ذكر القطيف من الرَّحَّالة العرب والأجانب، وقدَّموا ملاحظات قيِّمَة، ورصْدًا دقيقًا، ومشاهدات غنيَّة لها:

- جاء في **رحلة ابن بطوطة**، لمحمد بن عبد الله الطنجي (ت٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م): «ثم سافرنا إلى مدينة القطيف -كأنّه تصغير قِطف-: وهي مدينة كبيرة حسنة، ذات نخل كثير، يسكنها طوائف العرب»[2]. ثم أشار إلى انتماء أهلها المذهبي، ووصفهم بالشجاعة، وذكر شعارهم في الصلاة، يقول: «يظهرون الرفض جهارًا، لا يخافون أحدًا، ويقول مؤذِّنهم في أذانه بعد الشهادتين: أشهد أنَّ عليًّا وليّ الله، ويزيد بعد الحَيْعَلَتَيْنِ: حيَّ على خير العمل، ويزيد بعد التكبيرة الأخيرة: محمد وعلي خير البشر، من خالفهما فقد كفر»[3].
- وجاء في **رحلة للجزيرة العربية** لجورج ف. سادلبير (ت١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩م): «وسوف أحاول تقديم وصف تفصيلي للقطيف وجوارها، وبقدر ما تسمح لي ملاحظاتي غير الدقيقة. إنَّ خليج القطيف يمتد إلى ما يقارب عشرين ميلاً في العرض، ويحدّه عنق رملي طويل في الشمال، وانبساط

(١) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤٧٨.

(٢) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: د. عبد الهادي التازي (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ط: الأولى، ١٤١٧هـ)، ج٢، ص١٥١.

(٣) ابن بطوطة، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٥١.

صحـراوي فـي الجنـوب، وتسـمى آخـر نقطـة فـي الطـرف الشـمالي: رأس تنـوره. أمـا الأخـرى فـي الطـرف الجنوبـي الظهـران، وتقـع جزيـرة تـاروت فـي وسـط الخليـج وقـرب قمتـه، وتمتـد علـى مسـافة عشـرة أميـال مـن الشـمال الغربـي، وإلـى الجنـوب الشـرقي، وهـي جزيـرة تغطيهـا أشـجار النخيـل، وتكثـر فيهـا ينابيـع الميـاه العذبـة، ويمتـدُّ لسـان رملـي مـن هـذه الجزيـرة إلـى فوهـة الخليـج، ويقسـم البحـر إلـى مسـارين مائيين، وقـد وُصِـفَ فـي السـابق؛ فـإن المسـار الشـمالي [فيـه] عميـق وآمِـنٌ وصالـح للملاحـة، ويجـري فـي تـوازٍ مـع العنـق الرملـي فـي شـمال الخليـج. أمَّـا المسـار الجنوبـي فضَحْـلٌ وخَطِـرٌ، ويُحـاَذي الامتـدادَ الصَّحـراويَّ لجنـوب الخليـج، وعلـى مسـافة كبيـرة مـن الخـطِّ السَّـاحلي تفْصِلُـه عنـه ميـاه ضَحْلَـة، يقابلهـا علـى اليابسـة مرتفـع يشـبه كومـة القنـد (قمـع السـكر)، ويسـمى الظهـران، ويليـه إلـى الداخـل قلعـة الدمـام التـي تحيـط بهـا الميـاه مـن كل جانـب، وقـد تمـت صيانتهـا فـي المـدَّة الأخيـرة بواسـطة رحمـة بـن جابـر (ت ١٨٢٦ م). ولـو سـرنا إلـى الداخـل فسـنجد قريـة (سـيهات)، وعلـى مسـافة أربعـة أميـال مـن قلعـة القطيـب، والتـي تقـع فـي الحقيقـة علـى جزيـرة (تـاروت)، يقـع المسـار البحـري الشـمالي (والمناسـب للملاحـة) علـى مسـافة بعيـدة مـن القطيـف، ولـذا تضطـر السـفن العابـرة أن تتوقـف قـرب تـاروت، ويُعَـدُّ هـذا المسـار سـهلًا نسـبيًّا إذا مـا تركـت مسـافة قصيـرة بيـن السـفينة والسـاحل الشـمالي، وإلـى مسـافة قصيـرة مـن تـاروت، عندمـا تقابلـك جزيرتـان رمليتـان عنـد رأي الخليـج، ويبـدأ المنسـوب المائـي فـي النـزول، معطيًـا إنـذارًا مبكـرًا للسـفينة عـن ضحالـة الجـزء الباقـي مـن المسـار المائـي، فـي هـذا الجـزء تسـتطيع السـفن الاحتمـاء مـن العواصـف الشـمال الغربيـة، ولكـن القـاع رملـي بحـت. تأخـذ قلعـة القطيـف شـكلاً (معين)، ولهـا ثلاثـة أبـواب، ويقـع الضلـع الواسـع منهـا فـي الجهـة البحريـة. أمَّـا البنـاء السـكني فإنَّـه مقـام فـي الزاويـة الشـمالية والداخليـة للقلعـة، حيـث يقـع بئـر المـاء العـذب، ويقـال: إنَّـه بُنِـيَ بوسـاطة البرتغاليين، وتوجـد عـدة منـازل بداخـل أسـوار القلعـة. أمـا المجـرى المائـي المـؤدي لهـا فهـو أعمـق مـن ذلـك

الـذي فـي قريـة سـيهات»[1].

مـن جانبـه يُقـدِّم السـيد محمـود الألوسـي (معاصـر) فـي كتابـه **تاريـخ نجـد** وصفًـا يَسْـتَوعِي أقدارًا كبيـرة ممـا تقدم ذكـره، ورد فيـه: «وأمَّـا القطيـف فجهـة شـرقها علـى سـاحل البحـر، وهـي كالأحسـاء فـي النمـو والحواصـل. وجميـع سـكانه مـن الشـيعة، والقطيـف عـن الأحسـاء مسـافة ثـلاث مراحـل، والأحسـاء عـن نجـد مسـافة سـبع مراحـل، وبيـن القطيـف الدهنـاء وهـي رمـال، والصمّـان وهـي أرض يابسـة لا يوجـد فيهـا مـاء، والمسـافر منهمـا إلـى نجْـد لا بـد لـه مـن حمـل المـاء، وفـي جهـة القطيـف الشـرقية بنـدر العقيـر الواقـع علـى سـاحل البحـر؛ وهـو بنـدر الأحسـاء، وكان فيـه محل محصـن، مُعَـدًّا لتجـار نجـد الذيـن يسـافرون إلـى الأحسـاء؛ فإنهـم إذا وصلـوا إلـى هـذا المحـل جعلـوا أموالهـم فيـه، إلـى أن تأتيهـم الرواحـل فتحمـل أموالهـم إلـى الأحسـاء، ثـم فـي الجهـة الشـرقية مـن العقيـر (قطـر)؛ وهـي منـزل أهـل السـفائن مـن العـرب، الذيـن يغوصـون فـي البحـر لاسـتخراج اللؤلـؤ، وهـم قبائـل منهـم مـن قحطـان»[2].

ويستفاد من كل تلك النصوص الآتي:

- تعـد القطيـف فـي التـراث العربـي مـن قـرى الخَـطِّ، الـذي يضـم أسـياف البحريـن وعُمـان، ويعـرف بخَـطِّ عُمـان تـارة، وبخـط البحريـن تـارة أخـرى.
- امتـازت القطيـف بموقعهـا الإسـتراتيجي المهـم والملهـم؛ فـي ربـط السـاحل الغربـي للجزيـرة العربيـة بالضفـة المقابلـة لـه، وبالتجـارة العالميـة فـي ذلـك الوقـت، وكانـت محطـة تجاريـة، ومرفـأ بحريًّـا، ومَعْبَـرًا جـذب إليـه أنظـار الكثيريـن، فبـات -نتيجـة لذلـك؛ وهـي نتيجـة حتميـة ومنطقيـة- مَطْمَعًـا، تسـابق بعضهـم إلـى وضـع اليـد عليـه، وقطـع الطريـق -بالتالـي- عـن الآخريـن.
- سـكنت سـاحل القطيـف ومـا جـاوره قبائـل عربيـة مختلفـة، وشـهد أممًـا وشـعوبًا

(١) جـورج ف. سـادلبير، **رحلـة إلـى الجزيـرة العربيـة**، أو: **رحلـة عبـر الجزيـرة العربيـة مـن القطيـف علـى الخليـج العربـي إلـى ينبـع علـى البحـر الأحمـر عـام ١٨١٩م**، ترجمـة: د. عيسـى أميـن (وزارة الإعـلام، مملكـة البحريـن)، ص٣٥ ومـا بعدهـا.

(٢) الآلوسـي، محمـود شـكري، **تاريـخ نجـد**، اعتنـى بـه وعلـق عليـه: محمـد بهجـة الأثـري (د. ن، د. م، ط: الثانيـة ١٣٤٧هـ)، ص٣١ ومـا بعدها.

متعاقبة بمرور الزمن، من ثمّ تضمّ القطيف اليوم عددًا من المواقع الأثرية المهمة، وكانت مسرحًا للكثير من الأحداث.

- تنتظم البحرين التاريخية -في أقصى امتدادها- عددًا من الحواضر المحيطة بها، من الكويت إلى عُمان، وتعد القطيف واحدة من مخاليفها وحواضرها المنظور إليها، وقد وُصِفَت بأنها قصبتها، وأعظم مدنها.
- كان لعبد القيس خاصَّة حضورٌ مُهِمٌّ في هذه المنطقة، إلى جانب غيرها من القبائل، وقد شاركت جميعها في صناعة تاريخها الأدبي والحضاري، وتشكيل ملامح ماضيها، وحاضرها.
- لساحل القطيف تحديدًا أهمية حضارية خاصّة، في ربط الجزيرة العربية بالضفة المقابلة لها، وبالتجارة العالمية إلى الهند وغيرها من دول وحضارات العالم الحي يومئذٍ، ما مكَّنَ الأمم والشعوب الأخرى من التواصل والاتصال بها.
- يرد ذكر القطيف في كتب أدب الرحلات كثيرًا، وأدباء الرحلة غالبًا ما يقدمون وصفًا تفصيليًّا لها، ولأهم ما اشتملت عليه، وللأقوام والشعوب والقبائل التي سكنتها، ولبعض الحوادث التي شهدتها، وكانت مسرحًا لها، كما قدَّموا ملاحظات قيّمة، ورصدًا دقيقًا، ومشاهدات غنيَّة لها، لا تكاد توجد في كتب الجغرافيا والبلدان، المُعْتَنِيَة بهذه المنطقة.
- وصف بعض الرحالة القطيف بأنها مدينة كبيرة حسنة، ذات نخل كثير، يسكنها طوائف العرب، ويُعْرَف أهلها بمذهب إسلامي مُسْتَحْكم فيها، مُتغلغل في أرضها منذ وقت طويل جدًّا.
- تتبع القطيف جزيرة تاروت التاريخية، التي شهدت قبل الإسلام عبادة البعلة الفينيقية عشتاروت (آلهة الحب والجنس والجمال -في المعتقد الباطل-)، وربما سميت الجزيرة بها، وهي جزيرة منخلة، تتوقف فيها السفن التي تقصد القطيف عادة، وتكثر بها وبالقطيف عمومًا ينابيع المياه العذبة، التي يقصدها الناس حتى يوم الناس هذا للاستشفاء وغيره،

وتحوي القطيف وجزيرتها قلعتين تاريخيتين، جدَّد بناءهما من تعاقب على المنطقة من القوى المُتَغَلِّبَة؛ عبر الزمن.

- يقع في جهة القطيف الشرقية بندر العقير الساحلي؛ وهو بندر الأحساء، وكان فيه محل مُحَصَّنٌ، مُعَدٌّ لتجار نجد الذين يسافرون إلى الأحساء، يُحْرِزُون أموالهم ومتاعهم فيه، وفي الشرق من العقير (قطر)؛ وهي منزل أهل السفائن من العرب، الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ.
- تتبع القطيف، وتحيط بها، عدد من المدن والقرى التاريخية العتيقة، والمواقع الأثرية، والسبخات، والجبال، والمعالم القديمة، المذكورة في كتب الجغرافيا والبلدان والملاحة، من بين قراها ومعالمها -على سبيل التمثيل-: (البيضاء[1]، وداريـن[2]،

(١) **البيضاء**: قريات بالرَّمْلة في القطيف، فيها نخل [الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٥٣٠]. من القبائل التي قطنت بها جذيمة، قال شرّاب (معاصر) في **المعالم الأثيرة**: «جذيمة بن عوف: قبيلة من العدنانية، كانت منازلهم البيضاء؛ بناحية الخط، من شرقي السعودية، في نواحي القطيف. كانت إليهم سريّة خالد بن الوليد سنة ٨ هـ» [شرّاب، محمد بن محمد حسن، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، ص٨٨].

(٢) **دارين**: مركز إداري يتبع محافظة القطيف. قال البكري (ت٤٨٧هـ) في **معجم ما استعجم**: «وهي مرفأ سفن الهند بأنواع الطّيب، فيقال مسك دارين، وطيب دارين، وليس بدارين طيب، قال الجعديُّ:

أَلقَى فِيهَا فَلْجَانِ مِنْ مِسْكِ دَارِ ... يـنَ وَفَلْجٍ مِنْ فُلْفُلٍ ضَـرِمِ

وقال ابن مقبل:

كَأَنَّهُنَّ الْظِّبَاءُ الأُدْمُ أَسْكَنَهَا ... ضَالٌّ بِتَثْلِيثَ أَوْ ضَالٌّ بِدَارِينَا

وذكر أبو حاتم عن الأصمعيّ: أنّ كسرى سأل عن هذه القرية من بناها؟ فقالوا: دارين؛ أي عتيقة، بالفارسيّة. وقيل: بل كسرى قال: دارين، لما لم يدرِ أوّليّتها [البكري، **معجم ما استعجم**، ج٢، ص٥٣٩]. قال الحميري (ت٩٠٠ هـ/١٤٩٥م) في **الروض المعطار**: «ومن قصيدة ابن حمديس المشهورة:

وَرَاهِبَةٍ أَغْلَقَتْ دِيرَهَا ... فَكُنَّا مَعَ اللَّيْلِ زُوَّارَهَا

هَدَانَا إِلَيهَا شَذَا قَهْوَةٍ ... تُذِيعُ لأَنْفِكَ أَسْرَارَهَا

فَمَا فَازَ بِالْمِسْكِ إِلا فَتًى ... تَيَمَّمَ دَارِينَ أَوْ دَارَهَا

ولبعض المتأخرين:

وإذ تَتِمُّ وُشَاةُ الطِّيبِ عَنْكَ فَلا ... أَرَاكَ حَتَّى أُدَارِي مِسْكَ دَارِينَ

ولما نزل العلاء بن الحضرمي الخط لما وجهه الصديق -رضي الله عنه- لمحاربة عبد القيس حين ارتدوا، جاءه نصراني فقال له: ما لي إن دللتك على مخاضة تخوض منها الخيل إلى دارين؟ قال:

والزّارة[1]، والسيهات[2]،

ما تسألني؟ قال: أهل بيت بدارين، قال: هم لك، فخاض به وبالخيل إليهم، فظهر عليهم عنوة، وسبى أهلها، ثم رجع إلى عسكره، فحبس لهم البحر حتى خاضوه، وجازه العلاء وأصحابه مشياً على أرجلهم، وقد كانت تجري فيه السفن قبل، ثم جرت فيه بعد، فأظفره الله -تعالى- بهم، وسلموا إليه ما كانوا منعوه من الجزية التي صالحهم عليها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. ويروى أنه كان للعلاء بن الحضرمي ومن معه جؤار إلى الله -تعالى- في خوض هذا البحر، فأجاب الله -تعالى- دعاءهم، وفي ذلك يقول أحدهم:

أ لَـمْ تـرَ أنَّ اللهَ ذلَّـلَ بَحْـــــــرَهُ ... وَأنْـزَلَ بِالْكُفَّـار إحـدى الجَـــلائِلِ
دعُونَـا الَّـذِي شَـقَّ البِحَـارَ فَجَاءَنَـا ... بِأَعْظَـمَ مِـنْ فَلْـقِ الْبِحَـارِ الأَوَائـلِ

فلما رأى ذلك أهل الردة من أهل البحرين سألوه الصلح على ما صالح أهل هجر» [الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأمصار**، تح: إحسان عباس (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط: الثانية، ١٩٨٠م)، ص٢٣١].

(١) **الزَّارَة**: بلدة سعودية على الخليج العربي، تتبع محافظة القطيف بالمنطقة الشرقية، تقع في راهننا الحديث بالعوَّاميَّة. التي تحتل -كما ورد في وصفها- موقعا جغرافيا مهمًّا، يربط بينها وبين باقي مدن المنطقة الشرقية؛ فمن ناحية تقع في الجزء الشمالي من منطقة القطيف وما جاورها، ومن الشرق البحر، ومن الغرب ساحل البحر الشرقي، ومن الجنوب الشرقي بعض المناطق، أهمها مدينة القطيف، وتبعد عنها قرابة (٣) كم تقريبًا، وبعض المدن وقرى القطيف. وأما الحدود المثبتة في الصكوك القديمة لهذه المنطقة ما يلي: من الشمال تحده سبخة صفوى، ونقطة البداية من الدوار الكائن بين صَفْوى والعَوَّاميَّة، ومن الجنوب يحدُّها الجبل المسمى بـ (احْرِيف)؛ حيث نهاية سبخة العوامية الأصلية، ومن الشرق يحده الساحل المعروف بـ (ساحل الخليج العربي)، ومن الغرب يحدها سلسلة كبيرة من الكثبان الرملية والتلال المرتفعة، وهي ممتدة إلى مدينة الأوجام الواقعة في أقصى الغرب، وكان بين جغرافيتها القديمة وجغرافيتها الحديثة توسع ملحوظ؛ فقد اتسعت رقعتها الجغرافية كثيرًا على ما كانت عليه في غابر الزمان؛ فقد تطور العمران فيها فأصبحت مدينة عريقة كثيفة السكان، فيها الأحياء والأرياف الكبيرة [المشيخص عبد العظيم، **القطيف ومتعلقاتها. أبعاد وتطلعات**، ج٢، ص٤٥٩].

جاء في تعريف الزَّارة -التي تمثل جزءًا من العوّامية اليوم- ببعض المصادر: «بلدة، وفرضة قديمة على الخليج العربي، في نواحي القطيف حوالي ٧ كيلوات. تحدها من الشمال: عُنَك، ومن الجنوب: الدمام، ومن الشرق: الخليج، ومن الغرب: أم الحمام والجش والملاحة. عرفت سيهات في التاريخ القديم بعِدَّة أسماء، من هذه الأسماء: (أفان)؛ ذكر ذلك المسعودي في كتابه (التنبيه والأشراف)، ص٣٤١، وكانت تعرف بشميمة، وكانت تعرف بـ (سوهات)؛ أي الأرض التي ينشر عليها السمك، وعرفت -فيما بعد- بـ (سيهات)، وهو الاسم الحالي الذي عرفت به، وأرخت حوادثها وثقافتها ورجالها به، وبذلك عرفها وتحدث عنها المؤرخ الغربي المشهور لوريمر في كتابه (دليل الخليج العربي) ج٧، ص ٤٣٢ [المشيخص عبد العظيم، **القطيف ومتعلقاتها. أبعاد وتطلعات**، ج٢، ص٣٣٣].

وصفوى[1]،

(١) **صفـوى:** مدينـة تقـع فـي أقصـى شـمال الواحـة، علـى الطـرف الغربـي لمنطقـة زراعيـة منفصلـة، تفصلهـا مسـافة ميليـن أو ثلاثـة عـن منطقـة العواميـة الزراعيـة، ومـن جهـة الشـمال يقـع مواقـع جـاون الأثـري التاريخـي بنحـو سـتة كيلـو متـرات، وإلـى الغـرب منهـا مرتفـع يسـمى حـزم صفـوى؛ وهـو منطقـة سـكن القبائـل البدويـة قديمـا. وتقـدر مسـاحتها الحاليـة بسـتين كيلـو متـر مربـع، وخاصـة بعدمـا زادت رقعتهـا الجغرافيـة كثيـرًا؛ بعـد أن اتسـعت مـن جميـع الاتجاهـات [المشـيخص عبـد العظيـم، **القطيـف ومتعلقاتهـا. أبعـاد وتطلعـات**، ج٢، ص٣٨٥]. جـاء فـي المصـدر نفسـه -فـي معـرض الحديـث عـن البعـد التاريخـي لهـا- مـا نصُّـه: «مدينـة كبيـرة، عايشـت كثيـرًا مـن القبائـل والشـعوب والحضـارات، ولكنهـا قريبـة جـدًّا مـن مدينـة (جرهـا) التاريخيـة، التـي اسـتوطنتها شـعوب وقبائـل كثيـرة، أكسـبتها أهميـة تاريخيـة وجغرافيـة فـي تاريـخ القطيـف الأم؛ فقـد عثـر فيهـا علـى كثيـر مـن الآثـار القديمـة التـي تعـود إلـى ٢٥٠ سـنة قبـل الميـلاد، وأول مـن اكتشـف تاريخهـا التراثـي القديـم المُنَقِّـب الغربـي (بويـن)؛ فـي ٢٢ مـارس عـام ١٩٤٥ م، عـن طريـق الصدفـة التـي قادتـه إلـى مدينـة جـاوان القديمـة؛ فقـد عثـر فيهـا علـى عمـلات معدنيـة لملـوك الأنبـاط، وربمـا يكـون الحاكـم المعـروف فـي القـرن الرابـع فـي السـنة التاسـعة ق. م (أريتـس)، ووُجِـدَتْ عملـة نبطيـة أخـرى واقعـة فـي القبـور الكثيـرة فـي مدينـة جـاوان، عندمـا أزيـح كتـل التـراب مـن فـوق الأضرحـة، واكتشـف أربعـة قبـور أخـرى سـالمة غيـر معروفـة خـارج الضريـح، حيـث احتـوى القبـر علـى بعـض المجوهـرات الثمينـة، وهـي معروضـة فـي متحـف الريـاض حاليـا، وعثـر -أيضًـا- علـى هيـاكل عظميـة لمجموعـة مـن الأطفـال لـم يبلـغ عمـر الواحـد منهـم سـت سـنوات تقريبًـا، وتماثيـل صغيـرة مـن الجِـصّ، وأخـرى مـن المَرْمَـر، وواحـد مـن العـاج، ومـرآة برونزيـة، وطـاس مـن البرونـز، وشـظايا مـن العـاج، وكان هنـاك -كذلـك- طـوق ذهبـي، وأربعـة خواتـم ذهبيـة للشـعر، وقـارورة سـعة خمسـة سـم، مصنوعـة بطريقـة النفـخ، ووجـد هنـاك عـددًا مـن السـيوف مـن النحـاس والبرونـز» [المشـيخص عبـد العظيـم، **المصـدر نفسـه**، ج٢، ص٣٨٣]، وحـول أسـمائها التاريخيـة جـاء فـي الدراسـة ذاتهـا الآتـي: «أطلـق عليهـا فـي التاريـخ القديـم عـدة أسـماء، منهـا: الصفـا؛ ويعنـي الحجـر الصلـد الضخـم أو الأملـس، والصفـا كمـا جـاء فـي (معجـم البلـدان) هـو: نهـر بالبحريـن يتخلـج مـن عيـن محلـم، وجـاء علـى لسـان الشـاعر المشـهور لبيـد -وهـو يصـف نخـلًا نابتًـا علـى المـاء، وهـذا النخـل فـي هـذه المدينـة (الصفـا)-؛ يقـول:

سُـحُقٌ بِمَنْسَـعَةِ الصَّفَـا وَسَـرِيَّةٌ ... غُـمٌّ نَوَاعِـمُ بينهـنَّ كُـــــرومُ

وقال جرير -وهو يهجو العباس بن يزيد الكندي-:

ألا أَبْلِـغْ بَنِـي حجْـرِ بـنِ وَهْـبٍ ... بِـأَنَّ التَّمْـرَ حُلْـوٌ فِـي الشِّتَـاءِ

فعُـودُوا للنَّخيـلِ فَأَبْرُوهـــا ... وعِيشُـوا بالْمُشَـقَّرِ فَالْصَّفَـاءِ

ومما يؤكد أن الصفاء سابقا هي صفوى الحالية: وجود عين مُحَلِّم في هذه المدينة، وتقع بالقرب من مدينـة جـاوان التاريخيـة، وعرفـت -أيضًـا- باسـم صفـواء؛ حيـث وردت بهـذا اللفـظ فـي شـعر علـي بـن المقـرب العيونـي الأحسـائي، الـذي لعـب دورًا سياسـيًّا وأدبيًّـا فـي المنطقـة؛ بقولـه:

أَخَـذُوا الْحَسَـاءَ مِـنَ الْقَطِيـــــفِ ... إِلـى مَحَادِيثِ الْعُيونِ إِلـى نَقَـا حلْـوَانِ

والْخَـط مِـنْ صَفْـوَاء حَازُوهَـا فَمَـا ... أَبْقَـوا بِهـا شـبرًا إِلـى الظَّهْـــرَانِ

وآخر ما عرفت به (صفوى) -اسمها الآن-» [المشيخص عبد العظيم، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٨٤].

والقلعة[١]، وعُنَك[٢]،

(١) **القلعة**: كانت المدينة الرئيسية في القطيف تعرف باسم القلعة؛ لقسوة تحصينها، وتقع على ساحل الخليج في واحة من أشجار النخيل وجنان الفاكهة على منتصف الشاطئ الموازي للواحة، وقد تأسست على أنقاض مدينة «الخط» التي أنشأها في هذا الموقع على ما يظهر أردشير بن بابك في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي. ويذكر محمد سعيد المسلم أن القلعة كانت قديمًا تسمى باسم «جبرو»، وكانت مخزناً للتوابل والعطور الواردة من جزيرة تاروت، ثم أخذت المنازل حولها في الظهور في شكل قرية مأهولة بالصيادين، ولم تزل آخذة في النمو حتى أصبحت مدينة من أهم مدن الساحل، ولعل مركز الثقل انتقل إليها إثر زوال مدينة «الزارة»، من خريطة العمران سنة ٢٨٣ هـ، على يد أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، وكانت القلعة هذه في ما مضى تتخذ شكلًا بيضاويًّا، وتشتمل على أربعة أحياء، وهي محاطة بسور منيع، يبلغ سمكه سبعة أقدام، وارتفاعه ثلاثين قدمًا تقريبًا، والقلعة أربعة أبواب، منها باب في الشرق تجاه المرفأ، ويسمى «دروازة البحر»، وباب في الغرب يصلها بالواحة، ويسمى «دروازة باب الشمال»، وباب في الجنوب عند مدخل السوق ويسمى «دروازة السوق»، وباب في الشمال يصلها بحصن صغير، يقع بجانبه من ناحية الشمال. وقد كان هذا الحصن في ما مضى مقرًّا لجهاز الحكم، وكان يحيط بسور القلعة خندق عميق، فقد نقل «أبو الفداء» عن بعض أهل القطيف قولهم إن المدينة كانت بسور وخندق، ولها أربعة أبواب، والبحر إذا مدّ يصل إلى سورها، وإذا جزر انكشف جزء من الأرض، وقد ظلّ هذا الوصف مطابقًا لحال القطيف إلى خمسين سنة خلت، وقد توارى الخندق أولًا، ثم أخذ السور في التداعي إلى أن أزيل تمامًا، وكان القطيف سوقًا واحدة مستطيلة مسقوفة، تتألف من صفين من الحوانيت، التي يبلغ عددها زهاء ثلاثمائة حانوت، ويوجد في القلعة من الآثار التاريخية جامع قديم، وقد هجر هذا الجامع فتداعى بنيانه، ولم يبق منه بصورة سليمة سوى مئذنته العالية . وكان يكتنف القلعة من ناحيتها الغربية والجنوبية بعض الأحياء الصغيرة، ولم تظل هذه المدينة على ما وصفناه، فقد اتسعت من جميع أطرافها، فالتهمت تلك الأحياء الصغيرة والقريبة منها، وجزءًا من الأرض الزراعية حولها، وجزءا من مياه الخليج، التي كانت مياهه فيما مضى تلامس أسوار القلعة. وبالقطيف -علاوة على القلعة- عدة قرى وجزر، من أهمها جزيرة «تاروت» وجزيرة «دارين» ذات الشهرة الفائقة في تجارة العطور، وقد كان سكان القطيف في ما مضى يعتمدون في معيشتهم على الفلاحة والغوص على اللؤلؤ وصيد الأسماك، إلى جانب الاشتغال بالتجارة مع العراق وعُمان والهند والأقطار الأخرى. وكانت القطيف قد بلغت اوج ازدهارها إبان حكم الدولة العيونية، وقد اتخذها بعض الأمراء العيونيين مقرًّا لكرسي حكمه، وفي الشمال من القلعة تقع دار إمارتهم [آل ملا، عبد الرحمن بن عثمان بن محمد، **تاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين**، ص٥٥ وما بعدها].

(٢)**عُنَك**: مدينة سعودية على الساحل، تتبع محافظة القطيف، بالمنطقة الشرقية، تحدها جنوبا: سيهات، وشمالًا: مدينة القطيف، وغربًا: النابية وأم الحمام وغيرها. يقول فيها الراجز:

طَعْنُ غُلامٍ لَمْ يَجِنْكَ بِالْسَّمَك ولَمْ يُعَلَّل بِخَياشِيمِ عُنَك

... [المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ج١، ص٣٤١].

والقراح[١]، واللعباء[٢]، .. إلخ)، إلى جانب وفرة العيون المائية[٣]، التي عرفت بها المنطقة.

- يُعْتقد أن مملكة الجهراء[٤] القديمة تقع ضمن المنطقة التي تبدأ من كاظمة،

---

(١) **قُرَاح**: موضع بساحل البحرين، قال النّابغة:

كَأَنَّ الظَّعْنَ حِينَ طَفَوْنَ ظُهْرًا سفينُ الشِّحْرِ يَمَّمَتِ الْقَرَاحَا

وقيل: قراح: مدينة وادي القرى،...، وقال عمارة بن عقيل (هو من ساحل هجر، وأنشد لجدِّه جرير):

ظعَائِنُ لَمْ يَدِنَّ مَعَ النَّصَارَى وَلَمْ يَدْرِينَ مَا سَمَكُ الْقَرَاحِ

[البكري، عبد الله بن عبد العزيز البكريّ الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** (عالم الكتب، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٣هـ)، ج٣، ص١٠٥٦]. عن أبي عبيدة: قال: القراح: سيف القطيف، وأنشد للنابغة:

قَرَاحِيَّةٌ أَلْوَتْ بِلِيفٍ كَأَنَّهَا عَفَاءُ قُلُوصٍ طَارَ عَنْهَا تَوَاجِرُ

تواجر: تنفق في البيع لحسنها. وقال في قوله: (... وأنت قراحي بسيف الكواظم). قال أبو عمرو: قراح: قرية على شاطىء البحر؛ نسبة إليها [الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح، **تهذيب اللغة**، ت: محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م)، ج٤، ص٢٨].

(٢) **اللعباء**: سبخة معروفة، بناحية البحرين، بحذاء القطيف وسيف البحر [الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٢، ص٢٤٩]. قيل: في هذا الموضع حجارة ملس، سميت بذلك لأنها لعب فيها كل وادٍ؛ أي سال، والنسبة إليها: لَعْباني كالنسبة إلى صنعاء صنعاني [الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٨].

(٣) اختصت القطيف الأم ببعض العيون، مثل: (١- عين دبيبية، ٢- عين المقتنة، ٣- عين السليماني، ٤- عين أبو لوزة، ٥- عين القصاري، ٦- عين الحر، ٧- عين الحذيلة، ٨- عين البشري، ٩- عين غراء، ١٠- عين أم عمار، ١١- عين المروانية، ١٢- عين الخليفية، ١٣- عين المنصوري، ١٤- عين النشلات، ١٥ - عين المربع، ١٦ - عين القصير) [المشيخص عبد العظيم، **القطيف ومتعلقاتها. أبعاد وتطلعات**، ج١، ص٥٣]، هذا إلى جانب عشرات العيون الأخرى في الأوجام وأم الحمام والبحاري وتاروت والجارودية ومحيش والخويلدية وصفوى وعنك والعوامية والقديح وغيرها.

(٤) **الجهراء أو جرها، أو جره**: أسماء لمدينة مندثرة، ظهرت في القرن السابع قبل الميلاد، وازدهرت منذ القرن الثالث قبل الميلاد، واستمر حضورها حتى القرن الثالث الميلادي. اشتهرت بشدة ثرائها، وكانت مركزًا للتجارة في العالم القديم، التقت فيها البضائع القادمة والذاهبة إلى بلاد الإغريق والرومان، وممالك اليمن، والهند. شغلت جرها المؤرخين الإغريق، الذين خصصوا جزءًا أساسيًّا من كتاباتهم عن جزيرة العرب لوصفها ووصف مدى ثرائها. أما المؤرخون وعلماء الآثار المعاصرون، فقد حيّرتهم بسبب كونها مدينة مندثرة، لا زال من المتعثر القطع في موقعها. كانت جرها تقع على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وبالتحديد في نقطة التقاء طرق القوافل التجارية القديمة، القادمة من بلاد الرافدين شمالاً والمنطلقة إلى وادي الدواسر، ثم إلى قرية الفاو ونجران وبلاد اليمن جنوبا. وقد تفاوتت تخمينات وتقديرات علماء الآثار المعاصرين حول تحديد موقع مدينة جرها القديمة، ولكنها تركزت جميعها حول منطقة الساحل الشرقي في المملكة العربية السعودية، وبالتحديد في المنطقة المقابلة لمملكة البحرين. بالاستناد إلى كتابات المؤرخين الإغريق، ومقارنة ما وصفته مع

وتنتهي بمنطقة القطيف، أو هي في إحدى هذين الموضعين -وسيأتي الحديث عن ذلك-، ويرى فريق من المختصين أنها بالكويت خاصَّة[1]، بينما يرى فريق آخر أنها تتبع المملكة العربية السعودية اليوم.

ومما ينبغي التنبيه إليه -بحسب بعض المتخصصين- التأكيد على أن موقع مدينة القطيف قبل القرامطة يختلف عن القطيف التي يعرفها الناس اليوم (الفرضة)؛ إذ عُرِفَت بداية العصر الإسلامي بأنها إحدى قرى هجَر. وهي منطقة تشمل مدينة هجر القديمة وما حولها من القرى، كالقطيف والخَطِّ والزَّارة، وغيرها. وحين دمَّرَ القرامطة مدينة هجَر في أواخر القرن الثالث الهجري تنافست مدينة القطيف والخطِّ على مسمى منطقة هجَر، ويبدو أن اسم القطيف شمل جميع منطقة هجر وقراها، بما فيها الخط، حتى اندرس اسم قرية الخط، أو منطقة الخط (وإقليم الخط وساحلها)، وعرفت المنطقة بالقطيف منذ القرن السابع الهجري، وهو القرن الذي كانت فيه حركة نزوح إلى منطقة القطيف، وقيام قرى جديدة، واندرست قرى قائمة، حتى اختلط الأمر لدى المؤرخين بالنسبة لمواقع قرى القطيف التي كانت قائمة قبل قيام دولة القرامطة -كما يقول، مُسْتَدِلًّا على ذلك بجملة من الأدلة والنُّقول، التي تدعم هذا الرأي-[2].

المعالم الجغرافية في منطقة الأحساء، بما في ذلك ما اندثر من معالم الواحات والينابيع، وبالاستناد إلى ما أورده المؤرخون وبالتحديد فيما يتعلق بوقوع مدينة جرها قرب نهر باسم نهر «جره»، يذهب الباحث السعودي، عبد الخالق الجنبي، في كتابه (جِره؛ مدينة التجارة العالميّة القديمة)، إلى تحديد موقع جرها أنه يقع في السفح الشمال الغربي لجبل القارة، الذي يقع اليوم إلى الشرق من مدينة الهفوف المعاصرة، ويشير الجنبي إلى أنّ بقايا آثارها لا زالت تشاهد حتى الآن، وتحديدا في المكان المعروف الآن باسم «الكوارج». ووفق هذا الافتراض فإنّ السفن كانت تنتقل من جرها إلى البحر عبر النهر [خالد بشير، «الجهراء.. قصة أقدم مركز تجاري على ساحل الخليج العربي»، **حفريات.. صحيفة إلكترونية**، رئيس التحرير: د. سامح محمد إسماعيل (مركز دال للأبحاث والإنتاج الإعلامي، القاهرة، مصر: ٢-٣-٢٠٢٣م)، صفحة: تقارير].

(١) **الجهراء**: مدينة كويتية، حملت قديمًا اسم كاظمة وتيماء، وهي من أهم محافظات الكويت اليوم.

(٢) آل سلهام، حسين بن حسن، **ساحل القرامطة «دراسة تاريخية لقرامطة هجر (٢٨١ – ٣٧٨ هـ)»**، (الرافدين للطباعة والنشر، د. م، ط: الأولى ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م)، ص١٤٣ وما بعدها.



[صورة – ٩: قلعة تاروت التراثية[١]]

اليوم يُنْظَر إلى القطيف بوصفها حاضرة من حواضر العلم والأدب؛ فقد احتلت مكانة دينية، جعلت بعضهم يطلق عليها اسم: النجف الصغرى، وقد تخرَّج منها عدد كثير من العلماء والشعراء الكبار، الذين ارتبط بعضهم بالعراق؛ طلبا للعلم والأدب، أو للمعاش.

ختامًا؛ بتتبُّع ما كُتِبَ حول الخرائط الأجنبية الخاصة بالمنطقة، ودراسة حضور القطيف فيها، وكيف حافظت -دائمًا وأبدًا- على أهميتها الجيوسياسية، نجد الآتي:

م	العام	الرسام / المصدر	الاسم المستخدم	ملاحظات
١	١٥٩٨م	الفلمنكي جودوكوس هونديوس Flemish cartographer Jodocus Hondius (١٥٦٣-١٦١٢م)	Elcatif and Catiffa	نسخة أعدّت سنة ١٦١٦م، مطابقة للأصل، الذي يعود إلى السنة المذكورة، تحمل النسخة أسماء الأماكن اللاتينية. أسماء الأماكن على الخريطة غير واضحة.

(١) رابط مصدر الصور الموقع:
https://ar.tripadvisor.com/Attraction_Review-g14980406-d10538936-Reviews-Tarout_Castle-Al_Qatif_Eastern_Province.html



[خريطة – ٣: الجزيرة العربية، نشرت عام ١٥٩٨م، بواسطة: جودوكوس هونديوس (١٥٦٣-١٦١٢م). محفوظة ضمن أرشيف مكتبة الكونجرس الأمريكية].

- المصدر: **مكتبة الكونجرس**، الولايات المتحدة الأمريكية.
- الموقع:
- https://www.loc.gov/collections/world-digital-library/about-this-collection/
- الناقل الثانوي: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:
- https://arabian-anthropology.blogspot.com

٢	١٦٠٢م	Bertius	Catiffa	خريطة مصغرة للخليج، من المجموعة الأولى من اللوحات المستخدمة لتوضيح: Tabularum Geographicarum Contractarum
٣	١٦٠٣م	Petrus BERTIUS	Catiffa and ElCatif	خريطة أخرى مصغرة للجزيرة العربية، نُشرت في أمستردام، عارية من مقاييس الطول والعرض.
٤	١٦٠٦م	Petrus Bertius	Catiffa	نشرت بأمستردام؛ بوساطة كورنيليوم نيكولاي Cornelium Nicolai، ضمن: (الكتاب الخامس من الجداول الجغرافية التعاقدية) "Tabularum Geographicarum Contractarum Libri Quinque"

٥	١٦١٠م	Heinrich Gross jnr	Catiffa and Elcatif	خريطة نادرة لشبه الجزيرة العربية، حُبِّرَتْ بوساطة هاينريش جروس الابن؛ لطبعة ألمانية لرحلات لودوفيكو دي فارثيما Ludovico di Varthema (أو: Barthema، حوالي: ١٤٧٠-١٥١٧)؛ وهو أول أوروبي غير مسلم يدخل مكة.
٦	١٦١٢م	Barent Langenes	Catiffa	خريطة لمضيق هرمز، نُشِرَت بأمستردام من العام المذكور، وصدرت لأول مرة في كتابه: Caert-Thresoor، ثم أعاد بيرتيوس Bertius نشرها لاحقًا في كتابه: Tabularum Geographicarum، بدءًا من عام ١٦٠٠م.



[خريطة – ٤: مضيق هرمز، أعيد نشرها بداية ١٦٠٠م].

- المصدر: **BLR**، باري لورانس رويديرمان. خرائط قديمة.
- الموقع:

https://www.raremaps.com/gallery/detai

- الناقل الثانوي: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:

https://arabian-anthropology.blogspot.com

٧	١٦٢٥م	Hondius	Mare elcatif	خريطة هونديوس Hondius، للإمبراطورية التركية؛ من: صموئيل بورتشاس Samuel Purchas، هاكلويتوس بوستهوموس Hakluytus Posthumus، أو بورتشاس Purchas. تشير الخريطة بوضوح إلى الخليج، وتسمّيه: "مار القطيف".
٨	١٦٣٣م* * سنة النشر	Gerard Mercator (١٥١٢-١٥٩٤م)[١] وشارك في إخراج الأطلس عبر مراحل مختلفة آخرون، من أسرة هونديوس خاصّة.	Mare elcatif	الخريطة مأخوذة من الطبعة الألمانية لعام ١٦٣٣م، لأطلس مركاتور-هونديوس الشهير. يعتمد رسم الخرائط إلى حدٍّ كبير على خريطة أورتيليوس لعام ١٥٧٠م، والتي بدورها رسمت على خريطة سابقة كتبها الجغرافي الفينيسي جاكوبو غاستالدي (١٥٠٠-١٥٦٦).

(١) عقيب عام ١٦٢٠م، واصل هنريكوس هونديوس (حوالي ١٥٩٦ / ٩٧ – ١٦٥١م) نشر الأطلس؛ وهو الابن الثاني لجودوكس الأكبر. ظهرت طبعات مختلفة في أعوام ١٦٢٣ و١٦٢٨ و١٦٣٠م. وخلال فترة ٢٥ عامًا بعد نشر أول أطلس مركاتور-هونديوس، أفادت عائلة هونديوس من احتكارها للأطالس. لم يكن هناك منافسون على الإطلاق؛ حيث توقفت أعمال Vrients حوالي عام ١٦١٢ مع نشر إصدارات جديدة من مسرحية أورتيليوس. بالنسبة لعائلة هونديوس، لم يكن هناك سبب لتوسيع أطلسها أو تحسينه، ولم تختلف الأطالس العشرة المتتالية عن بعضها بعضًا، وكانت باللغة الفرنسية أو اللاتينية فقط. في عهد هونديوس الأب، تم توسيع الأطلس بست خرائط فقط، بينما لم تُسْتَبدَل أيّ خريطة قديمة لمركاتور بخريطة حديثة حتى عام ١٦١٩م. كان هنريكوس هونديوس أول من أجرى بعض التغييرات الحقيقية؛ ففي طبعة عام ١٦٢٨م قدم بعض خرائط مركاتور تحمل اسمه. وفي عام ١٦٣٠، عندما كان على الأرجح يتعاون بالفعل مع صهره يوهانس يانسونيوس، أضاف هنريكوس تسع خرائط جديدة [د.

٩	١٦٥٤م	Nicolas Sanson (ق١٧م)	Cattif	خريطة أعدت عام ١٦٥٤م بباريس. وضعت القطيف فيها باسم «قطيف» في منطقة البحرين (يشار إليها باسم «البهريم»)، المُطِلَّة على الخليج، والمعروفة باسم «مير القطيف». حدود المنطقة تشبه حدود إيالة لاهسا العثمانية Lahsa Eyalet
١٠	١٦٥٨م	Johannes Janssonius (١٥٨٨-١٦٦٤م)، Or Jan Jansson	يُطلق على مدينة القطيف: ElCatif، Desertum وعلى خليج القطيف: Mare Elcatif	نشر الخريطة رسام الخرائط الهولندي يوهانس يانسونيوس، أو جان يانسون، في العام المذكور. تُشْبِه خرائط يانسون خرائط ويليم يانسون بلاو (١٥٧١ - ١٦٣٨م)، مؤسس شركة بلاو لرسم الخرائط، ويُتهم يانسون أحيانًا بالنسخ من منافسه، لكن العديد من خرائطه تسبق خرائط بلاو، أو تغطي مناطق مختلفة. هذه الخريطة مشابهة جدًّا لخريطة Blaeu السابقة. تُظهر الخريطة عددًا أكبر من الأنهار في شبه الجزيرة العربية؛ بإجمالي ستة أنهار، مقارنةً بالعديد من الخرائط الأخرى. نُسِخَت بعض أسماء المدن بشكل سيّئ. هناك خطوط منقطة على طول السَّاحل في دولة الإمارات العربية المتحدة الحالية إلى ما وراء جزيرة البحرين. يُطلق على الخليج اسم: "Mare elcatif" (بحر القطيف)، ومضيق هرمز المسمى "Basora fretum" ، أو مضيق البصرة.

ماركو فان إجموند، «ملاحظات حول أطلس مركاتور وهونديوس (تأملات كونية في نسيج العالم)»، **الأطلس الشهير من تأليف مركاتور وهونديوس**، (جامعة أترخت، الموقع الرسمي، تم الاطلاع عليه بتاريخ: ٩-٦-٢٠٢٤م). عبر الموقع:https://www.uu.nl)، الصفحة الخاصة بـ : المجموعات، الخرائط والأطالس].

١١	١٦٧٥م	Wit, Frederik ,de (١٦٣٠م – ١٧٠٦م)	Catifa	الخريطة البورتولانية للناشر وبائع الخرائط الهولندي فريدريك دي فيت، نشرت في العام المذكور، حُدِّدت القطيف فيها بشكل واضح، وأطلق عليها مدينة "قطيفة"، ويُسَمَّى الخليج مار القطيف "بحر القطيف".
١٢	١٧٠٧م	Aa, Pieter van der (١٦٥٩- ١٧٣٣م)	El-Catif	هذه الخريطة ترجع للعام المذكور، لشبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها. يبدو أن الخريطة مبنية على عمل برتغالي سابق، وتستخدم مزيجًا من اللغات الهولندية واللاتينية والبرتغالية للعناوين وأسماء الأماكن. تغطي الخريطة فقط الأجزاء الشرقية والوسطى من شبه الجزيرة، والتي تختلف في شكلها عمّا هو موضح في العديد من الخرائط الأخرى. تُظهر الخريطة أربعة أنهار على الجانب العربي (الغربي)، لكنها تصل إلى عمق شبه الجزيرة أكثر من الخرائط الأخرى. يسمى الخليج فيها بالخليج الفارسي، أو خليج البصرة، ويسمى مضيق هرمز: فريتوم باسورا Fretum Bassora ، أو مضيق البصرة.
١٣	١٧٢١م	Guillaume de L'Isle (١٦٧٥- ١٧٢٦م)	El Catif	يرجع تاريخ هذه الخريطة إلى العام المذكور، رُسِمَت بوساطة صانع الخرائط الفرنسي غيوم دو ليسل. ويظهر جليًّا تسمية القطيف فيها باسمها المعروف.

١٤	١٧٤٠م	Bellin, Jacques-Nicolas (١٧٠٣ – ١٧٧٢م)	Al Katif	أعد هذه الخريطة -التي ترجع للعام المذكور- رسّام الخرائط ورسام الهيدروغرافيا الفرنسي جاك نيكولا. تُركِّزُ الخريطة حصريًّا على السواحل، ولا تقدم أيَّ تفاصيل حول المناطق الداخلية لشبه الجزيرة العربية، وتظهر ضفاف اللؤلؤ على طول الساحل من البحرين إلى جِلْفَار.
١٥	١٧٤٥م	Jacques-Nicolas Bellin (١٧٠٣-١٧٧٢م)	Al Katif	قسم مقتطع من النسخة الألمانية لخريطة جاك نيكولا بيلين، المنقوشة للجزيرة العربية والتي تظهر "القطيف".
١٦	١٧٤٩م	Robert de Vaugoudy (١٦٨٨-١٧٦٦م)	El Catif	خريطة فرنسية، صيغت بالعام المذكور، بوساطة روبرت دي فوجودي. القطيف تظهر فيها باسمها، وكذلك: "تاروت".
١٧	١٧٧٤م	وصف: Niebuhr, Carsten (١٧٣٣ – ١٨١٥م) نشر: S.J. Baalde and Utrecht J. van and Schoonhoven & comp	Katif	خريطة نُشِرَت في أمستردام بالسنة المذكورة، بوساطة: س. ج. بالدي وأوتريخت S.J. Baalde and Utrecht. مع جي فان ومجموعته. تتضمن الخريطة وصفًا للجزيرة العربية، مع بعض الملاحظات الشخصية، والمعلومات المجمعة محليًّا، التي قدّمها كارستن نيبور؛ أحد العلماء الذين شاركوا في البعثة الملكية الدنمركية لاكتشاف شبة الجزيرة العربية.

١٨	١٨٠٥م	–	El Katif	خريطة تظهر فيها حدود إيران قبل الاتفاقيات المبرمة مع كل من روسيا وبريطانيا.
١٩	١٨٣٥م	Thomas Gamaliel Bradford (١٨٠٢ – ١٨٨٧م)	Katif	أولى الخرائط الأمريكية للخليج العربي. رسم هذه الخريطة في السنة المذكورة مواطن من بوسطن، وفيها تظهر القطيف بدون تحلية بالألف واللام، وتظهر جزيرة تاروت باسمها، والأحساء بالتسهيل: "لْحَسَا".
٢٠	١٨٤٢م	Lapie, M (Pierre) (١٧٧٩ – ١٨٥٠م)	El Katif	نُشِرَت هذه الخريطة في باريس بالعام المذكور، على يد رسام الخرائط والنقاش الفرنسي بيير م. لابي. تحدد هذه الخريطة منطقة "القطيف" بأنها تمتد من خليج نصف القمر جنوب الظهران وصولاً إلى رأس الخير (ويسمى -أيضًا-: رأس الزور، رأس الزور)، والتي تسمى: "رأس الغاز".
٢١	١٨٤٨م	Lapie, M (Pierre) (١٧٧٩ – ١٨٥٠م)	El Katif	رسم هذه الخريطة التي ترجع للعام المذكور رسام الخرائط والنقاش الفرنسي بيير إم لابي.



[خريطة –٦: مقطع عرضي للساحل الغربي تحديدا، رسمه رسام الخرائط والنقاش الفرنسي بيير م. لابي، عام ١٨٤٨].

- المصدر: **مكتبة الكونجرس**، الولايات المتحدة الأمريكية.
- الموقع:

https://www.loc.gov/collections/world-digital-library/about-this-collection/#regions=middle-east-and-north-africa&item_type=map&time_periods=1800-1849&countries=SA

- الناقل الثانوي: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:

https://arabian-anthropology.blogspot.com

٢٢	١٨٥٢م	Thomas Cowperthwait & Co,	El Katif	تُظهر هذه الخريطة التي ترجع للعام المذكور من الأطلس العالمي الجديد (الولايات المتحدة الأمريكية) للناشر في فيلادلفيا توماس كوبرثويت وشركاه: مدينة القطيف وخليجه باسم "اِلْقطيف"، ويرد فيها ذكر تاروت، والأحساء -أيضًا-.

٢٣	١٨٥٥م	J.H. Colton (١٨٠٠- ١٨٩٣م)	El Katif	نُشِـرَت الخريطـة بواسـطة جـي. إتـش. كولتـون، بنيويـورك، فـي العـام المذكـور. تظهـر القطيـف فـي الخريطـة باسـمها المعتـاد؛ مـع كسـر الأول منهـا؛ هكـذا: "اِلْقطيـف".
٢٤	١٨٦٦م	C. Ohmann وآخرون	El Katif	الخريطـة أصدرهـا المعهـد الجغرافـي فايمـار)ألمانيـا) فـي العـام المشـار إليـه. وتظهـر القطيـف باسـم "اِلقطيـف" -مكسـورة الأول-، بينمـا تظهـر مدينـة الكويـت باسـمها.
٢٥	١٨٦٨م	Samuel Augustus Mitchell (١٧٩٢ – ١٨٦٨م)	El Katif	كان واضـع الخريطـة جغرافيًّـا ورسـام خرائـط أمريكيًـا مشـهورًا، وقـد نشـر هـذه الخريطـة فـي العـام المذكـور، مُشـيرًا إلـى القطيـف باسـم "اِلقطيـف" -مكسـور الأول-؛ كسـابقيه.
٢٦	١٨٧١م	المصدر: William Gifford نقش: J. Sulzer	Kateef	ظهـرت هـذه الخريطـة فـي كتـاب ويليـام جيفـورد بالجريـف: **سـرد شـخصي لرحلـة عـام عبـر وسـط وشـرق شـبه الجزيـرة العربيـة (١٨٦٢-٦٣)**، الصـادر عـام ١٨٧١م. الخريطـة نُقِشَـت بوسـاطة: ج. سـولزر، ببرلين، ونشـرتها دار ماكميـلان آنـد كونفينـت جـاردن، بلنـدن، فـي العـام المذكـور.



[خريطة – ٧، أ: قطر والهفوف والقطيف وغيرها من الحواضر]

- المصدر: **قصّ سرد ذاتي لرحلة عام عبر وسط وشرق شبه الجزيرة العربية** (١٨٦٢-١٨٦٣م)، لويليام جيفورد بالجريف.
- نقل، وتعليق: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:
- https://arabian-anthropology.blogspot.com

٢٧	١٨٨٥م	نشر: Edward Stanford (١٨٢٧ – ١٩٠٤م)	El Katiff	تُظهر هذه الخريطة التي وضعها الناشر البريطاني إدوارد ستانفورد في العام المذكور منطقة القطيف الواقعة تحت النفوذ العثماني، والتي حُدِّدت على طول الطريق حتى خليج نصف القمر جنوب الظهران. ترتبط مدينة القطيف، المرسومة بفائين، بأربعة طرق رئيسية مختلفة، تؤدي إلى حائل (موطن شمّر)، والدرعية، والبريمي (في عُمان)، والبصرة في الشمال. وتشير الخريطة -أيضًا- إلى رأس تنورة وجزيرة تاروت.

٢٨	١٨٩١م	Adolf Stieler (١٧٧٥ – ١٨٣٦م) and August Heinrich Petermann (١٨٢٢ – ١٨٧٨م) and Hermann Berghaus (١٨٢٠ – ١٨٩٠م) and Hermann Habenicht (١٨٤٤ – ١٩١٧م)	El Katif	تُظهر هذه الخريطة لولاية البصرة العثمانية، التي نشرتها جوتا: جوستوس بيرثيس: الطُرْقَ في المنطقة، من: البصرة، وصولًا إلى مدينة القطيف الساحلية الرئيسة، على الخليج، مرورًا بالكاظمية، والكويت.



[خريطة – ٨: الجزيرة العربية، وتظهر ولاية البصرة العثمانية ـوقتهاـ، والطرق السابقة منها حتى مدينة القطيف الساحلية الرئيسية على الخليج، مرورًا بالقصيمة (كاظمة أو كاظمة)، والكويت. نشرتها دار جوثا: جاستس بيرثتس].

- المصدر: **أطلس أدولف ستيلرز اليدوي.**
- الموقع:
https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Stielers_Handatlas_1891_59.jpg
- نقل، وتعليق: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:
https://arabian-anthropology.blogspot.com

٢٩	١٩٠٠م	Edward Stanford (١٨٢٧ – ١٩٠٤م)	El Katiff	خريطة بقلم: إدوارد ستانفورد. لندن، حوالي عام ١٩٠٠م. عنوان الغلاف: أطلس لندن، خريطة بلاد فارس. وتظهر القطيف في أسفل الخريطة باسم "القطيف".

٣٠	١٩٠٠م	Dr. Samuel Marinus Zwemer (١٨٦٧ – ١٩٥٢م)	El Katiff	خريطة بريطانية، نشرها المُبشِّر والأستاذ بجامعة برينستون: الدكتور صامويل مارينوس زويمر، بالعام المذكور؛ في كتابه **الجزيرة العربية: مهد الإسلام**[1].
٣١	١٩٠٠م	Freytag, Gustav (١٨٥٢ – ١٩٣٨م)	el Katif	رُسِمتْ هذه الخريطة في بداية القرن العشرين، على يد غوستاف فريتاغ. يظهر بها القطيف -مكسورة الأول كسابقاتها-، وتاروت، ورأس تنورة، والظهران، وغيرها.
٣٢	١٩٢٢م	Henry William Mardon (١٨٦٤ – ١٩٤٤م)	Qatif	خريطة وردت في **الموسوعة البريطانية**، لهنري ويليام ماردون وآخرين[2]، وهي تذكر بوضوح القطيف بدون تحلية، والحسا بالتحلية، والهفوف، والبحرين، وقطر.
٣٣	١٩٢٦م	Alfred Mason and Frederick Barney (١٩٢٦م)	Katif	خريطة شبه الجزيرة العربية، من: **تاريخ البعثة العربية**، لألفريد ماسون وفريدريك بارني.
٣٤	١٩٤٩م	رحلات: Lady Anne Blunt's journeys الناشر: John Murray	Katif	خريطة مُضَمَّنة ذكْرَ المدن الرئيسة في الساحل الشرقي للجزيرة العربية. تُعْرَفُ المنطقة بأكملها -طبقًا للخريطة- بمنطقة الحسا والقطيف.

(1) Dr. Samuel Marinus Zwemer, Arabia: The Cradle of Islam «Studies in the Geography, People and Politics of the Peninsula with an account of Islam and Mission – work),»- Fleming H. Revell Company Publishers of Evangelical Literature ,New York (, P. 411.

(2) Henry William Mardon, «ARABIA ,»**Encyclopædia Britannica**, (1922), v. 30, p. 164



[خريطة –٩: جزء من شريط الساحل الغربي، ١٩٤٩م، تظهر الكويت والقطيف والبحرين والهفوف (الهوفوف)؛ باعتبارها المدن الكبرى الوحيدة على الساحل الغربي للجزيرة العربية].

- المصدر: **مكتبة الكونجرس**، الولايات المتحدة الأمريكية.
- الموقع:

https://www.loc.gov/collections/world-digital-library/about-this-collection/#regions=middle-east-and-north-africa&item_type=map&time_periods=1850-1899&countries=SA

- نقل، وتعليق:

https://arabian-anthropology.blogspot.com

٣٥	١٩٥٥م	الناشر: Aeronautical Chart and Information Center المصدر:	AL Qatif	نُشِرَت خريطة الشرق الأوسط هذه في الأصل في أغسطس ١٩٥٠م، وروجعت في فبراير ١٩٥٥م، وقد أصدرها: مركز معلومات وخرائط الطيران «خدمة التصوير الجوي ورسوم الخرائط، وخدمة النقل الجوي العسكري (MATS)"، التابعة للقوات الجوية للولايات المتحدة. الخريطة هي واحدة من أولى الخرائط التي تستخدم الاسم اللاتيني الموحد للقطيف.

1-3- هجَر:

تعدُّ هجَر من أشهر الحواضر الخليجية. اقترنت بقدر كبير جدًّا من تاريخ المنطقة، وارتبطت بأحداثها الفارقة، وأسهمت بنصيب وافر من صناعة أدبها، ورفع عُمُد حضارتها -عبر التاريخ-. وأصل الهجر بلغة حمير والعرب العاربة: القرية، من ثَمَّ قيل: هجر البحرين، وهجر نجران، وهجر جازان، وهجر حصنة.. إلخ[١]. وقد وصفت بأنها مدينة عظيمة، مكتظَّة بالسُّكان، على ساحل البحر[٢]، وبأنها حاضرة البحرين[٣]، وقاعدتها[٤]، ومن أجلِّ مدنها[٥]، وقيل: ناحية البحرين كلها هجَر، وصوَّب ذلك الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) في **معجم البلدان**. قال بعدها: «والنّسبة إلى هجر: هاجري؛ على غير قياس، [ويقَال]: حاري؛ بالنسبة إلى الحيرة. قال عوف بن الجزع (جاهلي):

تَشُقُّ الأَجِزَّةَ سلافُنَا كَمَا شَقَّقَ الْهَاجِرِيُّ الدِّبَارَا

(١) ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٨٦.

(٢) مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، ص١٣٧.

(٣) القيرواني، عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تح: محمد حجي وآخرين (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م)، ج٣، ص٣٥٦.

(٤) قال عبد القادر الشنقيطي المالكي (ت١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) في **نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار**: «المراد بالقاعدة الجانب الكبير كالإقليم فلا ينافي أن هجر قاعدة من قواعده؛ قاله الزرقاني» [الشنقيطي، عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي، **نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار**، حققه وصححه جماعة من ذوي المؤلف، (نشر السيد الفاضل الشريف العزيزي بن المامي السباعي، نواكشوط، موريتانيا، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)، ج٢، ص٢١٥ وما بعدها].

(٥) الحموي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، (دار صادر، بيروت، د. م، د. ت) ج١، ص١٩.

الدبار: المشارات، التي تشق للزراعة، وقال أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) في **الحاوي**: «الذي جاء في الحديث ذكر القِلال الهجرية، قيل: إنها كانت تجلب من هجر إلى المدينة، ثم انقطع ذلك فعدمت، وقيل: هجر قرية قرب المدينة، وقال: بل عملت بالمدينة على مثل قلال هجر، وقال قوم: هجر بلاد قصبتها الصفا، وقد ذكرت في موضعها، بينها وبين اليمامة عشرة أيام، وبينها وبين البصرة خمسة عشر يومًا على الإبل، وقد ذكر قوم من أهل الأدب أن هجر لا تدخله الألف واللام، وقال ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م): الغالب عليه التذكير والصرف، وربما أنثوها ولم يصرفوها، قالوا: والهجر، بالألف واللام، موضع آخر»[1]. وسيأتي استعراض كلام الجغرافيين، وما ورد لدى البلدانيين وغيرهم؛ حول تحديد الموضع الدقيق لها، والجدلية الدائرة بشأن ذلك.



أمَّا ديانة أهلها قبل الإسلام فجاء في تفسير جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م) المعروف بـ **محاسن التأويل** ما نصُّه: «العرب أمة ليس لها في الأصل كتاب، وكانت كل طائفة تدين بدين من جاورها من الأمم؛ فكانت عرب البحرين مجوسًا؛ لمجاورتها فارس وتنوخ وبهرا، وبنو تغلب نصارى؛ لمجاورتهم للروم. وكانت قبائل من اليمن يهود؛ لمجاورتهم ليهود اليمن، فأجرى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أحكام الجزية، ولم يعتبر آباءهم، ولا متى دخلوا في أهل الكتاب. هل كان دخولهم قبل النسخ والتبديل أو بعده، ومن أين يعرفون ذلك، وكيف ينضبط، وما الذي دل عليه؟ وقد ثبت في السير والمغازي أنَّ من الأنصار من تَهَوَّد أبناؤهم بعد النسخ بشريعة عيسى، وأراد آباؤهم إكراههم على الإسلام، فأنزل الله -تعالى-: ﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وفي قوله لمعاذ: (خذ من كل حالم دينارًا)، دليل على أنها لا تؤخذ من صبي ولا امرأة»[2]،

(١) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٣٩٣.

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، **محاسن التأويل**، تح: محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨ هـ)، ج٥، ص٣٨٢ وما بعدها.

إلى آخر كلامه، ويؤخذ منه أن بعض ساكنتها كانوا مجوسًا، وبعضهم كتابيين -كما سيأتي-، وروي عن العلاء (ت ٢١ هـ / ٦٤٢ م)، أنه قال: (بعثني رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى البحرين، أو قال: إلى هَجَر، فكنتُ آتي الحائط يكون بين الإخوة، يسلم أحدهم، فآخذ من المسلم العشر، ومن المشرك الخراج)[1]، وقد أشار أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) في **فتوح البلدان** -كغيره من المؤرخين- إلى قصة إسلام أهلها، وكيف دخلوا في الدين الجديد، وإن كنا قد ذكرنا سلفًا طرفًا من ذلك. قال: «كان بها خلق كثير من العرب؛ من عبد القيس، وبكر بن وائل، وتميم؛ مقيمين في باديتها، وكان على العرب بها من قِبَل الفرس على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المنذر بن ساوى؛ أحد بني عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة، فلما كانت سنة ثمان وجَّه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي، حليف بني عبد الشمس إلى البحرين؛ ليدعو أهلها إلى الإسلام، أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوى، وإلى سيبخت مرزبان هجر، يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية، فأسلما، وأسلم معهما جميع العرب هناك، وبعض العجم. فأمَّا أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء، وكتب بينه وبينهم كتابًا، نسخته:

(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين. صالحهم على أن يكفونا العمل، ويقاسمونا التمر، فمن لم يَفِ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم دينارًا).

[قال:] حدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى البحرين: (أما بعد: فإنكم إذا أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ونصحتم لله ورسوله وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحَبِّ، ولم تُمَجِّسُوا أولادكم، فلكم ما أسلمتم عليه، غير أنَّ بَيْتَ الْنَّارِ لله ورسوله، وإن أبيتم فعليكم الجزية). فكَرِهَ المجوس واليهود الإسلام، وأحبُّوا أداء الجزية، فقال منافقو العرب: زعم محمد أنَّه لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، وقد قبلها من مجوس هجر، وهم غير أهل كتاب، فنزلت: ﴿يا

(١) البغدادي، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، **الخراج وصناعة الكتابة** (دار الرشيد للنشر، بغداد، ط: الأولى ١٩٨١م)، ص٢٧٨.

أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ [٥: ١٠٥]، وقد قيل إن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وجَّه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك، في سنة سِتٍّ»[١].

عرفت هجَر بكثرة نخلها، وجودة ثمره، وبثمرها يضرب المثل في الكثرة[٢]؛ حتى قال قائلهم: كناقلٍ تمْرًا إلى هجَر، أو كمُبْضِعٍ تَمْرًا إلى هجَر. قال القزويني (ت٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م) في **آثار البلاد وأخبار العباد**، واصفًا إيَّاها: «ذات خيرات كثيرة من النخل والرمان والتين والأترج والقطن»[٣]، وقال ابن رفاعة الهاشمي (بعد ٤٠٠ هـ / ١٠١٠م) في **الأمثال**: «كانت هجر معدن التّمر قِبَل العراقين؛ يجلب منها، ولا يجلب إليها»[٤].



[صورة – ١٠: إعادة إرث البحرين القديم في فسل النخل. المصدر: «بوابتك»[٥]]

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، **فتوح البلدان** (دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، ١٩٨٨م)، ص٨٥ وما بعدها.

(٢) المغربي، علي بن موسى بن سعيد، أبو الحسن، **الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى ١٩٧٠م)، ص٢٣.

(٣) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد** (دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت)، ص٢٨٠.

(٤) ابن رفاعة، زيد بن عبد الله بن مسعود، أبو الخير، **الأمثال** (دار سعد الدين، دمشق، «: الأولى ١٤٢٣هـ)، ص١٩٦.

(٥) ينظر الموقع الإلكتروني لـ «بوابتك» -بوابة البحرين-، بمنصة إكس، على الرابط:
https://x.com/Bwabtek/status/976745422533296128

وجاء في الأثر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أُريت في المنام أني أهاجر، من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وَهَلِي إلى أنها اليمامة، أو هَجَر، فإذا هي المدينة: يثرب»[1]. علَّقَ على المتن أبو العباس القرطبي (ت٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م) في **المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** كالآتي: «قوله: (فذهب وَهَلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة) أي: ذهب وهمي وظني. والوهَل -بفتح الهاء-: ما يقع في خاطر الإنسان، ويهم به. وقد يكون في موضع آخر: الغلط، وليس مرادًا هنا بوجه؛ لأنَّه لم يجزم بأنها واحدة منهما، وإنما جوَّز ذلك، إذ ليس في المنام ما يدلُّ على التعيين، وإنما أُرِيَ أرضًا ذات نخل، فخطر له ذانك الموضعان؛ لكونهما من أكثر البلاد نخلًا، ثم إنه لما هاجر إلى المدينة تعيَّنت له تلك الأرض، فأخبر عنها بعد هجرته إليها بقوله: (... فإذا هي المدينة)»[2].

وفي المباني الروائية: أنّ أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي (ت ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م) حدّث بعض الزبيريين بفضائل أهله، فقال له: الزّبيريّ: أتجلب التمر إلى هجر! فقال له أبو العيناء: نعم، إذا أجدبت أرضها، وعاوم نخلها؛ وكان أبو العيناء من أحضر الناس جوابا، وأجودهم بديهة، وأملحهم نادرة[3].

ونقل عن عمر -رضي الله تعالى عنه- (ت ٢٣ هـ / ٦٤٤ م) قوله: (عجبت لتاجر هجَر، وراكب البحر)؛ قال ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) في **غريب الحديث**: «يريد: كيف يختلف إليها مع شدة وبائها، ولراكب البحر كيف يركبه

---

(١) أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، **مقدمة تحقيق المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم**، إعداد: فريق من الباحثين، تصحيح: أحمد بسيوني (وزارة التعليم العالي، المدينة المنورة، ط: الأولى ١٤٣٣ هـ)، ج١٨، ص٥.

(٢) القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس، **المُفْهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ويوسف علي بديوي وأحمد محمد السيد ومحمود إبراهيم بزال (دار ابن كثير، دمشق – بيروت. دار الكلمة الطيب، دمشق – بيروت، ط: الأولى ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م)، ج٦، ص٣٦.

(٣) الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي، **أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية «عيسى البابي الحلبي وشركاه»، د. م، ط: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م)، ج١، ص٢٩٩.

للتجارة مع ما فيه من الخطار (المخاطرة) بالأنفس. لا أعلم للحديث وجهًا غير هذا. وكل موضع كثر نخله اشتد وباؤه. وروي في الحديث: (إنَّ الحمى في أصول النخل)»[1]. قلت: هكذا كانوا يعتقدون، غير أن الدكتور جواد علي (ت١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م) تيقظ، فاستدرك الأمر في **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ولم يذكره رأسًا، بل قال: «يظهر أنها كانت كثيرة المياه، ذات مستنقعات؛ لذلك تفشت بها الأوبئة»[2]، وقال في موضع آخر: «ومن هذه المواضع التي وُجِدَ فيها سَكَنٌ وزَرْعٌ (هجَر)، وقد اشتهرت بنخيلها، فقصدها الأعراب لامْتيار التمر منها، حتى ضُرِبَ بها المثل في كثرة التمر، فقيل: كمبضعٍ تمرًا إلى هجر. ويظهر أن مياهها كانت راكدة متجمعة، فتسبَّبَت في ظهور الأوبئة فيها»[3].

وتقدم ضرب المثل بقِلال هجَر، مع تنبيه بعضهم إلى أن هجر المقصودة هنا قرية أخرى قرب المدينة؛ فرَّقُوا بينهما؛ ويرى تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) في **إمتاع الأسماع** أن القول بأنها غيرها عارٍ عن الصواب، يقول: «وهو خطأ؛ فإن الّذي يناسب أن يهاجر إليه لا بد وأن يكون بلدًا كبيرًا كثيرَ الأهل، وهذه القرية التي قيل إنها كانت قرب المدينة يقال لها هجر لا يعرفها أحد، وإنما زعم ذلك بعض الناس، في قوله: «قلال هجر» إن المراد بها قرية كانت قرب المدينة كان يُصْنَعُ بها القلال، وزعم آخرون بأنَّ المراد بها هجر التي بالبحرين؛ كانت القِلال تُعْمَل بها، وتُجْلَب إلى المدينة، وعملت بالمدينة على مثالها»[4]، ونقل أبو الحسن السمهودي (ت٩١١هـ / ١٥٠٦م) في **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** هذا القول عن غير واحد من أهل العلم. قال: «قال الزركشي: وقيل هجر البحرين، وبه قال الأزهري، وهو الأسَدُّ. قلت: ولذا لم

(١) عبد الله بن مسلم الدينوري، ابن قتيبة، **غريب الحديث**، د. عبد الله الجبوري (مطبعة العاني، بغداد، ط: الأولى ١٣٩٧ هـ)، ج٢، ص٣٣.

(٢) د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٧، ص٢١٢.

(٣) د. جواد علي، **المصدر نفسه**، ج١٣، ص٤٤.

(٤) تقي الدين المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تح: محمد عبد الحميد النميسي (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، ج١٤، ص٤٢٦.

يذكرها المجد»[١].

قالوا -والشيء بالشيء يذكر-: إن القُلَّة المشهورة لدى أهل العلم هي قلة هجر، ومقدار الواحدة: مائتان وخمسون رطلًا. ومقدار الرطل بالجرام يساوي ٤٠٨ جرامات، وبذلك فالقلَّة الهجرية الواحدة بالجرام= ٢٥٠ ×٤٠٨ = ١٠٢٠٠٠ جرام؛ أي ١٠٢ كيلو جرامًا[٢].

وأوَّل مَنْ سكنها مِنَ القبائل العربية اليمانية[٣]، فليس بمستغرب إذن أنْ تُعَدَّ من اليمن -على القول بذلك طبعًا، وإلا فقد وُجِدَت هجر غيرها في اليمن-، على أنَّ هذا الهلالَ من اليمن إلى عمان والبحرين والعراق هلالٌ يماني -كما يروقُ لي تسميته-، وقد كانت -فيما نُقِلَ- قبائل الأزد تنتقل إلى عمان، حتى كثروا بها، وقويت أيديهم، واشتدت شوكتهم، وتظاهر بعضهم إلى بعض، ثم إنَّهم ملأوا عُمان، فانتشروا منها حتى نزلوا البحرين، وهجر، وفي ذلك يقول شاعرهم؛ وهو عامر بن ثعلبة (ت: غير معلوم)، حين نزلوا عُمان:

مِنَّا بِأَرْضِ عُمَانٍ سَادَةٌ رُجُحٌ عِنْدَ اللقَاءِ وَحَيٌّ دارُهُمْ هَجَرُ

فالأزد أول من نزل بعُمان من العرب، بعدهم سائر الناس، وذكروا أنَّ نزارًا كَثُرَت [بعدها] بناحية البحرين[٤]؛ ومما ينقل -في الموروث الأسطوري- أنَّ تَيْمَ اللَّاتِ بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وفرقة من بني رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الأشعريّين ساروا

(١) السمهودي، علي بن عبدالله بن أحمد، نور الدين أبو الحسن، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ)، ج٤، ص١٥٩.

(٢) المنيع، عبد الله بن سليمان، «تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة» **مجلة الشريعة الإسلامية** (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د. ت، العدد: ٥٩)، ص١٥٩.

(٣) ينظر -مثلا-: ابن قُرْقُول، أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني، **مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها**، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط: الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م)، ج٦، ص١٥٥.

(٤) بتصرف: الصحاري، سلمة بن مسلم العوتبي، **الأنساب** (وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط: الأولى، د. ت)، ص٢٣٦.

نحو البحرين، حتَّى وردوا هجَر، وبها يومئذٍ قوم من النّبط، فأجلوهم، فقال في ذلك مالك بن زهير [بن عمرو بن فهم بن تَيْمِ اللَّاتِ بن أسد ابن وبرة بن تغلب بن حلوان (ت: قبل ٢٠ ق. هـ)]:

نَزَعْنَا مِنْ تِهَامَةَ أيِّ حَيٍّ ... فَلَمْ تَحْفِلْ بَذَاكَ بَنُو نِزَارِ
وَلَمْ أكُ مِنْ أُنَاسِكُمُ وَلَكِنْ ... شَرَيْنَا دَارَ آنِسَةٍ بِدَارِ

قال: فلما نزلوا بهجر قالوا للزّرقاء بنت زهير (جاهلية)، وكانت كاهنة: ما تقولين يا زرقاء؟ قالت: سَعَفٌ وإهَانٌ، وتمْرٌ وألبان، خير من الهوان. ثمّ أنشأت تقول:

وَدِّعْ تِهَامَةَ لَا وَدَاعَ مُخَالِقٍ ... بِذِمَامِهِ لَكِنْ قِلًى وَمَلَام
لا تُنْكِرِي هَجَرًا مقَامَ غَرِيبَةٍ ... لَنْ تُعْدَمِي مِنْ ظَاعِنِينَ تهام

قالوا: فما ترين يا زرقاء؟ قالت: مقام وتنوخ، ما وُلِدَ مولود، وأنفقت فروخ، إلى أن يجيء غراب أبقع، أصمع أنزع، عليه خلخالا ذهب، فطار فألهب، ونفق فنعب، يقع على النّخلة السَّحوق، بين الدُّور والطريق، فسيروا على وتيره، ثم الحيرة الحيرة. فسمّيت تلك القبائل تنوخ؛ لقول الزرقاء: مقام وتنوخ. ولحق بهم قوم من الأزد[1]، فصاروا إلى وقت أو عهد ابن عباس في تنوخ، أو عهد البكري بعد الإسلام بعدَّة قرون[2].

ثم إنّ عبد القيس استوطنت هجَر وأرض البحرين، وكانت قبلها لإياد، ولها مع الأزد صولات وجولات فيها -كما تقدم-، قال البلاذري (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م) في **أنساب الأشراف**: «وكانت طائفة منهم بناحية البحرين. فخرجت عبد القيس، ومعهم بنو شن بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، تطلب المتسع، حتى بلغوا هجر وأرض البحرين. فرأوا بلدًا استحسنوه ورضوه. فضاموا من به من إياد والأزد، وشدُّوا خبلهم بالنخل. فقالت إياد: عرف النخل أهله؛ فذهبت مثلًا. واجتمعت عبد القيس والأزد على إياد، فأخرجوا عن الدار، فأتت العراق.

(١) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج١، ص٢١ وما بعدها.

(٢) الطيب، محمد بن سليمان، **موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية**، ج١، ص٢٧٦.

وكانت بنو شن أشدهم عليهم. فقال الشاعر:

وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَهْ وَافَقَهُ فَاعْتَنَقَهْ»[1].

قالوا: غلبت عبد القيس على البحرين، واقتسموها بينهم، ونزلت جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس: الخطّ وأعناءها، ونزلت شنّ بن أفصى بن عبد القيس طرفها وأدناها إلى العراق. ونزلت نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس وسط القطيف وما حوله، وقال ابن شبّة (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م): نزلت نكرة الشِّفَار والظَّهران، إلى الرمل وما بين هجر إلى قطر وبينونة؛ وإنما سمّيت بينونة لأنها وسط بين البحرين وعمان، فصارت بينهما.

ونزلت عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، والعمور -وهم بنو الدّيل بن عمرو، ومحارب بن عمرو، وعجل بن عمرو ابن وديعة بن لكيز بن أفصى، ومعهم عميرة بن أسد بن ربيعة حلفاء لهم- الجوف والعيون والأحساء، حذاء طرف الدَّهناء، وخالطوا أهل هجر في دارهم. ودخلت قبائل من عبد القيس فيهم -وهم بنو زاكية بن وابلة بن دهن بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وعمرو بن وديعة بن لكيز، والعوقة، وعوف بن الدّيل، وعائش بن الديل بن عمرو بن وديعة، وعمرو بن نكرة بن لكيز بن أفصى- جوف عُمان، فصاروا شركاء للأزد بها في بلادهم، وهم الأتلاد: أتلاد عُمان، ومعهم من الأتلاد من كان بها من بلقين وجرم ونهد وناجية، ومن لحق بهم من بني عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وبنى مالك بن سعد، وعوف بن سعد بن زيد مناة بن تميم[2].

وذكروا في التَّواريخ أنَّ سابورًا ذا الأكتاف نكَّلَ بأهلها، وفعَلَ بهم الأفاعيل،

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، **أنساب الأشراف**، تح: سهيل زكّار ورياض الزركلي (دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)، ج١، ص٢٧ وما بعدها.

(٢) البكري، عبدالله بن عبد العزيز، **معجم ما استعجم من أسماء**، ج١، ص٨١ وما بعدها.

ويبدو أن ذلك كان بعد استقرار عبد القيس، وبكر بن وائل، وتميم، واستيطانهم المكان؛ قال محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ / ٩٢٣م) في **تاريخه**: «ورد الخط، واستقرى بلاد البحرين، يقتل أهلها ولا يقبل فداء، ولا يعرِّج على غنيمة، ثم مضى على وجهه، فورد هجر، وبها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس، فأفشى فيهم القتل، وسفك فيهم من الدماء سَفْكًا سالت كسيل المطر، حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن ينجيه منه غار في جبل، ولا جزيرة في بحر، ثم عطف إلى بلاد عبد القيس، فأباد أهلها إلا من هرب منهم، فلحق بالرمال، ثم أتى اليمامة، فقتل بها مثل تلك المقتلة، ولم يمرَّ بماء من مياه العرب إلا عوَّره، ولا جبٍّ من جبابهم إلا طمَّه، ثم أتى قرب المدينة، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر، ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام، فقتل من وجد بها من العرب، وسبى وطمَّ مياههم، وإنه أسكن من بني تغلب من البحرين دارين -واسمها: هيج- والخط، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر، ومن كان من بكر بن وائل كرمان، وهم الذين يدعون بكر أبان، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرملية من بلاد الأهواز»[1]. وقال في خبر انتقام العرب منه بعدها: «إنّ سابور كان هادنَ قسطنطين ملك الروم، وهو الذي بني مدينة قسطنطينية، وكان أول من تنصَّرَ من ملوك الروم، وهلك قسطنطين، وفُرِّقَ ملكه بين ثلاثة بنين، كانوا له، فهلك بنوه الثلاثة، فملكت الروم عليهم رجلا من أهل بيت قسطنطين يقال له لليانوس، وكان يدين بملة الروم التي كانت قبل النصرانية، ويُسِرّ ذلك، ويظهر النصرانية قبل أن يملك، حتى إذا ملك أظهر ملة الروم، وأعادها كهيئتها، وأمرهم بإحيائها، وأمر بهدم البِيَع، وقتل الأساقفة وأحبار النصارى، وأنه جمع جموعًا من الروم والخزر، ومن كان في مملكته من العرب، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس.

(١) الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، تح: محمد بن أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف، مصر، ط: الثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م)، ج٢، ص٥٧ وما بعدها.



[رسم – ٢: تحالف العرب مع الروم ضد الفرس، باستخدام الذكاء الاصطناعي]

وانتهزت العرب بذلك السبب الفرصة من الانتقام من سابور، وما كان من قتله العرب، واجتمع في عسكر لليانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم، بعثه على مقدمته يسمى يوسانوس، وإن لليانوس سار حتى وقع ببلاد فارس، وانتهى إلى سابور كثرة من معه من جنود الروم والعرب والخزر، فهَالَهُ ذلك، ووجَّهَ عيونًا تأتيه بخبرهم ومبلغ عددهم وحالهم في شجاعتهم وعيشهم، فاختلفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوه به من الأخبار عن لليانوس وجنده، فتنكَّرَ سابور، وسار في أناس من ثقاته ليعاين عسكرهم، فلما اقترب من عسكر يوسانوس صاحب مقدمة لليانوس، وجَّه رهطًا ممن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحسسوا الأخبار، ويأتوه بها على حقائقها، فنذرت الروم بهم، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس، فلم يقر أحد منهم بالأمر الذي توجهوا له إلى عسكره، ما خلا رجلًا منهم أخبره بالقصة على وجهها، وبمكان سابور حيث كان، وسأله أن يُوجِّه معه جندًا، فيدفع إليهم سابور، فأرسل يوسانوس، حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلًا من بطانته، يعلمه ما لقي من أمره، وينذره، فارتحل سابور من الموضع الذي كان فيه إلى عسكره، وإن

مـن كان فـي عسـكر لليانـوس مـن العـرب سـألوه أن يـأذن لهـم فـي محاربـة سـابور، فأجابهـم إلـى مـا سـألوه، فزحفـوا إلـى سـابور، فقاتلـوه ففضـوا جمعـه، وقتلـوا منهـم مقتلـة عظيمـة، وهـرب سـابور فيمـن بقـي مـن جنـده»[1]، إلـى آخـر مـا ورد فـي الخبـر، والشـاهد مـن ذلـك كلِّـهِ ذكـر سـاكنة المـكان منهـم، ومـا كان منهـم مـن مشـاركة فـي أحـداث ذلـك الوقـت الفارقـة، وفـي صناعـة تاريـخ المنطقـة، وفـي الانتقـام ممَّـن ضامهـم، وألحـق بهـم الحيـف والأذى.

تعـرف هجـر تاريخيًّـا بأنهـا إحـدى مدينتـي البحريـن، فحيـن يعرفـون الرِّمـاح الخطيَّـة تجدهـم ينسـبونها لإحـدى مدينتـي البحريـن؛ قـال لإحداهمـا الخـط وللأخـرى هَجَـرُ، قـال أبـو سـهل الهـروي (ت٤٣٣ هـ / ١٠٤١م) فـي **إسـفار الفصيـح**: «(رمـح خَطِّـيٌّ، ورمـاح خَطِّيَّـة) -بتشـديد الطـاء والياء-: وهـو منسـوب إلـى الخَـطِّ؛ وهـي إحـدى مدينتـي البحريـن، يقـال لإحداهمـا: الخـط، والأخـرى: هجـر. والرمـاح تنبـت فـي بـلاد الهنـد، فيُجَـاء بهـا فـي السـفن إلـى الخـط، فتقـوَّم، وتصلـح بهـا، ثـم تفـرق منهـا فـي البـلاد، فنُسِـبَت إليهـا»[2]، ومثلـه قـول كـراع النمـل (بعـد ٣٠٩ هـ / ٩٢١م) فـي **المنتخـب مـن غريـب كلام العـرب**: «وأصـل الرمـاح مـن الهنـد، ولكـن السُّـفُنَ تَرْفَـأ إلـى الخـطِّ، ثـم تُفـرق منهـا فـي البلـدان، ومنهـا الرُّدَيْنِيَّـةُ: منسـوبة إلـى رُدَيْنَـة؛ امـرأة كانـت تبيـع الرمـاح، ومنهـا السَّـمْهَرِيَّة، يقـال إنهـا منسـوبة إلـى موضـع، ويقـال: هـي الصلبـة؛ مـن قولهـم: اسْـمَهَرَّ الأمـر إذا اشـتدَّ، ومنهـا اليَزَنِيَّـة: منسـوبة إلـى ذي يَـزَنٍ ملـك مـن ملـوك اليمـن، يقـال: إنـه أول مـن عُملـت لـه الرِّمَـاح، ويَـزَنٌ: موضـع ...»[3]، وقـال فـي **المنجـد فـي اللغـة**: «الخـط: إحـدى مدينتـي البحريـن، والأخـرى هجـر، وقـال [مـن الرجـز]:

جَاءَتْ مِنَ الْخَطِّ وَجَاءَتْ مِنْ هجَرْ

(١) الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، ج٢، ص٥٨ وما بعدها.

(٢) الهـروي، محمـد بـن علـي بـن محمـد، أبـو سـهل، **إسـفار الفصيـح**، أحمـد بـن سـعيد بـن محمـد قشـاش (الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة، المملكـة العربيـة السـعودية، ط: الأولـى ١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٥٩٠.

(٣) كـراع النمـل، أبـو الحسـن علـي بـن الحسـن الهنائـي، **المنتخـب مـن غريـب كلام العـرب**، تـح: د. محمـد بـن أحمـد العمـري (جامعـة أم القـرى «معهـد البحـوث العلميـة وإحيـاء التـراث الإسـلامي»، المملكـة العربيـة السـعودية، الطبعـة الأولـى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ص٤٩٣.

ومنه قيل للرماح الخطيّة: رمح خَطِّي، وأصلها من الهند، ولكنها ترفأ إلى الخط، ثم تفرق منها في البلدان»[1].

وفي حوادث سنة سبع وثمانين ومائتين غلُظَ أمر القرامطة بالبحرين، وأغاروا على نواحي هجر، وقرب بعضهم من نواحي البصرة، وولَّى المعتضد (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م) العبَّاس بن عمرو الغنوي (ت ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م) اليمامة والبحرين، ومحاربة أبي سعيد الجنابي (ت ٣٠١ هـ / ٩١٤ م) والقرامطة، وضمَّ إليه زهاء ألفي رجل، فشخَصَ العبَّاس إلى البصرة ومنها إلى البحرين واليمامة[2]. وجعل سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م) ذلك في حوادث ست وثمانين، قال في **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**: «وفيها ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي [بالبحرين]، واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة، وكان خروجه في أول هذه السنة، ثم قَوِيَ أمره في جمادى الآخرة، وكثُرَ أصحابه، فقتل من حوله من أهل القرى، وسار إلى مكان بينه وبين البصرة مراحل، يقال له: القطيف، فقتل من كان به، وأظهر أنه يريد البصرة، فأرسل المعتضد إلى البصرة، فبنى عليها سورًا، فقدرت نفقته بأربعة عشر ألف دينار. وغلب أبو سعيد على هجر وأعمالها، وكان رجلا كيَّالًا بالبصرة، يبيع الطعام للناس بناحية الزارة، وجنابة قرية من قرى الأهواز، وقيل: من أعمال البصرة، وقيل: من البحرين.

وكان يتردَّد إلى البصرة وإلى القطيف والبحرين رجل يقال له: يحيى بن علي (حي ٢٨١ هـ)، ويزعم أنه رسول المهدي، ويبث فيهم الدعوة سرًّا، ويأخذ أموالهم، ويجيء إلى البصرة فينزل على أبي سعيد الجنابي، ويقول أبو سعيد لامرأته: إن أرادك رسول المهدي على نفسك فلا تمنعيه. وعلم به عامل البصرة وهو أحمد بن محمد الواثقي (حي ٢٩١ هـ)، فأخذ يحيى بن علي رسول المهدي

(١) كراع النمل، أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، **المنجد في اللغة**، تح: د. أحمد مختار عمر، ود. ضاحي عبد الباقي (عالم الكتب، القاهرة، ط: الثانية، ١٩٨٨ م)، ص١٩٣.

(٢) أبو علي، مسكويه الرازي، أحمد بن محمد بن يعقوب، أبو علي، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تح: د. أحمد مختار عمر، ود. ضاحي عبد الباقي (دار شروس للطباعة والنشر، طهران، ط: الثانية ٢٠٠٢م)، ج٥، ص٩.

فضربه بالسياط، وحلق رأسه ولحيته، وعلم أبو سعيد (ت ٣٠١ هـ / ٩١٤ م)، فهرب من البصرة، واجتمع إليه من كان على مثل رأيه، فخرج وعمل ما عمل، وقال الصولي: كان أبو سعيد فقيرًا يرفو أعدال الدقيق بدار البصرة، وكان يُسْخَر منه ويُسْتَخَفُّ به، فخرج إلى البحرين، فانضاف إليه جماعة من الزنج وقُطَّاع الطريق، وأفسد، وعاث، ونشر الدعوة، وتفاقم أمره، حتى بعث إليه الخليفة جيوشًا وهو يهزمها، وهو جدُّ أبي علي الذي استولى على الشام، ومات بالرملة سنة خمس وستين وثلاث مئة»[1].



ويصف الدواداري (بعد ٧٣٦ هـ / ١٤٣٢م) في **كنز الدرر وجامع الغرر** جانبًا من تلك الأحوال، وتغوّل ملك أبي سعيد، وتنكيله بمن ظفر به، والحدود التي انتهى إليها؛ قائلًا: «وكان لا يظفر بقرية إلاّ قتل أهلها ونهبها. فهابه الناس، وأجابه كثير منهم طلبًا للسّلم، ورحل من البلد خلق كثير إلى نواحي مختلفة، ولم تمتنع عليه إلاّ هجر؛ وهي مدينة البحرين، ومحلّ سلطانها، فقاتل أهلها ونازلها شهورًا، فلما طال عليه أمرها ابتنى بالأحساء دارًا، وبينها وبين هجر ميلان، واتخذها منزلًا، وأجابه كثير من العرب، كبني الأضبط ابن كلاب؛ لأنّ عشيرتهم كانوا أصابوا فيهم دمًا، فساروا إليه بحريمهم وأموالهم، فنزلوا الأحسآء، وأطمعوه في بني كلاب وسائر مَنْ بقربهم من الأعراب، وطلبوا منه أن يضمّ إليهم رجالًا من قِبَلِه، ففعل ذلك، ولقوا بهم عشيرتهم، فاقتتلوا، فهزمتهم القرامطة، وأخذوا الحريم والأموال، وعادوا إلى الأحسآء، فاضطّر المغلوبين إلى أن دخلوا في طاعته، ثم إنه وجَّهَ بجيش آخر إلى بني عقيل فظفر بهم، فدخلوا -أيضًا- في طاعته، فملك سائر تلك البلاد، وجمع من أولاد الأعراب من لم يبلغ أربع سنين، وجعلهم في دور،

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تح: محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي (دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط: الأولى ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م)، ج١٦، ص٢٣٩ وما بعدها.

وأقام عليهم قومًا يقومون بجميع مصالحهم، ووسم جميعهم على الخدود؛ لئلاّ يختلطون بغيرهم، وعرّف عليهم عُرَفاء، وشرع في تعليمهم الفروسية، فنشأوا لا يعرفون غيره، وغير دعوته طبعًا لهم، وقبض الأموال من جميع تلك النواحي والثمار والغِلال، ورتّب الرّعاة في الإبل والمواشي، ورتّب قومًا لحفظها.

ثم تفرّغ لهجر وحاصرها، حتى بلغ بهم الجهد، وأكلوا السنانير والكلاب. وكان حصارهم يزيد على عشرين شهرًا. وآخر أمرهم أنه عمل الحيلة حتى قطع عنهم الماء الواصلة إليهم في حديث طويل، فلما انقطع عنهم المياه أيقنوا بالهلاك، فهرب بعضهم نحو البحر، فركبوه إلى الجزيرة وإلى سيراف وغيرهما، ودخل قوم منها في دعوته، فنقلهم إلى الأحساء، ثم إنّه أخربها دكًّا فهي إلى الآن خراب، وعادت الأحساء مدينة البحرين»[1].

وينقل في التاريخ أن أبا سعيد (ت ٣٠١ هـ / ٩١٤ م) لما استولى على هجر وخرَّبها أنفذ سريّة من أصحابه ستمائة فارس إلى عُمان، فوردت على غفلة، فقتلوا ونهبوا وأسروا في عمل عُمان، وأنفذ أهل عُمان سريّة إليهم في ستمائة رجل من أهل النَّجدة، فأدركوهم، فجعلت القرامطة ما غنموه وراء ظهورهم، وأقبلوا نحو أهل عُمان فاقتتلوا، حتى تكسّرت الرماح وتقطّعت السيوف وتعانقوا، وتكادموا وتراضخوا بالحجارة، فلم تغرب الشمس حتى تفانوا، فبقي من أهل عُمان خمسة نفر لا حراك بهم، ومن القرامطة ستة نفر مجرّحين، إلا أنهم أحسن حالًا من العمانيّة، فركب القرامطة ست رواحل، وعادوا إلى أبي سعيد، فأخبروه الخبر، واعتذروا إليه، فلم يقبل عذرهم، وأمر بهم فقتلوا، وقال: هؤلاء خاسوا بعهدي، ولم يواسوا أصحابهم الذين قُتِلُوا، فأنزلت بهم ما كانوا له أهلًا، وتطيّر بهلاك السريّة، وأمسك عن أهل عُمان[2].

(١) الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تح: صلاح الدين المنجد (عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ط، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م)، ج٦، ص٥٦ وما بعدها.

(٢) النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ)، ج٢٥، ص٢٣٨.

وفي أحداث سنة سبع عشرة وثلاثمئة دخل القرامطة مكة، واقتلعوا الحجر الأسود، ونكَّلوا بأهلها. قال الذهبي (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) في **تاريخ الإسلام**: «فيها سيَّر المقتدر الركب مع منصور الديلمي، فوصلوا إلى مكة سالمين، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي، فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلًا ذريعًا وفي فجاج مكة وفي داخل البيت، وقتل ابن محارب أمير مكة، وعرَّى البيت، وقلع بابه، واقتلع الحجر الأسود فأخذه، وطرح القتلى في بئر زمزم، ورجع إلى بلاد هجر ومعه الحجر الأسود، وامتلأت فِجَاج مكة بالقتلى»[١]. وقد دامت نارُ شُرُورِ القرامطة مندلعة تتأجج من سنة ٣٠١ هـ إلى سنة ٣٧٣ هـ، وفي رأي إلى عام ٣٨٤هـ؛ استطاع فيها القرامطة إغواء كثير من الناس، وأدخلوهم في زمرتهم ومذهبهم، وأغار هؤلاء على البلاد، وقتلوا ونهبوا وهدموا؛ إذ خرَّبوا الكوفة سنة ٢٧٨هـ، والبحرين سنة ٢٨٦هـ، والشام سنة ٢٨٩هـ، ودمشق ٢٩٠هـ، والشام مرة ثانية سنة ٢٩٣هـ، والبصرة سنة ٣٠٧ هـ، والكوفة سنة ٣١٣هـ، والأنبار سنة ٣١٥هـ، وبعد ذلك بعام الْرَّحْبَة والْرِّقَّة والهَيْط، ومكة المعظمة سنة ٣١٧هـ [-كما ورد-]، ودمشق مرة ثانية سنة ٣٦٠هـ، وهجموا على هذه البلاد، وقتلوا سكانها، وخرَّبوا منازلها، وأخلُّوا بنظام الأمن في تلك البلاد. واستأصلوا حجاج قوافل العراق في السنين ٢٩٤ و٣١٢ و٣٥٥ و٣٦١ هـ، وأغلقوا طريق بيت الله العتيق طريق الفيض والنور في السنين ٣١٤ و٣٥٦ و٣٦٣ و٣٨٤ هـ، ووصلوا إلى الذروة في فن الإجرام؛ إذ منعوا أداء فريضة الحج مدة تسع سنوات؛ كما يذكر صبري أيوب باشا (ت١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠م) في موسوعته **مرآة الحرمين الشريفين والجزيرة العربية**[٢].

(١) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٢٣، ص٣٨٠.

(٢) أيوب صبري باشا، **موسوعة مرآة الحرمين الشريفين والجزيرة العربية**، ترجمة: د. ماجدة مخلوف وآخرون (دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٨٥٧.



[خريطة – ١٠: امتداد العيونيين. المصدر: الدولة العيونية في البحرين (٤٦٩-٦٣٦هـ/ ١٠٧٦-١٢٨٣م) لعبد الرحمن المديرس، ص٢٣٠].

جدير بالذكر أن العيونيين قضوا على القرامطة، وقامت لهم دولة ذات تاريخ مهمٍّ في الخطِّ، تعرف بالدولة العيونية، امتدَّ ملكهم (في ذروته) من البصرة إلى أطراف عُمان، من سنة ٤٦٦ إلى سنة ٦٣٣هـ، خلَّد أخبارهم وآثارهم شاعرهم الفذُّ، ابن مقرب العيوني (ت ٦٢٩ هـ/ ١٢٣٢ م)، يقول المعولي (ت١١٩٠ هـ/ ١٧٧٧م) في **قصص وأخبار جرت في عُمان**: «وكان سبب زوال ملكهـ [ـم] على يد عبد الله بن علي [العيوني (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م)]، وكان قيامه عليه بأربعمائة رجل، وكانوا في عساكر جمَّة وجنود كثيرة، ظلت في محاربتهم سبع سنين، حتى انتزع الدولة منهم، والله أعلم. وفي ذلك يقول جمال الدين [...] علي بن مقرب (ت ٦٢٩ هـ/ ١٢٣٢ م) [من البسيط]:

سَلَ الْقَرَامِطَ مَنْ شَظَّى جَمَاجِمَهُمْ ... فَلْقًا وَغَادَرَهُمْ بَعْدَ الْعُلَا خَدَمَا
مِنْ بَعْدِ أنْ جَلَّ بِالْبَحْرَيْنِ شَأْنُهُمُ ... وَأرْجَفُوا الْشَّامَ بِالْغَارَاتِ وَالْحَرَمَا
وَلَمْ تَزَلْ خَيْلُهُمْ تَغْشَى سَنَابِكُهَا ... أَرْضَ الْعِرَاقِ وَتَغْشَى تَارَةً أَدَمَا
وحرَّقوا عبد قيسٍ في منازِلِهَا ... وصيَّروا الغُرَّ مِنْ سَاداتها خدَمَا
وأبْطَلُوا الصلواتِ الخمسَ وانتهكوا ... شهرَ الصِّيامِ ونَصُّوا مِنْهمُ صنمًا
وما بَنَوْا مسجدًا لله نعرفه ... بل كلّ ما وجدوهُ قائمًا هُدِمَا
حتى حمَيْنَا عَلَى الإسْلامِ وانْتَدَبَتْ ... مِنَّا فَوارسُ تَجْلو الْكَرْبَ وَالظُّلَمَا

وطَالَبَتْنَا بنو الأعمامِ عادتنا ... فلم تجدْ بَكَمًا فينا ولا صَمَمَا
وقلَّدَ الأمرَ مِنَّا ماجدًا نجدًا ... يَشْفِي ويَكْفِي إذا مَا حَادِثٌ دَهَمَا
ماضي العزيمةِ مأمونٌ نقيبتُهُ ... أعلا نزارٍ إلى غاياتِهَا هِمَمَا
وسارَ تتبعه غُرٌّ غطارفةٌ ... لو زاحمتْ سدَّ ذي القرنين ما سَلِمَا

هذه الأبيات من قصيدة له طويلة»[1].

دامت إمارة العيونيين زهاء ١٧٠ سنة، تداول فيها حكم الأحساء نحو عشرين أميرًا، وانتهت باستيلاء أبي بكر بن سعد الزنجي على الأحساء والقطيف، سنة ٦٤١هـ، بعد احتلاله البحرين سنة ٦٣٣[2].

على أن تاريخ هذا الامتداد مما يطول بالاسترسال فيه الكلام، وسنعقد لبعض ما يعنينا منه حديثًا آخر عند تفصيل الكلام حول الصِّلات.

هذا؛ ويرد ذكر هجَر وإقليم البحرين عمومًا -عودًا على بدء-، في كتب المعجميين والبلدانيين والجغرافيين؛ على النحو الآتي؛ تتمة للكلام حول هذا المبحث؛ وإنْ خرج بنا الاستطراد شيئًا ما عن المقصود:-

أ) جاء على لسان الهمداني (ت٣٣٤ هـ / ٩٤٥م) في **صفة جزيرة العرب**: «مدنية البحرين العظمى هجر؛ وهي سوق بني محارب من عبد القيس، ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين، فالقطيف موضع نخل وقرية عظيمة الشأن، وهي ساحل، وساكنها جذيمة من عبد القيس، سيدهم ابن مسمار ورهطه، ثم العَقِير من دونه؛ وهو ساحل وقرية دون القطيف من العَطْفِ، وبه نخل، ويسكنه العرب من بني محارب، ثم السِّيف سِيف البحر، وهو من أوَال على يوم، وأوَال جزيرة في وسط البحر مسيرة يوم، وفيها جميع الحيوان كلِّه إلا السباع، ثم السِّتَار تعرف البحرين، وهو مَنَادِي بني تميم فيه، متصلة البَيْضَاء، وكان بها نخل وسكن،

(١) المعولي، محمد بن عامر بن راشد، **قصص وأخبار جرت في عُمان**، تح: سعيد بن محمد الهاشمي (وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، ط: الأولى ١٤٢٨هـ)، ص١٣٨ وما بعدها.

(٢) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام** (دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشرة، أيار / مايو ٢٠٠٢ م)، ج٤، ص١٠٥.

والفطْح؛ وهو طريق بين السِّتار والبحر إلى البصرة»[١].

ب) وقال أبو عبد الله المقدسي (نحو ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) في **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**: «هجر وتسمّى البحرين: كبيرة، كثيرة النخيل، عامرة، آهلة، معدن الحرّ والقحط. على مرحلة من البحر، ولهم شبه نبع متجر، وثمّ جزائر، وبها مستقرّ القرامطة من آل أبي سعيد»[٢].

ج) وقال أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)، في **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: «هجر -بفتح أوله وثانيه-: مدينة البحرين، معروفة. وهي مُعرَّفة، لا تدخلها الألف واللام. ومثل للعرب: «سَطْيُ مَجَر، ثُرْطِبُ هَجَر»[٣]، ولم يقولوا: يرطب. وهو اسم فارسي معرّب، أصله: هكر. وقيل إنما سمّيت بهجر بنت مكنف من العماليق. وقال الفرزدق -فذكّر هجر ولم يصرفها-:

مِنْهنَّ أيَّامُ صِدْقٍ قَدْ عَرَفْت بها أيَّامَ فَارِسَ وَالأيَّام مِنْ هَجَرَا»[٤].

د) وقال أبو بكر الحازمي الهمداني (ت٥٨٤هـ / ١١٨٨م) في **الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه**: (ص٩١٧): «هجر، وهجر، أما الأول: بفتح الجيم -: البلد قصبة بلاد البحرين، بينه إلى يبرين سبعة أيام، والهجر: بلد باليمن بينه وبين عَثَّر يوم وليلة، والهَجَرَانِ: اسم للمُشَقَّر وعطَالَة، حصنان باليمامة، وأما الثاني: بسكون الجيم -: موضع في شعر»[٥].

---

(١) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص١٣٥.

(٢) المقدسي، شمس الدين بن أحمد، أبو عبد الله الشاهي المعروف بالبشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (مكتبة مدبولي القاهرة، ط: الثالثة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م)، ص٩٣.

(٣) يريدون المجرة التي في السماء، فيرخم. وسِطِي من وسط يسط: إذا صار وسطا [قطرب، محمد بن المستنير، **الأزمنة وتلبية الجاهلية**، د. حاتم الضامن (مؤسسة الرسالة، د. م، ط: الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، ص٢٩]. قال محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨١م): «توسطي يا مجرة كبد السماء؛ فإن ذلك وقت إرطاب النخيل بهجر» [الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٠، ص٢٥٧].

(٤) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٤، ص١٣٤٦

(٥) الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي، **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، تح: حمد بن محمد الجاسر، (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د. م، ط: الأولى ١٤١٥ هـ)، ص٩١٧.

ه) وقال أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن قُرْقُول (ت٥٦٩ هـ / ١١٧٤م) في **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**: «هَجَرٌ: مدينة باليمن، وهي قاعدة البحرين، بفتح الهاء والجيم، ويقال فيها: الهجر بالألف واللام، بينها وبين البحرين عشر مراحل»[١].

و) وقال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) في **معجم البلدان**: «هجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين، وربما قيل الهجر -بالألف واللام-، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب، قال ابن الكلبي عن الشرقي: إنما سميت بهجر بنت المُكَفَّف، وكانت من العرب المتعربة، وكان زوجها مُحَلِّم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين، يقال له: نهر مُحَلِّم، وعين مُحَلِّم، ... وقال قوم: هجر بلاد قصبتها: الصفا، وقد ذكرت في موضعها، بينها وبين اليمامة عشرة أيام، وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوما على الإبل...»[٢].

ز) وقال مرتضى الزبيدي (١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م) في **تاج العروس من جواهر القاموس**: «هجر: اسم لجميع أرض البحرين، وقال ابن الأثير: بلد معروف بالبحرين، وقال غيره: هو قصبة بلاد البحرين، منه إلى يبرين سبعة أيام. قال المُفَضَّل: وذكر -أيضًا- أن من الناس من يرى أن هجَرًا اسم يشتمل جميع البحرين، كالشام والعراق، وليس له مدينة بعينها»[٣].

ويؤخذ من تلك النُّقول الآتي:-

- هجَر (مُحرَّكًا) اسم فارسي مُعرّب، أصله: هكرن، مصروف، ولم يصرفه

(١) ابن قُرْقُول، أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني، **مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها**، ج٦، ص١٥٥.

(٢) الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٣٩٣.

(٣) الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٤، ص٤٠٦.

بعضهم[1]. وهو مجرد من الألف واللام؛ فرقًا بينه وبين موضع آخر باليمن محلّى، وحلّاه بعضهم من غير تفريق.

- سمّيت بهجر بنت مكنف، من العماليق، ويقال إنها من بنتها، وكان زوجها مُحَلِّم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين، يقال له: نهر محلّم، وعين محلّم.
- هي قصبة بلاد البحرين، وقاعدتها، وحاضرة من حواضرها الكبيرة. وقد أطلق الاسم تارة على البحرين كلها، وتارة أخرى على ناحية مهمة من نواحيها.
- وصفت بأنها مدينة عظيمة، كبيرة، كثيرة النخيل، عامرة، آهلة، ذات عيون وآبار.
- تذكر عدد من المواقع أو المدن والمعالم، التي تنتظمها هذه المملكة قديما، أو تقع قريبا منها، كـ: (المُشَقَّر[2]، والصَّفَا[3]، .. إلخ)، ويذكرون -أيضًا-:

(١) قد ينصرف باعتبار البقعة.

(٢) **المشقّر**: بالبحرين نحو هجر، وبه نخل لا يبرح الماء في أصوله؛ كما وصفه ابن الحائك -قديما-، في: [صفة جزيرة العرب، ص١٧٨]. وقال ابن الأعرابي المشقّر: مدينة عظيمة قديمة، في وسطها قلعة، على قارة، تسمّى: عطالة، وفي أعلاها بئر تثقب القارة، حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض. وماء هجر يتحلَّب إلى هذه البئر في زيادتها، وتَحَلُّبها: نقصانها، وقال المُخبَّل السعدي (ت١٦ هـ):

لَعَمْرِي لَقَدْ خَارَتْ خَفَاجَةُ عَامِرًا ... كمَا خَيْرُ بيتٍ فِي الْعِرَاقِ المُشَقّر

... [البكري، **معجم ما استعجم**، ج٤، ص١٢٣٣].

(٣) **الصَّفَا**: حصن بالبحرين وهجر، وقال ابن الفقيه: الصفا قصبة هجر، ويوم الصفا: من أيامهم، قال جرير (ت ١١٠ هـ)

تَرَكْتُمْ بوادي رَحْرَحَانِ نِسَاءَكُمْ ... وَيَوْمَ الصَّفا لاقيتمُ الشِّعْبَ أوْعَرَا

وقال آخر:

نُبِّئتُ أهلكَ أصْعَدُوا مِنْ ذِي الصَّفَا ... سَقْيًا لذلكَ مِنْ فُوَيْق صعدًا!

... [الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٤١١].

(قُرَاح[1]، والمَرْدَاء[2] .. إلخ)، وغيرها من المواضع.



[صورة – ١١: جبل المشقر، في قرية القارة بالحسا، المملكة العربية السعودية. عدسة: جزيري[3]]

أخيرًا ثمَّة جدليَّة حول موقع مدينة هجَر الحقيقي، بيد أنَّ اتفاقًا وقع بينهم حول الإقليم بشكل عام، والذي يستغرقه الامتداد من جزيرة فيلكا إلى ساحل

(١) قراح -بضمّ أوّله، وزيادة ألف بين الراء والحاء-: موضع بساحل البحرين، قال النّابغة (نحو ١٨ ق. هـ):

كأنَّ الظِّعْن حين طَفَوْنَ ظهرًا ... سَفِينُ الشِّحْرِ يمَّمَتِ الْقُرَاحَا

...، وقال عمارة بن عقيل: هو من ساحل هجر، وأنشد لجدّه جرير:

ظعائنُ لم يدِنَّ مع النّصارى ... ولمْ يَدْرين مَا سَمَكُ الْقُرَاحِ

... [البكري، **معجم ما استعجم**، ج٣، ص١٠٥٦]. وقد تقدم التعريف بالموضع سلفًا. رأيت معاودة وجه من وجوه التعريف به هنا لمناسبة ذكره.

(٢) المرداء -بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده دال مهملة، ممدود؛ على وزن فعلاء-: موضع بهجر، وهي رملة هجر من البحرين، وهي إحدى مدينتي البحرين، وتلك منازل عبد القيس، قال عامر بن الطّفيل (ت١١هـ):

وعبدُ القيسِ بالمَرْدَاءِ لاقَتْ ... صمَاخًا مِثْلَ مَا لَاقَتْ ثمودُ

صَبَحْنَاهُم بكلِّ أقَبَّ نهْدٍ ... ومُطَّرِد لهُ يَفِدُ الحَديدُ

وقال أبو النّجم (ت١٣٠هـ):

هلَّا سألتمْ يومَ مَرْداء هَجَر ... إذ قاتلتْ بكرٌ وإذْ فرَّتْ مُضَرْ

وقال آخر، وهو طفيل [وقيل: للراعي، أو لزيد بن جندب]:

فليتكَ حَالَ البحرِ دونك كلُّهُ ... ومن بالمرَادِي مِنْ فصيحٍ وأعْجَمِ

قال اللّغويّون: المرادي: رمال بهجر [البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢١١].

(٣) تنظر الصورة عبر حساب «حي الخالدية»؛ بالفيسبوك:
https://www.facebook.com/permalink.php/?story_fbid=10162843967275123&id=307105440122&locale=ar_AR

عمان (المنطقة الشرقية -تحديدًا- بالمملكة العربية السعودية). يرجح إذن أنَّ مملكة هجر كانت تشمل شرق الجزيرة العربية، بالإضافة لجزر البحرين وجزيرة فيلكا، حيث عُثِرَ على الكثير من العملات في هذه المناطق، ومن ملوكهم[١]:

الترتيب	الحاكم	مدة الحكم (ق. م)
الأول	ابياثا [٢]	٢٢٠ _ ٢٠٠
الثاني	غير معروف	٢٠٠ - ١٩٠
الثالث	حارثة	١٩٠ - ١٧٠
الرابع	غير معروف (قد يكون تالبوش والد ابئيل)	١٧٠ - ١٦٠
الخامس	ابئيل	١٦٠ -١٤٠

على أن استعراض تاريخ عملات المنطقة، مما يطول ويذهب بالبحث بعيدًا، وليس من شأن هذه الأسطر معالجته، أو الإحاطة به، غاية ما هنالك الاستشهاد بما ذُكر لقدم هذه المملكة، وإيغال تاريخها، والإشارة لبعض ما وجد فيها من لقى أثرية، نفيسة غاية النفاسة.

هذا؛ ويرى بعض الباحثين المحدثين أن هجر -المدينة تحديدًا- تقع ملاصقة لجبل الشبعان (سفح الركن الشمالي الغربي)، الذي يحمي ظهرها -كما وصف-[٣]، وأنها غير بعيد عن تل المشقّر (الرأس)، الواقع في قرية القارة، والذي كان نهر عين هجر، يخرج منه مُتَّجِهًا صوب حصن مدينة هجر، وبذلك فمدينة

(١) ينظر: أتو مورخيولم، **نقود يونانية من جزيرة فيلكا**، (نشرة وزارة الإرشاد والأنباء، إدارة الآثار والمتاحف، الكويت، د. ت)، ص٤.

(٢) عثر المنقبون على قطعة نقد مشابهة تماما في جميع التفاصيل للنقد السابق في جزيرة فيلكا (أيكاروس)، الواقعة في القسم الشمالي الشرقي من الخليج العربي، وقد نشر هذا النقد في مجلة أصدرتها وزارة التربية الكويتية -قسم الآثار والمتاحف-، بعنوان: نقود يونانية من جزيرة فيلكا، ولم يذكر الناشر أنها تعود للدولة المعينية، وإنما ذكر بالحرف: «وهي -أيضًا- تقليد لعملة الاسكندر الكبير، ولكن الكتابة اليونانية هنا مستبدلة باسم الملك (أبياثا)، مكتوبة بالخط العربي القديم، ونحن لا نعرف شيئا عن حكم (أبياتا) هذا، غير أننا نرجح لأسباب تتعلق بطرازها أنها ترجع الى ما يقرب من: ١٥٠ ق . م [الحسيني، محمد باقر، **تطور النقود الإسلامية**، (مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ط: الأولى ١٩٦٩م)، ص١٧].

(٣) الجنبي، عبد الخالق عبد الجليل، **هجَر وقصباتها الثلاث «المشقر، الصفا، الشبعان» ونهرها المحلم**، (دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م)، ص١٩٥.

هجر واقعة في نظره بين جبل الشبعان وجبل رأس القارة، وجبل الحصيص، ملاصقة للجبل الأول منه[1]، ويستدل قبلها على ذلك بجمهرة من الأدلة والقرائن والمعالجات، التي يطول بالاستطراد حولها الكلام.



[وثيقة – ٢: تتضمن إشارة لقوع الصفا «قوع أبو حصيص». كتبها: الشيخ عمران السليم، المتوفى سنة ١٣٦٠هـ - أحد علماء الحسا، وهي مما استدل به لتحديد موقع هجر. المصدر: تعليق منشور للباحث عبد الخالق الجنبي، مؤلف كتاب: «هجر وقصباتها الثلاث»[2]].

وفي فضاء الشعر والأدب فإن حضور هجَر لافتٌ وصلح -في الوقت نفسه-، لأنْ يخرج مجموعًا في عمل مُستقلٍ، بحسبنا منه هذا التمثيل؛ للخروج ببعض أهم المستخلصات المستفادة مما ورد:

« جاء لدى الواقدي (ت٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م) في **كتاب الردة**: «سار العلاء بن الحضرمي (ت ٢١ هـ / ٦٤٢ م) ومعه قيس بن عاصم المنقري (ت: نحو ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م) في عشرين فارسًا من بني تميم، فكان لا ينتهي إلى ماء من مياه بني سعد إلا تلقَّوه بالقِرى والإنزال والعلوفة، وقد ذكر ذلك بعض بني تميم حيث يقول[3]:

(١) الجنبي، عبد الخالق عبد الجليل، **المصدر نفسه**، ص٢٣٤ وما بعدها.

(٢) ينظر التعليق برابط موقع «تراث الأحساء»: https://www.alhasa-turath.org/?p=3649.

(٣) الواقدي، **كتاب الردة**، ص١٥٨.

أَ لَـمْ تَـرَ أَنَّـا أَجَرْنَـا الْعَـــــلَاء عَلَـى كُلِّ مِـنْ جَـارِهِ مِـنْ مُضَـــرْ
تَضَمَّـنَ قَيْـسٌ لَـهُ ذِمَّـــــــةً فَحَـطَّ بِهَـا رَحْلَـهُ فِـي هَجَـــــرْ

« وقـال أبـو عبيـدة معمـر بـن المثنّـى (ت٢٠٩ هـ / ٨٤٢م) فـي **شـرح نقائـض جريـر والفـرزدق**: «يقـول الفـرزدق:

أَتَتْهُـمْ بِعَيْـرٍ لَـمْ تَكُـنْ هَجَرِيَّـــــةً وَلَا حِنْطَـةِ الشَّـأمِ الْمزيـت خَمِيرُهَـا

قولـه: (المزيـت خميرهـا)؛ أي جـاءت بالزيـت مـع الحنطـة والدقيـق. يقـول: لـم تكن العيـر التـي حملـت القتلـى هجريـة؛ يريـد تحمـل التمـر مـن هجَـر البحريـن، ولا عيـرًا تحمـل حنطـة الشـام، وقولـه المزيـت خميرهـا؛ يعنـي: التـي تخبـز بالزيـت؛ يقـول: إنمـا كانـت حمولتهـن قتلـى حملوهـم عليهـا»[1].

وجاء في شرح شعر أورده، نصُّه:

قَـدْ كَانَ فِـي هَجَـرٍ وَنَخْـلٍ مُحَلِّـمٍ تَمْـرٌ لِمُلْتَمِـسِ الطَّعَـامِ فَقِـــيرِ

يقـول: قـد كان فـي أكلكـم تمـر هجـر، ومُحَلِّـم، شـغلٌ عـن هجائـي. ومُحَلِّـم: نهـر بالبحريـن[2].

« وقـال ياقـوت الحمـوي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) فـي **معجـم البلـدان**: «قـال محمـد بـن المعلَّـى الأزدي فـي قـول تميـم بـن أبـي (ت: بعـد ٣٧ هـ / ٦٥٧ م) -ومـن خطِّـه نقلتـه-:

ثُـمَّ احْتَمَلْـنَ أُنَيًّـا بَعْـدَ تَضْحِـــيَةٍ مِثْـلَ الْمَخَـارِفِ مِـنْ جَيْـلَانَ أَوْ هَجَـر

... أُنَـي: تصغيـر إِنْـيٌ، واحـد آنـاء الليـل، قـال: وجيـلان قـوم مـن أبنـاء فـارس، انتقلـوا مـن نواحـي إِصْطَخْـر فنزلـوا بطـرف مـن البحريـن، فغرسـوا وزرعـوا وحفـروا وأقامـوا هنـاك، فنـزل عليهـم قـوم مـن بنـي عجـل فدخلـوا فيهـم، قـال امـرؤ القيـس (نحـو: ٨٠ ق هـ / ٥٤٥ م):

أَطَافَـتْ بِـهِ جَيْـلَان عِنْـدَ قِطَافِـــهِ وَرَدَّتْ عليـهِ المَـاءَ حَتَّـى تَحَيَّـرَا»[3].

(١) أبو عبيدة، معمر بن المثنّى، **شرح نقائض جرير والفرزدق**، ج٢، ص٦٩٢.
(٢) أبو عبيدة، **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٠١٨.
(٣) الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٢٠١.

«ومن النِّسبة ما ساقه ابن منظور (ت٧١١ هـ / ١٣١١ هـ) في **لسان العرب**، يقول الشاعر[١]:

ورُبَّتَ غَارةٍ أوْضَعت فيها كَسحِّ الهَاجِرِيِّ جَرِيم تَمْرِ

بالجملة النُّصوص الشعرية كثيرة جدًّا، ولا يخلو شاعر من القدامى أو المحدثين لم يذكر هجَر في شعره، أو يشيد بها.

وبصرف النظر عَمَّا رمى إليه هذا الشاعر أو ذاك إلا أن المراد حضور هجر في المدونة الشعرية العربية، الأمر الذي يستدعي إفراد ذكرها الشعري في عمل مستقل، ينتظم كل ذلك الشتات.

ولهَجر -بالمناسبة- سوق أدبية، اجتذبت إليها كثيرين، وهي من أشهر أسواق العرب قديمًا، إلى جانب سوق دبا، وسوق عكاظ.. إلخ. تحفل هذه الأسواق بالقبائل، حاملة إليها من طرائف مفاخرها ومآثرها ما تحمله من بزّها وطرائف بضائعها[٢]. يقول مصطفى الرافعي (ت١٣٥٦هـ / ١٩٣٧) -مُعرِّفًا بتلك الأسواق- في **تاريخ آداب العرب**: «هي أسواق كانوا يقيمونها في أشهر السنة، وينتقلون من بعضها إلى بعض؛ فكانوا ينزلون دومة الجندل أول يوم من شهر ربيع الأول، ثم ينتقلون إلى هَجَر بالبحرين، فتقوم سوقهم بها في شهر ربيع الآخر، ثم يرتحلون نحو عُمان في أرض البحرين -أيضًا-، فتقوم بها سوقهم إلى أواخر جمادى الأولى، ثم ينزلون سوق المُشَقَّر؛ وهو حصن بالبحرين، فتقوم سوقهم به أول يوم من جمادى الآخرة، ثم ينزلون سوق صَحَار، فيقيمونها خمسة أيام لعشر يمضين من رجب الفرد، وتقوم سوقهم بالشَّحْر؛ وهو ساحل بين عُمان وعدن في النصف من شعبان، ثم يرتحلون فينزلون عدن أبْيَن؛ وهي جزيرة في اليمن، أقام بها (أبْيَن) فنسبت إليه، ثم تقوم سوقهم في حضرموت نصف ذي



(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٢٥٧.

(٢) أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، (دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، ١٣٨٠ هـ)، ج١، ص٤٣.

القعدة، ومنهم من يجوزها وينزل صنعاء، فتقوم أسواقهم بها.

ولهم أسواق أخرى غير هذه، كـ: ذي المجاز، بناحية عرفة، وسوق مِجَنّة؛ وهي تقام قرب أيام موسم الحج، ويؤمُّها كثير من قبائلهم، وسوق حُباشة، كانت في ديار بارق ... جهة اليمن، ولم تكن من مواسم الحج، وإنما كانت تقام في شهر رجب؛ وأسواق كانت بين دورهم ودور العجم، يلتقون فيها للتسوق والبياعات، وهي التي كانت أوسع أبواب الدخيل والمعرب في هذه اللغة، وذكر منها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) في **الحيوان**: سوق الأبلَّة، وسوق لَقَه (كذا)، وسوق الأنبار، وسوق الحيرة»[1]. ويستعرض جانبًا مما أشير إليه باحث آخر، بالقول: «إن أشهر أسواق شرقي شبه الجزيرة العربية: سوق المشقَّر بالبحرين قرب هجر، وكان يرتادها ساكنو الجهات الشرقية والغربية من شبه الجزيرة، ويرتادها -أيضًا- تجار الهند وفارس. ويرتاد هؤلاء سوقًا أخرى في البحرين هي سوق هجَر. وفي عمان وُجِدَ سوقان، إحداهما سوق دبا، وكانت مقصد الصينيين والهنود، إلى جانب من يقصدها من سكان شبه الجزيرة، والأخرى سوق صحار، واشتهر في جنوبي شبه الجزيرة العربية: سوق «الشحر» في المهرة، وسوق عَدَن، وسوق الرَّابِيَة بحضرموت، وسوق صَنْعَاء في اليمن. وفي شمالي شبه الجزيرة سوق دَوْمَة الجَنْدَل، وتقع على منتصف الخَطِّ الواصل بين العقبة والبصرة تقريبًا، وبالقرب من جبلي طيء أَجَأ وسَلْمَى، وكان يتنافس على رئاستها كل من أُكَيْدِر العبادي من السُّكون (ت ١٢ هـ / ٦٣٣ م)، وقُنَافة من بني كلب (ت: غير معلوم)؛ أيهما كانت له الغلبة عشَّر السوق. وأكيدر هو صاحب حصن دومة الجندل الشهير، وقد دهمه خالد بن الوليد (ت ٢١ هـ / ٦٤٢ م) بمناسبة وقعة تبوك، وتغلب عليه فأسلم بعدئذٍ. كان البيع يجري في هذه السوق بطريقة بيع الحصاة، ولم يكن أحد ممن يرتاد السوق يشتري أو يبيع حتى يبيع

(١) الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد، **تاريخ آداب العرب**، (دار الكتاب العربي، د. م، ط: الثانية، ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م)، ج١، ص٦٥.

الأكيدر، ملك السوق، كل شيء يريد بيعه، ثم يشرع في استيفاء المكس على بيوع رواد السوق.

أما غربي شبه الجزيرة، ولا سيما الحجاز، فقد حفل بكثير من الأسواق، وكان السبب في كثرتها:-

أولًا: وجود الكعبة بوصفها مركزًا دينيًّا يستقطب الوافدين إليه لإقامة الشعائر الدينية، وبالمناسبة للقيام بالأعمال التجارية في أسواق أقيمت لمدِّ الحجاج بما يحتاجون إليه.

ثانيًا: وقوع حواضره المهمة على المسالك التجارية المارة من الجنوب إلى الشمال.

ثالثًا: لأن المنطقة متعددة الفعاليات؛ ففيها تجارة قريش المزدهرة، وبعض الواحات والحَرَّات التي يتعاطى أهلها الزراعة، وتكثر فيها الغلات، وتقوم فيها بعض الصناعات، كما في يَثْرِب وفَدَك وتَيْمَاء وغيرها من الحرَّات التي سكنها اليهود. وقد اشتهر هؤلاء بصناعات كثيرة، نقلوها إلى هذه الجهات، مما جعل في المنطقة حركة مبادلات تجارية نشيطة»[1].

وبالحديث عن سوقي المشقر وهجَر خاصة يشير جواد علي (ت١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) في **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** إلى أن الأعراب الساكنين في العربية الشرقية، والأعراب القريبين إلى هذا الموضع، كانوا يقصدون هذين السوقين، ويرد إلى سوق المشقّر تجار فارس ببياعاتهم، يقطعون البحر، فيتاجرون مع من يقصد هذه السوق من القبائل والحضر، وكانت بنو تميم وعبد القيس جيرانها. أمَّا المشرف عليها فرؤساء تميم من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى، وكانوا يتلقبون بألقاب الملك، ويسيرون في معاملتهم في هذه السوق سيرة الملوك بدومة الجندل، ويأخذون العُشْر. وكان من يَؤُمُّها من التجار يتخفَّرون بقريش؛ لأنها لا تؤتي إلا في بلاد مضر، وكان بيعهم فيها

(١) توفيق برو، **تاريخ العرب القديم**، ص٢٤٦.

الملامسة والهَمْهَمَة، وتقوم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشهر. وقد قصد هذه السوق أحياء من العرب من مختلف أنحاء جزيرة العرب، ووفدت إليها اللطائم. وطالما أعجبت أرض هجَر وموضع المُشَقَّر منها، بعض هؤلاء الأعراب، فيبقون فيها ولا يرتحلون عنها، فمن هناك صارت بهَجَر طوائف من كل حيٍّ من العرب وغيرهم. يواصل مُؤلِّف الكتاب كلامه، قائلًا: «ويحمي المُشَقَّر حصن قديم قويم، يقال: ورثه امرئ القيس، وقد أشير إليه في الشعر. قال عنه المُخبَّل (ت ١٦ هـ / ٦٣٧م):

فَلَئِنْ بَنَيْتُ لِيَ المُشَقَّرَ فِي ... صَعْبٍ تُقَصِّرُ دُونَه الْهِمَمُ
لَتُنَقِّبَنْ عنِّي المنيَّةُ إنَّ ... اللهَ ليسَ كِعِلْمِهِ عِلْمُ



[رسم – ٣: يحدد موقع الحصن التخييلي؛ وفق أحد الآراء في تحديد الموقع.
المصدر: مدونة عبد الخالق الجنبي[١]]

(١) عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي، **أوجه الشبه والتشابه التاريخية بين تل دار الحجر في صنعاء وتل المشقر في الأحساء هل يشي بوحدة المنشئين الأولين لهما؟** (مدونة عبد الخالق»، ٢٠ يوليو ٢٠٢١م)، عبر الرابط:
https://aljanabiabdulkhaleq.blogspot.com/2021/07/

وكان من الحصون التي تحمي قرى ساحل الخليج من الأعراب، به حامية كبيرة، تغلق عليها الأبواب عند دنو الخطر. ويظهر من قصة فتك المُكَعْبِر (ق ٧م) بتميم، أنه كان ذا بابين، وكان قد بُني لحماية المنطقة من الأعراب وللمحافظة على الأمن. وقد كان حصنًا كبيرًا ادخر فيه الفرس الميرة والأرزاق؛ لتوزيعها على الأعراب أيام المجاعة، وبه جنود من الفرس، يحكمهم قوَّاد منهم، يقومون بضبط الأمن ومراقبة حركات الأعراب.

وتعقد سوق هجَر في شهر ربيع الآخر، وكان الذي يتولى تعشير التجار بها المنذر بن ساوى (ت ١١ هـ / ٦٣٣ م) أحد بني عبد الله بن دارم، وهو ملك البحرين»[1].

خلاصة القول: لم تكن لهَجَر مكانة حضارية فحسب، بل كان لها مكانة أدبية وتجارية في آنٍ معًا، الأمر الذي جعلها وجهة مهمة على طريق الأسواق الأدبية، ومحطة تجارية مزدهرة، ومَقْصدًا لا غنى عنه. ونظرًا لتلك المكانة فقد تعرَّضت لمطامع القوى المتدافعة حول المنطقة، وكان للقرامطة دور في تدمير هذه المملكة، ونقل مركز الثقل السياسي والاقتصادي منها إلى غيرها، وكان لذلك التدخل السافر دوره في تشويه صورة المواقع الحضارية، والتأثير عليها، وإنْ بَقِيَ أَلَقُها مُتَوَهِّجًا لحين.

(١) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج١٤، ص٦١ وما بعدها.

1-4- قطر:

قطر موضع معروف قديمًا، بين عُمان والبحرين[١]. نُسِبَتْ -تاريخيًّا- مرَّة إلى عُمان، وأخرى إلى البحرين[٢]، وهي مُحَرَّكة، مفردة؛ فيقال: موضع بين عمان والبحرين[٣]، أو بين عُمان والعقير[٤]، أو بين عُمان وسيف البحر[٥]، أو بينها وسِي البحر -بكسر السين وسكون الياء آخر الحروف-؛ وهو ساحله[٦]. والمؤدى ممّا ورد في تلك الأدبيات واحد. وقطر تُقْرَد -لغة- علما على المكان، ولا تُجْمَع إلا لما وُصِف به الكائن فيه، أو الراجع إليه، والنسبة إليها: قَطَرِي[٧]. قال الشريسي (ت٩١٦هـ / ١٢٢٣م) في **شرح مقامات الحريري**؛ مُتَرْجِمًا لقطري بن الفجاءة -الشاعر المعروف-: «أبو نعامة هو قطريُّ بن الفجاءة التميميّ الخارجيّ. وكان له فرس يكنى بها في الحرب، ويكنى في السلم: أبا محمد. وقطريّ: منسوب

(١) الهمداني، **ما اتفق لفظه واختلف معناه**، ص٧٨٢.

(٢) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٦، ص٢٦٧.

(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٣، ص١٠٨٢.

(٤) الحنبلي، صفيّ الدين، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج٣، ص١١٠٧.
* والعقير -العجير كما ينطقونها-: تصغير العُقْر، قرية على شاطئ البحر، بحذاء هجَر [الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص١٣٨]. قال جواد علي في **المفصل**: "وبحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع (العقير)، وهي الآن ميناء صغير، وعلى مقربة منها خرائب عادية، يعتقد العلماء أنها موضع gerrhaei؛ المدينة التجارية العظيمة التي اشتهر أمرها، وبلغت شهرتها اليونان والرومان، وكانت محطة من المحطات التجارية العالمية، وملتقى طرق القوافل التي كانت ترد من جنوب بلاد العرب قاصدة العراق. وقد أغرت الطامعين، فطمعوا في الاستيلاء عليها، وأوحت إلى الكتبة الكلاسيكيين، فكتبوا فيها قصصًا من نسج الخيال، وتقع على خليج سماه الكلاسيكيون SINUS GERRAICUS؛ أي خليج جرها" [جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج١، ص١٧٥].

(٥) الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل، **بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي)**، تح: طارق فتحي السيد، (دار الكتب العلمية، د. م، ط: الأولى ٢٠٠٩)، ج٢، ص٤١٥.

(٦) بدر الدين العيني، محمود بن أحمد بن موسى، **البناية شرح الهداية**، تح: أيمن صالح شعبان، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م)، ج١، ص١٧٣.

(٧) الفارسي، أبو القاسم زيد بن علي، **شرح حماسة أبي تمام للفارسي**، دراسة وتحقيق: د. محمد عثمان علي، (مكتبة الأوزاعي، بيروت، ط: الأولى، د.ت)، ج٢، ص ١٠٤.

إلى قطر، موضع قريب من عقير، وكان فارسًا شجاعًا، شاعرًا مجيدًا»[1]. وقد جعل الشارح قطر قريبًا من موضع يقال له: العقير.

وكان جغرافيو العرب القدامى -كما يقول أحد الباحثين- يطلقون على البلاد المعروفة اليوم بقطر والأحساء والكويت والجزائر المقابلة لها: (البحرين وهجَر)، وقد جاء في وصفها على لسان هذا الباحث أنها تمتد شمالًا إلى داخل الخليج العربي، بين الخليج المسمى: دَوْحَة سَلْوَة إلى الغرب، والامتداد الجنوبي للخليج العربي إلى الشرق، على هيئة كفٍّ، يحيط بها ساحل كثير التعاريج والخلجان والأخوار، وحالة التقعُّر والتحدُّب البارزتين في سواحلها هيَّأت بعض المراسي الصالحة لإيواء السفن والقوارب الشراعية؛ عند صخب البحر وطغيانه، أمَّا الأجزاء الصخرية من السَّاحل فإنَّها تُعَرِّض السُّفن إلى الخطر عند الاقتراب إليها[2]. يواصل: «إنَّ القاطع السَّاحلي الواقع بين رأس عُوينَة علي، ورَأْس عِشِيرَق يضمُّ عددًا من الجزر الصغيرة والكبيرة، وتُؤلِّف مع السَّاحل أخوارًا متداخلة، تنتهي بشقوق ضيقة، تؤدي إلى منطقة سَبْخَة مِلْحِيَّة، لا تصلح للإنزال، وكذلك الحال في الساحل الشرقي بين رأس أبو عبود ورأس أم حصاة، أمَّا المياه الساحلية فهي قليلة الغور في الساحلين؛ حيث لا يتجاوز العشرة أقدام، لذلك يتعذر على السفن الكبيرة ذات الغطس العميق الاقتراب والرسو في الموانئ الساحلية. أمَّا القسم الجنوبي من الحدود الذي يحادد المملكة العربية السعودية، فيبلغ طوله حوالي (٤٠) كيلومترًا، وهو على هيئة قوس محدب، يقطع منطقة الأخوار في معظم أقسامه؛ حيث يبدأ من موقع سلوة الكائن على دوحة سَلْوَة (خليج سَلْوَة)، وجوْب سَلامَه، ثم السِّبْخة وعَقْلَة المَنَاصِير، وخُور الْعدِيد، فالساحل الجنوبي»[3].

وحول علاقة أرضها بالخليج، وعلاقة شبه الجزيرة العربية بها من حيث

(١) الشريسي، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي، **شرح مقامات الحريري**، (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م)، ج١، ص ١٦٢.

(٢) سنان، محمود بهجت، **تاريخ قطر العام**، (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط: الأولى ١٩٦٦)، ص١١٤.

(٣) سنان، محمود بهجت، **المصدر نفسه**، ص١١٥.

الاتصال وعدمه، يقول: «إنَّ خط السباخ في قاعدة شبه الجزيرة هو العلامة التي تُحَدِّد مواقع المضايق التي كانت تتصل بين دوحة سلوة والخليج العربي الواقع شرقيها بالقرب من خور العديد، وهذا ممَّا يُرَجَّح القول بأن شبه جزيرة قطر كانت قديمًا جزيرة تنفصل عن ساحل شبه الجزيرة العربية»[1]. ويختتم بتحديد موقعها الدقيق بالنسبة لخطوط الطول والعرض، ثم يرصد -في مورد آخر- عناية الجغرافيين بها، وما جاء على لسانهم حول الموقع والحدود والتسميات. يقول: «ذكر جغرافيو اليونان في كتبهم قطر، ووصفها بطليموس الجغرافي المشهور بأنها تقع غرب مدينة (Gerra) ؛ أي مدينة الْجَرْعَاء (= الْجَرْهَاء) التي مرَّ ذكرها في الفصل السابق، أو في شمال غربها، وهي على بُعْد نصف درجة منها؛ حيث تقع مدينة تسمى (Katara)؛ وهي مدينة قطر (شبه جزيرة قطر)، وقد عرفها المؤرخ الروماني بلينوس باسم (Catarraei) ، وذكر فورستران (Attene) : يطلق على شبه جزيرة تكون الطرف الشرقي لخليج البحرين؛ وهي شبه جزيرة قطر، ومن مدنها: الدَّوْحَة، ووَكْرَه؛ أي ـوقرة، والشقِيق. ويرى شبر نكر أن منطقة أتِينَه (Regio Attene) البريَّة، التي تبعد (٥٠) ميلًا عن الساحل، وتقابل جزيرة Tyros)) البحرين -هي الخَطُّ كذلك-، أمَّا نهر (Flumen cynes) فيقع بعد قطر (Cattarrei) ..»[2]. جدير بالذكر أن كتاب **تاريخ قطر العام** يعدُّ من الدراسات الأولى المحكمة، التي تناولت بالتنظير العلمي والتوثيق، جوانب من تاريخ قطر، وجمعت أشتاتًا متناثرة قبل ذلك وبعده حول الآثار والروايات والأخبار والأشعار والحوادث وغيرها، ما حدا بالمجمع العلمي العراقي إلى طبع ذلك الكتاب، الذي يأتي ضمن سلسلة كتب أخرى للمؤلف، تعرف بالساحل الغربي، وأهم دوله الحديثة، وكل ما يرتبط بخلفيتها التاريخية، وصولًا إلى حكامها الحاليين.

وعودًا على بدء، وفي سياق الحديث عن حركة القبائل المتنقلة، ومبارحتها

(١) سنان، محمود بهجت، **المصدر نفسه**، ص١١٥.

(٢) سنان، محمود بهجت، **المصدر نفسه**، ص٢٢.

مواطنها الأولى، واستقرارها بمعاطن إبلها الجديدة، يذكر البكري (ت٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) في **معجم ما استعجم** أن بني سعد بن زيد مناة بن تميم، نفذت إلى يبرين وتلك الرّمال، حتّى خالطوا بنى عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر، ووقعت طائفة منهم إلى عُمان، وصارت قبائل منهم بين أطراف البحرين، إلى ما يلى البصرة، ونزلوا هنالك إلى منازل ومناهل كانت لإياد بن نزار، فرفضتها إياد، وساروا عنها إلى العراق[١]. ويذكر العوتبي الصحاري (ت ٥١١ هـ) في كتابه **الأنساب**، في معرض الحديث عن نسب العوف بن عامر-، أنهم أهل بادية، وأهل ماشية وإبل، [وفيهم] عدد كثير، ونجدة، يسكنون قطر وناحية البحرين، ومنهم من يَقْدُم عُمان[٢].



وجاء في **تاريخ نجد** لمحمود شكري الألوسي (ت١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤م): «في الجهة الشرقية من العقير قطر؛ وهي منزل أهل السفائن من العرب الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ، وهم قبائل، منهم من قحطان، ومنهم من وائل. وفي بر قطر بعض من بني هاجر، وفي باديته قبيلة تسمى المناصير، وفي سواحله محال كثيرة، منها: البدع -وهو رأس الزَّبَارَة-، ونُويرِط، وغير ذلك من البنادر»[٣].

وعلى ذكر البصرة -الواردة في النَّص سابقا- فقد تبعت قطر لواءها في مرحلة تاريخية قريبة العهد منَّا؛ تحديدًا عندما مدَّ العثمانيون نفوذهم إلى المنطقة -كما سيأتي-، وكانت الأنظار طامحة إلى عُمان، بيد أنَّ الأحداث التي اعْتَمَلَتْ وقتها لم تُمَكِّنهم من ذلك.

(١) البكري، **معجم ما استعجم**، ج١، ص٨٨.

(٢) الصحاري، سلمة بن مسلم العوتبي، **الأنساب**، ج١، ص١٦٤.

(٣) الألوسي، محمود شكري، **تاريخ نجد**، عني بتحقيقه: محمد بهجة الأثري، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: الأولى، د. ت)، ص٣٠.

وفي سياق حديث الأزهري (٣٧٠هـ / ٩٨١م) عن الثياب القطرية في **تهذيب اللغة**، قال معرِّفًا: «في أعراض البحرين، على سِيف البحر بين عُمان والعَقِير، مدينة يقال لها: قطر، وأحسبهم نسبوا هذه الثياب إليها؛ [أي القطرية]، فكسروا القاف للتسمية، وخففوا (أي: سَكَّنُوا الطاء)، والأصل: قطري»[١].

وأنشد أبو عمرو (ت ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م)[٢]:

كساك الحَنْظَليُّ كِساءَ صُوفٍ وقِطْريًّا فَأَنْتَ بِهِ تَمِيدُ

تميد: تتحرَّك وتميل ويروى: تفيد أي تتبختر[٣].

والقِطْري -لغة-: ضرب من البرود؛ وفي الحديث: (أنه -صلَّى اللَّه عليه وسلم- كان متوشِّحًا بثوب قطري)؛ وفيها حديث عائشة (ت ٥٨ هـ / ٦٧٨ م): قال أيمن: دخلت على عائشة وعليها درع قطري، ثمنه خمسة دراهم[٤].

وفي **الطبقات الكبرى** لابن سعد (ت٢٣٠ هـ / ٨٤٥م)، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل، قال: رأيت سهل بن سعد مصفر اللحية، له جمَّة، عليه برد قطر. وقال مرة: برد كالقطري[٥].

ونقل الأزهري (٣٧٠هـ / ٩٨١م) في **تهذيب اللغة** قبلها عن شَمِر، عن البكراوي، قال: البرود القطرية حُمْرٌ لها أعلام، فيها بعض الخشونة. وقال خالد بن جنبة: هي حُلَلٌ تعمل بمكان لا أدري أين هو؟ وهي جِياد، وقد رأيتها، وهي حُمْر، تأتي من قبل البحرين، وفي الإبل القطرية قال جرير (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م):

---

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٩، ص٧.

(٢) البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في: لسان العرب، ج٥، ص١٠٦ (قطر)؛ وتهذيب اللغة، ج١٦، ص٢١٥؛ وتاج العروس، ج١٣، ص٤٤٤ (قطر). ينظر: [يعقوب، إميل بديع، **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية**، ج٢، ص٣١٢].

(٣) الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، تح: مسعد السعدني، (دار الطلائع، د. م، د. ط، د. ت)، ص٨٠.

(٤) د. رجب عبد الجواد إبراهيم، **المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث»**، تقديم: أ. د محمود فهمي حجازي، راجع المادة المغربية: أ. د عبد الهادي التازي، (دار الآفاق العربية، مصر، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، ص٣٩٤.

(٥) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى**، تح: د. علي محمد عمر، (مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، ط: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، ج٥، ص٣٧٥.

لـدى قَطَرِيَّـاتٍ إذا مَـا تَغَوَّلَـــت بِهَـا البِيـدُ غَاوَلْـن الْحُـزُومَ الفَيَافِيَـا[1]

قـال: «أراد بالقطريـات: نجائـب نسـبها إلـى قطـر؛ لأنـه كان بهـا سـوق فـي قديـم الدهـر»[2].

جـاء فـي **ديـوان جريـر بشـرح محمـد بـن حبيـب**: «ويـروى: شَـدَنِيَّات. القطريـات: إبـل منسـوبة إلـى قطـر: وهـي مـا بيـن البحريـن وعُمـان: وتغـوُّل الأرض: تنكُّرُهـا وتلوُّنهـا، والمغاولـة: المبـادرة، والحُـزُوم: الغِلَـظ فـي نشـوز، واحدهـا حَـزْم. والقياقِـي: واحدهـا قيْقَـاءة، وكذلـك الصَّلْفَـاءَة والصَّمْحَـاءَة والزِّيـزَاءَة؛ وهـو مـا نشَـزَ وغَلُـظ»[3].



[صورة – ١٢: النعام العربي الاسم العلمي Struthio camelus syriacus؛ هو سلالة منقرضة من طائر النعام، كان ينتشر حول صحراء الربع الخالي إلى عام ١٩١٠م، وفي شمال المملكة العربية السعودية حتى ستينات القرن العشرين، وآخر ما شوهد في محافظة القريات بمنطقة الجوف. المصدر: موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية. مجموعة مؤلفين. ط١. ٢٠٠٠م[4]].

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٩، ص٧.

(٢) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٩، ص٧.

(٣) محمد بن حبيب، **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**، ج١، ص٧٨.

(٤) تنظـر الصـورة والتقريـر الملحـق بموقـع «سـعوديبيديا»، علـى الرابـط: https://saudipedia.com/article/12608.

وفي النعام القطرية جاء لدى الأزهري (٣٧٠هـ / ٩٨١م) في **تهذيب اللغة**: «وقال الراعي فجعل النعام قطرية:

الأوْبُ أوْبُ نعائمٍ قَطرِيَّة والآل آلُ نَحَائصٍ حقب

نسب النعائم إلى قطر؛ لاتصالها بالبر، ومحاذاتها رمال يبرين (والله أعلم)، فالنعائم تبيض فيها فتُصَاد، وتحمل إلى قطر»[١].

وقد ورد ذكر قطر في الشعر العربي القديم، ما يدل على قِدَم هذه التسمية، فمما قاله عبده بن الطبيب (نحو ٢٥ هـ / ٦٤٥ م)[٢]:

تَذَكَّر سَادَاتُنَا أَهْلَهُمْ وَخَافوا عمان وخافوا قطَرْ
وَخَافُوا الرَّوَاطِي إذَا عَرَّضَتْ مَلاحِس أوْلَادَهُنَّ الْبَقَرْ

يقولها في غزوة بني سعد عُمان[٣]. وجعل ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) في **معجم البلدان** هذا البيت مما يصحح أنَّها بين عُمان والبحرين، ولستُ داريًا هل كان في ذلك لبْس حتى يُصَحَّح به. وشرح الرَّواطي بقوله: «الرَّواطي: ناس من عبد القيس؛ لصوص»[٤].

وفي **الحماسة الصغرى «كتاب الوحشيات»** لأبي تمام (ت ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م)، عن جندل بن أشمط العميري العبدي شامتًا[٥]:

قَعدك اللهُ ألَمَّا تُخْبَرِي يَا ابْنَةَ الْعَمْرِيِّ عَنْ أهْلِ قَطَرْ
تَرَكُوا جَارَهُمُ تأكُلُهُ ضَبُعُ الوَادِي وَتَرْمِيهِ الشَّجَرْ
فَيَمِينُ اللهِ لا أَنْسُلُهُمْ أبدًا مَا سَاعَدَ الشَّمسُ الْقَمَرْ

(١) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج٩، ص٧.
(٢) ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٦، ص٢٦٧.
(٣) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٣، ص١٠٨٣.
(٤) الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٧٣.
(٥) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، **الحماسة الصغرى «كتاب الوحشيات»**، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، (دار المعارف، القاهرة، ط: الثالثة، د. ت)، ص٢٢١.

وقال المُثقِّب (ت: نحو ٣٥ ق هـ / ٥٨٨ م)[١]:

كُلَّ يَـوْمٍ كَانَ عَنّـا جَـــــلَلًا غَيْـرَ يَـوْمِ الْحِنْـوِ فِـي جَنْبَـيْ قَطَـرْ
ضَرَبَـتْ دَوْسَـر فِينَـا ضَرْبَـةً أَثْبَتَـتْ أَوْتَـادَ مُلْـكٍ فَاسْتَقَـــــرْ

وعند الحديث عن المُنْكَدِر -طريق بين الكوفة واليمامة- نجد جَنْدل بن المثنَّى الطهويَّ (ت: نحو ٩٠ هـ / ٧٠٩ م) يصف إبلًا، قائلًا[٢]:

يَهْوِيـنَ مِـنْ أفِجَّـةٍ شَـتَّى الكُـــــوَرْ مِـنْ مجْـدلٍ وَمثقـبٍ ومُنْكَـــــدِرْ
وَمِثْلهـمْ مِـنْ بَصْـرَةٍ وَمِـنْ هَجَـــر وَمِـنْ ثَنَايَـا يَمَـنٍ وَمِـنْ قَطَـــــرْ

جدير بالذكر أنَّ قطر التاريخية تُعَدُّ جُزءًا من إقليم أكثر شمولًا، هو إقليم العروض، ويشمل: اليمامة، والبحرين، والأحساء، وشبه جزيرة قطر. وفي هذا الإقليم من المرتفعات هضبة الصَّمَّان، التي تمتد موازية لساحل الخليج العربي، وهضبة طُوَيْق في الوسط الجنوبي[٣].



[خريطة – ١١: إقليم العروض. المصدر: العروض في كتابات الجغرافيين العرب لعبد العال الشامي، ١٥]

(١) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٣، ص١٠٨٣.
(٢) الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢١٦.
(٣) توفيق برو، **تاريخ العرب القديم**، ص٢٨.

وحين عرَّف الهمدانيُّ البلادَ العربية (ت٣٣٤ هـ / ٩٤٥م) في كتابه **صفة جزيرة العرب** ذكر قطر باسمها المعروف لدينا اليوم. قال: «وإنَّما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر؛ وذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قِنَّسْرين، ثم انحطّ على الجزيرة وسواد العراق، حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلَّة، وامتد إلى عبَّادان، وأخذ البحر من ذلك الموضع مُغَرِّبًا مُطِيفًا ببلاد العرب، مُنْعطِفًا عليها، فأتى منها على سفوان وكاظمة، ونفذ إلى القطيف وهجر وأسياف البحرين وقطر وعُمان والشّحر، ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبْيَن وعَدَن ودَهْلَك، واستطال ذلك العُنُق فطعن في تهائم اليمن بلاد فرسان وحكم والأشعريّين وعَكٍّ، ومضى إلى جدة؛ ساحل مكة، والجار ساحل المدينة، وساحل الطور، وخليج أيْلَة، وساحل رَايَة -كورة من كُوَر مصر البحرية-، حتى بلغ قَلْزَم مصر، وخالط بلادها، وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان، مُسْتطيلًا، مُعَارِضًا للبحر معه، حتى دفع في بحر مصر والشام، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين، فمرَّ بعسقلان وسواحلها، وأتى على صور -ساحل الأردنّ-...»[1]، إلى آخر كلامه. وجاء عن أبي منصور ابن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨١م) في **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**: «بسِيف البحر بين عمان والبحرين مدينة، يقال لها: «قَطَر»، خرَّبها القرامطة، وأرى البرود القطرية كانت تعمل بها، ويقال قطرية»[2]، وأنشد بيت الحنظلي المتقدم.

وعلى ذكر الحديث عن التبعية والاستقلال -عطفًا على ما تقدَّم-، نجد أنَّها قد خضعت في مرحلة لاحقة لحكم النباهنة العمانيين في القرن ٨ هـ / ١٤ م؛ إذ استولوا عليها، ولم يَطُلْ مقامهم بها، ثم تناوب على حكم قطر وغيرها من مناطق البحرين كثيرون من أهل البلاد، وفي سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م استولى

(١) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٨٤.

(٢) الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، ص٨٠.

البرتغاليون على قطر مع ما استولوا عليه من مناطق الخليج.



[رسم – ٤: مهاجمة الجيوش البرتغالية سواحل الخليج، تخييل باستخدام الذكاء الاصطناعي]

وفي سنة ٩٤٣ هـ / ١٥٣٧م -وبعد أنْ أُجْلُوا مِنَ السَّاحل- استولى العثمانيون على المنطقة، وعندما ضعفت الدولة العثمانية استطاع آل حميد من بني خالد أن يطردوا العثمانيين سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م، ويصبحوا ملوك الأحساء. تعاقبت أسر مختلفة على المنطقة، ثم ما لبث الأمر أن استقرَّ لآل ثاني في قطر[١]، حتى يومنا هذا.

بعيدًا عن ذلك التدافع؛ قطر اليوم دولة مُسْتقلَّة ذات سيادة، وهي مُمَثَّلة في مجلس دول التعاون، ولها ثقلها السياسي والعالمي، وسياستها معروفة. ولا تكاد تخلو خريطة من الخرائط الأجنبية القديمة من ذكرها باسم: CATARA.

(١) بتصرف: العسيري، أحمد معمور، **موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر**، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط: الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م)، ص٣٧٢.

5-1- جِلْفَار[1]:

لم أجد من قلب جيمها ياء فيما بين يديّ من المصادر، على أن تلك لغة معروفة، ما زالت قائمة، بخاصة على هذا الامتداد حتى يومنا هذا. غاية ما وجدت جِلْفار وجِرفار (رأس الخيمة حاليًّا)، وقد اختفى هذا الاسم في زماننا، ومثل ذلك كثير، يقول الشيخ سالم بن حمود السيابي (ت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م) في **إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان** -وهو يتحدث عن اختفاء بعض أعلام الأماكن-: «تقع بلدة سُونِي في نحره [يعني في نحر وادي بني خَرُوص]، وهي المعروفة الآن بالعوابي -بفتح العين المهملة والواو، بعدها ألف فباء موحدة فياء مثناة من تحت-، واختفى اسمها القديم، واختفى -أيضًا- اسم حَمَمْت -بحاء مهملة مفتوحة، وميمين بعدهما تاء مثناة من فوق-، واشتهرت باسم الجَنَاة في هذا العهد، وهي بوادي بني رواحة الغربي. واختفى -كذلك- اسم دَمَا من الباطنة، واشتهرت باسم الخُرَيْس، تصغير خَرْس، بالسِّيب. وكما اختفى اسم تُوَآم -بتاء مثناة من فوق بعدها واو، فألف فميم-، واشتهرت باسم البُرَيْمِي. وكذلك اختفت جِلْفَار -بجيم معجمة فلام ففاء فألف وراء مهملة-، واشتهرت جلفار باسم رأس الخيمة، وهكذا»[2]. وأكثر البلدانيين قد ضَعَّفُوا الاسم (= جلَّفار)، وصوَّبَ الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م) في **تاج العروس من جواهر القاموس** التضعيف[3].

(١) تتبع حاليًّا إمارة رأس الخيمة، ضمن دولة الإمارات العربية المتحدة، تطل على الخليج العربي في أقصى الجنوب، ويبلغ طول ساحلها ٦٤ كم. تتبعها عدد من الجزر، أشهرها: جزيرتا طنب الكبرى والصغرى، والجزيرة الحمراء. سميت بالخيمة التي نصبتها الزباء -على ما ينقل-، وقيل: الخيمة التي نصبة رحمة بن مطر القاسمي (١٧٥١-١٧٦٠م). تقع إمارة رأس الخيمة في أقصى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربية، بين خطي عرض ٢٥ ـ ٢٦ شمالاً، وخطي طول ٥٥ ـ ٦٠ شرقًا. يحدها من الشرق سلسة جبال عمان. تبلغ مساحة رأس الخيمة ١٦٨٤ كم٢ هذه المساحة تعادل ٢,١٧٪ من مجموع مساحة دولة الإمارات. وتُعَدُّ الإمارة الرابعة من حيث المساحة [ينظر: ما كُتب ونشر عبر المواقع والكتب والتقارير المتاحة عبر الشابكة].

(٢) السيابي، **إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان**، ص١١٢.

(٣) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٠، ص٤٥٦.

وجلفار: من الصِّير؛ المنطقة الممتد بمحاذاة مياه الخليج؛ من رأس مسندم إلى جلفار وما بعدها، وتشمل القرى والبلدات الواقعة في تلك الجهة جميعها، وعلى هذا فجلفار إحدى مدنها، وربما عرفت جلفار نفسها بأنها الصير أو العكس، أو قيل عن الصير بأنها رأس الخيمة، وربما اتسعت تسمية الصير لتشمل -أيضًا- بلدة دَبَا، الواقعة على ساحل بحر عُمان في الجهة المقابلة، بل ولتشمل البلدات جميعها الواقعة في رؤوس الجبال، مثل: خَصَب، وكَمْزَار وغيرها[1]، ويؤكِّد هذا المعنى الأخير ما جاء لدى ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) في كتابه **المشترك وضعا والمفترق صقعا**. قال: «والصِّير -أيضًا جبل على الساحل بين عُمان وسِيرَاف. كلُّه عن نصر»[2]. قيل: سميت جلفار باسم ملك عُمان (جيفر بن الجلندى)، فهي بذلك عربية الأصل، وقيل: أصلها فارسي، من جُلَّنار الذي هو ورد الرمان، وقيل غير ذلك[3].

تعدُّ جلفار حاضرةً مُهمَّةً مِنْ حَوَاضِرِ عُمان القديمة، ومحطةً من المحطات التاريخية والحضارية، وطريقًا ومَعْبرًا من المعابر الحيوية، ونقطة التقاء لبعض الطرق الحضارية. قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) في **معجم البلدان** مُعَرِّفًا: «جرفار -بالضم ثم التشديد، وفاء، وألف، وراء: مدينة مخصبة بناحية عمان، وأكثر ما سمعتهم يسمونها جلفار -باللام-»[4]، وقال: «بلد بعمان عامر كثير الغنم والجبن والسمن، يجلب منها إلى ما يجاورها من البلدان»[5]. وقال

(١) د. سالم بن سعيد البوسعيدي، **شاعر الصير الشيخ محمد بن صالح المنتفقي** (جريدة عمان، النشرة الإلكترونية: الخميس ٢٠ ربيع الآخر ١٤٤٦ هـ - ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤ م)

(٢) أبو عبد الله، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، تحرير: فريناند فستنفلد، (جامعة روما، سابينزا، ط: الأولى ٢٠١٤م، ١٨٤٦م)، ص٢٨٧

(٣) د. حسن إبراهيم منيسي، **شيوخ القواسم في رأس الخيمة ودورهم في الأحداث السياسية من بداية وجودهم الخليج العربي عام ١٨٢٠م حتى ١٩٤٨م**، (الدار العربية للموسوعات، ط: الأولى ٢٠١٤م)، ح١، ص٤٩.

(٤) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص١٢٨.

(٥) ياقوت الحموي، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٥٤.

الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥م) في **القاموس المحيط**: «يجلب منها إلى جزيرة قَيْسٍ نحو السَّمْنِ والجُبْن»[١].



[صورة – ١٣: قرية تراثية في جزيرة قيس (كيش). المصدر: موقع المسافرون أون لاين]

وقد وصفها الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م) في **تاج العروس** بأنَّها بحريَّة[٢]، ولدى حديثه عن المسالك من عُمان إلى قطر يقول الشَّريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥م) واصفًا في **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: «ومن عُمان الطريق على السَّاحل إلى بلاد البحرين، وذلك من صُحَار ودَمَا إلى مَسْقَط إلى الخَيْل إلى جلفار، وهاتان قريتان بهما مغايص اللؤلؤ، ويقابلهما في البحر طرف جبل كبير غائص في البحر، يظهر منه القليل في بعض الأماكن، ويغيب في غيرها، فإذا وصلت المراكب الصاعدة من البصرة إلى عُمان، ووصلت إلى هذا الحد، فرّغت في الساحل ما فيها من الأمْتَاع (ج. متاع) حتى تخف السفينة، وتجوز ذلك الطرف، ثم تُوسَق بعد ذلك، وتسير إلى عُمان. ومن جلفار وأنت نازل إلى البحرين تصير إلى مرسى السَّبْخَة؛ وهو مرسى فيه عين نابعة عذبة، ومنه إلى

(١) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي، **القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما تفرق من لغة العرب شماميط**، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م بيروت – لبنان)، ص٣٦٧.

(٢) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**: ٤٥٦/١٠.

شقاب وبوار، وبحر عويص صعب السلوك، وتسمى هذه الأمكنة ببحر قطر»[١].

ومما يميز جلفار -كما يقول أحد الدراسين-: الجبال، والساحل، والسهل، والصحراء، قال: «ومن هنا اكتسبت جلفار أهميتها الخاصة، التي جعلتها من أشهر المدن في الخليج العربي، في القرن الثاني عشر الميلادي»[٢].

وفي سياق أهميتها يصف أحمد بن ماجد (ت ٩٠٦ هـ / ١٥٠١م) في **حاوية الاختصار في أصول علم البحار** جلفار -عَطْفًا على ما ذُكِر- بأنَّها موطن أُسْدِ البحر، قائلا:

تَمَّتْ لِشَهْرِ الْحَجِّ فِي جلْفَارِ ... أوْطَانِ أُسْدِ الْبَحْرِ في الأقْطَارِ
يَوْمَ الْغَدِيرِ أَبْرَكِ الأيَّامِ ... إذْ خُصَّ بالإحسانِ والصِّيامِ
وَكَان فِي الْهِجْرَةِ يا مَوْلَايَهْ ... ستةْ وستونْ وثمان مايه

أي في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٨٦٦، الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٤٦٢م[٣].

بينما وصف أهلها شاعر آخر من المتأخرين بأنهم ملوك اللؤلؤ، وهو يقول مُسْتَذْكِرًا (بالشعر الشعبي):

يا ساكن جلفار شي ايْحِلْكمْ ... فِي سَفْك دَمِّي اتْحِلُّونَهْ
رُوفُوا بقلبٍ غَدَا مَعْكُمْ ... دُورَةْ الخنصرْ تدِيرُونَهْ
يا ملوك اللولو لولكم ... في منى واليوم في مُونهْ

والأبيات للشاعر راشد بن سالم السويدي، الملقب بالْخَضَر (ت١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م)؛ وهو من الشعراء الشعبيين المعروفين بدولة الإمارات العربية المتحدة[٤].

---

(١) الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: ١٦٢/١.

(٢) د. حسن إبراهيم منيسي، **شيوخ القواسم في رأس الخيمة ودورهم في الأحداث السياسية من بداية وجودهم الخليج العربي عام ١٨٢٠م حتى ١٩٤٨م**، ص٥٠.

(٣) م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج ٢٠، ص٦٣١٦.

(٤) راشد بن سالم بن عبد الرحمن السويدي، **ديوان راشد الخضر**، جمع: حمد خليفة أبو شهاب، (أكاديمية الشعر، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: ٣/ ٢٠١٩م)، ص٧٩.

ووجدت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) في **معجم البلدان** ينقل أنَّ جلفار كان يُحَدُّ بها من عُمان إقليم البحرين التاريخي، الواقع بينها والبصرة. يقول: «وحده من عمان ناحية جرفار، واليمامة على جبالها، وربما ضُمَّت اليمامة الى المدينة، وربما أُفْرِدَتْ، هذا كان في أيام بني أمية، فلما ولي بنو العباس صيّروا عُمان والبحرين واليمامة عملًا واحدًا»[١]. وقد عدَّ المقدسي (نحو ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) في **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** جلفار من مدنها الشهيرة، والمعروفة[٢]، بل هي عند الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) -آنف الذكر- مصر مستغنٍ بنفسه -كما تقدم الكلام في ذلك-؛ يقول: «بلد بعُمان عامر، كثير الغنم والجبن والسَّمن، يجلب منها إلى ما يجاورها من البلدان»[٣]، ويقول ابن شمائل القطيعي (ت٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م) في **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**: «مدينة مخصبة بناحية عُمان، وأكثر ما يقولونها جلّفار باللام»[٤].

جدير بالذكر أن جلفار كان لها حضور في التاريخ القديم؛ ومن الإشارات المبكرة على ذلك ما أورده الشيخ سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري (ت ٥١١هـ) في كتابه **الأنساب**، عند الكلام عن نسب بني عامر بن مالك. يقول: «منهم: معاوية بن يحيى، الذي خرج من الديار في مائتي رجل من بني عمّه، فنزل بجرّفار، من قرى عُمان، ثم خرج منها إلى أوَال، فقاتل مجوسًا كانوا بها، فأجلاهم عنها، وتغلّب عليهم، وقسمها على بني عمّه، وهم بنو الخارجية، يسكنون برمل عُمان، وهم أهل شدّة وبأس، رماة بالنّبل، وهم أهل حفاظ، والخارجيَّة أمُّهم. قال الشاعر :

أ لَمْ ترَ أنَّ الخارجيَّةَ أمُّنَا ... وأنَّ أبَانَا عَامِرُ بنُ مُعاويَةْ

...»[٥].

(١) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٣٤٧.

(٢) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص٧١.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص١٥٤.

(٤) ابن شمائل القطيعي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج١، ص٣٢٧.

(٥) العوتبي الصحاري، **الأنساب**، ج١، ص١٦٣.

تاريخيًّا شهدت جلفار الكثير من الأحداث، في الجاهلية والإسلام، غير أن أحداثها في الإسلام باتت محفوظة ومحفورة في الذاكرة، من ذلك ما جاء في أحداث فتوح بلاد فارس، أن عثمان بن أبي العاص (ت ٥١ هـ / ٦٧١ م) ندب الناس، فانتدب ثلاثة آلاف، ويُقَال ألفان وستمائة من الأزد من عُمان، مع ما انضم اليه من رَاسِب ونَاجِيَة وعَبْد قَيْس، وأكثرهم من الأزد. وكان رأس شنوءة: صَبْرَة بن سَيْحَان الحُدَّانِي، ورأس بني مالك بن فهم...: زيد (=يزيد) بن جعفر الجهضمي. ورأس عمران: أبو صفرة ظالم بن سرَّاق، معه جماعة من ولده: نَخْف والمغيرة وحبيب، فخرج بهم عثمان بن أبي العاص [من] طريق البر، إلى جرْفار (= جلفار)، وركب بهم من جرْفار البحر في السفن، وقد قدم على كل قبيلة منهم من ذكرنا من رؤساء الأزد، فعَبَرَ بهم من جرْفار إلى جزيرة بني كَاوَان، وكان بها قائد كبير مع عدد من العجم، فسالم عثمان، ولم يقاتله، وترك ما بينه وبين الغنائم، وكاتب في وقته صاحبه يَزْدَجر، فكتب يَزْدَجر إلى صاحبه بكرمان، وكان عظيمًا من عظماء كرمان، وأمره أن يقطع جزيرة كَاوَان فيحول بين العرب الذين بها وبين اخوانهم، وأنْ يخرج في عدد كثير، وأن يستظهر في جميع ما يحتاج إليه، فخرج في أربعين ألف رجل من رجالات العجم، وقطع لهم من هرمز، فاتصل الخبر بعثمان بن أبي العاص، فلقيهم بجزيرة القَسَم، واسمها: جَاش، وعرَّبوها، فاقتتلوا فيها قتالا شديدًا، فقتل الله قائد العجم، وانهزم المشركون»[1].

كما يذكر لنا التاريخ أنه لما خرج شيبان بن عبد العزيز الشيباني (ت ١٣٤ هـ / ٧٥١ م)، وكان يطلبه أبو العباس السفاح (ت ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م)، فلمَّا قدم إلى عُمان أخرج إليه الجلندى (ت ١٣٤ هـ / ٧٥١ م) هلال بن عطيه الخرساني، ويحيى بن نجيح وجماعة من المسلمين، فلما التقوا بجلفار، وصاروا صفين قام يحيى بن نجيح، وكان يحيى فضله شاهرًا بين المسلمين، فدعا بدعوة أنصف فيها الفريقين، فقال: «اللهم إن كنت تعلم أننا على الدين

(١) العوتبي الصحاري، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٦٢٦.

الذي ترضاه، والحق الذي يجب أن يؤتى به، فاجعلني أول قتيل من أصحابي، ثم أجعل شيبان أول قتيل من أصحابه، واجعل الدائرة على أصحابه، وإن كنت تعلم أن شيبان وأصحابه على الدين الذي ترضاه، والحق الذي يجب أن يؤتى به، فاجعل شيبان أول قتيل من أصحابه. ثم زحف القوم بعضهم إلى بعض، فكان أول قتيل من المسلمين يحيى بن نجيح، وأول قتيل من أصحاب شيبان. فلما قتل شيبان وصل إلى عمان خازم بن خزيمة التميمي (ت ١٥٣ هـ / ٧٧٠م)، فوجد شيبان مقتولًا، وقال: إنا كنا نطلب هؤلاء القوم؛ يعني شيبان وأصحابه، وقد كفانا الله قتالهم وشرهم على أيديكم، ولكن أريد أن أخرج من عندك إلى الخليفة وأخبره خبر أنك له سامع مطيع، فطلب من الجلندي خاتم شيبان وسيفه، وأن يخطب لسلطان بغداد، ويعترف له بالسمع والطاعة، فشاور الجلندي المسلمين في ذلك، فلم يروا له ذلك، وقيل: سأله أن يعطيه سيف شيبان وخاتمه، فأبى الجلندى، فوقع القتال بين خازم بن خزيمة والجلندى، فقتل جميع أصحاب الجلندى، ولم يبق إلا هو وهلال بن عطية الخراساني، فقال الجلندى: احمل يا هلال بن عطية، فقال هلال للجلندى: أنت إمامي فكن أمامي، ولك عليّ ألا أبقى بعدك، فتقدم الجلندى فقاتل حتى قتل -رحمه الله-، ثم تقدم هلال بن عطيه، وعليه لأمة حربه، وكان أصحاب خازم يتعجبون من ثقافته، وهم لم يعرفوه بين الجماعة، ثم عرفوه، وقالوا: هذا هلال بن عطية فاحْتَوَلُوه [= أحاطوا به] حتى قتلوه -رحمه الله-.

قال المعولي الأفوي في **قصص وأخبار جرت في عُمان**: «وكانت هذه الملحمة بجلفار، ومكث خازم بعمان أشهر، وكان خازم أرسل برؤوس أعيان القتلى إلى بغداد مُتبجِّحًا بهم، ومفتخرًا بقتلهم»[1]، وكانت تلك الأحداث سنة (١٣٤ هـ / ٧٥١ م).

(١) المعولي، محمد بن عامر، **قصص وأخبار جرت في عُمان**، ص١٣٨ وما بعدها.



[رسم – ٥: معركة جلفار، تخييل باستخدام الذكاء الاصطناعي، مع ملاحظة عدم اعتبار الرموز والأعلام]

تاريخيًّا تعاقب على جلفار عدد من الولاة العمانيين لوقت متأخر جدًّا؛ ففي عصر الدولة النبهانية الثانية مثلًا يشير أحد شعرائها إلى ذلك، وهو يقول واصفًا ملك عَرار بن فلاح النبهاني (١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥م):

وَعَرَارُهَا فِيهَا يَفُوحُ كأنَّهُ ... أَخْلاقُ مَحْمُودِ الْخَلاقِ عَرَارِ
صَمَدٌ براهُ اللّه مِن شَرَفٍ ومِنْ ... كَرمٍ ومِنْ جُودٍ معًا وفَخَارِ
كاسٍ منَ الحمدِ الجَزِيل وإنّه ... فِي النَّاسِ عارٍ مِنْ لِبَاسِ الْعَارِ
فِي تاجِهِ قمرٌ وبَاطِنُ كفّهِ ... بحرٌ وبطْنُ الدِّرْعِ ليثٌ ضارِ
لَم تجرِ في القرطاسِ أقلامٌ له ... إلّا عَلى قَدرٍ من الأقدارِ

وَتُطيعـــه الأيّـــامُ وَالأفـلاك فـــي ... مـــا يَبتغيـــهِ وَالقضـــاء الجـــــارِ
مَلـــكٌ يـــدبِّر حكمـــه فـــي مُلْكـــهِ ... مِـــن بـــابِ قلهـــاتٍ إلـــى جلفـــــارِ

جدير بالذكر أن لليعاربة العمانيين دورًا مهمًّا جدًّا في طرد المحتل البرتغالي منها؛ إذ حقق الإمام ناصر بن مرشد (ت١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م) انتصارًا ساحقًا، خالدًا في سجلات الدهر، وأمَّنَ رجالاته جلفار، وارتفع بيرق النصر فيها خفّاقًا عاليًا يعانق عنان السماء، تُرَدِّدُ خبره الأجيال.. جيلًا بعد جيل. يذكر أحد المؤرخين طرفًا مما دار بجلفار وقتها قائلًا: «ثم إنَّ الإمام جهَّزَ جيشًا، وجعل عليه علي بن أحمد، وعضده ببني عمه من آل يعرب، وأمره بالمسير إلى قرية جلفار -وهي الصِّير-، وكان المالك لها يومئذٍ ناصر الدين العجمي، وعنده عساكر من العجم، فحصرهم علي بن أحمد بحصن الصِّير، فنصبوا له الحرب، وقَوِيَ بينهم الطعن والضرب، وظاهرتهم فرقة من أهل الصِّير على جيش الإمام، وكان بحصن الصِّير برج مُعْتزِل، له جدار مُتَّصِل بالحصن، وفيه قوم تقاتل بالليل والنهار، وكانت غربان النصارى (= سفنهم الحربية) في البحر، تدفع بمدافعها المسلمين عن الحصن، فعزم المسلمون على الهجوم على البرج، فهجموا عليه ليلًا، وأخذوه قهرًا، ومالوا على الحصن فافتتحوه، وجعل فيه قائد الجيش واليًا، ثم أقبل بعض الجيش، وفيهم الدَّهَامِش، وخميس بن مخزوم، فزحفوا بجلفار، وكان فيها حصن على الساحل للإفرنج، فدخل الجيش [تلك الجهة] نهارًا، واحْتَوَوْا عليها، وحصروا من كان في الحصن، وبنوا فيها حصنًا، فذلت دولة المشركين، وطلبوا الصلح، فصالحهم الوالي، فهبطوا من الحصن، فجعل الوالي فيه واليا، وترك معه بعض العسكر، ورجع علي بن أحمد بمن معه من العسكر إلى نزوى، فاستبشر الإمام بقدومه وبفتح الصِّير»[1].

(١) مجهول، **تاريخ أهل عمان**، تحقيق وشرح: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، (وزارة التراث والثقافة، ط: الثانية، ١٤٢٦ هـ) ص١٣٥ وما بعدها.

تعرف جِلْفَار اليوم برأس الخيمة، وإن كانت جلفار القديمة -الميناء والمدينة- واقعة إلى الشمال من رأس الخيمة الحاليَّة، ومُمْتدَّة على طول السَّاحل المؤدي إلى الرَّمْس، في المكان المعروف الآن بالْنُّدُود والمَطَاف[1]، بذلك يتكون عموم المستوطن القديم لجلفار التاريخية من ثلاثة أقسام، هي: من الشمال إلى الجنوب: منطقة المَطَاف، ومنطقة الْنُّدُود، ومنطقة الدَّرْبَخَانِيَّة[2]. وقد آلَ حكمها لأسرة القواسم في العصر الحديث[3]، والقواسم ينتسبون إلى شريف يقال له: القاسم، الذي أسَّس دولته على ذلك السَّاحل الممتد من الشارقة إلى رأس الخيمة، والذي كان يُعْرَف قديمًا بالصِّير، واتَّخذ الشارقة عاصمة له؛ هكذا جاء في **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، وقيل في نسبهم غير ذلك، ممَّا يطلب من مظانِّه[4]، وللباحث خلفان بن علي القاسمي (معاصر) كتاب في أصول أسلافه ومواطنهم، سمَّاه: **الفيصل القاسم في تاريخ القواسم**، طبع أول الأمر في ديسمبر ٢٠١٣م، ويمكن تلخيص الأحداث المرتبطة بالمكان مذ ذلك الوقت حتى وقت متأخر له، -من المصدر السابق المشار إليه (أعني: **موجز الدائرة**)- كما يأتي:

- بعد خروج البرتغاليين من المنطقة سنة ١٦٥٠ م أصبحت جلفار عاصمة للقواسم؛ لما لها من سمعة تجارية، وقربها من مدخل الخليج والسَّاحل الفارسي، حيث التجارة رائجة.
- في بداية القرن الثامن عشر الميلادي انتهت الدولة الصفوية، وتبع ذلك الاحتلال الأفغاني لإيران، مما أعطى فرصة للقواسم باحتلال

(١) د. حسن إبراهيم منيسي، **شيوخ القواسم في رأس الخيمة ودورهم في الأحداث السياسية من بداية وجودهم الخليج العربي عام ١٨٢٠م حتى ١٩٤٨م**، ح١، ص٤٩.

(٢) أحمد بن سعيد الزعابي، **رأس الخيمة.. آثار وأطلال**، (وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى، ٢٠٢٤م)، ص٦ فصاعدا.

(٣) م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج ٢٧، ص٨٣٩٦.

(٤) د. حسن إبراهيم منيسي، **شيوخ القواسم في رأس الخيمة ودورهم في الأحداث السياسية من بداية وجودهم الخليج العربي عام ١٨٢٠م حتى ١٩٤٨م**، ص٥١ فصاعدا.

أجزاء من ساحل فارس وبعض الجزر، واستطاع أحد أقربائهم -ويدعى الشيخ راشد-، تأسيس قاعدة تجارية في بَاسِيدُوه على جزيرة قشَم، الأمر الذي أغاظ بريطانيا؛ حيث أخذت تجارتها في الكساد، فشنَّت حملة عسكرية على بَاسِيدُوه، وحطَّمت قاعدته.

- في تلك الفترة عصفت بعمان حرب أهلية، انقسمت فيها البلاد إلى معسكرين الهناوية بقيادة الهنائي، والآخر يتبع محمد بن ناصر (ت ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م)، ويدعى الغافرية، بقيادة الغافري، فانضم القواسم إلى معسكر الغافرية، وكان قائد جيش القواسم زعيمهم الشيخ رحمة بن مطر بن رحمة ابن محمد بن القاسم (ت ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ م)، وكان تعداد جيشه خمسة آلاف مقاتل، وعُدته مدافع بعجلات تجرها الدواب، وكان يعدُّ في تلك الفترة أغنى رجل في منطقة الخليج.
- في بدايات القرن (١٨م) نزلت القوات الفارسية في خُورفَكَّان، واتَّجهت إلى مسقط لمساعدة الإمام سيف بن سلطان (ت ١١٣١ هـ / ١٧١٩ م) ضد بُلْعَرَب (ت ١١٦٧ هـ / ١٧٥٤ م) الذي كان ينازعه السُّلْطة، ونزلت قوات أخرى في خصب شمالي رأس الخيمة، فتصدَّى لها الشيخ رحمة ابن مطر (ت ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ م)، فهُزم وأخذ أسيرًا هو وأربعمائة من جنوده، ونقل إلى بندر عباس، ومن هناك إلى شيراز؛ حيث بقي في الأسر مدة أربع سنوات، حتى إذا ما انسحبت القوات الفارسية من عُمان وجلفار، واعترف نادر شاه (ت ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧م) بالشيخ رحمة ابن مطر القاسمي حاكما لجلفار مُلك أجداده، ونقل من شيراز إلى جلفار، حيث سلمت له البلاد.
- في فترة الحروب الأهلية في إيران (١٧٤٧ - ١٧٦٠ م) استغل الشيخ رحمة بن مطر القاسمي تلك الأوضاع؛ فاستطاع أن يسيطر على أجزاء من الساحل الفارسي، وكثير من الجزر، وفي نهايتها اختفى

الشيخ رحمة بن مطر القاسمي من التاريخ؛ حيث كان رجلًا مُسِنًّا، وقد تكون وفاته نتيجة الشيخوخة، وقد تابع الشيخ راشد بن مطر القاسمي (ت١١٩٠ هـ / ١٧٧٧م) شقيقه تلك السياسة؛ وهي السيطرة على مضيق هرمز، ممَّا دفع بعضهم إلى عقد تحالفات مضادة مع الإنجليز وبعض القبائل للحد من ذلك، وقبل اتخاذ أيّ ترتيبات هجم القواسم على بندر عباس، وتمكَّنَت قوات القواسم من إلحاق الهزيمة بناصر خان (حاكم «لار») في هجومه المضاد ضد (لَنْجَة)؛ أحد معاقل القواسم على ساحل فارس.

يستمر بعدها تاريخ المنطقة متسلسلا حتى وقتنا الحالي، وهو إن كان لا يهم موضوع بحثنا كثيرًا، إلا أن هذه الإشارة كانت كافية جدًّا لما نحن بصدده. وقد تتبَّع الشيخ سالم بن حمود السيابي (ت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م) تاريخ القواسم، فخرج بسِفْرٍ كبير، سماه: **إيضاح المعالم في تاريخ القواسم**، طبع أول الأمر في كانون الأول، سنة ١٩٧٦م، أُلِّفَت لاحقًا كتبًا أخرى، ودراسات وبحوثًا قيِّمة في هذا الباب. ولاسم جلفار -عودًا على بدء- حضور في ذاكرة الخريطة؛ إذ لا يكاد الناظر يُقلِّب الخرائط الأجنبية القديمة، إلا ويجد هذا الاسم ظاهرًا فيها، فيما يلي استعراض لأهم تلك الخرائط:

م	العام	الرسام / المصدر	الاسم المستخدم	ملاحظات
١	١٦٠٢م	Bertius	Gulfar كتبت مستقلة، في موضع رأس الخيمة	خريطة مصغرة للخليج العربي، من المجموعة الأولى من اللوحات المستخدمة لتوضيح: Tabularum Geographicarum Contractarum



[خريطة – ١٢، نسخة أ: الخليج العربي، نشرت سنة ١٦٠٢م، وتظهر فيها جلفار باسمها].

- المصدر: **معرض ألتيا**، المملكة المتحدة.
- الموقع:
https://www.alteagallery.com/stock_detail.php?ref=14203&search=adv
- الناقل الثانوي: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:
https://arabian-anthropology.blogspot.com

٢	١٦٠٣م	Petrus BERTIUS	Julfar كتبت في نسق، تحت خصب.	نُشرت في أمستردام، عارية من مقاييس الطول والعرض.
٣	١٦٠٦م	Petrus Bertius	Gulfar كتبت مستقلة، في الموضع المعروف اليوم برأس الخيمة.	نشرت بأمستردام؛ بوساطة كورنيليوم نيكولاي Cornelium Nicolai، ضمن: (الكتاب الخامس من الجداول الجغرافية التعاقدية).

٤	١٦١٠م	Heinrich Gross jnr	=	خريطة نادرة لشبه الجزيرة العربية، ضمن طبعة ألمانية لرحلات لودوفيكو دي فارثيما، سبق التعريف بها. وتوجد خريطة ثانية، كتبت فيها جلفار (Gulfar) مُسْتَقِلَّة، مكان رأس الخيمة الحالي.
٥	١٦١٢م	Barent Langenes	Gulfar كتبت مستقلة، في موضع رأس الخيمة	خريطة لمضيق هرمز، نُشِرَتْ بأمستردام من العام المذكور، سبق الكلام حولها.
٦	١٦٥٤م	Nicolas Sanson (ق١٧م)	Iulfar	خريطة أعدت عام ١٦٥٤م بباريس. يظهر الاسم عليها مُسْتَقِلًّا، لكنَّه إمَّا بـ حرف (آي) أو (ال).



[خريطة – ١٣: الجزيرة العربية، مضمنة الحدود العثمانية. للخرائطي الفرنسي: نيكولا سانسون، في عام ١٦٥٤م، باريس، ويظهر الخليج باسم خليج القطيف].

- المصدر: **مكتبة الكونجرس**، الولايات المتحدة الأمريكية:

https://www.loc.gov/collections/world-digital-library/about-this-collection/#regions=middle-east-and-north-africa&item_type=map&time_periods=1500-1699&countries=SAhttps://sec-shj.ae/#page=17&gsc.tab=0

- الناقل الثانوي: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:

https://arabian-anthropology.blogspot.com

٧	١٦٧٥م	Wit, Frederik de, (١٦٣٠م – ١٧٠٦م)	Iulfar	الخريطة البورتولانية للناشر وبائع الخرائط الهولندي فريدريك دي فيت، نُشِرَت في العام المذكور، حُدِّدت جلفار فيها بشكل واضح، وإن رُسِمَتْ كسابقتها بـ (آي) مكان (جي)، والحرف الثاني يشتبه إمَّا (يو) أو (إي).
٨	١٧٠٧م	Aa, Pieter van der (١٦٥٩- ١٧٣٣م)	=	بُنِيَتِ الخريطة على عمل برتغالي سابق، وتستخدم مزيجًا من اللغات الهولندية واللاتينية والبرتغالية للعناوين وأسماء الأماكن. تغطي الخريطة فقط الأجزاء الشرقية والوسطى من شبه الجزيرة. تُظْهِرُ الخريطة جِلْفَار، ويُسَمَّى الخليج فيها بالخليج الفارسي، أو خليج البصرة، ويُسمَّى مضيق هرمز: فريتوم باسورا Fretum Bassora ، أو مضيق البصرة.
٩	١٧٢١م	Guillaume de L'Isle (١٦٧٥- ١٧٢٦م)	Gtolaffar هكذا يظهر سمها	يرجع تاريخ هذه الخريطة إلى العام المذكور، رُسِمَت بوساطة صانع الخرائط الفرنسي غيوم دو ليسل. ويظهر جليًّا تسمية جلفار فيها باسمها المعروف، بيد أنها تستقل بالأحرف المرسومة.
١٠	١٧٤٠م	Bellin, Jacques-Nicolas (١٧٠٣ – ١٧٧٢م)	Julfar	أعَدَّ هذه الخريطة -التي ترجع للعام المذكور- رسّام الخرائط ورسام الهيدروغرافيا الفرنسي جاك نيكولا، تظهر ضفاف اللؤلؤ فيها على طول الساحل من البحرين إلى جلفار.
١١	١٧٤٥م	Jacques-Nicolas Bellin (١٧٠٣- ١٧٧٢م)	Iulfar	قسم مُقْتَطَع من النسخة الألمانية لخريطة جاك نيكولا بيلين، المنقوشة للجزيرة العربية، وقد ظهرت فيها جلفار أولها بـ (آي).



[خريطة – ١٤: خليج عمان والخليج العربي ١٧٤٥م، مأخوذة من النسخة الألمانية لخريطة الجزيرة العربية، المنقوشة لجاك نيكولاس بيلين، والتي تظهر جلفار باسمها].

- المصدر: **خريطة ألمانية للجزيرة العربية**.
- نسخة:

https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Bellin_-_Karte_von_der_K%C3%BCste_von_Arabien_c.1745_(crop).png#Summary

- الناقل الثانوي: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:

https://arabian-anthropology.blogspot.com

١٢	١٧٧٤م	وصف: Niebuhr, Carsten (١٧٣٣ – ١٨١٥م) نشر: S.J. Baalde and Utrecht and J. van Schoonhoven & comp	Df Julfar	خريطة نُشِرَت في أمستردام بالسنة المذكورة، بوساطة: س. ج. بالدي وأوتريخت S.J. Baalde and Utrecht. مع جي فان ومجموعته. تتضمن الخريطة وصفًا للجزيرة العربية، مع بعض الملاحظات الشخصية، وتظهر تسمية جلفار بالشكل المعروض، ولست داريًا هل الزيادة الأولى للتعريف؟
١٣	١٨٣٥م	Thomas Gamaliel Bradford (١٨٠٢ – ١٨٨٧م)	Julfar	أولى الخرائط الأمريكية للخليج العربي، وفيها تظهر جلفار بدون تحلية بالألف واللام، على السَّاحل.
١٤	١٨٥٥م	J.H. Colton (١٨٠٠-١٨٩٣م)	Jalfil -هكذا بدا لي-	نُشِرَت الخريطة بواسطة جي. إتش. كولتون، بنيويورك، في العام المذكور. تظهر جلفار في الخريطة مختومة باللام.



[خريطة – ١٥: مقطع آخر للساحلين الشرقي والغربي، نُشرت الخريطة بواسطة: جيه إتش كولتون، نيويورك في عام ١٨٥٥م. وتظهر جلفار فيها باسم «جلفال»].

- المصدر: **مكتبة الكونجرس**، الولايات المتحدة الأمريكية.
- الموقع:

https://www.loc.gov/collections/world-digital-library/about-this-collection/#regions=middle-east-and-north-africa&item_type=map&time_periods=1850-1899&countries=SA

- الناقل الثانوي: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:

https://arabian-anthropology.blogspot.com

١٥	١٨٦٦م	C. Ohmann وآخرون	Ghafarj	الخريطة أصدرها المعهد الجغرافي فايمار (ألمانيا) في العام المشار إليه. وتظهر جلفار.

ختامًا.. فإن آثار جلفار، وشواهد الحياة القديمة فيها، مما فصّلت التقارير، والبحوث والدراسات المتخصصة الكلام فيه، بما لا غاية بعده لمستزيد، وفيها الكفاية لمن التمس الإفادة، والله الموفق.

1-6- دَبَـا[1]:

دَبَـا فيمـا بيـن عُمـان والبحريـن[2]، وهـي مـن المـدن القديمـة جـدًّا[3]، ولهـا سـوق فـي الجاهليـة معـروف، يؤمّـه التجـار وغيرهـم، قـال أبـو جعفـر الهاشـمي البغـدادي (ت٢٤٥ هـ / ٨٦٠م) فـي **المحبر**: «ثـم سـوق (دَبـا)؛ وهـي إحـدى فرضتـي العـرب. يأتيهـا تجـار السـند والهنـد والصيـن وأهـل المشـرق والمغـرب، فيقـوم سـوقها آخـر يـوم مـن رجـب، وكان بيعهـم فيهـا المسـاومة، وكان الجلنـدى بـن المسـتكبر (ق. إ) يعشِّـرهم فيهـا وفـي سـوق صحـار، ويفعـل فـي ذلـك فعـل الملـوك بغيرهـا»[4].

قـال سـعيد الأفغانـي (ت١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م) فـي **أسـواق العـرب فـي الجاهليـة والإسـلام**: «جعـل المرزوقـي (ت٤٢١ هـ / ١٠٣٠م) تاريـخ قيـام هـذه السـوق بيـن سـوقي صحـار والشـحر. ونسـتطيع أن نفهـم شـيئًا مـن خطرهـا التجـاري؛ إذا علمنـا أنهـا مـن فـرض العـرب المشـهورة، وأنـه يكـون فيهـا مـن لا يكـون فـي غيرهـا مـن تجـار السـند والهنـد والصيـن وأهـل المشـرق والمغـرب، وتمتـاز مـن غيرهـا بالبضائـع الأجنبيـة التـي يحملهـا التجـار مـن بلادهـم فـي البحـر، وتنفـذ منهـا تجـارات العـرب إلـى الخـارج. تقـوم سـوقها آخـر يـوم مـن رجـب، ويشـترى بهـا بضائـع جزيـرة العـرب وبضائـع الأقاليـم. ومـن البديهـي أنَّ البيـع فيهـا لا يكـون بإلقـاء الحجـارة ولا بالإيمـاء ولا بغيرهمـا مـن البيـوع الخاصـة؛ لمـكان الأجانـب منهـا، بـل هـو بالمسـاومة؛ لأن السـوق سـوق مختلطـة غيـر خالصـة الصبغـة. ولا يبـاع فيهـا شـيء حتـى يبيـع ملكهـا الجلنـدى بـن المسـتكبر كل مـا عنـده، وهـو الـذي يعشّـر النـاس فيهـا كمـا يفعـل غيـره

(١) تقـع دبـا بأقسـامها التـي سـيرد ذكرهـا فـي دولتيـن: سـلطنة عُمـان والإمـارات العربيـة المتحـدة. تقـع دبـا البيعـة علـى بحـر عُمـان، ضمـن محافظـة مسـندم، فـي الجـزء الشـمالي مـن سـلطنة عُمـان، يحدهـا شـرقا بحـر عُمـان، وشـمالا قـرى ونيابـة ليمـا ومضيـق هرمـز، ومـن الغـرب ولايـة خصـب وولايـة بخـا، ومـن الجنـوب والجنـوب الغربـي دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة.

(٢) محمـد بـن سـعد بـن منيـع الزهـري، **الطبقـات الكبـرى**، تـح: الدكتـور علـي محمـد عمـر، (مكتبـة الخانجـي، القاهـرة – مصـر، ط: الأولـى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م)، ج٩، ص١٠٠.

(٣) أحمـد بـن علـي بـن عبـد القـادر، أبـو العبـاس الحسـيني العبيـدي، تقـي الديـن المقريـزي، **رسـائل المقريـزي**، (دار الحديـث، القاهـرة، ط: الأولـى، ١٤١٩ هـ)، ص٥٥.

(٤) محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى**، ج٩، ص١٠٠.

مـن الملـوك فـي غيرهـا مـن الأسـواق»[1].

أسـلم أهـل دبـا، وقـدم وفدهـم علـى رسـول الله -صلـى الله عليـه وآلـه وسـلم-، مُقِرّيـن بالإسـلام، فبعـث عليهـم مُصَدِّقًـا منهـم، يقـال لـه: حذيفـة بـن اليمـان الأزدي (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) مـن أهـل دبـا، وكتـب لـه فرائـض الصدقـات، فـكان يأخـذ صدقـات أموالهـم، ويردهـا علـى فقرائهـم[2].

وقـد نُسِـبَ -تاريخيًّـا- إلـى دبـا قبيـل مـن أزد العتيـك، قيـل لهـم: أزد دَبَـا، جـاء لـدى ابـن خلـكان (ت٦٨١ هـ / ١٢٨٢م) فـي **وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان**: «وأمَّـا دَبَـا -بفتـح الـدال المهملـة والبـاء الموحـدة وبعدهـا ألـف مقصـورة-، وهـو اسـم موضـع بيـن عمـان والبحريـن، أُضِيفـت جماعـة مـن الأزد إليـه لمـا نزلـوه، وكان الأزد عنـد تفرُّقهـم ... أضيفـت كل طائفـة إلـى شـيء يُمَيِّزهـا عـن غيرهـا، فقيـل: أزد دَبَـا، وأزد شَـنُوءَة، وأزد عُمَـان، وأزد السَّـرَاة، ومرجـع الـكل إلـى الأزد المذكـور، فـلا يظـنُّ ظانٌّ أنَّ الأزد مختلـف باختـلاف المضافيـن إليـه، وقـد قـال الشـاعر -وهـو النجاشـي؛ واسـمه قيـس بـن عمـرو بـن مالـك ابـن حـزن بـن الحـارث بـن كعـب بـن الحـارث الحارثـي (ت: نحـو ٤٠ هـ / ٦٦٠ م):

وَكُنْـتُ كـذِي رِجْلَيْـنِ رِجْـلٍ صَحِيحـةٍ ... وَرِجْـلٍ بِهَـا رَيْـبٌ مِـنَ الْحَدَثَـــانِ

فأمَّـا الَّتـي صحَّـت فَـأَزْدُ شَنُـــوءَةٍ ... وأمَّـا الَّتـي شَـلَّتْ فَـأَزْدُ عُمَـــانِ

...»[3]، وقـد درج كثيـر مـن المؤرخيـن علـى عـدِّ المهلـب بـن أبـي صفـرة (ت ٨٣ هـ / ٧٠٢ م) مـن أهـل دبـا[4]. قـال الزركلـي فـي **الأعـلام**: «المهلـب بـن أبـي صفـرة ظالـم بـن سـراق الأزدي العتكـي، أبـو سـعيد: أميـر، بطـاش، جـواد، قـال فيـه عبـد

(١) سـعيد بـن محمـد بـن أحمـد الأفغانـي، **أسـواق العـرب فـي الجاهليـة والإسـلام**، (المكتبـة الهاشـمية لأصحابهـا محمـد هاشـم الكتبـي وشـركاه بدمشـق، سـوريا، ط: الأولـى / ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧م)، ص٢٦٤ ومـا بعدهـا

(٢) محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى**، ج٩، ص١٠٠.

(٣) أبـو العبـاس، شـمس الديـن أحمـد بـن محمـد بـن إبراهيـم بـن أبـي بكـر ابـن خلـكان البرمكـي الإربلـي، **وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان**، تـح: إحسـان عبـاس، (دار صـادر – بيـروت، ط: ١/ ١٩٩٤م)، ج٥، ص٣٥٨.

(٤) أبـو محمـد عبـد الله بـن مسـلم بـن قتيبـة الدينـوري، **المعـارف**، تـح: ثـروت عكاشـة، (الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، القاهـرة – مصـر، ط: الثانيـة، ١٩٩٢ م)، ص٣٩٩.

الله بن الزبير (ت ٧٣ هـ / ٦٩٢ م): «هذا سيد أهل العراق». ولد في دبا، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر (ت ٢٣ هـ / ٦٤٤ م)، وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير (ت ٧١ هـ / ٦٩٠ م)، وفُقِئَتْ عينه بسَمَرْقَنْد، وانْتُدِبَ لقتال الأزارقة، وكانوا قد غلبوا على البلاد، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة، فأقام يحاربهم تسعة عشر عامًا، لقي فيها منهم الأهوال. وأخيرًا تم له الظفر بهم؛ فقتل كثيرين، وشرد بقيتهم في البلاد. ثم ولاه عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ / ٧٠٥ م) ولاية خراسان، فقدمها سنة ٧٩ هـ، ومات فيها»[١].

قالوا: وولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حذيفة (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) دبا، وعمرو بن العاص (ت ٤٣ هـ / ٦٦٤ م) عُمان، ومعه أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م)[٢]. ولمَّا ارتاب الصحابة بعد وفاة رسول الله -عليه السلام- في رِدَّتهم، وجّه أبو بكر -رضي الله عنه- (ت ١٣ هـ / ٦٣٤ م) إليهم حذيفة بن محصن البارقي من الأزد، وعكرمة ابن أبي جهل ابن هشام المخزومي (ت ١٣ هـ / ٦٣٤ م)، فواقعا لَقِيطًا ومن معه، فقتلاه، وسَبَيَا من أهل دبا سَبْيًا، بعثا به إلى أبي بكر -رحمه الله-[٣]. ودَبَا كانت هي المِصْر والسُّوق العظمى، وكان الاقتتال بها شديدًا[٤]، ويقال إنَّ سبيعة بن عراك (حي بين: ١١ و١٢ هـ)، خرج إلى أبي بكر الصديق في شقِّ دَبَا، الذين أخذهم حذيفة بن محصن، وكان سبيعة زَعِيمَ القوم، والمُعَلَّى بن سعد، وكان اسم المعلى ثعلبة، فسمَّاه عمر بن الخطاب (ت ٢٣ هـ/ ٦٤٤م): المُعَلَّى. فقدموا المدينة، وقد مات أبو بكر الصديق -رحمه الله-، وقام بأمر الناس عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فكلماه في سبي أهل دبا، وقال المعلى بن سعد الحمامي: (يا أمير المؤمنين: إنَّ حذيفة بن محصن تعدَّى طوره، وعَظُمَ في النَّاس حدَثُه، ولولا مراقبة أمير المؤمنين لكان شِكَامُه مِتَانًا؛ جزاء له عن غيره، واعظًا لغيره، ولكن حملنا على مخافة نَكْلِهِ

(١) خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٣١٥ وما بعدها.
(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، **أنساب الأشراف**، ج١، ص٥٣٠.
(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، **فتوح البلدان**، ص٨٣ وما بعدها.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٣١٥ وما بعدها.

تـرَادُف الْعَثْـرَة، وسَكَنَتِ الْحَـرَّة ولـم نَكَدْ)، فقـال عمـر: (يـا مُعَلَّـى إنَّ فـي الحـق سَـعَة، وكُـفَّ عَـنْ غَرْبِـكَ أوْلـى بـك؛ إنَّ الإسـلام سـوَّى بيـن النَّـاس؛ فرفـع الوضيـع، ووضـع الشـريف، وأعطـى كل امـرئ قِسْـطَه مـن خيـره وشـره).

ثـم أمـر عمـر بـرد السـبي، فذلـك حيـث يقـول كعـب بـن معـدان الأشـقري (ت: نحـو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م)، يفخـر علـى يزيـد بـن حسـان الأيادي:

فِـي زَمَـانِ سَـبِيعةِ بـنِ عِـرَاكٍ ... وَالمُعَلَّـى إذْ يَبْنِيَـانِ الْفِعَـالَا

حِيـنَ رَدَّا سَـبْيَ أهْـلِ عُمَـانٍ ... أكْثَـرَ الْحِـلُّ فِيـهِ وَالْتِّرْحَـالَا

وفيه يقول -أيضًا-:

وَمَـا وَلَـدَ الْمَحَاضِـنُ كَالْمُعَلَّـى ... أخـي النجـدات ثعلبـة بـن سـعد ...»[1].

علـى أن عمـر بـن الخطـاب قـد ظهـرت فِطْنَتـه ونباهتـه إلـى هـذا الأمـر منـذ بدايتـه، فممـا ذكـره أبـو عليـه مسـكويه (ت٣٢٠ هـ / ٤٢١م) فـي **تجـارب الأمـم وتعاقـب الهمـم**: «ومما ظهـر مـن عمـر- رضـي الله عنـه- (ت ٢٣ هـ / ٦٤٤ م) فـي هـذا الوقـت صرامـة وحصافـة: أنّ عمـرو بـن العـاص (ت ٤٣ هـ / ٦٦٤ م) كان بعُمـان. فلمّـا مـات رسـول الله- صلـى الله عليـه وسـلم- أقبـل حتـى انتهـى إلـى البحريـن، وسـار فـي بنـي تَمِيـم، وفـي بنـي عامـر، حتَّـى قَـدِمَ المدينـة، فأطافَـتْ بـه قريـش وسـألوه، فأخبرهـم أنَّ العسـاكر مُعَسْـكِرَة مِـنْ دَبَـا إلـى حيـث انتهيـت إليكـم. وأخبرهـم مـن اضطـراب الإسـلام وقـوَّة الأعـداء مـا كسَـرَهُم. فتفرَّقـوا وتحلَّقـوا حلَقًـا. وأقبـل عمـر بـن الخطـاب يريـد التسـليم علـى عمـرو، فمـرَّ بحلقـة وهـم فـي شـيء ممـا سـمعوا مـن عمـرو، وفـي تلـك الحلقـة عثمـان (ت ٣٥ هـ / ٦٥٦ م) وعلـي (ت ٤٠ هـ / ٦٦١ م) وطلحـة (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) والزبيـر (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) وعبـد الرحمـن بـن عـوف (ت ٣٢ هـ / ٦٥٢ م) وسـعد (ت ٥٥ هـ / ٦٧٥ م). فلمّـا دنـا عمـر منهـم سكتوا، فقـال عمـر: «فيـم أنتـم؟» فلـم يخبـروه، فقـال: «مـا أعلمنـي بالـذي خلوتـم لـه!؟»، فغضـب طلحـة وقـال: «يـا ابـن الخطـاب أ تخبرنـا بالغيـب؟» فقـال: «لا يعلـم الغيـب إلّا الله، ولكـن أظـنُّ أنَّكـم قلتـم: مـا أخْوَفَنَـا علـى قريـش، مـن العـرب وأخْلَقَهُـمْ ألَّا يقـرُّوا بهـذا

(١) سلمة بن مسلم العوتبي، **الأنساب**، ج٢، ص٣٣٨.

الأمـر»، قالـوا: «صدقـت». قـال: «فـلا تخافـوا هـذه المنزلـة. أنـا والله منكـم علـى العـرب أخْـوَفُ منِّـي عليكـم مـن العـرب، والله لـو تدخلـون معاشـر قريـش جحـرًا لدخلتـه العـرب فـي آثاركـم؛ فاتقـوا الله فيهـم»، ثـمَّ مضـى عُمَـر إلـى أبـى بكـر واجتمـع مع عَمْرو»[1].



وكانـت مسـاعيه فـي عهـد أبـي بكـر لرفـع اليـد عنهـم معروفـة. قـال ابـن عرفـة (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) فـي **المختصـر الفقهـي**: «قـال زيـد بـن أسـلم عـن أبيـه: أوثقهـم أبـو بكـر بـدار رملـه بنـت الحـارث؛ يريـد: قتـل المقاتلـة، فقـال لـه عمـر: يـا خليفـة رسـول الله قـوم مؤمنـون إنمـا شـحوا بأموالهـم وقالـوا: والله مـا رجعنـا عـن الإسـلام؛ فلـم يدعهـم أبـو بكـر بهـذا القـول، فتوفـي أبـو بكـر وهـم موثقـون، فلمـا ولـي عمـر سرَّحهم، وكان فيهـم أبـو صفـرة والـد المهلـب. قـال أبـو الربيـع: وذكـر ابـن عبـاس: أن رأي المهاجريـن فيهـم حيـن استشـارهم أبـو بكـر القتـل أو الفـداء بأغلـى الفـداء، ورأى عمـر ألا قتـل عليهـم ولا فـداء، فبقـوا موثقيـن حتـى ولـي عمـر فأرسـلهم دون فـداء»[2].

وقد ذكرت دبا في كتب البلدان والجغرافيا منسوبة لعمان، من ذلك:

أ) مـا قالـه جـار الله الزمخشـري (ت٥٣٨ هـ / ١١٤٤م) فـي **الجبـال والأمكنـة والميـاه**: «دَبَـا ودَمَـا: فـي أرض عُمـان»[3]، ودَمَـا المذكـورة هـي: السـيب، بمحافظـة مسـقط، مـن سـلطنة عمـان.

ب) وقـال الهمدانـي (ت٥٨٤ هـ / ١١٨٨م) فـي **الأماكـن (مـا اتفق لفظـه واختلف**

(١) أبـو علـي، مسـكويه الـرازي، أحمـد بـن محمـد بـن يعقـوب، أبـو علـي، **تجـارب الأمـم وتعاقـب الهمـم**، ج١، ص٢٨٢.

(٢) محمـد بـن محمـد ابـن عرفـة الورغمـي التونسـي المالكـي، أبـو عبـد الله، **المختصـر الفقهـي لابـن عرفـة**، تـح: د. حافـظ عبـد الرحمـن محمـد خيـر، (مؤسسـة خلـف أحمـد الحبتـور للأعمـال الخيريـة، ط: الأولـى / ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م)، ج٣، ص١٧٣.

(٣) أبـو القاسـم محمـود بـن عمـرو بـن أحمـد، الزمخشـري جـار الله، **الجبـال والأمكنـة والميـاه**، تـح: د. أحمـد عبـد التـواب، (دار الفضيلـة للنشـر والتوزيـع - القاهـرة، د. ط / ١٣١٩ هـ - ١٩٩٩م)، ص١٢٨.

معناه) -فيما ورد على دَبَا من أسماء المواقع: «أمَّا الأول -بفتح الدال وتخفيف الباء الموحدة-: مدينة قديمة من مدن عُمان، لها ذكر كثير في أيام العرب، وأشعارهم، وكانت القصبة قبل صحار. وأما الثاني -بضم الدال والباء المشددة-: من نواحي البصرة، فيها أنهار وقرى، ونهرها الأكبر الذي يأخذ من دجلة، حفره الرشيد»[1].

ج) وتوسّع ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) في **معجم البلدان** في التعريف بدبا، واستعرض جوانب مختلفة مما تقدم ذكره، قائلا: «دبا -بفتح أوله، والقصر-، والدبا: الجراد قبل أن يطير، قال الأصمعي (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م): سوق من أسواق العرب بعُمَان، وهي غير دما، ودْمَا -أيضًا- من أسواق العرب، كلاهما عن الأصمعي، وبعُمان مدينة قديمة مشهورة، لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها، وكانت قديمًا قصبة عمان»[2].

د) ويُؤكِّد نسبتها لعُمان -أيضًا- تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) في **الرسائل**؛ جاء فيها: «وعقد لحذيفة بن محصن الغلفاني -من غلفان- ابن شرحبيل بن عمرو بن مالك بن يزيد بن ذي الكلاع، وبعثه إلى «دبا»؛ وهي مدينة قديمة من مدن عمان»[3]، والعاقد عليه هو أبو بكر -رضي الله عنه-، وكان قد اقتدى برسول الله -صلى الله عليه وسلّم- في ولاية الأعمال.

وأكثر المصادر على أنها بين عُمان والبحرين، ووجدت مصدرًا يتيمًا، يذكر أنها بين عُمان والبصرة[4]، وذلك بمناسبة هذه الدراسة[5].

---

(١) الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي، **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، ص٤٢٤.

(٢) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٣٦.

(٣) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، **رسائل المقريزي**، ص٥٥.

(٤) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، **المصدر نفسه**، ص٥٥.

(٥) عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ج١، ص٣٣٥.



[رسم – ٦: حصن دبا بسلطنة عمان، تخييل بالذكاء الاصطناعي]

ومنطقة دَبَا اليوم تنقسم إلى ثلاثة أقسام، هي: دَبَا الْحِصْن (وتتبع الشارقة)، ودَبَا الْفُجَيْرَة، ودَبَا الْبَيْعَة (تتبع سلطنة عمان)؛ وسميت بذلك لبَيْعَةٍ كانت فيها -بَيْتِ عِبَادة-؛ إذ انتشرتْ النَّصرانية في القرنين (٤ و٥) الميلاديين، وكثُرَت -بالتَّالي- أدْيِرَة النصارى[١]. ويعدُّ حصن السَّيْبة من أهم الحصون الموجودة في محافظة مسندم، وربما يكون من أكبرها، وقد اخْتِيرَ موقعُه وسط المدينة؛ وذلك لحمايتها من أيِّ هجوم تتعرَّض له، ويتكوَّن من مربعتين عند مدخل الحصن، وتتكون كلُّ مربعة من طابقين، تستخدم المربعة الأولى الأسفل للعسكر، والبرج المقابل في الطابق العلوي للبرزة، والطابق للمربعة الأولى عباره عن طَامُورَة، بها فتحة من أعلى، وقد رُمِّمَ عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م[٢].

(١) مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة العمانية**، ج٤، ص١٣٧٨.

(٢) مجموعة مؤلفين، **موسوعة أرض عمان**، (مكتب جلالة السلطان لشؤون التخطيط الاقتصادي، المطبعة العالمية، سلطنة عمان، مسقط، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م)، ج٢، ص١٣٠٩.

أمَّا حصن سَقْطَة فيقع فوق قمة جبل عالٍ، ويشرف على منطقة سَقْطَة، وقد بُنِيَ الحصن على مساحة كبيرة، تقدر بحوالي ٢٥٠٠ متر مربع؛ من الجِصِّ والحجارة، ولا يعرف تاريخ مُحَدَّدٌ لبنائه(١).

وقد تعرَّضت تلك الحصون بخاصَّة حصن دَبَا أو سَيْبَة الْبَيْعَة للهدم؛ بسبب الحوادث التاريخية التي مرت بالمنطقة، ورُمِّمَت وأُعِيدَ بناؤها مرارًا.

وعدَّدت **موسوعة أرض عُمان** أهمَّ الأبراج الكائنة بدبا البيعة، وشرحت معانيَ المواضع والأماكن المختلفة بها، منها: (الْحَاجِز(٢)، والْحَوَامِي(٣)، والْخَمْد(٤)، والْمَعَاقِل(٥)، وقَسْطِينِيَّة(٦)، ومُعَيْرِك(٧))؛ وهذه الأسماء التي مثَّلنا بها لها علاقة بالحرب والقتال؛ إذا ما تجاوزنا -بطبيعة الحال- أسماء المواضع الأخرى. جدير بالذكر أنَّ أشهر معالم دبا: مقبرة أمير الجيوش، وتاريخها يرجع إلى حادثة الردة، والحروب التي دارت رحاها على تلك الرُّقعة، وأمير الجيوش هو: لقيط؛ من ذرية: مالك بن فهم (ت: نحو ٤٨٠ ق هـ / ١٥٧م). تقع المقبرة في منطقة الغرابية بولاية دبا بمحافظة مسندم، وتُعدُّ إحدى المواقع الأثرية المُسَجَّلَة لدى وزارة التراث والسياحة بسلطنة عمان، المحميَّة بموجب قانون حماية التراث القومي الصادر بالمرسوم السلطاني رقم: «٦ /٨٠»، وهي على مقربة من موقع سيح الدير الأثري، الذي اكْتُشِفَ في سبتمبر ٢٠١٢م، في مَقَرّ نادي دبا الرياضي الثقافي(٨).

تتنوَّع طبيعة هذا الجزء من دبا؛ فتجمع بين الجبال والأودية، مثل: جبل

(١) مجموعة مؤلفين، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٣٠٩.

(٢) مجموعة مؤلفين، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٢٩٧.

(٣) مجموعة مؤلفين، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٢٩٨.

(٤) مجموعة مؤلفين، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٢٩٨.

(٥) مجموعة مؤلفين، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٣٠٢.

(٦) مجموعة مؤلفين، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٣٠٨.

(٧) مجموعة مؤلفين، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٣٠٨.

(٨) أحمد بن خليفة الشحي، **مقبرة أمير الجيوش في دبا.. موقع يحكي تفاصيل مثيرة في التاريخ العماني**، (جريدة عمان الإلكترونية، الجمعة ٢٨ / ربيع الآخر / **١٤٤٦ هـ - ٠١ نوفمبر ٢٠٢٤ م**، ينظر الرابط: **https://www.omandaily.om**).

رعلة بني مرة، وجبل كيوي. ومن أوديتها: وادي الخَبِّ، ووادي البدي. بها عين مائيّة تعرف بعين السقطة، ومجموعة من الكهوف الجبلية، وخلجان الغَبَابِين التي تتوَّسط الجبال، وعدد من الأخوار، مثل: خُور مُعَلَّى، وخُور صَانَات، وخُور حَفَّة، وخور زْغَيْ، وتتميَّز هذه الأخوار بكثرة الشعاب المرجانية فيها[1].

وقد أشارت الخرائط الأجنبية عموما إلى دبا، ويمكن -من خلال الاستعراض الآتي- تبَيُّن ذلك:

م	العام	الرسام / المصدر	الاسم المستخدم	ملاحظات
١	١٦٥٤م	Nicolas Sanson (ق١٧م)	Doba	خريطة أُعِدَّت عام ١٦٥٤م بباريس. يظهر اسمها ملاصقًا لساحل عمان شرقا.
٢	١٦٥٨م	Johannes Jansso-nius (١٥٨٨-١٦٦٤م)، Or Jan Jansson	=	نشرَ الخريطة رسَّام الخرائط الهولندي يوهانس يانسونيوس، أو جان يانسون، في العام المذكور. هناك خطوط مُنَقَّطة على طول السَّاحل في دولة الإمارات العربية المتحدة الحاليَّة إلى ما وراء جزيرة البحرين. يُطلق على الخليج اسم "Mare elcatif" (بحر القطيف)، ومضيق هرمز المسمى "Basora fretum" ، أو مضيق البصرة.
٣	١٧٤٠م	Bellin, Jacques-Nicolas (١٧٠٣ – ١٧٧٢م)	=	تظهر الخريطة ضفاف اللؤلؤ فيها على طول الساحل من البحرين إلى جلفار.

(١) مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة العمانية**، ج٤، ص١٣٧٦.



[خريطة – ١٦: شبه الجزيرة العربية، ترجع إلى عام ١٧٤٠م، رسمها رسام الخرائط والهيدروغرافي الفرنسي: جاك نيكولا بيلين (١٧٠٣-١٧٧٢م). وقد نشرت بأمر من جان فريديريك فيليبو، كونت موريباس (١٧٠١-١٧٨١م)، وزير الدولة في عهد الملك لويس الخامس عشر. تركز الخريطة حصريًا على الخطوط الساحلية، ولا تقدم أي تفاصيل عن المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية، وتُظهر ضفاف اللؤلؤ على طول الساحل من البحرين إلى جلفار. وقد ذُكرت قطر («كتارا»)، لكن شبه الجزيرة التي تحتلها لم تُرسم بدقة].

- المصدر: **مكتبة الكونجرس**، الولايات المتحدة الأمريكية.
- الموقع:
https://www.loc.gov/collections/world-digital-library/about-this-collection/#regions=middle-east-and-north-africa&item_type=map&time_periods=1700-1799&countries=SA
- الناقل الثانوي: **القطيف والخليج العربي في الخرائط الأوروبية «الأنثروبولوجيا العربية»**، عبر الرابط:
https://arabian-anthropology.blogspot.com

٤	١٧٤٥م	Jacques-Nicolas Bellin (١٧٠٣-١٧٧٢م)	Daba	قسم مقتطع من النسخة الألمانية لخريطة جاك نيكولا بيلين، المنقوشة للجزيرة العربية، وتظهر بها دبا؛ بنفس النطق العربي.
٥	١٧٧٤م	وصف: Niebuhr, Carsten (١٧٣٣ – ١٨١٥م) نشر: S.J. Baalde and Utrecht and J. van Schoonhoven & comp	Dabba	تتضمن الخريطة وصفًا للجزيرة العربية، مع بعض الملاحظات الشخصية، وتظهر تسميته دبا مضاعفة الباء.
٦	١٨٤٢م	(Lapie, M (Pierre (١٧٧٩ – ١٨٥٠م)	Dibba	نُشرت هذه الخريطة في باريس بالعام المذكور، على يد رسام الخرائط والنقاش الفرنسي بيير م. لابي. تُحَدِّد هذه الخريطة دبا قريبًا من رأس هرمز.
٧	١٨٥٢م	Thomas Cowperthwait & ,Co	Dobba	تُظهر هذه الخريطة -التي ترجع للعام المذكور من الأطلس العالمي الجديد (الولايات المتحدة الأمريكية)- مدينة دبا بوضوح، على بحر عُمان.
٨	١٨٩١م	Adolf Stieler (١٧٧٥ – ١٨٣٦م) and August Heinrich Petermann (١٨٢٢ – ١٨٧٨م) and Hermann Berghaus (١٨٢٠ – ١٨٩٠م) and Hermann Habenicht (١٨٤٤ – ١٩١٧م)	Dibba	تُظْهر هذه الخريطة دبا على ساحل عُمان، وقد جاء بعد الدَّال فيها آي، وضوعفت باؤها.

1-7- صُحَار:

حين نتحدث عن صحار في ذلك الوقت، فإنَّنا لا نتحدث عن مُجرَّد ولاية عُمانية محدودة بولايات مختلفة حولها -بحسب ما استقرّ عليه الوضع الآن- ؛ فصحار الكبرى التاريخيَّة كانت تتَّسِع لتشمل عددًا من الولايات المحيطة بها؛ فبحسب وثيقة متداولة، منسوبة للسيد حمد بن فيصل بن تركي (ق ١٤ هـ / ٢٠م) والي صحار مُوجَّهة للوكيل السِّياسي في مسقط في ديسمبر ١٩٣٠م نرصد المعلومات الآتية: (حدود صحار من الخَابُورَة إلى الْمُرَيْر على شاطئ البحر، وربما يكون تقريبًا: ٧٠ ميلًا، ونقطتها المهمة هي: مُخَيْلِيف، وصَحَم، ولُوَى، وشِنَاص، وأبُو بَقَرَة، ما عدا صُحَار بنفسها، ولصُحَار -أيضًا- توابع بلدان بعد الجبل، تسكنها عشائر خاضعة لسلطة صُحار، وهم رعاياها، غير بلدان حلفائها ..)[١]، والوثيقة -وإن كانت متأخِّرة-، إلا أنَّها تعكس جانبًا من ذلك الامتداد التاريخي لما يعرف بصحار الكبرى. قال البكري (ت٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) في **المسالك والممالك للبكري**: «ومنها مدينة صحار؛ وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر، ..، ومياهها من الآبار»[٢]، ووصفها -كذلك- بأنها سوق عُمان[٣]، ووصفها الهمداني (ت٣٣٤ هـ / ٩٤٥م) في صفة **جزيرة العرب** بأنها كورة أرض عُمان العظمى[٤]، ووصفها المقدسي (نحو ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) في **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** بأنها دهليز الصين، ذكرها بعد عدن[٥]، وبأنها خزانة المشرق، أو المشرقين، كما جاء في بعض نسخ الكتاب[٦]، وسيأتي كلامه وكلام الجغرافيين الآخرين فيها لاحقًا. كلُّ أولئك دليل على أهميتها وموقعها التاريخي، ويقال

(١) يحتفظ الباحث بمصورة منها، والأصل محفوظ ضمن الأرشيف البريطاني، المتاح.

(٢) البكري، **المسالك والممالك**، ج١، ص٣٧٠.

(٣) البكري، **المسالك والممالك**، ج١، ص٣٦٧.

(٤) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص١٢٥.

(٥) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص٣٤.

(٦) المقدسي، **المصدر نفسه**، ح١١، ص٦٧.

إنها عمرت بعد خراب رَيْسُوت[1]، قال جواد علي (ت١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م) في **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**: «وفي عُمان مُدُن قديمة، منها: صُحَار ونَزْوَى ودَبَا، أو دَمَا، وكانت من المدن المُهِمَّة في أيَّام الرسول، وهي عاصمة عُمان الشمالية، وكانت سوقًا من أسواق الجاهلية، وسُكَّانها من الأزد. والعمانيون من الشعوب البحرية المُحِبَّة ركوبَ البحار، ولهم صِلات ورابط بسواحل إفريقية والهند، ونجد بينهم عددًا كبيرًا من الزنوج والهنود والفرس والْبُلُوج»[2].

وقد ذكرت صُحار في الشعر العربي كثيرًا، من ذلك قول المُخَبَّل الْقُرَيْعِي (ت١٦ هـ / ٦٣٧م):

أَ عَرَفْتَ مِنْ سَلْمَى رُسُومَ دِيَارِ ... بِالْشَّطِّ بَيْنَ مُخَفِّقٍ فَصُحَارِ؟

وضبطها بضمّ أوّله، وبالراء المهملة في آخره[3].

وقال أبو علي المنطقي البصري (ق٥هـ) مادحًا أحدهم[4]:

مَدَدْتَ إلى طَعْنِ الْكُمَاةِ عَزَائِمًا ... طوالَ الْعَوَالِي بَيْنَهُنَّ قِصَارُ

فما كَرُمَت كَرْمَان حَتَّى افْتَكَكْتَهَا ... ولا أَصْحَرَتْ حَتَّى ارْتَجَتْكَ صُحارُ

إذَا صَدَّ وَجْهُ الْبَحْرِ عَنَهَا تَيَقَّنَتْ ... بِأَنَّكَ بَدْرٌ فِي يَدَيْهِ بِحَارُ

وصحار يجوز أن يكون من الصُّحْرة -بالضم-؛ وهو جَوْبَة تَنْجَاب وَسط الحَرَّة، والجمع صُحَر، فأشبعت الفتحة فصارت ألِفًا، أو من الصحرة وهو لون الأصْحَر، وهو كالشُّقْرَة[5]. وعن [الإمام] جعفر ابن محمد (ت ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م)، عن أبيه، أنَّه كُفِّنَ في ثوبين صحاريين وثوب حبْرَة. قال: والصحرة: حمرة خفيَّة الغُبْرة. يقال: ثوب أصْحَر، وصحاري، ومُلَاءَة صحراء وصحاريه، وقال بعض أهل اللغة: الأصْحَر ما كان لونه لون الصحراء من الأرض، وقال الأصمعي (ت

(١) جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ابن محمد، المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي، **تاريخ المستبصر**، تح: ممدوح حسن، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ١٩٩٦م)، ص٣١٧.

(٢) د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج١، ص١٧٤.

(٣) البكري، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج٣، ص٨٢٥.

(٤) الحموي، **معجم الأدباء**، ج٥، ص٢٠٤٤.

(٥) الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٩٣.

٢١٦ هـ / ٨٣١ م): «الأصْحَر قريب من: الأصْهَب»[١].

وتَسَمَّى بصُحَار كثيرون، وإنْ لم يكن لتسميهم علاقة بصحار العمانية، كما تسَمَّى بها قبيلٌ من اليمن، وقعت في التاريخ البعيد حرب بينهم وحمير، فظهرت على حمير، وقتلوا ملكًا من ملوكهم، فجمعت حمير لصحار، فارتحلت صحار من البيداء، ولحقت ببلاد مَعَدٍّ، فثارت حمير إلى بني كلب تطلب بدم الملك، وكلب أخوة صحار، فاستنجدت كلب بتَيْم الرَّبَاب، فأنجدتهم على حِمْيَر، ولذلك خبر وشعر، يذكره التبريزي (ت٥٠٢ هـ / ١١٠٩م) في **شرح ديوان الحماسة**[٢]، وغيره، ليس هذا موضعه.

وفي الأدب العربي على ذكر صحار هذه:

وشَبَّتْ طيِّئُ الْجبَلَيْنِ حَرْبًا تَهِرُّ لِشَجْوِهَا مِنْهَا صُحَارُ

طيء الجبلين نسبهم إلى الجبلين. وطيئ لهم جبلان؛ هما: أَجَأ وسَلْمَى. و(تهرُّ): تبكي، و(صُحار): قبيلة من جهينة. وقال أبو عبيدة: صحار: عُمان. وقال ابن الكلبي: صُحَار: قوم من العرب، وهم أول من أصْحَر، فسمُّوا بذلك»[٣].



وقال ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) في **المعاني الكبير في أبيات المعاني**: «(تهرُّ): تكره؛ (لشجوها): ما يشجوها منه؛ أي يحزنها، و(صُحَار): مدينة عُمان، المعنى إنا أوقعنا بطيء وقعة كرهتها صُحَار لما دخل عليها من الفزع»[٤].

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي، **كنز الكتاب ومنتخب الآداب** «السفر الأول من النسخة الكبرى»، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط: الأولى، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٥٦٤.

(٢) التبريزي، **شرح ديوان الحماسة**، ج١، ص٢٢.

(٣) علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر، **الاختيارين «المفضليات والأصمعيات»**، تح: فخر الدين قباوة، (دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، ص٦٠٠.

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **المعاني الكبير في أبيات المعاني**، تح: المستشرق د سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، ط: الأولى ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م)، ج٢، ص٩٣٤.

ولعل أقدم إشارة لمن نزل صحار العمانية من الأولين، ما جاءت في كلام لأبي حنيفة الدينوري (ت٢٨١ هـ / ٨٩٤م) في **الأخبار الطوال**، قال: «وكان لسام بن نوح خمسة بنين: إرَم وكان أكبرهم سنًّا، وأَرْفَخِشْذ، وعَالَم، وأَليفر، والأسْوَر، فخُصَّ ولد إرم باللسان العربي عند تبلبل الألْسُن، وكانوا -أيضًا- سبعه أخوة: عَاد، وثَمُود، وصُحَار، وطَسْم، وجَدِيس، وجَاسِم، ووَبَار. فارتحلَ عادُ مع من تبعه حتى حلَّ بأرض اليمن، ونزلَ ثَمُودُ بن إرَم ما بين الحجاز إلى الشَّام، ونزلَ طسمُ بنُ إرَم عُمَانَ والبحرين، ونزلَ جَدِيس بن إرم اليمامةَ، ونزل صُحَارُ ما بين الطائف إلى جبلي طيِّئ، ونزلَ جاسمُ ما بين الحَرَمِ إلى سَفْوَان، ونزلَ وَبَار بن إرم ما وراء الرَّمل بالبلاد التي تعرف بوبار، وهؤلاء العرب الأولى انقرضوا عن آخرهم»[1].



[رسم – ٧: ناسخ بسوق صحار، وتردد الناس وأهل الخليج عليه، باستخدام الذكاء الصناعي]

(١) أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري، **الأخبار الطوال**، تح: عبد المنعم عامر، راجعه: الدكتور جمال الدين الشيال، (الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ص٣.

وذكر المؤرخون سوقها في الجاهلية، وبعض أخباره، جاء على لسان أحد المؤرخين: «ثم سوق (صُحار) بعُمان، وكانت تقوم أول يوم من رجب، فتقوم خمس ليال، وكان يعشرهم فيها الجلندى بن المستكبر»[1]، وذكر آخر: «ثم يرتحلون منها إلى صحار أول يوم من رجب، في غير خفارة، فيقدمونها لعشرين يومًا تمضي من رجب، فيوافيهم بها من لم يشهد ما قبلها من الأسواق، ومن شغل بحاجة ولم يكن له إرب فيما يباع في الأسواق التي قبلها، فينشرون من بزّها وبياعاتها، أو يبيعون بها خمسًا، فكان الجلندى يُعَشِّرهم فيها، وكان بيعهم فيها بإلقاء الحجارة»[2].

وليست صحار من الأسواق العامة، ولا من المواسم مثل عكاظ، حتى يحرصوا عليها ذلك الحرص، وإنما هي سوق تجارية محضة لما حولها، ولمن يقصدها، على أنها كثيرًا ما يأتيها التاجر البعيد، وقيام هذه السوق في رجب يغني قاصدها عن الحماية، فيقدمها الناس غالبًا بلا خفارة ولا حذر، إلا من المحلين؛ لأن رجبًا شهر حرام، فهي من هذه الجهة تمتاز عن الأسواق التي تقوم في غير الشهر الحرام، مثل سوق المُشَقَّر وغيرها[3].

ومن الأخبار المأثورة -على ذكر الأسواق الأدبية-: ما قاله عبد الله بن معاذ، يرفعه إلى التميميِّ، قال: إنّي لواقف بسوق عكاظ، إذا برجل من مَهْرَة، منزلهُ صُحَار عمان، يسمَّى: الصُّحاريُّ، والنَّاس تتلوه من كلّ جانب، يركب بعضهم بعضًا، ويسألونه عن أنسابهم وهو يُفسِّر لهم، وكان من أعلم الناس، فمرَّ به وهو على تلك الحال عُطَارِد بن حَاجِب بن زُرَارَة (ت: نحو ٢٠ هـ / ٦٤٠ م)، فسأل عن حاله، فأخبر به، فقال: شاسع من مَهْرَة، ومنزله صُحَار، ما أستفيد منه عِلْمًا. فأبصره الصُّحاريُّ، فأعجبته شارته، فقال: ممَّن أيُّها الرجل؟ قال عطارد: فإنّك لا تعرفني. قال الصُّحاريُّ: إنْ كنت من العرب أو من أشرافهم

(١) محمد بن حبيب، **المحبر**، ص٢٦٥.

(٢) المرزوقي، **الأزمنة والأمكنة**، ص٣٨٣

(٣) سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ص٢٦٣.

عرفتك، قال: فإنّي من العرب. قال الصُّحَاري: من أيّهم أنت؟ قال عُطارد: من مُضَر. قال: لأغْمِزَنَّ اليوم المُضَريَّ، ثم قال الصحاري :أ مِنَ الأرْحَاء أنت أم من الفرسان؟ قال عطارد: فعرَفت أنَّ الفرسان قيس وأنَّ الأرْحَاء ولد إلْيَاس. قال: قلت: مِنَ الأرْحَاء. قال: فأنتَ إذًا من ولد خُنْدُف. قال: قلت: أجل. قال: فمن الأُرُومَة أم مِنَ الجَمَاجِم؟ قال: فتعرَّفتُ طويلًا ما أكلِّمُه، ثم أدركني ذهني، فعرفت أن الأُرُومة ولد خزيمة -وهم قيس-، وأن الجماجم ولد أدٍّ. قال: قلت: من الجَمَاجِم. قال: فمن الرَّوابي أم من الصَّمِيم؟ قال: فوَجَمْتُ ساعة -أي سكتُّ-، ثم عرفت أنَّ الرَّوابي الرَّبَاب، وأنَّ الصَّمِيم تميم. قال: فقلت: بل من الصَّمِيم. قال : فأنت من بني تميم؟ قال: فقلت: أجل. قال: فمن الأقَلِّينَ أم من الأكثرين، أم من إخوانهم الآخرين؛ ولد عمرو بن تميم؟ فقلت: بل من الأكثرين. قال: أنت إذًا من ولد زيد؟ فقلت: أجل. قال: فمن الذُّرَى، أم من الثِّمَاد أم من النُّجُود؟ قال: فعرفت أنَّ الذُّرى مالك، وأنَّ النُّجود سَعْد، وأنَّ الثِّمَاد امرؤُ القَيْسِ. فقلت: من الذُّرَى. قال: فأنت إذًا من ولد مالك. قلت: أجل. قال: فمن الأنْفِ أم من الذَّنَب؟ فعرفت أنَّ الأنف حنظلة وأنَّ الذنب ربيعة. فقلت: من الأنْفُ. قال: فأنت إذًا من ولد حنظلة. قلت: أجل. قال: فمن الوسيط أم من الفرسان أم من البروج؟ فعرفت أن الوسيط البَرَاجِم، وأنَّ الفرسان يَرْبُوع، وأنَّ البُرُوج مالك بن حنظلة. فقلت: لا بل من البروج. قال: فأنت إذًا من ولد مالك. فقلت: أجل. فقال: فمن السَّحَاب أم من النُّجوم أم من البدور؟ فعرفت أنْ السَّحَاب بنو بني عدويَّة، وأنَّ النُّجوم بنو بني طَهِيَّة، وأن البدور بنو بني دَارِم. فقلت: لا بل من البدور. قال: فأنت إذا من بني دارم. فقال: أنت من الهضاب أم من النَّاب أم من الشهاب؟ فعرفت أن الهضاب بنو مجاشع، وأن النَّاب بنو عبد الله بن دارم، وأنَّ الشهاب بنو نَهْشَل. فقلت: لا بل من النَّاب. قال: فأنت إذًا من ولد عبد الله بنِ دارم. قلت: أجل. قال: فمن الزَّوافر أم من النَّبِيت؟ فنظرت فإذا الزَّوَافِر الأحْلاف، وإذا النَّبِيت زُرَارَة. فقلت: لا من النَّبِيت. قال: فأنت إذًا من ولد زُرَارة بن عدْس. فقلت: أجل، أنا

منهم. قال: أيُّهم أنت؟ قلت: عُطَارَد بن حَاجِب بن زُرَارَة. قال: زعمت يا تميميُّ أنّي لا أحسن نسبًا. فقلت: ما رأيت أحدًا قطُّ أعلم منك. قال: بل أنا لم أرَ قط أحدًا أعلم منك[1].

وإلى صحار -أيضًا- يُنْسَب أبو علي محمد بن زُوزَان الصُّحاريُّ العماني الشاعر، وكان قد نُكِبَ فخرج إلى بغداد، فقال يتشوَّق بلدته من قصيدة[2]:

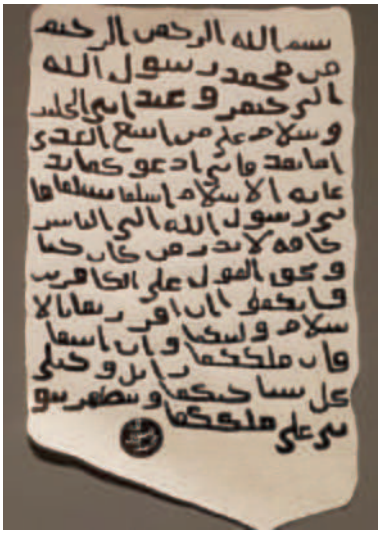
لَحَى اللهُ دهرًا شرَّدَتْنِي صُرُوفُهُ ... عنِ الأهلِ حتَّى صرتُ مُغتربًا فرْدًا
ألا أيُّها الركبُ اليمانونَ بَلِّغُوا ... تحيَّةَ نائِي الدَّار لُقِّيتم رُشْدًا
إذَا مَا حَلَلْتُم في صُحار فَأَلْمِمُوا ... بمسجدِ بَشَّارٍ وجُوزُوا بهِ قَصْدًا
إلى سوقِ أصحابِ الطعامِ فإنَّه ... يقابلُكُمْ بابانِ لم يُوثَقَا شَدًّا
ولَمْ يُرْدَدَا من دونِ صاحبِ حاجةٍ ... ولا مُرْتَجٍ فَضْلًا، ولا آملٍ رِفْدًا
فعُوجُوا إلى دَارِي هناكَ فسلِّمُوا ... على والدي زُوزَان وُقِّيتمُ جَهْدًا
وقولُوا لهُ إنَّ الليالي أوْهَنَتْ ... تصاريفُهَا ركني وقدْ كانَ مُشْتَدًّا
وغيبن عني كل ما قد عهدته ... سوى الخُلُق المرضيّ والمذهبِ الأهدى
وليسَ يضُرُّ السَّيفَ إخلاقُ غمدِهِ ... إذا لمْ يَفُلَّ الدهرُ مِنْ نَصْلِهِ حَدًّا

أسلم أهل صحار على عهد النبي -عليه السلام-، وكان قد أرسل إليهم عمرو بن العاص في قصَّة مشهورة جدًّا في التاريخ، فأسلم عبد وجيفر ومن معهم، وأرسلوا لمن حولهم بالإسلام، فأسلموا، وكان لإسلامهم فضل عظيم على عُمان وأهلها، وعلى جوارها الجغرافي.

(١) العوتبي، **الأنساب**، ج١، ص٥.

(٢) الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٩٤.

جاء في بعض الكتب: «عن الواقدي، بإسناد، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، كتب إلى جيفر وعبد ابني الجُلَنْدَى الأزدي بعمان، وبعث عمرو بن العاص بن وائل السهمي (ت ٤٣ هـ / ٦٦٤ م) بكتابه اليهما، وكان كتابه صحيفة أقل من الشبر، فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى جيفر وعبد ابْنَي الجُلَنْدَى، السلام على من أتبع الهدى. أمَّا بعد فإنِّي أدعوكما بدعاية الإسلام، أسْلِما تَسْلَمَا؛ فإنِّي رسول الله إلى النَّاس كافة؛ لأنذر من كان حيًّا ويحقُّ القول على الكافرين. وإنَّكما إن أقررتما بالإسلام ولَّيتكما، وإن أَبَيْتُمَا أنْ تُقِرَّا بالإسلام فإنَّ ملككما زائل عنكما، وخيلي تطأ ساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما).



وكان الكاتب بهذا أبيّ بن كعب (ت ٢١ هـ / ٦٤٢م)، وهو -عليه السلام- المُمْلي عليه. وطوى الصحيفة، وختمها بخاتمه المبارك. وكان نقش الخاتم: لا إله إلا الله محمد رسول الله. قال: فقَدِمَ عمرو بن العاص بكتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى عبد وجيفر ابني الجلندى بعُمان، فكان أول موضع دخله من صحار: دسْتَجَرْد، فنزل بها وقت الظهر، وبعث إلى بني الجلندى، وهم بادية عُمان. فكان أول من لقيه منهما: عبد بن الجلندى، وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقا. فأوصل عمرو إلى أخيه جيفر بن الجلندى بكتاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، فدفعه إليه مختومًا، ففضَّ ختامه وقرأه، حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه عبد، فقرأه مثل قراءته، ثم التفت إلى عمرو، فقال: إن هذا الذي تدعو إليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير، وأنا أعيد فكري فيه، وأُعْلِمُك أنه استحضر جماعة الأزد، وبعثوا إلى كعب بن برشة العودي. فسألوه عن أمر النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: الرجل نبي، وقد عرفت صفته، وسيظهر على العرب والعجم، فأجاب إلى الإسلام، هو وأخوه في ساعة واحدة، ثم بعث إلى وجوه عشائره، فبايعهم لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وأدخلهم في دينه، وألزمهم تسليم

الصدقة. وأمر عمرو بن العاص بقبضها، فقبضها على الجهة التي أمره بها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم بعث جيفر إلى مَهْرَة والشِّحْر ونواحيها، فدعاهم إلى الإسلام، وأعلمهم بالإسلام، فأسلموا معه، ثم بعث إلى دبا وما يليها إلى آخر عمان»[١].

قالوا: وكتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لوفد ثُمَالة والحُدَّان: (هذا كتاب من محمد رسول الله لبادية الأسياف، ونازلة الأجواف، مما حازت صحار. ليس عليهم في النخل خِرَاص ولا مِكْيَال مطبق حتى يوضع في الفداء، وعليهم في كل عشرة أوْسَاق وَسَق). وكاتب الصحيفة ثابت بن قيس بن شماس (ت ١٢ هـ / ٦٣٣م)، شهد سعد بن عبادة (ت ١٤ هـ / ٦٣٥ م)، ومحمد بن مسلمة (ت ٤٣ هـ / ٦٦٣ م)[٢].

قالوا: وأحرم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ما نُقِلَ في ثوبين من نسج صحار: إزار ورداء[٣]. وإلى ذلك يشير المسعودي (ت٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) في **التنبيه والإشراف** بقوله: «والثياب الصُّحاريَّة مضافة إلى صُحار؛ وهي قصبة عُمان»[٤].

وينقل ابن هشام (ت٢١٣هـ / ٨٢٨م) في **السيرة النبوية**: «[عن] ابن إسحاق: لما فرغ من غسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كفن في ثلاثة أثواب، ثوبين صُحاريين وبرد حِبْرَة، أدرج فيها إدراجًا، كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين والزُّهري، عن علي بن الحسين»[٥].

بهذا يظهر أن صحار لم تكن مجرد مركز سياسي واجتماعي وثقافي وحضاري

(١) العوتبي، **الأنساب**، ج١، ص٧٦٤ وما بعدها.

(٢) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج١، ص٢٤٨.

(٣) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١، ص٣٦٩.

(٤) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ج١، ص٢٤٤.

(٥) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، **السيرة النبوية**، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م)، ج٢، ص٦٦٣.

وأدبي فحسب، بل كانت قبل ذلك وبعده مركزًا تجاريًّا، ومستودعًا للتصدير؛ وإن اختلف إيقاع صحار صعودًا وهبوطًا؛ بسبب موقعها المهم، وتنافس القوى المختلفة عليها.

بالجملة يرد وصف صحار على لسان البلدانيين في موارد مختلفة، بنحوٍ يكشف عن البُعْد الجغرافي والحضاري، والمكانة الاقتصادية والتجارية الكبيرة لها، عبر العصور. من خلال الاستعراض الآتي سنتبين جانبًا مما جاء حول الطرق المرتبطة بها، وبعضًا مما ذُكِرَ حول موقع عُمان وصُحار تحديدًا:

أ) جاء فيما نقله أبو زيد السيرافي (ق٤ هـ / ١٠م) -وهو من الضفة الشرقية للخليج، من سيراف تحديدًا- في **رحلة سليمان التاجر** (ق٣ هـ / ٩م): «وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بني الصفاق، وجزيرة ابن كَاوَان، وفي غربيِّ هذا البحر جبال عُمان، وفيها الموضع الذي يسمى الدَّرْدُور؛ وهو مضيق بين جبلين، تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية، وفيها الجبلان اللذان يقال لهما: كُسَيْر وعُوَير، وليس يظهر منهما فوق الماء إلا اليسير، فإذا جاوزنا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صُحار عمان، فيستعذب الماء من مسقط من بئر بها، وهناك جبل فيه غنم من بلاد عمان، فتخطف المراكب منها إلى بلاد الهند، وتقصد إلى كُولَمْ مِلِّي، والمسافة من مسقط إلى كُولَمْ مِلِّي شهر على اعتدال الريح، وفي كُولَمْ مِلِّي مَسْلَحَة لبلاد كُولَمْ مِلِّي، تجيء السفن الصينية، وبها ماء عذب من آبار فيؤخذ من [السفن] الصينية ألف درهم، ومن غيرها من السفن ما بين عشرة دنانير إلى [عشرين] دينارًا»[1]، ونقل ابن الفقيه (نحو ٣٤٠ هـ / ٩٥١م) في **البلدان** -أيضًا-، هذا النص، مع تغيير لطيف[2].

ب) وقال الإصْطَخْري (ت٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) في **المسالك والممالك**: «وعُمان مُسْتَقِلَّة بأهلها، وهي كثيرة النخيل والفواكه الجُرُومِيَّة من الموز والرُّمَّان

(١) أبو زيد، **رحلة السيرافي**، ص٢٥ وما بعدها.

(٢) ابن الفقيه، **البلدان**، ص٦٧.

والنبق ونحو ذلك، وقصبتها صحار؛ وهي على البحر، وبها متاجر البحر وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعُمَان، وأكثرها مالًا، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالًا من صحار، وبها مدن كثيرة، وبلغني أنَّ حدود أعمالها نحو من ثلاث مائة فرسخ، وكان الغالب عليها الشُّرَاة»[1].

ج) وقال ابن حوقل (بعد ٣٦٧ هـ / بعد ٩٧٧م) في **صورة الأرض**: «وعُمان ناحية ذات أقاليم مُسْتَقِلَّة بأهلها، فسْحَة كثيرة النَّخل والفواكه الجُرُومِيَّة، من الموز والرُّمَّان والنبق ونحو ذلك، وقصبتها صُحار، وهي على البحر، وبها من التُّجَّار والتجارة ما لا يحصى كثرة، وهي أعمر مدينة بعُمان، وأكثرها مالًا، ولا يكاد يُعْرَف على شطِّ بحر فارس بجميع الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالًا من صُحار، ولها مدن كثيرة، ويقال إنَّ حدود أعمالها ثلاثمائة فرسخ ...، وعُمان بلاد حارَّة جُرُومِيَّة، وبلغني أنّ بمكان منها بعيد من البحر ربّما وقع ثلج رقيق، ولم أرَ من شاهد ذلك إلّا بالبلاغ»[2].

تتوالى بعدها كتب الجغرافيين والبلدانيين، التي تتناول وصف صحار التفصيلي، وما تحويه، وأهم ما يميزها وينضم إليها، من ذلك -مثلا-:

أ) ما قاله أبو عبد الله المقدسي (نحو ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) في **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**: «صحار هي قصبة عمان، ليس على بحر الصين اليوم بلد أجلُّ منه، عامر آهل حسن طيّب نَزِهٌ ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات. أسْرَى من زَبِيد وصَنْعَاء. أسواق عجيبة وبلدة ظريفة، ممتدَّة على البحر، دورهم من الآجُرِّ والسَّاج، شاهقة نفيسة، والجامع على البحر، له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبار عذْبة، وقناة حلوة، وهم في سعة من كلّ شيء. دهليز الصين، وخزانة الشرق

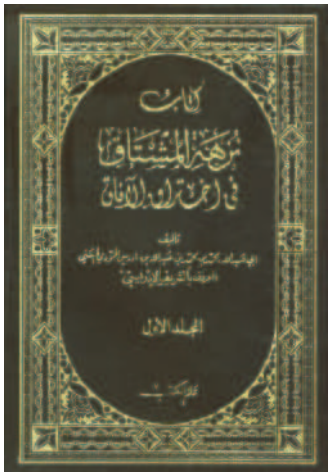
(١) الاصطخري، **المسالك والممالك، أو مسالك الممالك**، ص٢٦.

(٢) محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم، **صورة الأرض**، (الناشر: دار صادر، أفست ليدن، بيروت، د. ط: ١٩٣٨ م)، ج١، ص٣٨.

والعراق، ومَغُوثة الْيَمَن، قد غلب عليها الفرس. المُصَلَّى وسط النخيل، ومسجد صُحار على نصف فرسخ، ثَمَّ بركت ناقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، «قد بُنِي أحسن بناء، وهواءه أطيب هواء من القصبة، ومحراب الجامع بِلَوْلَبٍ، يدور، تراه مرَّة أصفر، وكرَّة أخضر، وحينًا أحمر»[1].

ب) وجاء نقلا عن الحسن بن أحمد المُهلّبي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) في **المسالك والممالك**: «صحار (قصبة عمان): قال في العزيزي: وعمان مدينة جليلة، بها مرسى السفن من السند والهند والصين والزنج، والقصبة اسمها صحار، وليس على بحر فارس مدينة أجلّ منها، وأعمالها نحو ثلاثمائة فرسخ، وهي ديار الأزد»[2].

ج) وقال الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م) في **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: «ومدينة صُحار على ضفة البحر الفارسي (= خليج عُمان)، وهي أقدم مدن عُمان، وأكثرها أموالًا قديمًا وحديثًا، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها يجلب جميع بضائع اليمن، ويُتَجَهَّز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة، ومتاجرهم مُرْبِحَة، وبها نخل كثير، ومن الفواكه الموز والرُّمَّان والسَّفَرْجَل، وكثير من الثمار العجيبة الطيبة، وكان في القديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين، فانقطع ذلك،...، وبمدينة كِيش زروع وأغنام وأبقار وكروم، وفيها مغائص اللؤلؤ الجيد، ومن صحار إلى هذه الجزيرة مجريان، ويحاذي هذه الجزيرة من بلاد اليَمَن مسقط، وبينهما



(١) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص٩٢ وما بعدها.

(٢) الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي، **الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك**، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، (التكوين، دمشق، ط: الأولى ٢٠٠٦م)، ص٢٥ وما بعدها.

مجرى ...، ويقابل صُحار في البرية على مسير يومين بلدانِ مُتَّصِلان، بينهما وادٍ»[1].

د) وقال الشريشي (٦١٩ هـ / ١٢٢٣م) في **شرح مقامات الحريري**: «صُحار: سوق عمان، وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر، مرساها فرسخ في فرسخ، وبلاد عمان ثلاثون فرسخًا، ما ولي البحر سهول ورمال، وما تباعد عنه حُزُون وجبال، وهي مدن، منها مدينة عُمان؛ وهي حصينة على الساحل، ومن الجانب الآخر مياه تجري إلى المدينة، وفيها دكاكين التُّجَّار مفروشة بالنّحاس مكان الآجُرِّ، وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة والشعير والأرز وقصب السكر، وفي الأمثال: من تعذّر عليه الرزق فعليه بعُمان، وفي أحوازها مغاص اللؤلؤ»[2].

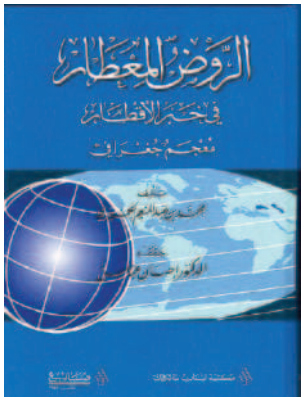
ه) وقال الحموي (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) في **معجم البلدان**، وجمع جانبًا مما ذكر آنفًا: «وصُحار: قصبة عُمان مما يلي الجبل، وتؤام: قصبتها مما يَلِي السَّاحل. وصُحار: مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجُرِّ والسَّاج كبيرة، ليس في تلك النواحي مثلها، وقيل: إنما سميت بصُحَار بن إرَم ابن سام بن نوح -عليه السلام-؛ وهو أخو رباب وطسْمٍ وجَدِيس، قال اللغويون: إنها تَلِي الجبلَ، وقال البشاري: صُحار قصبة عمان، ليس على بحر الصين بلد أجلُّ منه، عامر آهل حسن طيب نَزِهٌ ذو يسار وتجار وفواكه، أجَلُّ من زبيد وصنعاء، وأسواق عجيبة، وبلدة ظريفة، ممتدة على البحر، دورهم من الآجُرِّ والسَّاج، شاهقة نفيسة، والجامع على السَّاحل، له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبار عذبة، وقناة حلوة، وهم في سَعَة من كل شيء، وهو دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق، ومَغُوثَة اليمن، والمُصَلَّى وسط النخيل، ومسجد صُحار على نصف فرسخ، وثمَّة بركت ناقة رسول الله -صلى الله عليه

(١) الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج١، ص١٥٦.

(٢) أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي، **شرح مقامات الحريري**، ج٣، ص١٢٩.

وسلم-، ومحراب الجامع بكوكب يدور، فتارة تراه أصفر، وتارة أحمر، وأخرى أخضر، هكذا قال ولا أدري كيف كان بروك الناقة»[1].

و) وجاء لدى الحميري (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥م) في **الروض المعطار في خبر الأقطار**: «صُحار: مدينة كبيرة بأرض عُمان، وهي قصبة عُمان، وهي على ساحل البحر، مقدارها فرسخ في فرسخ، ومياهها من الآبار، وهي أقدم مدن عُمان، وأكثرها أموالًا -قديمًا وحديثًا-، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن، ويُتَجَهَّزُ منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة، وبها النخيل والموز والرُّمَّان والسَّفَرْجَل وكثير من الثمار الطيبة، وكان في قديم الزمان تسافر منها مراكب الصين، فانقطع ذلك؛ لأن عامل جزيرة كيش أنشأ أسطولًا، فغزا به بلاد اليمن الساحلية، فأضرَّ بالمسافرين والتجار، ولم يترك لأحد مالًا، وأضعف البلاد، وانقطع السفر عن عمان، وعاد إلى عدن، وكان بصحار مجتمع للتجار، ومنها يتجهز لكل بلدة وإلى بلاد الهند والصين»[2].



ويؤخذ من تلك النصوص الآتي:

- سُمِّيت صُحار بصُحَار بن إرَم بن سَامِ بن نُوح -عليه السلام-؛ وهو أخو رَبَابٍ وطَسْمٍ وجَدِيسٍ، وقيل: سُمِّيَتْ باسمٍ يناسب طبيعة أرضها.
- تُعَدُّ صُحار محطة مُهِمَّة، ومرفأ رئيسًا بين البصرة والهند، وإليها تنتهي مراكب الهند والصين، ومنها إلى البصرة، وبينهما محطات مختلفة، وفي أحوازها -كما قيل- مغاص اللؤلؤ.
- كانت صُحار قصبة عمان قديمًا، وهي على الساحل، كبيرة، حصينة،

(١) الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٩٣ وما بعدها.

(٢) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبدالله، **الروض المعطار في خبر الأمصار**، ص٣٥٤.

وتعرف بأنها من أعْمَرِ مدن عُمان، وأكثرها مالًا، وأسواقًا، وتتبعها قرى كثيرة، وصُحار التاريخية بلدٌ عامرٌ آهِلٌ حَسَنٌ طيّبٌ نَزِهٌ ذو يسار وتجارة وفواكه وخيرات، وبساتين، وبها نخل كثير، ومن الفواكه: الموز والرُّمَّان والسَّفَرْجل، وكثير من الثمار العجيبة الطيبة، والحنطة والشعير والأرز وقصب السكر.. إلخ

- لم يُوجَد في بحر فارس والخليج، ولا على بحر الصين حاضرةٌ تنتهي السفن إليها أجَلُّ منها، وصفت بأنها دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومَغُوثَة الْيَمَن.
- يقصد صُحَار في كلِّ سنَّة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن، ويتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة، دورهم من الآجر والساج، شاهقة نفيسة.
- تحْوِي صُحَار مياهًا عذبة، وتسقيها الأفلاج، وبها الكثير من الآبار، وهي مورد تستقي منه السفن، والعَبَّارة (= عابرو السبيل).
- يكثر ذكر مسجد صُحار، وقصة بروك ناقة الرسول -عليه السلام-، وينقل أنه قد بُنِي أحسن بناء، وأن منارته حسنة طويلة، ومحرابه مُكَوْكَب (= على شكل كوكب).
- تتعدد الأعراق والأجناس بصحار، وهي ديار الأزد، وبها -كذلك- العرب والعجم، وغيرهم من عابري السبيل، والتجار.

ووجدت في **موجز دائرة المعارف الإسلامية** البيان الآتي -الذي يجمع أقدارًا كبيرة جدًّا مما ذُكِرَ أعلاه، ويضيف عليه الكثير-. ونصُّ ما جَاء فيه: «ما إنْ حَلَّ القرن العاشر الميلادي حتى كانت صُحار قد ارتقت رقيًا كبيرًا، وعُدَّت أهم بلدة في عُمان، وأجمل البلدان على الخليج الفارسي (=خليج عمان)؛ ذلك أنها كانت مزدهرة، عامرة بأهلها، غنية، ناشطة التجارة، بل لقد غدت أعظم شأنًا من زبيد أو صنعاء، وكانت منتجعًا صحيًّا، تضم أسواقًا رائعة، وتقع وسط مناظر تسرُّ الناظرين، وقد بنيت بيوتها الجميلة بالآجر وخشب الساج، وشيد مسجدها الجامع

بجوار البحر، وقد قام هذا البناء الرائع بمئذنته الشامخة في الموضع الذى بركت فيه ناقة رسول الله [-صلى الله عليه وسلم-]، وكان للمحراب سُلَّم حلزوني، تتبدَّى من جوانبه المختلفة ألوان شتى، كالأصفر والأزرق والأحمر، وللمسجد مصلى يقوم وسط حَرْجَة من حِرَاج النخيل، وكانت العيون السَّائغة والقنوات ذات المياه العذبة تزود المدينة بما يلزمها من ماء. وكان جو البلدة كأطيب ما يكون، كما كانت أسواقها الرحيبة تمتلئ بالسلع من كل صنف ولون؛ وكانت صحار هي مخزن السلع الواردة من الصِّين ومركز التجارة مع الشرق، وكان لها -أيضًا- شأن في تجارة اليمن، ومقام ممتاز في التجارة مع الشرق. أما الميناء الذي كان دائمًا مزدحمًا بالسفن الغادية والرائحة، فقد كان طوله فرسخًا وعرضه فرسخًا، وقد ذكر المقدسي صراحة أن لغة التجارة فيها كانت هي الفارسية، وكان التجار من جميع أنحاء العالم يلتقون فيها، وتتصل اتصالًا مستمرًا باليمن والصين، وكانت الرحلات إليهما تتزود بمؤونتها من صحار، وكانت أرضها الخصبة الغنية تغل البلح والموز والتين والرمان والسفرجل وغيرها من الفواكه؛ وكذلك كانت صحار دائبة الاتصال بالبحرين، مُتَوَسِّلة في ذلك بطريق يخرج منها، ويمتد مسايرًا الشاطئ، مجتازًا الجبال إلى جلفار، ولكن سرعان ما دبَّ الاضمحلال في هذا الطريق. والظاهر أن حملة الخليفة هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م)، ثم حملة المعتضد (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م)، الذي حاول أن يضُمَّ عُمان إلى الخلافة، وصادف في هذا نجاحًا أكبر مما صادفه هارون الرشيد، لم يكن لهما أثر بالغ في صحار، على أن البلدة قد دُمِّرت أثناء فتن القرامطة، ثم أعيد بناؤها؛ وفي سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢/ ٩٧٣ م) حدث اشتباك أمام صحار، بين أبي حرب قائد عضد الدولة (ت ٣٧٢ هـ / ٩٨٣ م) والزنج الذين كانوا قد احتلوا عُمان، وكُتِبَ النصر لأبي حرب، فاستولى على صحار، واضطر أهلها إلى الفرار؛ وفي سنة ٤٣٣ هـ (١٠٣١ - ١٠٤٢ م) أنفذ أبو كَالِيجَار البُويْهيُّ (ت١٠٤٨م) جيشًا فارسيًّا بالبحر إلى عُمان، وكانت قد انتقضت عليه، ورسا الأسطول أمام صحار، واستولى عليها وأخضع أهلها، ولكن البويهيين وولاة الفرس السَّلاجقة الذين ورثوا ملك خلفاء بغداد لم يفعلوا شيئًا لرد ما كانت عليه صحار من رفاهية وازدهار؛ وحوالي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي توقفت تجارة

صحار مع الشرق الأقصى عندما أفلح إمام من أئمة اليمن في السيطرة على الخليج الفارسي (= العربي) بضربة بارعة، وخنق التجارة بالبحر، بل أعمل يد السلب والنهب في الشاطئ حتى تحولت التجارة شيئًا فشيئًا إلى عدن. ويقول ابن المجاور (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) -وهو من الثقاة، الذين يعتمد على روايتهم-: إن صحار كانت خربة بالفعل في الربع الأول من القرن السابع للهجرة (حوالي ١٢٢٥ م)، وقد تحَوَّلَتْ تجارتها إلى هرمز مركز التجارة الفارسية، وإلى ميناء قَلْهَات العربية. والظَّاهر أنَّ صُحار انْتَعَشَتْ مرَّة أخرى من بعد، وأعيد بناؤها، فقد ذكرها ماركو بولو (ت ٧٢٤ / ١٣٢٤م) باسم صوير Soer (= لعلها تصغير: صُور)، وقال: إنها تتاجر في الخيل مع مَلِيبَار؛ وقد ذكر ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) صُحار -أيضًا- في رحلاته»[1]، بعدها استعرض الموجز جانبًا من تاريخها في عصر اليعاربة، والصِّدَام الدَّائر بينهم وبين البرتغاليين.

وعلى ذكر مساجد صُحار، التي نوَّهَتْ بها كتب التاريخ العُماني، نجد **مسجد جَنَاح بنِ عُبَادة**، الكائن بمحلة الْحِجْرَة القديمة، حِذَاء السُّوق التاريخي القديم بصحار. بناه الوالي: جَنَاح بنُ عَبادة بن قيس بن عمرو الهنائيُّ (حي ١٣٢ هـ)، وهو غير مسجدها الجامع، الذي بُنِيَ في موضع بروك ناقته -عليه السَّلام-. زعم بعضهم أنَّ مسجد جَنَاح هذا قد أحدثه الصحابي الجليل عمرو بن العاص (ت ٤٣ هـ / ٦٦٤ م)، عقيب إسلام أهلها، ثم جُدِّد البناء بوساطة الوالي جَنَاح، فسُمِّي المسجد باسمه، ولا مستند لهذه الأزعومة. مردُّها لربما الخلط الحاصل بين المسجدين -المسجد والجامع-. جاء في بعض الدراسات ما نصُّه: «ومن المساجد المشهورة في صحار في تلك الفترة غير جامعها المذكور مسجد جناح، وقد بناه جناح بن عبادة الهنائي، خلال توليه عُمان في بداية الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ، ويقع الآن في محلة الحِجْرَة القديمة، ومن بينها -أيضًا- **مسجد بشَّار**، ولكن لم يبقَ سوى اسمه، ذكره الشاعر الصحاري أبو علي محمد بن زُوزَان (ق٦ هـ / ١٢م) بقوله:

(١) م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج ٢١، ص٦٤٩٣ وما بعدها.

إذَا مَـا حَلَلْتُـمْ فـي صُحَـار فَأَلْمِمُـوا بِمَسْـجِدِ بَشَّـارٍ وَجُوزُوا بِهِ قَصْدًا»[1].

وجَنَـاح بـن عُبَـادة -المشـار إليـه- أحـد صُلَحـاء عُمَّـال عُمـان وولاتهـا، وممَّـن حُمِـدَت سـيرتهم فيهـا، وتعاطـف معـه النـاس، ولا غـرو فهـو مـن ذريـة ملـك عُمـان: هُنَـاءة بـن مالـك بـن فهـم الأزدي، الـذي خلَـفَ أبـاه مالـك بـن فهـم (بعـد ٤٨٠ ق هـ / ١٥٧م) علـى الحكـم بهـا، وكان هُنـاءة أكمـل ولـد مالـكٍ عقـلًا، وأتمَّهـم رأيًـا، وأنفذهـم حُكمًـا.

أ) قـال سـلمة بـن مسـلم العوتبـي الصحـاري (ت٥١١هـ) فـي كتابـه **الأنسـاب**: «فأمّـا هُنـاءة بـن مالـك بـن فهـم فملـك بعـد أبيـه مالـك بـن فهـم، وكان أحسـن ولـد مالـك بـن فهـم سـيرة، وأكملهـم عقـلا، وأجودهـم مـروءة. وكان وقـع خيـرة مالـك عليـه لعقلـه وكمـال أمـره، وكان ذا فهـم وحلـم، ولـم يكـن لأحـد مـن ولـد مالـك بـن فهـم مـا لهنـاءة مـن هـذه الخصـال. فملـك هنـاءة بعـد أبيـه، وقـام بتدبيـر الأمـر، وسياسـة الملـك، إلـى أن مـات، وولـد ثلاثـة نفـر: أسْلَم بـن هُنَـاءة، وجَهْضَـم بـن هُنَـاءة، وصَائِـدَة بـن هُنَـاءة. فمـن بنـي هُنَـاءة: عُقْبَـة بـن سَـلْم بـن نافـع بـن هـلال بـن صهْبَـان بـن هـرَّاب بـن عائـذ بـن أجـود بـن أسـلم بـن هُنَـاءة بـن مالـك بـن فهـم، ومنهـم: جَنَـاح بـن عُبَـادة بـن قيـس بـن عمـرو الهنائـيُّ؛ وهـو أخـو عُقْبَـة بـن سَـلْم الهنائـي لأمِّـه، وكان جَنَـاح بـن عُبـادة قـد قَـدِمَ فـي شـهر رمضـان سـنة سـبع [وثلاثيـن] ومائـة إلـى عُمـان؛ عامـلا عليهـا لأبـي جعفـر المنصـور (ت ٨١٥ هـ / ٧٧٥ م)»[2]، وحـول نسـبة المسـجد إليـه يقـول: «وجَنَـاح بـن عُبَـادة الهنائـي هـو صاحـب المسـجد المعـروف بمسـجد جَنَـاح؛ وهـو الـذي داهـن الإباضيّـة، وأعانهـم، حتـى صـارت الولايـة للإباضيَّـة بعُمـان، والوالـي لهـا لبنـي العبّـاس يومئـذٍ محمـد بـن جَنَـاح، بعـد أبيـه جَنَـاح بـن عُبـادة الهنائـي»[3].

(١) المنذري، محمد بن ناصر بن راشد، **تاريخ صحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، (دار العلوم للطباعة والنشر، ط: الأولى، د. ت)، ص١٧٧.

(٢) العوتبي، **الأنساب**، ج٢، ص٧٧٥.

(٣) العوتبي، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٧٧٥.

ب) وجاء مثل ذلك بتصرف بسيط في كتاب آخر، بعنوان: **تاريخ عُمان، المقتبس من «كشف الغُمَّة الجامع لأخبار الأمة»**، لسرحان بن سعيد الإزكوي (نحو ١١٧٧هـ): «ووَلَّى أبو العباس السَّفَّاح (ت ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م) أبا جعفر المنصور على العراق، فاستعمل أبو جعفر: جَنَاح بن عُبَادة بن قَيْس الهنائي على عُمان، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جَنَاح، ثم عزَلَهُ، وولَّى ابنه محمد بنَ جَنَاح، فداهن جَنَاح بن عُبادة الإباضيَّة، حتى صارت ولاية عُمان لهم، فعند ذلك عقدوا الإمامة للجُلَنْدَى بن مسعود (ت ١٣٤ هـ / ٧٥١ م)، وكان سببًا لقوَّة المذهب، وكان عادلاً مرضيًّا»[١]. قلت: والمتن منقول بالحرف من أصله[٢].



ج) كذلك في **قصص وأخبار جرت في عُمان**، لمحمد بن عامر المعولي الأفوي (ت١١٩٠هـ / ١٧٧٧م)؛ حيث جاء ما نصُّه: «وولَّى أبا جعفر المنصور على العراق، فاستعمل أبو جعفر: جَنَاح بن عُبادة بن قيس الهنائي، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جَنَاح، وهو بصُحَار، ثم عزله، وولَّى ابنه محمد بن جَنَاح، فداهن جَنَاح بن عبادة الإباضيَّة، حتى صارت ولاية عُمان لهم»[٣].

د) وقال الشيخ عبد الله بن حميد السالمي (ت١٣٣٢هـ /١٩١٤م) في **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**: «ولَّى أبا جعفر المنصور على العراق، فاستعمل أبو جعفر على عُمان جَنَاح بن عُباد[ة] بن قيس بن عمرو الهنائي؛ وهو أخو عقبة ابن أسلم الهنائي لأمه، فقدم إلى عُمان عاملا

(١) مجهول، **تاريخ عمان**، ص٥٥.

(٢) ينظر في ذلك: سرحان بن سعيد الإزكوي، **كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، تح: أ.د محمد حبيب صالح و: د. محمود السليمي (وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط: الثانية ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، ج٣، ص١١٥.

(٣) المعولي، **قصص وأخبار جرت في عُمان**، ص٩٠.

عليها، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جَنَاح، وهو بصُحار، ثم عزله وولَّى ابنه محمد بن جَنَاح، فداهن المسلمين، حتى صارت ولاية عُمان لهم ...»[1].

وقد أشار عدد آخر من المصادر إلى ما تقدم، لكنها تجاوزت ذكر المسجد الوارد في تلك النصوص، ومن بين تلك المصادر التاريخية التي تجاوزته: (**الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين** لابن رزيق النخلي: ١٨/١؛ و: **عُمان عبر التاريخ** للشيخ سالم بن حمود السيابي: ٢٣٠/١).

جدير بالذكر، أنَّ دراسة أخرى تتبَّعت ما ورد في المصادر غير العمانية بهذا الشأن، ورصدت حدود ولاية المنصور -آنف الذكر-، فاستدركت أمرًا لربما فات تلك المصادر، وقد وُفِّقتْ في الجمع بين ما ورد في المصادر العمانية وغيرها إلى حدٍّ بعيد، تقول الدراسة: «من خلال ما أجمعت عليه المصادر الأخرى من أن أول من وَلِيَ البصرة في العهد العباسي هو سُفْيَان بن معاوية بن يزيد المهلبي (ت: بعد ١٤٢ هـ / ٧٥٩م)، فإنَّه من المُرَجَّح أن سُفْيان هو الذي اختار هذا الوالي، وكلاهما من أصل عماني. فأبو جعفر المنصور (ت ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م) لم يتوَلَّ ولاية البصرة، وإنَّما كان على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وبعد فترة قصيرة عزل جناح، وعهد إلى ابنه بولاية عُمان، وتعاطف الأخير مع أهله وعشيرته العمانيين، حيث إنَّ خطط قيام الإمامة كانت تسير بخطى حثيثة، وكان هو على علم بها، أو ربما شارك في صنعها، وهو ما تشير إليه المصادر العمانية، حيث تقول: (ووافقهم على ما يحبون حتى صارت ولاية عُمان لهم). وكانت هناك كوكبة كبيرة من العلماء في صحار، فاتَّفقَ هؤلاء العلماء مع قيادة علماء الإباضيَّة في البصرة على مبايعة الجُلَنْدى بن مسعود (ت ١٣٤ هـ / ٧٥١ م) بالإمامة في عُمان، وكان ذلك في أواخر عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م؛ لأنَّ السَّفاح تولى السُّلطة في الكوفة في شهر ربيع الأول من السنة نفسها، وقد عُيِّنَ واليانِ على عُمان، فهذا كله يحتاج إلى مُضِي أشهر. ويشير العوتبي (ت٥١١هـ) إلى

(١) السالمي، عبد الله بن حميد بن سلوم، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، (مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، د. ط، د. ت)، ج١، ص٦٤.

أن قدوم جناح إلى عُمان كان في شهر رمضان، وهذا ما نقبله، والباحث يرى -أيضًا- أنَّ جَنَاحًا كان له الفضل الأوَّل في مساعدة العمانيين لإعلان إمامتهم، وأن محمدًا ابنه جاء فوجد الأمور قد هُيِّئتْ، فلم يعترض على ذلك، وهذا يتفق مع رواية العوتبي، وهو أقدم المصادر العمانية التي أشارت إلى ذلك، حيث يقول: (وجَنَاح وافق الإباضيَّة، وأعانهم حتى صارت الولاية للإباضيَّة، والوالي بها يومئذٍ محمد بن جَنَاح بعد أبيه). ورغم قصر هذه الإمامة -حيث لم تدُم سوى ما يقرب من سنتين-، إلا أنها أسَّست كيان الإمامة في عُمان من الناحية العملية، فوضعت تنظيمات سياسية وإدارية واقتصادية وعسكرية، وتوجيهات اجتماعية، سارت على نهجها الإمامات المتعاقبة بعدها»[1].

وبعد؛ فيؤخذ من النصوص المتقدمة الأمور الآتية:

أ) كان جناح بن عبادة وولده محمد بن جناح عامِلَيْن على عُمان للوالي على العراق واليمامة والبحرين وقتها، من جانب أبي العباس السفَّاح (ت ١٣٦ هـ / ٧٥٤م)؛ وهما -أي جناح وولده- شخصيتان عُمانيتان معروفتان، من بني هُناءة، القبيلة الأزدية الكبيرة، من آل مالك بن فهم؛ بطن من أزد شنوءة، من القحطانية، ومن بيوتات الحكم فيها؛ إذ هما من ذرية: هُناءة بن مالك بن فهم الأزدي (بعد ٨٠٤ ق هـ / ١٥٧م)، الذي حكم عُمان بعد أبيه، ونصَرَ أخاه سليمة على حكم كرمان وما حولها (بعد ٤٨٠ ق. هـ / ١٥٧م)؛ في قصة مشهورة.

ب) أنَّ المسجد المسمى بمسجد جَنَاح في صُحار يُنْسب إلى جَنَاح بن عُبَادة -آنف الذكر-، ويُعْرَف به، وهو غير الجامع المعروف بها، الذي بُنِيَ في موضع بروك ناقته -عليه السلام-، بعد إسلام أهلها، ولم تُشِر النصوص أبدًا إلى علاقة عمرو بن العاص السَّهْمي القرشي (ت٤٣ هـ / ٦٦٤ م) الصحابي الجليل بمسجد جَنَاح، ولا أنَّه قد أقيم على آثار مسجد بناه هناك.

(١) المنذري، محمد بن ناصر بن راشد، **تاريخ صحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، ص٦٠.

ج) فَقِهَ العباسيون حاجة عُمان إلى عُمَّال وولاة منهم؛ لخلق حالة من التَّوَافق والانسجام بين مركز الخلافة والحواضر والبلدان ذات الخصوصية، والتي أرادوا إخضاعها لهم.

د) أدرك الهنائي وولده رغبة العمانيين -أبناء وطنهما- في أنْ يكون واليهم منهم، وأن يكون لهم حق انتخابه بأنفسهم، فسَمَحَا لهم بذلك، ووافقا عليه؛ ليسحبا بذلك البساط من بني العباس، ممهدين لاستقلالٍ تام في الحكم بعُمَان؛ لربما هَنْدَسَ له وخَطَّطَ ودعا في السِّرّ إليه والي البصرة وأميرها: سفيان بن معاوية بن يزيد، من آل المهلب بن أبي صفرة، بالتعاون مع عُمَّاله عليها، وبتأييد رجالاتها وعلمائها الأفذاذ، الذين سارعوا إلى تخليص البلاد من التبعيَّة والاستبداد.

ولصحار أخبار كثيرة في الجاهلية والإسلام، لا يمكن تتبعها كلها في هذه العجالة، بحسبنا الإشارة إلى الومضات الآتية؛ في سبيل استجلاء ذلك:

- **تمركز الفرس في صحار، ولقاء مالك بن فهم (نحو ٤٨٠ ق هـ / نحو ١٥٧ م) لهم:** ففي التاريخ: «تقدم مالك بن فهم الأزدي، في قبائل الأزد، ومن معه من أحياء قضاعة إلى أرض عُمان، فدخلها في عسكرهم، في قبائل من قومهم من قضاعة من الخيل والرَّجِل والعُدَّة والعدد. فوجد بعُمان الفرس، من جهة الملك دَارَا بن دَارَا بن بَهْمَن بن اسْفَنْدِيَار، وهم يومئذٍ أهلها وسُكَّانها، والمُتقدِّم عليها الْمَرْزُبَان عامل ملك الفرس، فعند ذلك نزل مالك بن فهم، ومن كان معه من الحشم والعيال والنساء والأثقال، إلى جانب قَلْهَات من شَطِّ أرض عُمان؛ ليكون أمْنَعَ لهم، وترك عندهم من الخيل والرِّجَال من يحفظونهم.



[صورة – ١٤: أطلال مدينة قلهات الأثرية. المصدر: مدونة إلكترونية حول «المواقع الأثرية في سلطنة عمان»[١]]

ثم سار هو ببقية عساكره وصناديد رجاله من فرسان الأزد، وغيرهم من أحياء قضاعة، وقد جعل على مقدمته ابنه هُناءة بن مالك، في ألفي فارس من فرسان قومه وثقات الأزد، وأقبل مالك بن فهم في جلِّ عساكره وصناديد رجاله حتى دخل ناحية الجوف فعسكر معسكره، وضرب مضاربه بالصحراء، وأرسل إلى الفرس والمتقدم عليهم يومئذٍ الْمَرْزُبَان عامل الملك على عُمان، فأرسل إليهم يطلب منهم النزول في قطر من عُمان، وأن يُفْسِحُوا له، ويمكّنوه من الماء والكلأ؛ ليقيم معهم في قطرٍ من عمان، فلما وصل إلى المَرْزُبَان وأصحابه رُسُل مالك بن فهم الأزدي، وما يطلب منهم من النزول في عمان، وأن يفسحوا في الماء والكلأ، ائتمروا بينهم في ذلك وتشاوروا في أمره، حتى طال ترديد الكلام والتشاور بينهم، ثم أنهم أجمع رأيهم على صرفه، وألّا يمكنوه إلى ما سأل وطلب منهم، وقالوا: ما نحب أن ينزل هذا العربي معنا، فيضيق علينا أرضنا وبلادنا، فلا حاجة لنا في قربه وجواره، فلما وصل جوابهم إلى مالك بن فهم، أرسل إليهم أنه لا بد من المقام في قطر من عُمان، وأن تواسوني في الماء

(١) تنظر الصورة في إرشيف المدونة الإلكترونية، حول: «**المواقع الأثرية في سلطنة عمان**»، على الرابط: https://ashehr.blogspot.com/2017.

والمرعى، فإن تركتموني طوعًا نزلت في قطر من البلاد وحمدتكم، وإن أبيتم أقمت على كرهكم، وإن قاتلتموني قاتلتكم، ثم إن ظهرت قتلت المقاتلة وسبيت الذراري، ولم أترك أحدًا منكم ينزل عُمان أبدًا، فأبت الفرس أن تتركه طوعًا، وجعلت تستعد لحربه وقتاله، وأن مالك بن فهم قام في مُدَّته تلك بناحية الجَوْف، حتَّى أراح واستراح، واستعدَّ لحرب الفرس، وتأهَّب للقائهم، وحفر بناحية الجَوْف الفَلَجَ الذي بمَنَح اليوم، الذي يُعْرَف بفلج مالك، وكان معسكره هناك، إلى أن استعدت الفرس لحربه وقتاله، ثم إنَّ المَرْزُبَان أمر أن ينفخ في البوق، الذي يؤذن فيه بالحرب، وأن يضرب الطبل، وركب في جنوده وعساكره، وخرج من صُحار في معسكر جمٍّ يقال إنه كان زهاء أربعين ألفا، ويقال: ثلاثون ألفا، وخرج معه بالفيلة، وسار يريد الجَوْف في لقاء مالك بن فهم الأزدي ومن معه من الأزد، فجمع عسكره وأصحابه من الأزد، وغيرهم من أحياء قضاعة، وكان في زهاء ستة آلاف فارس وراجِل، على مقدمته ابنه هُناءة بن مالك في ألفي فارس من صناديد الأزد وفرسانها، وأقبل نحوهم في تلك الهيئة حتى أتى صحراء سَلُّوت، فعسكر بإزاء عسكر المرزبان، فمكثوا يومهم ذلك إلى الليل، ولم يكن بينهم حرب ولا قتال، ثم إن مالك بن فهم، بات ليلته تلك يعبِّئ أصحابه، يمنة ويسرة وقلْبًا، ويكتب الكتائب، ويوقف فرسان الأزد مواقفهم؛ فولَّى الميمنة هُناءة بن مالك، وولَّى الميسرة ابنه فَرَاهِيد بن مالك، وصار هو في القلب؛ في أهل النَّجْدة والشِّدَّة من أصحابه، وبات المَرْزُبَان يعبئ ويكتب كتائبه، حتى إذا أصبحوا توافقوا للحرب، وقد استعد كلا الفريقين، وركب مالك بن فهم فرسًا له أبلق، وظاهر بين درعين، ولبس عليها غلالة حمراء، وتَكَمَّمَ على رأسه بكمَّة حديد، وتعمَّم عليها بعمامة صفراء، وركب معه ولده وفرسان الأزد على تلك التعبئة، وقد تقنَّعوا بالدُّروع والبِيض والجَوَاش، فلا يُبْصَرُ منهم الا الحَدَق، فلما توافقوا للحرب جعل مالك بن فهم يدور على أصحابه راية راية، وكتيبة كتيبة، ويقول: (يا معشر الأزد، أهل النجدة والحفاظ، حاموا عن أحسابكم، وذبُّوا على مآثر أبائكم، وقاتلوا، وناصحوا ملككم وسلطانكم؛ فإنكم إن انكسرتم وهزمتم، اتَّبَعكم العجم في كافة جنودهم، فاختطفوكم، واصطادوكم بين كل حجر ومدر، وباد عنكم ملككم، وزال عنكم عزمكم وسلطانكم، فوطنوا أنفسكم على الحرب،

وعليكم بالصبر والحفاظ؛ فهذا اليوم له ما بعده). فجعل يُحرِّضُهم، ويأمرهم بالصبر والجلَد، ويدور عليهم راية راية وكتيبة كتيبة، حتى استفرغ جميع كتائبه وعساكره»[1]، وبعد استعراض طويل لما دار انتهى **العوتبي الصحاري** (ت ٥١١ هـ) في كتابه **الأنساب** إلى القول: «وحملت الأزد على الفرس، وزحف الفرس إليهم، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، من ظهر النهار إلى العصر، وعض أصحاب المَرْزُبَان السيف، وصَدَقَتْهُم الأزد الضرب والطعن، فولوا منهزمين النهار، حتى انتهوا إلى معسكرهم، وقد قتل منهم خلق كثير، وكثر الجراح في عامتهم، فعند ذلك أرسلوا إلى مالك بن فهم يطلبون منه أنْ يمُنَّ عليهم بأرواحهم، ويجيبهم إلى الهدنة والصلح، وأن يكف عنهم الحرب، ويؤجلهم إلى سنة؛ ليستظهروا على حمل أهلهم من عُمان. وأن يخرجوا منها بغير حرب وقتال، وأعطوه على ذلك عهدًا وجزية على الموادعة، فأجابهم مالك بن فهم إلى ما طلبوا وسألوا منه، وهادنهم وأعطاهم على ذلك عهدًا وميثاقًا، أنَّه لا يُعَارِضُهُم بشيء، إلا أن يبدأوه بحرب وقتال، فكفَّ عنهم الحرب، وأقرَّهم في عُمان، على ما سألوه، فعادوا إلى صحار وما حولها من الشُّطوط، وكانت الفرس في السَّواحل والشطوط، وكانت الأزد ملوكًا في البادية وأطراف الجبال»[2] ... إلخ ما دار.

- **قصة دخول الإسلام عُمان، وانتداب عمرو بن العاص (ت ٤٣ هـ / ٦٦٤ م) لهذه المهمَّة الجسيمة، وقيامه بالواجب، ولقائه ولَدَيْ عبد وجيفر، ودخول أهل عمان الإسلام، وقد سبق الحديث عن ذلك.**
- **خبر وفد التعزية بوفاة رسول الله، ولقائهم أبا بكر الصدِّيق (ت ١٣ هـ / ٦٣٤ م)، ومشاركة العمانيين في أحداث حروب الردة، وهو خبر طويل ليس المقام لذكره.**
- **تعاقب الأحداث في المراحل الإسلامية اللاحقة، على صحار، وجوارها الجغرافي، بخاصة في القرون الهجرية الأولى، من ذلك مثلا:**

ما جاء على لسان العوتبي (ت٥١١هـ) -آنف الذِّكْر- في كتابه **الأنساب**، يقول:

(١) العوتبي، **الأنساب**، ج٢، ص٧١٧.

(٢) العوتبي، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٥٣٩.

«ومن بني هُنَاة الأهْيَف بن حَمْحَام الهُنَائِي، وكان رئيسَ بني هُنَاة، وصاحب رأيهم، وشاهد في عُمان حروبًا كثيرة، وهو صاحب وقعة القاع والخِيَام، وكان مُعِنيًا فيها لعزان بن تميم الخروصي (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م)، وهو يومئذٍ إمام. وقد خرج الحواري بن عبد الله الحداني السلوتي، والفضل بن الحواري السامي، ومن كان معهم من النِّزَارية وبني الحارث، الذين في السِّرِّ، فخرجوا إلى صُحار، فملكوها على الإمام؛ وهو إذا ذاك عزَّان بن تميم، فخرج إليهم الإمام الأهْيَف بن حَمْحَام الهُنَائي، في أجْلاد قواده وأصحابه، فسار بهم الأهْيَف حتى قَدِمَ بهم إلى ناحية صُحار، فالتقوا هم والحَوَارِيُّ بن عبد الله، وكثير من رجالهم. وكانت الدائرة عليهم والظفر للأهْيَف بن حَمْحَام، ومن معه من عسكر الامام، والأهْيَف بن حَمْحَام، وهو الَّذي واقَعَ محمد بن بور، بدَمَا، وهزم محمد بن بور، حتى الجأه إلى سِيف البحر، إلى أن كان آخر النهار، وثابَ محمد بن بور عُبَيْدة بن محمد السَّامِي، في جمْعٍ كثير من قومه ورجاله، فأعانوا محمد بن بور، على أهل عمان، فهزموا، وقتل الأهْيَف بن حَمْحَام مع مشايخ أهل عُمان، وكان الظَّفَر لمحمد بن بور»[١].

ويذكر التاريخ أنَّ أهل صُحار خاصَّة لما خافوا محمد بن بور (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) قبل وصوله عمان، خرجوا بأهلهم وأموالهم إلى شِيرَاز والْبَصْرَة[٢]، وقيل خرجوا إلى سِيرَاف والبَصْرَة وهُرْمُز، وغير ذلك من البلدان[٣].

وفي حوادث سنة (٣٦٢ هـ): لما توفي مُعِزُّ الدَّوْلة ، وبعُمَان أبو الفرج بن العباس، نائب مُعِزّ الدَّولة، فارقها، فتولى أمرها عُمَر بن نَهْبَان، وأقام الدعوة لعضد الدولة، ثم إن الزنج غلبت على البلد، ومعهم طوائف من الجند، وقتلوا ابن نَهْبَان، وأمروا عليهم إنسانًا يُعْرَف بابن حَلَّاج، فسَيَّرَ عضد الدولة جيشًا من كَرْمَان، واستعمل عليهم أبا حرب طُغَان، فساروا في البحر إلى عُمان، فخرج أبو حرب من المركب إلى البرّ، وسارت المراكب في البحر من ذلك المكان،

(١) العوتبي الصحاري، **المصدر نفسه**، ج١، ص٧٨١.
(٢) مجهول، **تاريخ أهل عمان**، ص٧٢.
(٣) العوتبي الصحاري، **الأنساب**، ج٢، ص٧٦١.

فتوَافَوا على صُحار قصبة عُمان، فخرج إليهم الجند والزِّنْج، واقتتلوا قتالًا شديدًا في البرِّ والبحر، فظفر أبو حرب، واستولى على صُحار، وانهزم أهلها[1].

وفي سنة (٤٣٣ هـ): سَيَّرَ الملك أبُو كَالِيجَار من فارس عسكرًا في البحر إلى عُمان، وكان قد عصى مَنْ بها، فوصل العسكر إلى صُحار مدينة عمان فملكوها، واستعادوا الخارجين عن الطاعة، واستقرَّت الأمور بها، وعادت العساكر إلى فارس[2].

- **احتضان صحار حركة علمية، تعد امتدادا للتفاعل العماني البصري، قادها علماء عُمان، على رأسهم أسرة آل الرحيل القرشية؛** في سنة (٢٥١هـ / ٨٦٥م): وصل الإمام محمد بن محبوب مُكلَّفا من الإمام الصلت بن مالك الخروصي (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م) بتولِّي منصب القضاء على مدينة صحار، وكان الوالي عليها آنذاك محمد بن الأزهر العَبْدِي (حي ٢٧٣ هـ / ٨٨٦م)، ثم غُدَانَة بن محمد (ت٢٦٥ هـ / ٨٧٩م)، وقد كان انتقال العلامة ابن محبوب إلى صُحار إيذانًا بانتقال مدرسة بكاملها، فغدت مدينة صُحار تنافس أختها مدينة نزوى في استقطاب طلبة العلم، فمن العلماء الذين لازموه في صُحار أو كانوا كثيري التِّرْحَال إليه لطلب العلم العلامة أبو المُؤْثِر الصَّلْت بن خميس الخروصي (ق٣ هـ)، إضافة إلى ابنيه: البشير (حي ٢٧٣ هـ / ٨٨٦م)، وعبدالله (ت: غ. م)، كذلك العلامة عَزَّان بن الصَّقْر (ت٢٦٨ هـ، وقيل: ٢٧٨م)، الذي لازم شيخه طيلة مُكْثِهِ في مدينة صُحَار، ثم عيَّنه الإمام الصَّلْت بن مالك (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م) قاضيًا فيها خَلَفًا لشيخه ابن مَحْبُوب، والعلامة أبو مالك غَسَّان بن محمد بن الخَضِر (ت٣٢٠ هـ / ٩٣٢م)، الذي نزل محلة صَلَّان من صُحار حتى أصبح يُنْسَبُ إليها، فيقال له: الصَّلَّاني، بالرغم أن مسقط رأسه في مدينة بُهْلَى.

---

(١) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ج٧، ص٣٢٤.

(٢) عز الدين ابن الأثير، **المصدر نفسه**، ج٨، ص٢٩.

وكان للعلامة ابن محبوب دور كبير في دعوة أهل الشرك إلى الإسلام في مدينة صحار، خاصة أولئك الذين يقصدون مدينة صحار للتجارة؛ فقد بلغت مدينة صحار أوج ازدهارها التجاري في عهد الإمام الصَّلْت بن مالك (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م)، وكان التجار ينزلون بها من شتَّى البلدان، على رأسهم الهنود الذين كانوا موجودين بكثرة فيها، وقد دخل الإسلام على يدي العلامة ابن محبوب عدد كبير من هؤلاء التجار الهنود، وقد روى هذه الرواية تلميذه العلامة أبو المُؤْثر الصَّلْت بن خميس (ق٣ هـ)، وأنها وقعت في حضرته، مما يدل على أنه انتقل معه إلى مدينة صُحَار؛ إذ من المعلوم أن الهنود وغيرهم من التجار المشركين لم يكونوا ينزلون نزوى، بل جميع سكناهم ونزولهم في صحار لغرض التجارة(١).

- **في القرون المتأخرة شهدت صحار أحداثًا جمّة، بدءًا بفتحها على يد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (ت ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م)، وإجلاء البرتغاليين منها، ثم طرد الفرس بعد ذلك على يد الإمام أحمد بن سعيد (ت ١١٩٦ هـ / ١٧٨٢ م)، ومبايعته إماما على عُمان. وبين إمامة الاثنين كثير من الأحداث التي يطول بسردها المبحث، أشارت إلى بعضها كتب التاريخ العماني، وغيرها.**



[صورة – ١٥: قلعة صحار التاريخية]

(١) د. ناصر بن علي بن سالم الندابي، **سيرة الشيخ الفقيه محمد بن محبوب إلى أهل المغرب** «دراسة وتحقيق»، (ذاكرة عمان، سلطنة عمان، ط: الأولى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٧م)، ص٣٠ وما بعدها.

وينسب لصحار بالجملة كثير من الأعلام، منهم: أبو حمزة الشاري، واسمه المختار بن عوف بن يحيى بن مازن (ت١٣٠ هـ / ٧٤٨م)، وهو صاحب وقعة قُدَيْد. ومَلَكَ الحرمين، وهو صاحب عبد الله بن يحيى الشَّاري الكندي، المُسَمَّى بطالب الحق (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م)، وكان وجّه أبا حمزة، المختار بن عوف بالعساكر إلى الحجاز، فغلب على مكة والمدينة، وكانت وقعة قُدَيْد حتى ملك الحرمين، ودخل المدينة، وملكها، وخطب على منبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، خطبته العجيبة المشهورة، وكان منزله في عُمان بقرية حَجْز من جنوب صحار[١].

ومن أهل صحار آل الرُّحَيْل -آنفو الذكر-، قال الشيخ سالم بن حمود السيابي (ت١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) في **إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان**: «وبعُمان من آل الرُّحَيْل، أولئك الأئمة الأعلام: مَحْبُوب بن الرُّحَيْل، وهو وَلِيٌّ رَضِيٌّ، عالم تقي، وهو المشهور في المذهب بأبي سُفْيَان، وولده الإمام العلامة القدوة الجليل مُحَمَّد بن مَحْبُوب (ق٢ هـ)، أكبر عالم في زمانه بعُمان، وهو المراد عند الإطلاق في الأثر المشرقي بأبي عبد الله، وناهيك بمحمد بن مَحْبُوب أكبر علماء عمان، وأفضلهم شأنًا، وولده المكنى به عبد الله، الفاضل التقي الزاهد، وولده الإمام الفاضل، السَّيِّد الحُلاحِل، أفضل إمام بعُمَان، سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرُّحَيْل (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م)، وولده العالم بشير بن محمد بن محبوب، وهو صاحب كتاب المحاربة المشهور، وولده العالم مُحَبِّر بن بَشِير بن محمد بن مَحْبُوب، وذراريهم المشهورة بالفضل الشامل والعلم الكامل. ومنازلهم بصحار أشهر من نار على علم، من ذلك العهد إلى هذه الأيام الأخيرة. ومن بقية رجالهم البارزين بكل معنى الكلمة: الشيخ محمد بن سيف، وعليه تتلمذ قاضي صحار الحالي الشيخ سعيد بن حمدان الريامي، وقد أخبرني الشيخ محمد بن سيف بن عبد الله السعدي عن هذا الشيخ الرحيلي بأخبار عطرة، ولا بدع، فإن الثمر دالٌّ على الشجر، والفرع لا يزال معروفًا بالأصل»[٢].

(١) العوتبي الصحاري، **الأنساب**، ج٢، ص٢٤١.

(٢) السيابي، **إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان**، ص١٥.

ومن رجالات بني سليمة بن مالك بن فهم من صُحار: سليمان بن عبد الملك بن بلال، من الزعماء المطاعين في أيامه، وكان مسكنه مَجَز من صحار[1].

والقائمة على كل حال تطول، حتى إن بعض أعيان هذا العصر ألَّف كتابًا في أعلامها القريبين منّا، الذين أدرك بعضهم، سمَّاه: **بهجة الناظرين في تراجم فقهاء صُحار المتأخرين**، وأحصت **الموسوعة العمانية** طائفة أخرى من تلك الأسماء.



ولصحار حضور لافت في الخرائط الأجنبيَّة والعربيَّة معًا، بل لا تكاد تقع على خريطة للجزيرة العربية لا يذكر فيها اسم صحار، وهذا الحضور يتعزَّز كذلك بالمآثر العظيمة لأهلها، والتي بات بعضها أمثولة، تتردد على كل لسان.

(١) السيابي، **المصدر نفسه**، ص٩٥.

2- الْبَصْرَة، وشَطُّ العرب:

يستعرض المبحث الثاني كُلَّ ما كُتِبَ حول البَصْرَة، وتاريخها، وشَطِّ العرب، واجهة البَصْرَة، ومَعْبَرِه البحريّ، وانفتاحه على الخليج العربي، وعلى بحر فارس، والمحيط الهندي. سيَحْتلُّ الحديث عن البصرة مساحة مُهمَّة من المبحث، مع تسليط الضَّوء على جوانب مهمة، لا يمكن تجاوزها لدى الحديث عن هذه الحاضرة المهمة من الحواضر العربية والإسلامية العريقة.

2-1- البصرة.. عبقريَّة الموقع، وتاريخ المكان:

لسنا نجانب الصَّواب إن قلنا إن تاريخ البصرة شاهد حيٌّ على التواصل الحضاري، وعلى العلاقات الممتدة، التي ربطتها بحواضر العالم القديم، وبالمدن والأمصار والأقاليم الإسلامية المختلفة. فبصرف النظر عن جمعها إداريًّا -في مرحلة ما- بإقليم خراسان من جهة، وبإقليم البحرين وعمان في مرحلة ما من جهة ثانية، في دور الخلافة الإسلامية الأول، إلا أن موقع البصرة المُمَيَّز، وانتحاءها على هامش الجزيرة العربية، ثم وقوعها محطة عبور مُهِمَّة، ومِحْوَرًا رحْلِيًّا رئيسًا، ونقطة التقاء وافتراق بريَّة وبحريَّة، كل أولئك وغيره، جعل منها قبلة مُهِمَّة، ووجهة أساسيَّة، ورئة ومُتنفسًا لمنتسبي الخليج وغيرهم. وقد قيل -لفضلها ومكانتها-: (العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمِرْبَد عين البصرة).

أصل البَصْرَة في اللغة: الحجارة الرَّخوة بين الصخر والمدَر، ومن هذا سُمِّيت البَصْرَةُ بَصْرَةً، قال جرير بن عَطِيَّة الخَطَفِيُّ (ت١١٠ هـ / ٧٢٨م):

فَسَلَّتْ ثَمَّ أدْرَكَهَا نَجَاءُ ... عَلَى البَصَرَاتِ يَقْصُدُ أوْ يَجُورُ[1].

(١) جرير بن عطية الخطفي، **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**، ج١، ص٤٦٤.

وقال الخليل بن أحمد (ت١٧٠ هـ / ٧٨٦م) في **العين**: «والبصرة: أرض حجارتها جَصٌّ، وهكذا أرض البصرة، فقد نزلها المسلمون أيام عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤ م)، وكتبوا إليه: إنا نزلنا أرضًا بصرة، فسُمِّيت بصرة، وفيها ثلاث لغات: بَصرة وبِصرة وبُصرة، وأعمُّها: البَصْرَة. والبَصْرَةُ نَعْتٌ، وكلُّ قطعةٍ بَصْرَة، وقيل: البَصْرَة الحجارة التي فيها بعض الِّلين، قال الشَّمَّاخ (ت٢٢ هـ / ٦٤٣م):



سَوَاءٌ حِينَ جَاهَدَهَا عَلَيْهِ أَغَشَّاهُنَّ سَهَلًا أمْ بصَارًا

أي جرت وجرى معها؛ يعني الحمر»[1]. وجاء لدى ابن الفقيه (نحو: ٣٤٠ هـ / ٩٥١م) في **البلدان** ما نصُّه: «قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م): سُمِّيت البصرة لأنَّه كان فيها حجارة رخوة، والبصرة: الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض. قال ذو الرّمَّة (ت ١١٧ هـ / ٧٣٥ م):

تَدَاعَيْنَ باسْمِ الشَّيْبِ في مُتَثَلَّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وسُلامِ

وقالوا: سُمِّيَت البَصْرة لأنَّه كان فيها حجارة سُود بَصْرَة. وقال محمد بن شُرَحْبِيل بن حَسْنَة إنَّما سُمِّيَت البصرة لأنَّ فيها حجارة سوداء صلبة، وهي البصرة، قال خفاف بن نُدْبَة (ت: نحو ٢٠ هـ / ٦٤٠ م):

إنْ يكُ جُلْمُود بِصْرٍ لا أُؤيِّسُهُ أوقد عَلَيْهِ فَأَحْمِيهِ فَيَنْصَدِعُ

وقال الطِّرِمَّاح (ت: نحو ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م):

مُؤَلَّفَةٌ تَهْوِي جَمِيعًا كَمَا هَوَى مِنَ النِّيقِ فوق البَصْرَة المُتَطَحْطِحِ»[2].

والبصرة أقصى أرض العرب، وذُكِرَ عن عمر بن الخطّاب (ت ٢٣ هـ / ٦٤٤ م) أنَّه قال لعُتْبة بن غَزْوَان (ت ١٧ هـ / ٦٣٨ م) حين بعثه إلى البَصْرَة:

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تح: د. نعمان محمد أمين طه، (الناشر: دار المعارف، القاهرة – مصر، ط: الثالثة، د. ت)، ج٧، ص١١٨ وما بعدها.

(٢) ابن الفقيه، **البلدان**، ص٢٢٧

إذا قطعت أقصى أرض العرب، وبلغت إلى أرض العجم، فانزل[١]، وسُمِّيَتْ البَصْرَة فُسْطَاطًا على التَّشبيه بفُسْطَاطِ مِصْر[٢]، وربما سمَّوها هندًا؛ لما يقع فيها من مراكب الهند وغيرها، لذا وصفت في محاورة أدبية طريفة بأنها مأوى كلّ تاجر، وطريق كل عابر[٣].

يُعَلِّق الهمداني (ت٣٣٤ هـ / ٩٤٥م) في **صفة جزيرة العرب** على قول الأخنس بن شهاب التغلبي (ت: نحو ٧٠ ق هـ / ٥٥٥ م) ذاكرًا بعض منازل العرب:

لِكُلِّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عمَارَة ... عُرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبُ
لَكِيزٌ لَهَا الْبَحْرَانِ والسِّيفُ كُلُّهُ ... وإِنْ يَأْتِهَا بَأْسٌ مِنَ الْهِنْدِ كَارِبُ

السِّيف: ضفة البحرين، ولكيز بن أفصى بن عبد القيس، ويريد بالهند ها هنا: السند، ويقال: البصرة، وكان صِقْعُهَا تُسَمِّيهِ العرب قديمًا بهذا الاسم[٤]. والسند -على ذكرها- تشمل ثلاثة من أقاليم باكستان المعاصرة، هي: السند، والبنجاب، والحدود الشمالية الغربية، طبقا لما أوردته المصادر التاريخية الإسلامية، وكتب الجغرافيا، وقيل: تشمل أجزاء من إيران وباكستان والهند -أيضًا-[٥]، والشاهد ممَّا ورد هو أن البصرة كان يطلق عليها قديما: الهند. يقول ابن الفقيه (نحو ٣٤٠ هـ / ٩٥١م) في **البلدان**: «كانت تُسَمَّى يومئذٍ أرض الهند، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقَّاص (ت ٥٥ هـ / ٦٧٥ م) أنْ حُطَّ قَيْرَوَانَكَ بالكوفة، وابعث عُتبة بن غَزْوَان (ت ١٧ هـ / ٦٣٨ م) إلى أرض الهند؛ فإنَّ له من الإسلام مكانًا، وقد شهد بدْرًا -والبصرة يومئذٍ تسمى أرض الهند-، فينزلها ويتخذها المسلمون قيروانًا، ولا تجعل بيني وبينك بحرًا، فدعا سعد بعتبة فأخبره بكتاب عمر فأجاب، وخرج من الكوفة في ثمانمائة رجل، فسار حتى نزل البصرة وضرب قيروانه وضرب المسلمون أَخْبِيَتَهُمْ»[٦].

---

(١) البكري، **المسالك والممالك**، ج١، ص١٤٨

(٢) ابن الفقيه، **البلدان**، ص١٢٢.

(٣) ابن الفقيه، **البلدان**، ص١٤٤

(٤) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٢٠٤.

(٥) ينظر: الفتح الإسلامي للسند، ضمن موقع البحث الموسوعي «**ويكيبيديا**»، على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٦) ابن الفقيه، **البلدان**، ص٢٢٩.



[صورة – ١٦: خور السراي أوائل عقد العشرينات من القرن العشرين]

ومما يُنْقَل منها إلى الهند ويُصَدَّر التمر، وقد خُصَّتِ البصرة من بين البلدان بكثرة النخيل وأنواع الأرطاب والتمور(١)، حتى قالوا في أدبياتهم: ريف الدنيا من السَّمك ما بين مَاهِيرُويَان إلى عُمان، وريف الدنيا من التَّمْر ما بين اليمن إلى البَصْرَة وهجَر، وريف الدنيا من الزَّيتون فِلِسْطِين إلى قِنَّسْرِين(٢). قالوا: وفي البَصْرَة من أنواع النخل ما ليس في بلد من بلاد الدنيا(٣)، كذا ذكر البكري (ت٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) في **المسالك والممالك**، وقال قبل ذلك: «ولأهل البصرة ثلاثة أشياء ليس لأحد من أهل البلدان أن يدَّعيها عليهم، ولا يشاركهم فيها»(٤)، ذكر منها بينها: النخل، وقال: «فأمَّا النَّخل فهم أعلم قوم به، وأحذقهم بتربيته وإصلاحه، وإصلاح عللها وأدوائها، وأعرفهم بأحوالها من حين تغرس إلى أن تكمل وتستوي، وأبصرهم بالتمر وخَرْصِه وتمييزه وجزره وخزنه، وهي تجاراتهم العظمى، وغلَّتهم الكبرى»(٥). بينما يستورد من الهند -في المقابل-:

(١) ابن الفقيه، **المصدر نفسه**، ص٥١٤

(٢) ابن الفقيه، **المصدر نفسه**، ص١٦٤

(٣) البكري، **المسالك والممالك**، ج١، ص٤٣٣

(٤) البكري، **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٣٢

(٥) البكري، **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٣٢ وما بعدها

التوابل، والبهارات، والخشب، وتَمُرُّ السفن بعُمان فتنقل منها: المُرَّ واللبان، وتتوقف بأهمِّ المحطات الأخرى بساحل الخليج الغربي، كالبحرين -مثلا-، وهكذا.

قال الأصمعيُّ (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م): كانت قريش تسأل في الجاهليَّة عن خِصْب بَاعَرْبَايَا -وهي [من قرى] الموصل-؛ لقدرها عندهم، ولم ينلهم في خصبها شيء قطُّ، وعن ريف الجزيرة وما يليها؛ لأنها تعدل في الخصب باعربايا، وفي التمر البصرة، وفي السَّمك عمان[١].

والبَصْرَتَانِ -تغليبًا-: البصرة والكوفة[٢]، وجعلوا البصرة العظمى في العراق، والأخرى بالمغرب[٣]. وربما سَمّوا بالبصرة موضعًا أو بستانًا، وذلك كثير جدا، فالجَوَّانِيَّة (ضيعة بالمدينة المنورة معروفة) -مثلًا- كانت تسمَّى البصرة الصغرى؛ لخيراتها وغِلالها، لا يطلب شيء إلا وُجِدَ بها، وهي قريبة من صِرَار ضَيْعَة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الرِّضا[٤]، وزَوْزَن[٥] هي: البَصْرَة الصُّغرى -كما قال أحد الكبراء-؛ لكثرة فضلائها وعلمائها، قيل: إن إمارتها قديما تعدل إمارة مدينة كبيرة بخُرَاسَان، وكذلك القضاء بها، وحدودها متصلة بحدود البَوْزَجَان، ومن النَّاحية الأخرى بقَهْستَان، خرج منها جماعة من العلماء في كل فنٍّ[٦]، وبَيْرُوذ -كذلك- تسمى البصرة الصغرى[٧]، والخُرَيْبَة[٨] المنسوب

(١) ابن الفقيه، **البلدان**، ص١٨٢

(٢) الزمخشري جار الله، **الجبال والأمكنة والمياه**، ص٥٦.

(٣) الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٤٣٠

(٤) أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، أبو العباس، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ)، ج٣، ص٢٧.

(٥) زوزن: هي بلدة كبيرة حسنة، بين هراة ونيسابور [السمعاني، **الأنساب**، ج٦، ص٣٤٢].

(٦) أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، ط: الأولى ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م)، ج٦، ص٣٤٢.

(٧) بيروذ: ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب، ذكرها أبو عبد الله البشاري، وقال: هي كبيرة، بها نخل كثير، حتى إنهم يسمونها البصرة الصغرى، ويقال: إنها كانت قصبة كورة قديمًا [الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٥٢٦].

(٨) الخُرَيْبَة -بضمِّ أوَّله؛ على لفظ تصغير خِرْبَة-: من أعمال البصرة معروفة، سُمِّيَت بذلك لأنّ المَرْزُبَان ابتناها قصرا، ثم خرب، فبناها المسلمون، وسمَّوها: الخُرَيْبَة [البكري، **معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع**، ج٢، ص٤٩٥].

إليها التي هي محلَّة بالبَصْرَة، تُسَمَّى -أيضًا-: البصرة الصغرى، يُنْسَب إليها خلق كثير[١]. وفي محافظة مسقط بسلطنة عمان توجد حِلَّة، مُسَمَّاة: البصرة، في قلب مسقط القديمة[٢].

وتسمى البصرة: الفيحاء، وقبة الإسلام، والرَّعناء -بالنون، ممدود-[٣]؛ والرَّعَن: الأنف النادر من الجبل يستطيل في الأرض، وبه سُمِّيت البصرة، لأنّها شُبِّهَتْ برعن الجبل، قال الفرزدق (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م):

لَوْلَا أَبُو مَالِكِ الْمَرْجُوُّ نَائِلُهُ ... مَا كَانَتِ الْبَصْرَةُ الرَّعْنَاء لِي وَطَنًا[٤]

وقال الحمويُّ (ت٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) في **معجم البلدان**: «كان يُقَالُ للبصرة الرَّعْنَاء لِمَا يَكْثُر بها من مدِّ البحر وعَكِيكَة، والعَكَّة والعَكِيك: شدَّة الحرّ، والرَّعْنَاء: الحمقاء، وعندي أنَّ بها سُمِّيت البَصْرَة، لعل بعضهم أنكر فيها شيئًا فسمَّاها بذلك»[٥]، ونقل قولاً عن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م)، مفادُهُ أنها سُمِّيَتْ بذلك لاختلاف هوائها، فيختلف على الناس لبسهم في اليوم الواحد!



وقد احتلَّت البَصْرَة موضع الأبُلَّة كما احتلَّت النَّجَف موضع الحِيرَة -على ما يُنْقل تاريخيًّا-[٦]، والأبُلَّة بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج

(١) محمد الخضر الجكيني الشنقيطي، **كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري**، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م)، ج٤، ص١٦٢.

(٢) **حِلَّة البَصْرَة**: كائنة بمحافظة مسقط، قريبًا من قصر العلم، والمتحف الوطني العماني. محاذية سلاسل جبال مسقط وإحدى ممراته المائية.

(٣) أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي، **معجم أسماء الأشياء**، (دار الفضيلة، القاهرة، د. ط، د. م)، ص٢٠٨

(٤) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٤، ص٦٦٢

(٥) الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٥٢

(٦) عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، (دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م)، ص١٦٣

الـذي يدخـل إلـى مدينـة البَصْـرَة[1]، ويقـال إنَّـه حيـن اسـتولى العـرب علـى مينـاء (الأُبُلَّـه) قـرب البَصْـرَة فـي خلافـة عُمَـر بـن الخَطَّـاب (ت ٢٣ هـ / ٦٤٤ م) وَجَدَ بهـا المسـلمون سـفنًا صينيـة[2]، وعلاقـة البَصْـرَة بالهِنْـد والصِّيـن وغيرهـا مـن الحواضـر التـي ترسـو عليهـا تلـك السُّـفُن علـى طـول الخليـج أمـر معـروف؛ وذلـك أن البَصْـرَة مـن الأمصـار المعروفـة فـي الإسـلام، والمصـر: كل كـورة تقـام فيهـا الحـدود وتُغْـزَى منهـا الثغـور، ويُقْسَـم فيهـا الفـيء والصدقـات مـن غيـر مؤامـرة الخليفـة، وقـد مصَّـر عمـر [بـن الخطـاب] سـبعة أمصـار، منهـا: البصـرة والكوفـة[3].

وفـي التواريـخ أن المسـلمين غـزوا مـن قِبَـل البحريـن وتَـوَّج ونُوبَنْدَجَـان وطَاسَـان، فلمـا فتحوهـا كتبـوا إليـه: إنَّـا وجدنـا بِطَاسَـان مكانًـا لا بـأس بـه: فكتـب إليهـم: (إنَّ بينـي وبينكـم دِجْلَـة، فـلا حاجـة لـي فـي كل شـيء بينـي وبينـه دجلـة أنْ تتَّخِـذُوه مِصْـرًا). فقدم عليـه رجـل مـن بنـي سَـدُوس يقـال لـه: ثابـت، فقـال: يـا أميـر المؤمنيـن؛ إنـي مـررت بمـكان دون دجلـة، فيـه قصـر وفيـه ديابـة الأعاجـم، يقال لـه الخُرَيْبة، ويُسمَّى -أيضًا-: البصيـرة، بينـه وبيـن دجلـة أربعـة فراسـخ، لـه خليج يجري فيـه الماء إلـى أجمة قصب، فأعجـب ذلـك عمـر فدعـا عتبـة بـن غـزوان (ت ١٧ هـ / ٦٣٨ م)، فبعثـه فـي أربعيـن رجـلًا، فيهـم نافـع بـن الحـارث بـن كلـدة (ت ٥٠ هـ / ٦٧٠م)، وأبو بكـرة (ت ٥١ هـ / ٦٧١م)، وزيـاد، فلمـا خرجـوا قالـت لهـم أختهـم: احملونـي معكـم، فحملوهـا. قـال: فلمـا بصـر بنـا الديابـة (= الرُّقبـاء، والحـراس) خرجـوا هِرابًـا، وجئنـا فنزلنا القصـر، فقال عتبـة: ارتـادوا لنـا شـيئا نأكلـه. قـال: فدخلنـا الأجَمَـة فـإذا زَنْبِيلَان فـي أحدهمـا تَمْر وفي الآخـر أرز بقشـره، فجبذناهمـا حتـى أدْنيناهمـا مـن القصـر وأخرجنـا مـا فيهمـا، فقـال عتبـة: هـذا سُـمٌّ أعـدَّه لكـم العدو -يعنـي الأرز- فـلا تقربُنَّـه، فأخرجنا التمْـر وجعلنا نأكل منـه، فإنَّـا لكذلـك إذا نحـن بفـرس قـد قَطَّ قيـاده فأتـى ذلـك الأرز يـأكل منـه، فلقـد رأيتنـا نسـعى إليـه بشـفارنا نريـد ذبحـه قبـل أن يمـوت، فقـال صاحبـه: أمسـكوا عنـه. احرسـه الليلـة، فـإن أحسسـت بموتـه ذبحتـه، فلما أصبحنـا إذا الفرس يروث لا بـأس عليه، فقالت أختـي: يـا أخـي، إنـي سـمعت أبـي يقول إنَّ السُّـمَّ لا يضـر إذا نضـج، فأخذَتْ مـن الأرز

(١) الحموي، **البلدان**، ج١، ص٧٧

(٢) مقدمة كتاب **رحلة السيرافي**، ص٣

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، ج٧، ص١٢٣.

تطبخه، وجعلت توقُّد تحته، ثم نادت: ألا إنّه يتفصّى عن حبيبة حمراء. ثم قالت: قد جعلت تكون بيضاء، فما زالت تطبخه حتى أنماط قشره فألقيناه في الجفنة، فقال عتبة: اذكروا اسم الله عليه وكلوه، فأكلوا منه فإذا هو طيب. قال: فجعلنا بعد نُمِيط عنه قشره ونطبخه، فلقد رأيتني بعد ذلك، وما أجد منه شيئًا إلّا وأنا أعدُّ لولدي منه. ثم إنَّا الْتَأَمْنَا فبَلَغْنَا ستمائة رجل وست نسوة، إحداهن أختي، فقلنا ألا نسير إلى الأُبُلَّة؛ فإنها مدينة حصينة، فسرنا إليها ومعنا العنز، وعليها الخرق وسيوفنا، وجعلنا للنساء رايات على قصب، وأمرناهنَّ أنْ يُثِرْنَ التراب وراءنا حين يرون أنَّا قد دنونا من المدينة، فلما دنونا منها صففنا أصحابنا. قال: وفيها دَيَادِبَتُهُم، وقد أعدُّوا السُّفُن في دجلة، فخرجوا علينا في الحديد مُسَوَّمِين لا ترى منهم إلّا الحدَق، قال: فو الله، ما خرج آخرهم حتَّى رجع بعضهم على بعض قتلًا، وما قتلوا هم من أنفسهم كان أكثر، ونزلت الدَّيَادِبَة فعَبَرُوا إلى الجانب الآخر، وانتهى إلينا النساء، وقد فتح الله علينا ودخلنا المدينة، وحوينا متاعهم وأموالهم، وسألناهم ما الذي هزمكم من غير قتال؟ فقالوا: عَرَّفَتْنَا الدَّيَادِبَة أنَّ كَمِينًا لكم قد ظهر وعلا رَهَجُه -يريدون النساء في إثارتهن التراب-، قال: فاستعمل عتبة بن غزوان زيادًا على قسمة الغنائم وجمعها، ورزقه كل يوم درهمًا، واستجمع الناس، وأقبلت أعاريب بني تميم وبكر بن وائل إلينا، فصرنا ثلاثة آلاف في الديوان، فتزوجنا فكان أول مولود ولد بالبصرة عبد الرحمن بن أبي بكرة (ت ٩٦ هـ / ٧١٥ م)، ثم قدَّم عتبة بن غزوان على عمر، فأعلمه بما فتح الله عليه، فأرسل مكانه المغيرة بن شعبة (ت ٥٠ هـ / ٦٧٠ م)، فسار.. فافتتح الفرات وميسان ودستميسان وأبرقيان، ثم وجّه مكانه أبا موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ / ٦٦٥ م)[١].

وأوّل ما بني بالبصرة سبع دساكر، منها: الخريبة اثنتان، والزَّابُوقَة واحدة، وفي بني سليم اثنتان، وفي الأزد اثنتان، وبني مسجدها بالقصب، ثُمَّ بناه ابن عامر باللبن لعثمان بن عفَّان -رضي الله عنه- (ت ٣٥ هـ / ٦٥٦ م)، ثمَّ بناه زياد بالآجر لمعاوية (ت ٦٠ هـ / ٦٨٠ م)، وبنى جنبتيه، وأتمَّهُ عبيد الله بن زياد (ت ٦٧ هـ / ٦٨٦ م)[٢].

(١) ابن الفقيه، **البلدان**، ص٢٢٧ وما بعدها

(٢) البكري، **المسالك والممالك**، ج١، ص٤٣٢



[صورة – ١٧: آثار قضاء الزبير بالبصرة[١]]

وأوَّل ولاة البصرة لعمر عُتْبَة بن غَزوان، سنة (١٥هـ)، وكانت ولايته ستة أشهر، واخْتَطَّ البصرة في سنة (١٧هـ) وهو يومئذٍ عامله عليها[٢]، ويقال: كتب عمر بن الخطاب (ت ٢٣ هـ / ٦٤٤ م) إلى العلاء بن الحضرمي (ت ٢١ هـ / ٦٤٢ م) يستقدمه، وولَّى عُثمان بن أبي العاص (ت ٥١ هـ / ٦٧١ م) البحرين مكانه وعمان، فلما قَدِمَ العلاء المدينة ولَّاه البَصْرَة مكان عُتْبة بن غَزْوان (ت ١٧ هـ / ٦٣٨ م)، فلم يصل إليها حتَّى مات، ودفن في طريق البَصْرَة في سنة ١٤ أو في أوَّل سنة (١٥هـ)[٣]، وممَّن وَلِيَ البصرة لعمر المغيرة بن شعبة (ت ٥٠ هـ / ٦٧٠ م)، وعزل سنة (١٧ هـ)، ثم ولَّى أبا موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ / ٦٦٥ م)[٤]، وأمَّر علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ/ ٦٦١ م) عليها ابن عباس (ت ٦٨ هـ / ٦٨٧ م)، ووجدت -كذلك-: عثمان بن حنيف (ت: بعد ٤١ هـ/ ٦٦١ م)؛ وهو

(١) صورة منقولة بوساطة موقع «**بغداد دار السلام**». منصة إكس، على الرابط:
https://x.com/baghdad_salam/status/885517805105426432/photo/1

(٢) اليعقوبي، **البلدان**، ص١٧.

(٣) الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٣٤٨.

(٤) بتصرف: بدر الدين العيني، محمود بن أحمد بن موسى العينتابي الحلبي ثم القاهري الحنفي، **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م)، ج١٤، ص٤٨٢.

الذي وجهه عمر بن الخطاب -رحمه الله- (ت ٢٣ هـ / ٦٤٤ م)، فمسح السواد، وكان علي -رضي الله عنه- ولاه البصرة، فقدم عليه طلحة (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) والزبير (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م)، فكتبوا بينهم كَتاب موادعة، إلى أن قدم علي -رضى الله عنه-. وكان من أمر الجمل ما كان، وأول مشاهد عثمان مع النبي -صلى الله عليه- يوم أحد، ثم شهد بعد معه -صلى الله عليه- المشاهد كلها[١]، وولى عثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ / ٦٥٦ م): عبد الله بن عَامر بن كريز بن ربيعَة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد منَاف (ت ٥٩ هـ / ٧٩٦ م)[٢]، وكان ابن خال عثمان بن عفان، ولم يزل شريف القدر، كريمًا سخيًّا، فلما ولي عثمان الخلافة ولَّاه البصرة بعد أن أقر أبا موسى أربع سنين كما أوصى عمر، ثم عزله وولاه، وكان يوم ولاه ابن خمس وعشرين سنة، فقال أبو موسى: قد أتاكم فتى من قريش، كريم الأمهات والعمَّات والخالات، يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا، ففتح بلادًا كثيرة من خراسان، وقتل يَزْدَجِرْد (ت ٣٠ هـ / ٦٥١م) في ولايته، فأحرم من نيسابور شكرًا لله -تعالى-، وعمل السقايات بعرفة، فلما قتل عثمان لحق بالشام، فولاه معاوية (ت ٦٠ هـ /٦٨٠ م) البصرة ثلاث سنين، وزوجه ابنته هندًا[٣]، كما وليها القُباع (الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي «ت: نحو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م»؛ أخو عمر بن أبي ربيعة «ت ٩٣ هـ / ٧١٢ م»)، لعبد الله ابن الزبير (ت ٧٣ هـ / ٦٩٢ م)، سنة واحدة، وتوفي نحو سنة (٨٠ هـ)، وقباع لقب له[٤]، ووليها -أيضًا-: عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة (ت ٨٢ هـ / ٧٠١ م)، ابن عم أبي قحافة (ت ١٤ هـ / ٦٣٥ م)، والد أبي بكر،

(١) محمد بن حبيب، **المحبر**، ص٢٩٠.

(٢) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تح: علي حسين البواب، (دار الوطن، الرياض، د. ط)، ج٢، ص٦٠٢.

(٣) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م)، ج٥، ص٣١١.

(٤) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تح: د حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني و: د يوسف محمد عبد الله، (دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان. دار الفكر، دمشق – سورية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م)، ج٨، ص٥٣٥٠.

القرشي، التيمي، المدني، وكان ابن الزبير ولاه البصرة، ثم قتال الأزارقة لما ولى مصعب بن الزبير (ت ٧١ هـ / ٦٩٠ م) على العراق، وولي إمرة فارس -أيضًا-، وتزوج عائشة ابنة طلحة (ت ١٠١ هـ / ٧١٩ م) بعد مصعب بن الزبير، وكان أحد قريش وأشرافها، جوادًا ممدَّحًا وشجاعًا، بعث مع سليمان بن قتة (ت ١٢٦ هـ / ٧٤٣م) إلى ابن عمر (ت ٧٣ هـ / ٦٩٢ م) بألف دينار فقبضها منه، وقال: وصلة رحم، وقام رجل إلى المهلب (ت ٨٣ هـ / ٧٠٢ م) فقال: أخبرنا عن شجعان العرب، فذكره فيهم(١)، ومن ولاتها: عبد الله ابن عمرو بن غيلان (ت ٨١، أو ٩٠ هـ)، من كبار رجال معاوية، قد ولاه البصرة بعد موت زياد (ت ٥٣ هـ / ٦٧٣ م)، حين عزل عنها سمرة [بن جندب] (ت ٦٠ هـ / ٦٧٩ م)، فأقام أميرها ستة أشهر، ثم عزله، وولاها عبيد الله ابن زياد (ت ٦٧ هـ / ٦٨٦ م)، فلم يزل واليها حتى مات، فأقره يزيد (ت ٦٤ هـ / ٨٣٦ م)(٢)، وقد تعاقب عليها الولاة والقضاة، وعرف بعضهم بجلائل الأعمال، وعظيم الخصال.



[صورة – ١٨: آثار البصرة، وقد أصابتها يد العبث. المصدر: البصرة حبيسة محدودية المعرفة(٣)]

(١) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المصري، المدني، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، تح: مجموعة باحثين، (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ)، ج٥، ص٣٢٨.

(٢) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تح: علي بن محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، ج٣، ص١١٩٧.

(٣) ينظر المقال بموقع «ارفع صوتك»، على الرابط: https://www.irfaasawtak.com/iraq.

كانت البصرة من أهم مراكز العراق في العهد الأموي والعباسي، وكان التنافس شديدًا بينها والكوفة؛ يفخر أبناء كل مصر منهما بمَفَاخِرِه، ويعدِّد مَثَالِب المِصْر الآخر؛ فخر الكوفيون على البصريين بأنهم ناصروا علي بن أبي طالب يوم الجمل، وكان معه من الكوفيين تسعة آلاف رجل، وافتخروا بمسجدهم العظيم، ومجاورتهم للفرات، وفخر البصريون بعظمائهم، كالأحنف بن قيس، وقتيبة بن مسلم، وفخروا بأنس ابن مالك خادم رسول الله، وبالحسن البصري سيِّد التابعين، وبابن سيرين، وفخر البصريون بأنهم «أكثر أموالًا وأولادًا، وأطوع للسُّلطان، وأعْرَف برسول الإسلام[1]. كذا جاء في دراسة **تفسير مقاتل بن سليمان**، بتحقيق الدكتور عبد الله شحاته (معاصر). وقد جاء في التفسير أسماء من مات من الصحابة بالبصرة، وكانت البصرة في حياة مقاتل (ت ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) -حسب ما ينقل- تُقَابل بالدنيا، وكان بالبصرة خطة بني أسد؛ وهم بنو أسد بن شريك بن مالك، وكان مقاتل من مواليهم بالبصرة[2]. قال: «كانت البصرة أهم مركز للفرق وعلم الكلام»[3]، وقال في موضع آخر: «وقد تميز كل مصر بميزة من الميزات في عصر مقاتل؛ فتميزت البصرة بالجدل وعلم الكلام، وبالمناظرات والقصص. وقد ظهر في البصرة كثير من الفِرَق، وأهم فرق المعتزلة كانت بالبصرة»[4].

واهْتَمَّ البصريون باللغة والشعر والأدب والرِّواية، وعُنُوا بها عناية بالغة، وكان لهم كذلك اهتمامهم المعروف بالعلوم الدينية، وبتخليد المآثر، ودعم الحركات الثورية والمقاومة، وتأييدها بالشعر والرواية. يقول إحسان عباس (معاصر) في دراسته لكتاب: **أمثال العرب**، للمفضل الضبي (١٦٨ هـ / ٧٨٤م): «أخذت مجالس البصرة تشهد المناظرات والمحاورات بين المفضل وعلماء تلك المدينة، من ذلك أن سليمان بن علي الهاشمي جمع بين المفضل والأصمعي، وأنشد المفضل فيما

(١) د. عبد الله شحاته، **دراسة وتحقيق «تفسير مقاتل بن سليمان»**، (دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ)، ج١، ص٤٦٤.

(٢) د. عبد الله شحاته، **المصدر نفسه**، ج٥، ص٣٧.

(٣) د. عبد الله شحاته، **المصدر نفسه**، ج٥، ص٦٦.

(٤) د. عبد الله شحاته، **المصدر نفسه**، ج٥، ص٣٤.

أنشد قول أوس بن حجر: (تصمت بالماء تولبًا جذعًا) -فرواه بالذال المعجمة-؛ والجذع هو: الفتي الصغير السن من الإبل وغيرها؛ ففطن الأصمعي لخطئه، وقال له: أخطأت، إنما هو (تولبًا جدعًا) -بالدال المهملة-؛ والجدع: السيّئ الغذاء، فقال المفضل: (جذعًا جذعًا)، ورفع صوته، فقال الأصمعي: لو نفخت في الشبور ما نفعك، تكلم كلام النمل وأصب. فلَمَّا تمسَّكَ كلٌّ منهما برأيه وحفظه احْتَكَمَا إلى غلام حافظ للشعر من بني أسد، فصَوَّب رأي الأصمعي؛ ومع أن قراءة المفضل ذات حظٍّ غير يسير...، فإن العلماء أخذوا بقول الأصمعي الذي أخذت عليه -أيضًا- تصحيفات كثيرة، مثله في ذلك كثير من العلماء والرواة؛ إذ لم يكن المفضل بدعًا في هذا الصدد، وله تصحيفات...، وكان المفضل ما يزال في البصرة حين قام محمد النفس الزكية بثورته في المدينة، وأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة يدعو الناس لمشايعته. ويبدو أن ثورة النفس الزكية وأخيه إبراهيم قد استطاعت أن تجذب إليها كثيرًا من الفقهاء والمحدثين وأهل العلم، وأن اشتراك المفضل فيها تم فعلًا؛ إذ تُصَرّح الروايات المتعاطفة مع تلك الثورة أن المفضل كان زيديًّا، وأنَّه مثل كثير من الزيدية رأى الانخراط في صفوف الثورة، وأنه كان من أشدِّهم تحَمُّسًا لها، وأنه كان موضع ثقة إبراهيم؛ إذ لجأ هذا إلى دار المفضل مستترًا من عيون العباسيين، وكان إذا عقد لأصحابه اجتماعًا دعاهم إلى تلك الدار نفسها، وكان المفضل نفسه يخرج ليتسقط الأخبار لإبراهيم، أو ليتعهد بالزيارة ضيعة له كانت على مقربة من تلك المدينة، وكانت حماسته للثورة تدفعه إلى دعوة الناس بشتى الوجوه والحيل؛ للانضمام إليها، ولما قرر إبراهيم الخروج كان المفضل في صحبته، وهو يقصُّ علينا خبر ذلك الخروج بقوله: (فلمَّا خرج خرجت معه، فلمَّا صار بالمِرْبَد -مِرْبَد سليمان ابن علي- وقف عليهم وأمَّنهم واسْتَسْقَى ماء، فأتي به فشرب، فأخرج إليه صبيان من صبيانهم فضمَّهم إليه، وقال: هؤلاء والله منَّا ونحن منهم، لحمنا ودمنا، ولكنَّ آباءهم انْتَزَوْا على أمرنا، وابْتزُّوا حقوقنا، وسَفَكُوا دمائنا)، وتمثَّل إبراهيم بأبيات

شعريَّة استحسنها المفضل، فسأله عن قائلها، فعلم منه أنها لضرار بن الخطاب الفهري، تمثل بها علي بن الحسين، ثم زيد، ثم يحيى بن زيد، فتطيَّر المفضل له من تمثُّله بأبيات لم يتمثل بها أحد إلا قُتِلَ، وتحرَّك إبراهيم مع جماعته إلى بَاخَمْرِي، وهناك أتاه نعي أخيه محمد، فأجهش في البكاء، فأخذ المفضل يعزيه ويلومه على ما يُظْهِرُه من الجزع، وفي كل موقف كان إبراهيم يتمثل بشعر، حتى إذا التحمت الحرب واشتدت، قال للمفضل: حركني بشيء، فجاء دور المفضل -وهو الدور الطبيعي للرواية- لينشده شعرًا، فأنشده أبياتًا لعُوَيْف القَوَافِي، وأعادها عليه مرتين، (فتمطَّى في ركابيه، فقطعهما، وحمل فغاب عني، وأتاه سهم عائر فقتله، وكان آخر عهدي به). ذلك هو موجز القصة عن اشتراك المفضل في ثورة إبراهيم، وليس ثمَّة ما يجعلنا نتشكَّك فيها، وإن جاءت من بعض الطُّرُق بصيغة التمريض، ويقال: إن المفضل بن محمد خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وقد تعارض القصة بعفو المنصور عنه، فيقال: كيف يعفو عنه وقد كان له دور مهم في الأشهر القليلة من عمر تلك الثورة؟ والجواب على ذلك أن المنصور لم يحاول أن يستقصي بعد إذ قضى على رأسي الثورة؛ إذ كان يعلم أن الاستقصاء سينال كثيرًا من المثقفين في عصره، ولهذا اكتفى بالنصر الحربي، وشمل كثيرين بالعفو، ومنهم المفضل، الذي لم ينل عفوًا وحسب، بل أصبح -بعد هدأة النُّفوس- مؤدبًا للمهدي، ومنذ هذه اللحظة تحَوَّلَتْ حياته، فانتقل إلى بغداد، مع كثيرين غيره من علماء الكوفة والبصرة، وكانت هذه المرحلة البغدادية أخصب فترة من العطاء في حياته، وفيها تقرر اتجاهه نحو الشعر والأخبار، وفيها -فيما أقدر- كثر من حوله طلاب العلم والآخذون عنه، مثل: الفراء والكسائي والمدائني وأحمد بن مالك القشيري وأبي كامل الجحدري ومحمد بن عمر القصبي وأبي عمرو الشيباني وعمر بن شبة»[1].

(١) المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، **أمثال العرب**، تح: إحسان عباس. (دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م)، ص١٣ وما بعدها.



[رسم – ٨: مجلس أدبي، تخييل بالذكاء الاصطناعي]

وكثيرًا ما تُرْوَى في السِّياق نفسه قصص المسامرات البصرية، والسِّجالات الأدبيَّة، ومحاورات الفكر الأدب، أخبر أبو عبد الرحمن الغساني عن شريك بن الأسود، قال: كُنَّا ليلة في سمر بلال بن أبي بردة الأشعري، وهو يومئذٍ على البصرة، فقال: أخبروني بالسَّابق والمُصَلِّي من الشعراء؛ من هما؟ قلنا: أخبرنا أنت -أيها الأمير-، وكان أعلم العرب بالشعر؛ فقال: السابق الذي سبق بالمدح، فقال:

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا ... تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

وأما المُصَلِّي، فهو الذي يقول:

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تُلِمُّه ... عَلَى شَعَثٍ أيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّب؟[١]

وشهر في مساجدهم القَصُّ، وعرفوا به، وكان أول من قَصَّ رجل منهم يقال

(١) المفضل الضبي، **المصدر نفسه**، ص٦٧ وما بعدها.

لـه: الأسـود بـن سـريع، وكان يقـصُّ فـي مؤخـر المسـجد، جـاء فـي الروايـة، أنـه قـصَّ مـرة فـي مسـجد البصـرة، فعلـت أصواتهـم يومًـا، فاشْـتَهَرَهُم أهـل مقـدم المسـجد، فأقبل مجالـد بـن مسـعود السـلمي، حتـى قـام عليهـم، فوسـعوا لـه، فقـال: مـا جئـت لأجلـس، وإن كنتـم جُلَسَـاء صـدق، ولكـن علـت أصواتكـم، فَاشْـتَهَرَكُم أهـل المسـجد، وإيَّاكـم ومـا أنكـر المسـلمون، رحمكـم الله، قالـوا: رحمـك الله نقبـل نصيحتـك[1].

وقـد عظمـت المفاخـرة بيـن البصـرة والكوفـة، وبلغـت مـدى بعيـدًا، ومـن بيـن تلـك المفاخـرات مـا نقـل بعضهـم، قـال: اجتمـع عنـد أبـي العبّـاس أميـر المؤمنيـن عِـدَّة مـن بنـي علـيٍّ، وعِـدَّة مـن بنـي العبَّـاس، وفيهـم بصريُّـون وكوفيُّـون، منهـم: أبـو بكـر الهذلـيُّ وكان بصريًّـا، وابـن عيَّـاش وكان كوفيًّـا، فقـال أبـو العبَّـاس: تناظـروا حتـى نعـرف لمـن الفضـل منكـم. قـال بعـض بنـي علـيٍّ: إن أهـل البصـرة قاتلـوا عليًّـا يـوم الجمـل، وشـقُّوا عصـا المسـلمين. قـال أبـو العبَّـاس: مـا تقـول يـا أبـا بكـر؟ قـال: معـاذ الله أن يجهـل أهـل البصـرة، إنمـا كانـت شـرذمة منهـا شـذّت عـن سـبل المنهـج، واسـتحوذ عليهـا الشـيطان، وفـي كلِّ قـوم صالـح وطالـح، فأمَّـا أهـل البصـرة فهـم أكثـر أمـوالًا وأولادًا، وأطْـوَع للسـلطان، وأعْـرَف برسـوم الإسـلام. قـال ابـن عيَّـاش: نحـن أعلـم بالفتـوح منكـم، نحـن نفينـا كسـرى عـن البـلاد، وأبرنـا جنـوده، وأبحنـا ملكـه، وفتحنـا الأقاليـم، وإنمـا البصـرة مـن العـراق بمنزلـة المثانـة مـن الجسـد، ينتهـي إليهـا المـاء بعـد تغييـره وفسـاده، مضغوطـة قِبَـل ظهرهـا بأخشـن أحجـار الحجـاز، وأقلِّهـا خيـرًا، مضغوطـة مـن فوقهـا ببطيحتهـا، وإن كانـوا يسـتعذبون ماءهـم، ولـولا ذلـك مـا انتفعـوا بالعيـش، ومضغوطـة بالبحـر الأخضـر مـن أسـفلها، ونحـن قلّلناهـم علـى وجـه المعـزاء، وبعثنـا إليهـم مـن جندنـا مـا كان منـه قوامهـم، وإنمـا أهـل البصـرة بمنزلـة الرسـل لنـا، ومحـلّ الكوفـة محـلّ اللهـوات واللسـان مـن الجسـد، وموضعهـا علـى صـدور الأرضيـن، ينتهـي إليهـا المـاء ببـرده وعذوبتـه، ويتفـرق فـي بلادنـا، ويجـوز بالعذبـة الزَّكيَّـة الفـرات ودجلـة، والبصـرة مـن العـراق بمنزلـة المثانـة مـن الجسـد. قـال أبـو بكـر: أنتـم مـع مـا وصفـت أكثـر أنبيـاء ومـا لنـا إلّا نبـي واحـد، وهـو مُحمَّـد -صلَّـى الله عليـه-، وعامَّـة أنبيائِكـم الحَاكَـة. فضحـك أبـو العبَّـاس حتـى كاد

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك رقم (٦٦٣): ٢٣٢.

يسقط عن السَّرير، ثم قال: لله درُّك يا أبا بكر. فقال أبو بكر: وما رأيت الأنبياء مصلوبين إلَّا ببلاد الكوفة. فقال ابن عيَّاش: عيَّرت أهل الكوفة بثلاثة مجانين من السَّفَلَة ادَّعوا النُّبوَّة بالجنون، فصلبهم الله بالكوفة، فمن يُعَيِّر به أهل البصرة من المُدَّعين للعقول والشَّرف والرِّوايات للحديث كثيرًا، وكلهم يزعم أنَّه يهدي نفسه ويضلُّها، والمتنبِّئ بالجنون أيْسَر خطبًا من ادِّعَاء الصَّحيح هدى نفسه وضلالها، فلقد ادَّعوا الرُّبوبيَّة في قول بعضهم. فقال أبو العبَّاس: هذه بتلك أو أشدُّ يا أبا بكر، فاعْتَرَضَ عليهم بعض العلويَّة -وهو الحسن بن زيد-، فقال: يا أبا بكر ما قاتلتم عليًّا يوم الجمل؟ فقال: بلى، قاتله شِرْذِمَة، وكفَّ الله -عزّ وجلّ- أيدينا وسلاحنا عن قتله؛ نظرًا منه لنا، ثم رجع إلى الكوفة فقتلوه وولده وولد ولده وبني عمِّه، وأخرجوا الحسن بن عليٍّ بعد بيعتهم له حتى هرب منهم. فقال ابن عيَّاش: بل قصَّر الله أيديكم بطول أيدي الكوفة وبنصرتهم عليكم، وكيف تُعَيِّرنا بباطل رجل واحد منَّا يبلغ بباطله ما عجز عنه عامَّتكم، ولقد حدَّثني أشياخ من النَّخْع أن أهل الكوفة كانوا يوم الجمل تسعة آلاف رجل مع أمير المؤمنين -عليه السلام-، وكان عليه ثلاثون ألفًا مع طلحة والزَّبير وعائشة، فلمَّا التقوا لم يكن أهل البصرة إلّا كرماد اشتدَّتْ به الرّيح في يوم عاصف. فقال أبو بكر: ومتى كان أهل البصرة ثلاثين ألفًا يقاتلون أمير المؤمنين -عليه السَّلام-، وقد اعتزلهم الأحنف بن قيس في سعد والرَّباب، وقد دخلنا بعد ذلك الكوفة، فذبحنا بها ستّة آلاف رجل من أصحاب نبيّهم المختار، كما يذبح الحِمْلان، سوى من هرب بعد أن جاء أسماء بن خارجة الفزاريُّ ومحمَّد بن الأشعث الكنديُّ وشِبْثُ بن رِبْعيٍّ التميميّ، واستعانوا بأهل البصرة، وشكوا إليهم المختار وأصحابه، وما قتل من رجالهم واسْتباح من حريمهم، فخرجنا مع مصعب بن الزّبير حتى قتلنا نبيَّهم المختار، ومن قدرنا عليه من أصحابه، وأعتقناهم من الرقِّ، فلنا الفضل على أهل الكوفة، ولنا المنَّة عليهم وعلى أعقابهم لو كانوا يشكرون. قال ابن عيَّاش: أتاكم أهل الكوفة يوم الجمل مع عليٍّ فقتلوكم، فأرى أهل الكوفة غالبين ومغلوبين على الحقِّ، وأرى أهل البصرة غالبين ومغلوبين على الباطل. فقال أبو العبَّاس: يا أبا بكر دونك فإني أرى ابن عيَّاش مفوَّهًا جَدِلًا. قال أبو بكر: ما لهم بنا طاقة. قال ابن عيَّاش: لسنا في حرب فيرى مغالبنا، وإنما نحن في

كلام، فأحسن الكلام أوضحه حجّة، فقال الحسن بن زيد: يا أبا بكر لا تغالب أهل الكوفة ولا تفاخرهم؛ فإنهم أكثر فقهاء وأشرافًا منكم. فقال أبو بكر: معاذ الله أنّى يكون هذا وما كان فيهم شريف إلّا وفينا أشرف منه، وما كان في تميم الكوفة مثل الأحْنَفِ في تميم البصرة، ولا في عبد القَيْس الكوفة مثل الحكم بن الجَارُود في عبد القَيْس البصرة، ولا كان في بكر الكوفة مثل مَالِكِ بنِ مَسْمَع فِي بكر البصرة، ولا كان في قيس الكوفة مثل قُتَيْبَة بن مُسْلِم في قَيْس البصرة. قال ابن عيَّاش: زدنا يا أبا بكر إن وجدت مَزِيدًا، فعندنا أضعاف ما ذكرت ومن أنت ذاكره -إن شاء الله-. قال أبو بكر: كفى بهذا فخرًا وعزًّا وشرفًا. فقال ابن عيَّاش: قطع بك يا أبا بكر، إنما أهل البصرة مثل نظام البَعْر المستوي واسطته دُرَّة، فهي فيهم مشهورة، وأهل الكوفة مثل نظيم الدرّ، فواسطته منه لها أشباه كثيرة، ذكرت الأحنف في تميم البصرة، وفي تميم الكوفة محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس رهن قوسه عن جميع العرب، والنعمان ابن مقرّن صاحب النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، المقدّم على جميع جيوش المسلمين أيّام عمر بن الخطّاب، وحسّان بن المنذر بن ضرار من بيت ضبّة، وسيّدها عتّاب بن ورقاء جواد العرب، وشبث بن ربعيّ التميميّ قائد أهل البصرة وسائقهم مع مصعب بن الزبير، وعكرمة بن ربعيّ التميميّ الذي قيل فيه:

وَعِكْرِمَةُ الفَيَّاضُ رَبُّ الْفَضَائِلِ

فهؤلاء سادة تميم الكوفة، والعجب لفخرك بمَالِك بن مَسْمَع في بكر بن وائل على مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة، وقد أقرَّ بين يدي عليِّ بن أبي طالب بشرفه وفضله، ومنهم خالد بن مُعَمَّر وشَقِيق بن ثور السَّدوسِيُّ وسُوَيْد بن مَنْجُوف وحُرَيْث بن جابر والحُصَيْن بن المُنْذِر ومَحْدُوج المخزوميُّ ويزيد بن رُوَيْم الشيبانيُّ والقَعْقَاع بن شور الذهليُّ، وأمَّا فخْرُك بقتيبة بن مسلم فما أنت وذاك، إنما هو رجل من بَاهِلَة صنعه الحجَّاج، والشرف من قيس في عامر بن صَعْصَعَة في بني لَبِيد بن ربيعة الشاعر جاهليًّا وإسلاميًّا، وإنَّما فخرت بواحد من مائة، ألا إنِّي أجمل لك: أميرنا عليُّ بن أبي طالب ومؤذِّننا عبد الله بن مسعود وقاضينا شريح، فهاتِ في أهل البصرة واحدا من هؤلاء الثلاثة. قال أبو بكر: أميرنا عبد الله بن عبَّاس. قال ابن عيَّاش: نحن بطانة عبد الله وظهارته وأنصاره وجنده عليكم، ونحن أحقُّ به

منكم. فقال أبو بكر: فإن كان مؤذِّنكم عبد الله بن مسعود، فمنَّا أنس بن مالك خادم النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فقال ابن عيَّاش: وأين أنس من ابن مسعود فتقيسه به، ولقد نزل الكوفة سوى من سَمَّيْت لك سبعون رجلًا من أصحاب رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فنقيم لك واحدًا بأنس، ثم نفتخر عليك بتسعة وستّين باقين. فقال أبو بكر: فإن كان شُرَيح قاضيكم ففينا الحسن البصريُّ سيِّدُ التابعين، وابن سيرين في فضلهما وفقههما. فقال ابن عيَّاش: إنْ عَدَدْت هذين وباهَيْت بهما، عددنا لك أُوَيْسًا القرنيَّ الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر، وربيع بن خَثْيَم، والأسود بن يزيد وعلقمة، ومسروقًا، وهبيرة بن يَرِيم، وأبَا مَيْسَرَة، وسعيد بن جُبَيْر، والحارث الأعْوَر صاحب عليِّ بن أبي طالب وراويته، وأين أنت عمَّن لم ترَ عينك مثله في زمانه من أصحاب النبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلم-، ولا أحفظ لما سمع، ولا أفْقَه في الدين، ولا أصدق في الحديث، ولا أعرف بمغازي النبيِّ -صلَّى الله عليه- وأيَّامِ العرب وحدود الإسلام والفرائض والغريب والشِّعر، ولا أوصف لكل أمر من عامر بن شَرَاحِيل الشَّعبيِّ؟ فقال كلٌّ من حضر: لقد كان كذلك، وبالكوفة بيوتات العرب الأربعة: فحاجب بن زُرَارَة بيت تميم، وآلُ زيد بيت قيس، وآلُ ذي الجَدَّين بيت ربيعة، وآلُ قيس ابن معدي كرب الزَّبيدي بيت اليمن. وبالكوفة فرسان العرب الأربعة في الجاهليَّة والإسلام: عمرو بن معدي كرب، والعبَّاس بن مرداس السُّلميّ، وطُلَيْحَة بن خُوَيْلِد الأسدي، وأبو مِحْجَن الثقفيُّ، وأهل الكوفة جند سعد بن أبي وقَّاص يوم القادسيَّة، وأصحاب الجمل، وصفِّين، وخَانِقِين، وجَلُولاء، ونَهَاوَند، وفرسانهم المعدودون في الإسلام: مالك بن الحارث الأشتر النخعيُّ، وسَعْد بن قَيْس الهمذانيُّ، وعروة بن زيد الطائيُّ صاحب وقعة الدَّيْلَم، وعبد الرحمن بن مُحمَّد بن الأشْعَث الكنديّ. فقال أبو بكر: هذا الذي سلب الحسين بن عليٍّ قطيفة، فسمَّاه أهل الكوفة عبد الرحمن قطيفة، فقد كان ينبغي ألَّا تذكره، فضحك أبو العبَّاس من قول أبي بكر. فقال ابن عيَّاش: والذي سار تحت لوائه أهل الكوفة والبصرة وجماعة أهل العراق وبالكوفة من أحياء العرب بأسْرهم ما ليس بالبَصْرَة منهم إلّا أهل بيت واحد، وهم الَّذين يقول فيهم عليُّ بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ / ٦٦١ م):

لَوْ كُنْتُ بوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ ... لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ ادْخُلِي بِسَلَامِ

فقال أبو بكر: فهل فيمن سُمِّيت أحد إلَّا قاتل الحسين بن عليٍّ، وأهل بيته أو خذلهم أو سلبهم وأوْطأ الخيل صدورهم؟ فقال ابن عيَّاش: تركت الفخر وأقْبلت على التعيير، أنتم قتلتم أباه عليَّ بنَ أبي طالب، فأمَّا أهل الكوفة فكان منهم مع الحسين يوم قتل أربعون رجلًا، وإنَّما كان معه سبعون رجلًا فماتوا كلُّهم دونه، وقتل كلَّ واحدٍ منهم عَدُوَّه قبل أن يُقْتَل. فقال أبو بكر: إنَّ أهل الكوفة قطعوا الرحم، ووصلوا المثانة، كتبوا إلى الحسين بن عليٍّ إنَّا معك مائة ألف، وغَرُّوه حتى إذا جاء خرجوا إليه فقتلوه وأهل بيته صغيرهم وكبيرهم، ثمَّ ذهبوا يطلبون دمه، فهل سمع السَّامعون بمثل هذا؟ فقال ابن عيَّاش: ومن أهل الكوفة أبو عبد الله الجدليُّ، الذي صار ناصرًا لبني هاشم حين حصرهم ابن الزُّبير، وكتب ابن الحنفيَّة يسْتَنْصِرُهُمْ، فسار في عِدَّة مِمَّن كان مع ابن الزُّبير حتى صيَّر الله بني هاشم حيث أحبُّوا، فهل كان فيهم بصريٌّ؟ فنهض أبو العبَّاس وهو يقول: الكوفة بلاد الأدب ووجه العراق ومَبْزَغ أهِلَّةٍ، وعليها الجحاش، وهي غاية الطالب، ومنزل خيار الصحابة وأهل الشرف، وأن أهل البصرة لأشبه الناس بهم ثم قام[1].

والمفاخرة -وإن فاتها الكثير من أخبار اليمانية- إلا أنها أظهرت شرف البصرة، ومكانتها، وسوَّت بين البلدين في الشرف والمكانة في نهاية المطاف. وحسب البصرة في اليمانية من أزد العتيك آل المهلب؛ فهم شيوخها، ورجالاتها، وآسادها، وأشهر من ساد فيها. ولهم فيها واقعات تشيب لها النَّوَاصِي، وقد بقي ذكرهم بعدهم خالدًا؛ حَقًّا كان أم باطلًا.

وعرفت بالبصرة مدرسة نحوية جليلة، شُهِرَتْ بها. وأول نحوي بصري حقيقي -كما يقول شوقي ضيف (ت١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م) في **المدارس النحوية** هو ابن أبي إسحاق الحضرمي، المتوفى سنة ١١٧ للهجرة، وهو ليس من تلاميذ أبي الأسود، ولكنه من القُرَّاء، ومن الملاحظ أن جميع نحاة البصرة الذين خلفوه يسلكون في القراء، فتلميذاه: عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، وتلميذا عيسى: الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب كل هؤلاء من القُرَّاء. ويكثر سيبويه

(١) ابن الفقيه، **البلدان**، ص٢٠٤ وما بعدها

في كتابه من التعرُّض للقراءات، وكأنَّ ما كان بينها من خلافات في الإعراب هو الَّذي أضرم الرَّغْبَة في نفوس قُرَّاء البَصْرَة كي يضعوا النَّحو وقواعده وأصوله، حتى يتبيَّن القارئ مواقع الكَلِم في آي الذكر الحكيم من الإعراب المضبوط الدَّقِيق[1]. يقول: «ومعروف أنَّه لكي يُصَاغ علم صياغة دقيقة لا بدَّ له من اطِّراد قواعده، وأنْ تقوم على الاستقراء الدَّقيق، وأن يكفل لها التعليل، وأن تصبح كل قاعدة أصلًا مضبوطًا تقاس عليه الجزئيات قياسًا دقيقًا، وكل ذلك نهض به ابن أبي إسحاق وتلاميذه البصريون، أمَّا من حيث الاطِّراد في القواعد فقد تشدَّدوا فيه تشدُّدًا جعلهم يطرحون الشَّاذ، ولا يُعوِّلون عليه في قليل أو كثير، وكلَّما اصْطدموا به خطَّؤوه أو أوَّلوه، وأمَّا من حيث الاستقراء فقد اشترطوا صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم، ومن أجل ذلك رحلوا إلى أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة، يجمعون تلك المادة من ينابيعها الصافية التي لم تفسدها الحضارة، وبعبارة أخرى: رحلوا إلى القبائل المُتَبَدِّيَة المُحْتَفِظَة بمَلَكَة اللغة وسليقتها الصحيحة، وهي قبائل تميم وقيس وأسد وطيء وهُذَيْل وبعض عشائر كنانة، وأضافوا إلى هذا الينبوع الأساسي ينبوعًا بدويًّا زحف إلى بلدتهم من بوادي نجد، وهو نفر من الأعراب الكاتبين قدم إلى البصرة واحترف تعليم شبابها الفصحى السليمة وأشعارها وأخبار أهلها.

وفي **الفهرست** لابن النديم (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧م) ثبَتٌ طويل بأسماء هؤلاء المعلمين من الأعراب الَّذين وثَّقهم علماء البصرة، وأخذوا عنهم كثيرًا من المادة اللغوية والنحوية، سجَّلوها في مصنفاتهم. وكان القرآن الكريم وقراءاته مَدَدًا لا ينضب لقواعدهم، وتوقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وجدوها لا تطَّرِد مع قواعدهم، بينما تطَّرد معها قراءات أخرى آثروها، وتوسَّع في وصف ذلك بعض المعاصرين، فقالوا: إنهم كانوا يردُّون بعض القراءات ويُضعِّفونها، كأن ذلك كان ظاهرة عامَّة عند نحاة



(١) أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الشهير بشوقي ضيف، **المدارس النحوية**، (دار المعارف، مصر، د. ط، د. ت)، ص١٨.

البصـرة، مـع أنـه لا يوجـد فـي كتـاب سـيبويه نصـوص صريحـة مختلفـة تشـهد لهـذه التهمـة الكبيـرة. وسـنرى الأخفـش الأوسـط يسـبق الكوفييـن المتأخريـن إلـى التمسـك بشـواذ القـراءات والاسـتدلال عليهـا مـن كلام العـرب وأشـعارهم. وفـي الحـق، إنَّ بصريـي القـرن الثالـث هـم الذيـن طعنـوا فـي بعـض القـراءات، وهـي أمثلـة قليلـة لا يصـح أن تتخـذ منهـا ظاهـرة ولا خاصـة عامـة، وقـد كانـوا يصفونهـا بالشـذوذ ويؤولونهـا مـا وجـدوا إلـى التأويـل سـبيلًا، وكانـوا لا يحتجـون بالحديـث النبـوي ولا يتخذونـه إمامًـا لشـواهدهم وأمثلتهـم؛ لأنَّـه روي بالمعنـى؛ إذ لـم يُكْتَـب ولـم يُـدَوَّن إلا فـي المائـة الثانيـة للهجـرة، ودخلـت فـي روايتـه كثـرة مـن الأعاجـم، فـكان طبيعيًّـا ألَّا يحتجُّـوا بلفظـه ومـا يجـري فيـه مـن إعـراب، وتبعهـم نحـاة الكوفـة، وفـي ذلـك يقـول أبـو حيـان: إنَّ الواضعيـن الأولين لعلـم النحـو المسـتقرئين للأحـكام مـن لسـان العـرب، كأبـي عمـرو بـن العـلاء وعيسـى بـن عمـرو والخليـل بـن أحمـد وسـيبويه مـن أئمـة البصرييـن، والكسـائي والفـراء وعلـي بـن المبـارك الأحمـر وهشـام الضريـر مـن أئمـة الكوفييـن، لـم يحتجـوا بالحديـث، وتبعهـم علـى هـذا المسـلك المتأخـرون مـن الفريقيـن. وأمـا مـن حيـث القيـاس والتعليـل فقـد توَسَّـعُوا فيهمـا؛ إذ طلبـوا لـكل قاعـدة عِلَّـة، ولـم يكتفـوا بالعِلَّـة التـي هـي مـدار الحكـم؛ فقـد التمسـوا عِلَـلًا وراءهـا. وقانـون القيـاس عـام، وظلالـه مهيمنـة علـى القواعـد كلِّهـا إلـى أقصـى حَـدٍّ، بحيـث يصبـح مـا يخـرج عليهـا شـاذًّا، وبحيـث تفتـح الأبـواب علـى مصاريعهـا ليقـاس علـى القاعـدة مـا لـم يسـمع عـن العـرب، ويحمـل عليهـا حمـلًا، فهـي المعيـار المحكـم السَّـديد، وعلـى هـذه الشَّـاكلة شـادت البصـرة صـرح النحـو ورفعـت أركانـه، بينمـا كانـت الكوفـة مشـغولة عـن ذلـك كلِّـه، علـى الأقـلِّ حتـى منتصـف القـرن الثانـي للهجـرة، بقـراءات الذكـر الحكيـم وروايـة الشِّـعر والأخبـار، وقلَّمـا نظـرت فـي قواعـد النحـو إلا مـا سـقط إلـى بعـض أسـاتذتها مـن نحـاة البصـرة؛ إذ كانـوا يتتلمـذون لهـم، ويختلفـون إلـى مجالـس محاضراتهـم وإملاءاتهـم، وكان القدمـاء يعرفـون ذلـك معرفـة دقيقـة، فنصُّـوا عليـه بعبـارات مختلفـة، مـن ذلـك قـول ابـن سـلام: (وكان لأهـل البصـرة فـي العربيـة قدمـة، وبالنحـو ولغـات العـرب والغريـب عنايـة)، ويُصـرِّحُ **ابـن النديـم** فـي هـذا المجـال تصريحًـا أكثـر وضوحًـا؛ إذ يقـول فـي حديثـه عـن نحـاة الكوفـة والبصـرة: (إنَّمـا قدَّمْنَـا

البصريين أوَّلًا؛ لأنَّ علم العربية عنهم أُخِذَ)...»[1]، وحول التأثر والتأثير، وعبقرية العقل البصري في ذلك الوقت يقول: «حاول بعض المستشرقين أنْ يصلوا بين نشوء النحو في البصرة والنحو السِّرياني واليوناني الهندي، غير أنه لا يمكن إثبات شيء من ذلك إثباتًا علميًّا، وخاصة أن النحو العربي يدور على نظرية العامل، وهي لا توجد في أي نحو أجنبي، وكل ما يمكن أن يقال: إنه ربما عرف نحاة البصرة الأولون أنَّ لبعض اللغات الأجنبيَّة نحوًا، فحاولوا أن يضعوا نحوًا للعربية، راجعين في ذلك إلى مَلَكَاتِهم العقليَّة التي كانت قد رقيَتْ رُقِيًّا بعيدًا؛ بتأثير ما وقفوا عليه من الثقافات الأجنبيَّة، وخاصَّة الفلسفة اليونانيَّة، وما يتَّصِل بها من المنطق، مما دعم عقولهم دعْمًا قويًّا، وجعلها مستعدة لأن تستنبط قواعد النَّحو وعِلَلِهِ وأقْيِسَتِهِ، ويظهر أنه كُفل للبصرة من الصِّلة بهذه الثقافات في القرن الثاني للهجرة ما لم يكفل للكوفة؛ فقد كانت مرفأ تجاريًّا للعراق على خليج العرب، فنزلتها عناصر أجنبية كثيرة، أعدت في سرعة لوصلها بثقافاتها المختلفة، وأيضًا فإنها كانت أقرب من الكوفة إلى مدرسة جُنْدَيْسابور الفارسية، التي كانت تدرس فيها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية، مما جعل جداول من تلك الثقافات تصبُّ فيها؛ ولذلك كان طبيعيًّا أن نجد بها أقدم المترجمين، ونقصد مَاسِرْجَوَيْهِ، الذي عهد إليه عمر بن عبد العزيز بترجمة كتيب في الطب، ولا نلبث أن نلتقي بابن المقفع الذي نشأ بها وتوفي سنة ١٤٢ للهجرة، وكان يتقن الفارسية، ويحذق العربية، فترجم إليها أروع ما في الفارسية من كنوز تاريخية وأدبية، وترجم -أيضًا- **كليلة ودمنة** الهندية منها، وكذلك منطق أرسطاليس، وبذلك نفهم السر في أنَّ عقل البصرة كان أدقَّ وأعمق من عقل الكوفة، وكان أكثر استعدادًا لوضع العلوم؛ إذ سبقتها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني، وما وضعه أَرُسْطُطَالِيس من المنطق وحدوده وأقيسته. ويمكن أن نلاحظ آثار ذلك في نشاط المباحث الدينية في البلدتين؛ فقد عُنيت الكوفة بالفقه بينما عُنيت البصرة بعلم الكلام، وحقًّا أشاع أبو حنيفة في الفقه القياس والرأي أو الاجتهاد، ولكن من يرجع إلى كتب الفقه الحنفي -حتى في العصور المتأخرة-

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ص١٨ وما بعدها.

يلاحظ أنه ينقصها دائما شيء من التعميم والتعريف ووضع القواعد الكلية؛ فباب البيع -مثلًا- يفتح، ولا يُصَاغ له تعريف محدَّد، ولا تذكر له أركان وشروط، وإنما مسائل متناثرة يتوالى بعضها في إثر بعض. وهكذا دائمًا في الفقه الحنفي يغلب أن يُفْتَح الباب على فروع دون أصول عقلية تضم شعبها الكثيرة، بينما علم الكلام يناقش مسائل كلية، وهي مسائل ميتافيزيقية، والمسألة تثار في ضوء تفكير فلسفي معقد، مما يدل على صلة المتكلمين العميقة بالفلسفة اليونانية، حتى لنرى الجاحظ يقول: (لا يكون المتكلم جامعًا لأقطار الكلام، متمكنًا في الصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة)؛ فعقل كلٍّ من البلدتين كان مختلفًا: عقل مصبوغ بالصبغة الفلسفية المنطقية، وعقل لا يرتفع إلى هذه المنزلة إلا في حدود ضيقة؛ لذلك كان طبيعيًّا ألَّا يُصَاغَ الفقه الحنفي الكوفي صياغة علميَّة دقيقة، بينما يُصَاغ النحو في أدقِّ صورة علمية ممكنة على نحو ما سنرى في كتاب سيبويه، وهي صياغة لم تستطع العصور التالية أن تضيف إليها إلا بعض تعريفات وبعض تسميات، أما الأصول وأما القواعد والضوابط والأسس فإنها ظلت قائمة كالأطواد الراسخة»[1].

بعدها يسترسل في ذكر أوائل النحاة البصريين، وأهم مآثرهم، وما قيل فيهم، وتحدَّث باستطراد عن الخليل بن أحمد الفراهيدي العماني (ت ١٧٠ هـ/٧٨٦ م)، ودوره، ونشاطه العقلي والعلمي، وإقامته صرح النحو والتصريف، ومذهبه في السَّماع والعِلَّة والقياس، وعَرَّف -أيضًا- بتلميذه سيبويه (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م)، واضع الكتاب، وغيره من علماء هذه المدرسة الفَذَّة، وصولًا إلى السِّيرافي (ت٣٨٥هـ / ٩٩٥م)، الذي تنتهي مدرسة البصرة به، وتصل إلى غايتها من تأصيل القواعد ومدِّ الفروع المتشابكة، يقول: «وكانت تقابلها منذ الكسائي وما ألهمه به الأخفش من الخلاف على سيبويه مدرسة الكوفة»[2]. ويختم كلامه بالآتي: «من الحق أن مدرسة البصرة هي التي شادت -كما أسلفنا- بناء النحو الشاهق، وقد تَسَلَّمَتْ منها مدرسة الكوفة، ثم المدرسة البغدادية وما خلفها من المدرستين الأندلسية والمصرية هذا البناء كاملًا، ومضت كل مدرسة تحاول أن

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ص٢٠ وما بعدها.

(٢) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ص١٥٠.

تدخل على هذا البناء من الإضافات ما يتيح لها أن تكون ذات منهج جديد»[1]. تلك كانت إضاءة، أردنا بها التعريف بهذه المدرسة، ومكانتها، ودورها في خدمة علم النحو العربي، وأهم رجالاتها، ومدى التأثير الذي أحدثوه.

ومما لا ينبغي تجاوزه -وإن كنَّا قد أمعنا في بعض تفاصيل البصرة وأسرارها-، ما جاء على لسان البلدانيين من وصف دقيق للبصرة، وذكر شيء مما يطبع أهلها، أو يميزها عن غيرها، ويمكن من خلال الاستعراض الآتي تبيُّن طرف من ذلك:

أ) يقول اليعقوبي (بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٥م) في **البلدان**: «والبصرة كانت مدينة الدنيا، ومعدن تجاراتها وأموالها، وهي مدينة مستطيلة تكون مساحتها على أصل الخطة التي اختطت عليها في وقت افتتاحها في ولاية عمر بن الخطاب في سنة سبع عشرة فرسخين في فرسخ؛ فالباطنة منها وهي الجانب الذي يلقى الشمال تشرع على نهرين لها أحدهما نهر يعرف بنهر ابن عمر... «[2].

ب) وقال الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م) في **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: «والبصرة مدينة عظيمة، لم تكن في أيام العجم، وإنما اختطها المسلمون في أيام عمر، ومدَّنها عتبة بن غزوان، وبغربيها البادية، وبشرقيها مياه الأنهار منفرشة، وهي نيِّف على مائة ألف نهر، يجري في جميعها السماريات، ولكل نهر منها اسم ينسب إلى صاحبه الذي احتفره، أو إلى الناحية التي يصب فيها، وهي في استواء من الأرض، لا جبال فيها،...، وفيما حكى أحمد بن أبي يعقوب



(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ص١٥٠.

(٢) أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، الأصفهاني، الشهير باليعقوبي، **البلدان**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ)، ص١٦٠.

صاحب كتاب **المسالك والممالك** أن البصرة كان فيها سبعة آلاف مسجد ونيف، وأما الآن فأكثرها خلاء، وما بقي منها إلا عمارة ما دار بالمسجد الجامع، الذي فيها، وحكى بعض التجار المسافرين إليها أنه اشترى التمر بها في عام ستة وثلاثين وخمسمائة رطل بدينار»[1]، وقال: «وبها نهر يعرف بنهر الأَبُلَّة، طوله اثنا عشر ميلًا، وهو مسافة ما بين البَصْرَة والأُبُلَّة، وعن جانبي هذا النَّهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد، ويحويها حائط واحد، وينصب إلى هذا النهر عدة أنهار كثيرة مما تقاربه أو تقاومه في الكبر، وجميع نخلها في اعتداد قدوده ونضارة فروعه كأنما أفرغ في قالب واحد، أو غرس سائره في يوم واحد، وجميع أنهار البصرة المحيطة بشرقيها يصب بعضها في بعض، ويتشعب بعضها من بعض، وأكثرها يدخله المد والجزر من البحر، فإذا كان المد دخل الماء من البحر، وتراجعت مياه الأنهار، فصبَّت في البساتين والمزارع، وسقتها، وإذا كان الجزر انحجزت وعادت الأنهار جارية على حسب عادتها، ومنها أنهار كثيرة مُحْتفرة، لا يجري بها ماء، وإنما يدخلها ردع المياه الواصلة إليها مع المد، والغالب على مياه هذه الأنهار الملوحة»[2]. وقال في موضع آخر: «وفي حدود البصرة وبين عماراتها وقراها آجام كبيرة، وبطائح ماء معمورة، وتسير عليها السماريات والزوارق بالمدافع؛ لقرب قعرها، وارتدام مجاريها بالتراب، وربما زادت الأمطار في أوقات الشتاء، فحملت دجلة والفرات، وصبت في هذه الأنهار سيولها، فحفرت منها موضعًا وردمت آخر»[3].

(١) الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج١، ص٣٨٣.
(٢) الشريف الإدريسي، **المصدر نفسه**، ج١، ص٣٨٣.
(٣) الشريف الإدريسي، **المصدر نفسه**، ج١، ص٣٨٥.



[صورة – ١٩: مدينة القرنة بالبصرة، عام ١٩١٦م[١]]

ومكانة البصرة في التاريخ سامية، ومنزلتها لدى العلماء والأدباء رفيعة، وشرفها كبير، بحسبنا الوقوف على بعض ما قيل فيها من أوصاف وأمداح، ومساجلات ومحاورات وغير ذلك؛ ليستبين لنا هذا الفضل وتلك المكانة والمزيَّة؛ فمن طريف ما نُقِل إلينا -مثلًا-: ما قاله قال أبو عبَّاد محمَّد بن سَلَمَة البصريُّ المعروف بابن العَلَّاف القارئ: إنِّي لفي يوم من أيّام المعتزّ بالله في ديوان الخراج بسرّ من رأى مع جماعة من قرّاء البصريّين نطالب بأرزاقنا، وفينا عليُّ بن أبي نَاشِر، إذ طلع علينا فتية من كُتَّاب الأنبار، ومعهم أبو حمران الشاعر، ونحن نصف البصرة وما خصّت به من أرض الصدقة التي لا يسوغ للسلطان الأعظم تبديلها، ولا للعمّال تغييرها، وما فيها من المدّ والجزر والخلجان ومقادير الساعات ومنازل القمر، فقال أبو حمران: ما من بلد إلّا وقد أعطي نوعًا من الفضل يتفرّد به، وضربًا من المرافق معدولًا عن غيره، يُعْجَبُ به أهله، ويطمئنّون إليه في تقريظه، فقلت له مجيبًا: لئن قلت ذلك فإنّا لا نعرف مصرا جاهليًّا ولا إسلاميًّا أفضل من البصرة، ولا أرضًا يَجْرِي عليها الأتاوة أشرف

(١) مصدر الصورة: https://it.pinterest.com/pin/597149231819058219/ .

مـن أرض الصّدقـة، ولا شـجرة هـي أفضـل مـن النخلـة، ولا نعـرف بلـدًا أقْـرَبَ بـرًّا مـن بحـر، وحضـرًا مـن بـدو، وريفًـا مـن فـلاة، وملَّاحًـا مـن جمّـال، وقانـص وحـشٍ مِـنْ صائـد سـمك، ونجـدًا مـن غَـوْر مـن البَصْـرَة، فهـي واسـطة الأرض، وغوصـة البحـر، ومغيـض الأقطـار، وقلـب الدنيـا، ولقد مثّلـت الحكمـاء الأرض بصـورة طائر، فجعلـوا الْجُؤْجُـؤ بمـا فيـه مـن القلـب البَصْـرَة، والـرأس الشـام والـروم، والجناحيـن المشـرق والمغـرب، والذنـب السـودان، وهـم أكثـر عـددًا مـن البيضـان، فكفـى بهـذا وحـده فخـرًا، فقـال أبـو حُمْـرَان:

كُلُّ فَتَـاةٍ بِفَتَاهَـا مُعْجَبَـــــــهْ وَالْخُنْفُسَـا فِـي عَيْـنِ أمِّـهِ لُؤْلُـؤهْ

وقالت الأعرابيَّة -وهي تزفّ ابنًا لها وتقول-:

يَـا قَـوَمُ مَـا لِـيَ لا أُحِـبُّ حُشُـودَهُ وَكُلُّ خِنْزِيـرٍ يُحِـبُّ وَلَـــــدَهْ

فأيـن أنـت يـا أخـا البصـرة عـن خصـب الشـام والجزيـرة، وعـن فضـل المسـجد الأقصـى والبـلاد المقدّسـة، وعـن غـذاة داري مصـر وربيعـة، وعـن رفيـع قـدر الكرمـة، وعـن قـول عمـرو بـن كلثـوم (ت: نحـو ٤٠ ق هـ / ٥٨٤ م):

وَعِنْـدَ اللهِ يَأْتِيـهِ دُعَاهَـــــا إلَّـى أرْضٍ يَعِيـشُ بِهَـا الْفَقِـــيرُ
لأرْضِ الشَّـامِ وَهْـيَ حِمًـى وَحـبٌّ وَزَيْتُـونٌ وَثَـمَّ نَشَـا الْعَصِـــيرُ

واللهِ لَلْرِّقَّـة البيضـاء وحدهـا أطْيَـبُ مـن البَصْـرَة، وللرافقـة أغْـذَى مـن الأَبُلَّـة، ولَحَلَـب أخْصَـبُ مـن الكوفـة، ولَلَخْـم وجُـذَام وأفْنَـاء قبائـل قضاعـة أشْـرَفُ مـن بكـر وتميـم وضبَّـة، ولَلْحبلَـة أفْضَـلُ مـن النَّخْلَـة، وللعنـب أحْلَـى مـن الرُّطَبَـة، وللزَّبِيبَة أطيبُ مـن التَّمْـرَة، ولقـد خـصَّ الله بـلاد الشـام مـن بركـة الزيتـون، والعواصـم والجزيـرة مـن لـذَّةِ التيـن ومـن أنـواع الفواكـه بمـا يَتَهَالَـكُ فِـي أصْغَـرِهِ النخـل، ويسْتَبْشَـعُ معَـهُ الرُّطَـب والتَّمْـر، قـال: فقلـت لأبـي حُمْـرَان: قـد سـمعنا نشـيدك، ووعينـا افتخـارك، ولا أحسـبك سـمعت قـول الخليـل بـن أحمـد فـي وصـف البصـرة إذ يقـول فـي قصـر أنـس بـن مالـك ونهـر بـن عمـرو وادي العقيـق:

يَـا وَادِيَ القَصْرِ نِعْمَ الْقَصْرُ وَالْوَادِي

وقول ابن أبي عُيَيْنَة في ذلك:

يـا جَنَّـةً فَاقَـتِ الْجِنَـانَ فَمَـــــا ... تَبْلُغُهَـا قِيمـةٌ وَلا ثَمَـــــــنُ
عُلِّقْتُهَـا فَاتَّخَذْتُهَـا وَطَـــــــنًا ... إنَّ فُـؤادِي بِذِكْرِهَـا وَطَـــــنُ
زُوِّجَ حِيتَانُهـا الضِّبَـاب بِهَـــا ... فهَـذِهِ كنَّـةٌ وَذا خَـــــــتَنُ

وقوله -أيضًا- في أرض البَصْرَة:

يُذَكِّرُنـي الْفِـرْدَوْسَ طَـوْرًا فَأَرْعَـوِي ... وَطَـوْرًا يُواتِينِـي إلَى الْقَصْـفِ وَالْفَتْكِ
لِغَـرْسٍ كَأَبْكَارِ الْجَـوَارِي وَتُرْبَـــةٍ ... كَأَنَّ ثَرَاهَـا مَـاءُ وَرْدٍ عَلَـى مِسْـــكِ
وَسِـرْبٍ مِـنَ الغِـزْلَانِ يَرْتَعْنَ حَوْلَـهُ ... كمَـا انْسَلَّ مَنْظُومٌ مِـنَ الدُّرِّ مِنْ سِلْكِ
وَوَرْقَـاءَ تَحْكِـي المُوصِلِـيَّ إذَا شَـدَتْ ... بِتَغْرِيدِهَـا أَحْبِبْ بهَـا وبِمَنْ تَحْكِـــي
فيَـا طِيبَ ذَاكَ القَصْـرِ قَصْـرًا ونُزْهَةً ... بِأَفْيَحَ رَحْـبٍ غَيْـرِ وَعْـرٍ وَلا ضَـنْكِ

وسـأل هشـام بـن عبـد الملـك خالـد بـن صَفْـوَان عـن البَصْـرَة فقـال: إذا أخبـرك يـا أميـر المؤمنيـن، يخـرج قَانِصَـانِ فيجـيء هـذا بالطيـر والظليـم، وهـذا بالسَّـمك والشَّبُّوط، ونحـن أكثـر النـاس سـاجًا وعاجًـا وخـزًّا وديباجًـا وبرذونًـا هملاجًـا، وجارية مِغْناجًـا، بيوتنـا الذَّهـب، ونهرنـا العَجَـب، أوَّلـه رطـب وآخـره عطَـب، فالنَّخـل فـي مَكَارِبِـه كالزَّيتـون عندكـم فـي منَابِتِـه، ثـم هـو فـي أكمامـه كـذاك فـي أغصانـه، ثـم هـو فـي إبَّانـه كـذاك فـي زمانـه، هُنَّ الرَّاسـخات فـي الوحـل، المُطْعِمَـات فـي المحـل، المُلقَّحـات بالفَحْـل، يخرجـن أسْـفَاطًا عظامًـا، وأوسَـاطًا نظامًـا، كأنَّمـا ملئـت ريـاطًـا، ثـم تفتـرُّ عـن قضبـان اللُّجَيْـن، منظومـة باللؤلـؤ الأخضـر، ثـم يصيـر ذهبًـا منظومًـا بالزبرجـد الأخضـر، ثـم يصيـر عسـلًا مُعَلَّقًـا فـي الهـواء، ليـس فـي قربـة ولا سـقاء، بعيـدًا مـن التـراب كالشُّـهد المُـذَاب، ثـم يصيـر فـي أكيسـة الرجـال، فيسـتعان بـه علـى العيـال، وأمَّـا نهرنـا العجـب فإنَّـه يقبـل عنـد حاجتنـا إليـه، ويُدْبِـرُ عنـد ربِّنـا منـه، ولـه عبـاب لا يحجبـه، ولا يغلـق عنَّـا دونـه حجـاب.

فقـال هشـام: بلدكـم أكـرم بقـاع الأرض يـا أخـا بنـي تميـم، فلمَّـا رأى أبـو حُمْـران إطـراب النشـيد فـي مـدح بلـدي قطـع علـيَّ كلامـي، وعارضنـي دون مـرادي، فقـال: والله إنَّ لنـا معكـم بنخـل بَيْسَـان ونواحـي الأردن لأعظـم الشِّـرْك فـي النخـل، فمـا نعبـأ

بـه، ولا نـراه طائـلا فنذكـره، ومـا نصنـع بطلـب الحجّـة مـن بعـد، ونحـن نجدهـا مـن قـرب هـذا الحسـن بـن هانـئ صاحبكـم الـذي لا تنكرونـه، وخرّيجكـم الـذي لا تدفعونـه، يقـول فـي البَصْـرَة:

ألا كُلُّ بَصْـرِيٍّ يَـرَى أنَّمـا الْعُـلَى ... مُكَمَّمَـة سـحق لَهُـنَّ جـــــــرينُ
فـإن يغرسـوا نخـلًا فـإنَّ غِرَاسَـنا ... ضِـرَابٌ وطَعْنٌ فـي النُّحـورِ سَخِينُ
فـإنْ أكُ بصريًّـا فـإنَّ مُهَاجَـرِي ... دِمِشْـقٌ وَلَكِـنَّ الحديـثَ شُجـــــونُ
لأزدِ عُمَـانٍ بِالْمُهَلَّـبِ ثَـــــرْوَةٌ ... إذا افْتَخَـرَ الأقـوامُ ثـمَّ تَلِـــــــينُ
وَبَكْـرٌ تـرى أنَّ النُّبـوَّة أُنْزِلَـــتْ ... عَلَـى مَسْـمَعٍ فِـي الرَّحـمِ وَهْـوَ جَنِينُ
ولا لُمْـت قيسًـا فـي قُتَيْبَـة بعدهـا ... وفخـرًا بـه إنَّ الحديـث فنـــونُ[1]

ولـلأدب حضـوره الكبيـر فـي المشـهد البصـري، تعكـس بعـض القصـص -ومـا أكثرهـا- جانبًـا مـن ذلـك الاهتمـام بالشِّـعر والأدب، والدَّرجـة العاليـة التـي وصـل إليـه الشـعراء البصريـون، مـن الإبـداع والتفنُّـن، وتقليـب الـكلام وعكسـه، وهـي مرحلـة عاليـة فـي الفـنِّ الأدبـي، تتجـاوز الشِّـعر نفسـه، إلـى الإبـداع والتفنُّـن فـي تقليـب العربيـة، والمهـارة العاليـة فـي اسـتعمال مفرداتهـا. نشـهد -كذلـك- سـرعة بديهـة الشـعراء فـي الـردِّ، وقلـب المعنـى. مـن ذلـك مـا قالـه بعـض المُتَعَبِّديـن: كنـت أماشـي بعـض الصوفيّـة بيـن بسـاتين البَصْـرة، فسـمعنا ضـارب طنْبُـور يقـول:

يـا صَبَـاحَ الوجـوهِ مَـا تُنْصِفُونـا ... أنتـمُ زِدْتُـمُ القلـوبَ فُتُـــــونا
كانَ فـي واجِـبِ الْحُقُـوقِ عليكـمْ ... إذْ بُلِينَـا بِكُـمْ بَـأنْ تَرْحَمُـــونا

قال فشهق شهقة، ثم أفاق، وقال: يا مغرور قل:

يـا صَبَـاحَ الوُجُـوهِ سَـوْفَ تمُوتـو ... نَ وَتَبْلَـى خُدُودُكُـمْ والعُـــيُونا
وتَصِيـرُونَ بَعْـدَ ذاكَ رَمِيـــمًا ... فاعْلَمُـوا ذاكَ إنَّ ذاك يقـــينا

فهـو لـم يسـتوعب هنـا الشـعر فحسـب، بـل تصـور معنـاه المعاكـس -أيضًـا-، ثـم قلـب المعنـى، ونظمـه مرتجـلًا، بصـورة فيهـا شـيء مـن التصويـر المبـدع[2].

(١) ابن الفقيه، **البلدان**، ص١٦٨.

(٢) ابن الفقيه، **المصدر نفسه**، ص١٠١.

ومما يُدَلِّل على عناية البصريين بالشعر والأدب ما أورده المرزباني (ت٣٨٤ هـ / ٩٩٤م) في **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء** قال: «أخبرني محمد بن يحيى، عن أبي العيناء قال: عرض رجل على الأصمعي ببغداد شعرًا رديئًا، فبكى الأصمعي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: يبكيني أنه ليس لغريب قدر؛ لو كنت ببلدي بالبصرة ما جسر هذا الكشحان أن يعرض علىّ هذا الشعر وأسكت عنه»[1].

تاريخيًّا مرت البَصْرَة بالكثير من الأحداث، وحصلت فيها قصص يطول باستعراضها هذا المبحث، وقد تعرضت للاحتلال، ودُمِّر الكثير من آثارها، وجرى عليها الزمن الخؤون، مثلما جرى وهو جارٍ على غيرها، فإذا بها تلبس القديم بعد الجديد، وترثّ حبالها، ويذْوي عودها، وتذهب جِدّتها وبهاؤها، ويداخلها من السقام والعطب ما يداخل كثيرًا من الحواضر التي يعضُّها الدهر بنابه، غير أن البَصْرَة تبقى عصيَّةً على الانكسار، صعبة على من يروم الحَطَّ منها، أو الغضَّ من أهميتها، ولئن دار عليها الزمن دورته فإنها قد شهدت عبر تاريخها الحافل أدوارًا كبرى، كانت فيها حاضرة مهمة، ومرفأ كبيرًا، وميناء عظيما للعراق، بل عينًا لشط العرب، ونافذة للخليج العربي، وقبلة لحواضر ساحله الغربي، بل لحواضر الدنيا بأسرها، التي ارتبطت بها عن طريق البحر، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(١) أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني، **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، تح: محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م)، ص٤٥٣ وما بعدها.

2-2- الخليج والْبَصْرَة.. المسالك، والصِّلات:

علاقة الخليج بالْبَصْرَة قديمة جدًّا، وهي علاقة توشَّجت مع الأيام، حتى باتت البصرة قبلة العلم والفكر والتجارة في العصور الإسلامية الأولى، عزَّز ذلك كلَّه وترجمه عديد الأنشطة والفعاليات والبرامج، وتوالي الأحداث التاريخية، وتعاقبها على امتداد خط التاريخ.

لا ريب أنَّ العلاقات التجارية بين البَصْرَة والعالم أخذت مساحتها من الدرس، ومما ينقله ابن الفقيه (نحو ٣٤٠ هـ / ٩٥١م) في كتابه **البلدان**، عن سليمان التاجر أن أكثر السفن الصينيَّة تحمل من البَصْرَة وعُمان، وتُعبَّأ بِسِيرَاف؛ وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر، وقلَّة الماء في مواضع منه، يقول: «فإذا عُبِّئ المتاع استعذبوا الماء إلى موضع منها يقال له مسقط، وهو آخر عمان، وبين سِيرَاف وهذا الموضع نحو مائتي فرسخ. وفي شرقيِّ هذا البحر -فيما بين سِيرَاف ومَسْقَط من البلاد- سِيف بني الصَّفَّاق (=بني الصَّفَّار؛ من آل الجُلَنْدَى)، وجزيرة ابن كَاوَان. وفي غربيِّ هذا البحر جبال عُمان، وفيها الموضع الذي يسمّى دردور[1]؛ وهو مضيق بين جبلين، تسلكه السفن الصغار، ولا تسلك فيه [السفن] الصينيَّة، وفيه جبَلَا كُسَيْر وعُوَيْر، فإذا جاوزت الجبال صرت إلى موضع يقال له صحار عمان، فيستعذب الماء من مسقط من بئر بها، وهناك جبل فيه رعاء غنم من بلاد عمان فتختطف السفينة منها إلى بلاد الهند»[2].

(١) **الدَّرْدُور**: وضع في وسط البحر يجيش ماؤه، لا تكاد تسلم منه السفينة؛ يقال: لجّجوا فوقعوا في الدردور، والدردور: الماء الذي يدور ويخاف منه الغرق. انظر: [ابن منظور، لسان العرب «درر»]، قال أبو عبدالله الحميري (ت٩٠٠ هـ / ١٤٩٥م): «الدُّرْدُور: موضع في بحر فارس، مما يلي شطَّ البحر حيث جبَلَا كُسَيْر وعُوَيْر؛ وهو موضع يدور فيه الماء كالرحى دَوَرَانًا دائمًا من غير فترة ولا سكون، فإذا سقط إليه مركب أو غيره فلا يزال يدور حتى يتلف، وهو يضيق على مقربة من جَبَلَي كُسَيْر وعُوَيْر، تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه الكبار، وهذه الدُّرْدُورَات ثلاثة، منها: هذا الواحد، والثاني بمقربة من جزيرة قمار، والدُّرْدُور الثالث في آخر الصين" [الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص٢٣٤].

(٢) ابن الفقيه، **البلدان**، ص٦٦ وما بعدها.



[خريطة – ١٩: شبه الجزيرة العربية، ظهرت في كتاب، بقلم: بيتر فان دير آ، ١٧١٤ م، ويظهر فيها الخليج باسم خليج البصرة[١]]

وتشهد لتلك العلاقة التجارية المبكرة (البصرية – الخليجية)، مع الساحل الغربي للخليج العربي خاصة قصَّة يوردها السيرافي (ق٤ هـ / ١٠م) نفسه في **رحلته**. يقول: «من عجائب ما سمعنا من أبواب الرزق: أنَّ أعرابيًّا ورد البصرة في قديم الأيام ومعه حبَّة لؤلؤ تساوي جملة مال فصار بها إلى عطَّار كان يألفه، فأظهرها له وسأله عنها وهو لا يعرف مقدارها، فأخبره إنّها لؤلؤة، فقال: وما قيمتها قال مائة درهم، فاستكثر الأعرابي ذاك، وقال: هل أحد يبتاعها منِّي بما قلت، فدفع له العطار مائة درهم فابتاع بها ميرة لأهله، وأخذ العطار الحبَّة فقصد بها مدينة السَّلام فباعها بجملة من المال، واتسع العطار في تجارته، فذكر العطار أنه سأل الأعرابي عن سبب اللؤلؤة، فقال: مررت بالصَّمَّان (وهي من أرض البحرين بينها والسَّاحل مديدة قريبة)، فرأيت في الرمل ثعلبًا ميِّتًا على فيه شيء قد أطْبَق عليه، فنزلت فوجدت شيئًا كمثل الطبق يلمع جوفه بياضًا، ووجدت هذه المدحرجة فيه، فأخذتها، فعلم أنَّ السبب في ذلك خروج الصّدفة إلى السَّاحل تستنشق الريح، وذلك من عادة للصدف، فمرَّ بها الثَّعلب

(١) المصدر: **خرائط وكتب ساندروس العتيقة**، بلجيكا، على الربط: https://sanderusmaps.com.

فلمَّا عاين اللحمة في جوفها، وهي فاتحة فاها وثب بسرعته فأدخل فاه في الصَّدَف وقبض على اللّحمة، فأطبقت الصَّدفة على فيه، ومن شأنها إذا أطبقت على شيء وأحسَّت بيد تلمسها، لم تفتح فاها بحيلة حتَّى تشقُّ من آخرها بالحديد، ظنًّا منها باللؤلؤة، وصيانة لها كصيانة المرأة لولدها، فلمّا أخذت بنفس الثعلب أمعن في العدو يضرب بها الأرض يمينًا وشمالا إلى أن أخذت بنفسه فمات وماتت، وظفر رزقًا»[1]، وهذه القصة -بصرف النَّظر عن صحتها- إلا أنها تعكس وجهًا من ذلك التفاعل على مستوى العلاقات التبادلية والتجارية. وكنَّا قد أشرنا سلفًا إلى دور أهل السَّاحل الغربي للخليج في نماء ذلك النشاط، وحيويته وازدهاره في مرحلة متأخرة، ثم عدلنا عن الاسترسال فيه؛ حتى لا يذهب بنا البحث كل مذهب.

يُعلِّق آجيوس (معاصر) في **السفن الكلاسيكية في الإسلام** على ما يُتَرْجِم تلك العلاقة، ويشهد لها على الأقل من جانب اللقى الأثرية والمكتشفات، وطبيعة الصادرات والواردات المُسَجَّلة في الألواح، يقول: «وفَّرت الاكتشافات الأثرية معلومات قيمة حول النشاط التجاري البحري في الخليج، وكان سكان السواحل الأقدمون يتاجرون بالبضائع من بلاد ما بين النهرين إلى الهند؛ كما تدل فخاريات العبيد في العراق حوالي العام ٤٠٠٠ قبل الميلاد، والفخار الملون من النوع المُسَمَّى جَمْدَة نَصْر، حوالي العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، والموجود -أيضًا- في العراق في أماكن متعددة، وتُؤكِّد الأَدِلَّة الأدبيَّة على ازدهار اقتصادي في التجارة من العام ٢٥٠٠ حتى العام ١٧٥٠ قبل الميلاد، ومن المعلوم أنه خلال عهد الملك أورْنَانْشِي في لاغَاش (جنوب بلاد ما بين النهرين) حوالي العام ٢٥٢٠ قبل الميلاد كانت السُّفن تأتي من دِلْمُون حاملة الأخشاب من بلد أجنبي ما (ربما كان الهند)، وبدأت التجارة البحرية في أوجها حوالي العام ٢٣٠٠ قبل الميلاد في عهد سَرْجُون الأكادي (٢٣٣٤ – ٢٢٧٩ ق. م)، ومن خلال الكتابات المسمارية أصبح لدينا اليوم فكرة مُؤكَّدة عن شركاء أكَّاد في التجارة، وكان تحديد موقع مراكز التجارة الثلاثة مُلُوخَا ومَجَان ودِلْمُون موضع نقاش طويل

(١) السيرافي، **رحلة السيرافي**، ص٩١ وما بعدها.

فيما مضى، وتُفَسِّر مَلُوخَا على أنها وادي السِّنْد، مع مدن عظيمة قائمة في هَارَابَا ومُوهُنْجُو – دارو، وموانئ مثل: وَثَال ودَوْارَكة، أمَّا مجان فتشمل عُمان وجزءًا من بُلُوشِسْتان وفق ما اتُّفِقَ عليه، وأما بالنسبة لدُلْمُون فهناك الكثير من الأدلة الجيولوجية والأثرية والنباتية والنَّصِّيَّة التي تشير إلى تلك الأرض التي كانت تُغَطِّي كامل المساحة جنوب بلاد ما بين النهرين، وملتقى نَهْرَيْها مع جزر فَيْلَكَا والبحرين، وكذلك قَطَر، بالإضافة إلى الشواطئ مجاورة، مثل: القطيف وجزيرة تَارُوت، ويمكن للمرء أن يقتفي أثر شبكة تجارية بحرية ناشطة تعود إلى عهد دلمون، وذلك من خلال عددٍ من الألواح السومرية المنقوشة بإشارات القصب للكتابة المسمارية، وكان فخار العبيد الفاخر يشحن من أُورُو وإِرِيدُو إلى بلدات الموانئ في الخليج، ولقد عُثِرَ على مئات الكِسَر الخزفية التي تعود إلى حوالي ٤٥٠٠ و٤٠٠٠ قبل الميلاد، بنوعيها المطلي والعادي على شواطئ الكويت وشرق شبه الجزيرة العربية والبحرين وقطر والإمارات، لقد قادت صلات من هذا القبيل إلى تبادل البضائع، ويعتقد بأن سكان بلاد ما بين النهرين كانوا يبحثون عن الآلة التي كانت بضائع نادرة في البحرين والإمارات على وجه الخصوص، وقد عُثِرَ على لآلٍ غير معالجة في مواقع أثرية في الإمارات، تعود إلى الألفية الخامسة وأوائل الألفية الرابعة قبل الميلاد، أضف إلى ذلك أنه ربما كانت تُقَايِض الصَّوَّان والأحجار الأخرى والحلي المصنوعة من الصَّدَف بالآنية الفخارية من بلاد ما بين النهرين، أمَّا المواد المصدرة من البلدات السومرية فكانت غالبيتها من الحبوب القمح والشعير والصوف والتمور وزيت السمسم والجلود والأقمشة، وكانت بضائعهم محددة بدمغات دائرية، لوحظت على أختام من الطين وكسر الخزف، وكانت بلاد ما بين النهرين تحتاج إلى الأخشاب لأغراض البناء، لذا فقد جاء الخشب الهندي وأعمدة القرم من مَالْ، وخاصة وادي السند، بالإضافة إلى خرز العقيق الأحمر واللازورد والعاج والذهب، وكانت بضائعهم مدعومة بأختام تحمل نقوش حيوانات، وهناك قطع تعود إلى حوالي ٢٢٠٠ قبل الميلاد عبارة عن أوانٍ سوداء مستوردة، كانت تستعمل لتخزين وأوزان من الحجارة مكعبة الصغيرة في تل الأبرق في الإمارات، تشبه تلك الموجودة في مدن الولايات التي تعتمد على الزِّراعة في وادي السِّند، مثل:

مُوهُنْجُو دَار ووُشَانْهُو دَارُو، وهَارَابَا، ويمكن مشاهدة الأدلة على أنشطة الشحن، وبناء السفن في مُوهُونْجُو دَرَاوْ، ولُوثَال، وكَاتْش على أشياء، مثل ختم أو لوح من التَّراكُوتَا، أو كتابة على كسرة خزفية، أو على نموذج للقارب، ولقد ازدهرت التجارة في بلاد ما بين النهرين في زمن أُورْ نَامُو، الذي يشار إليه بحقبة أُور الثَّالث (٢٢١٢ – ٢٠٠٤ قبل الميلاد)، تمكَّنت طبقة من الذين جابوا البحار أن تتاجر بنجاح؛ فقاموا بالتبادل التجاري مباشرة مع مجان مقايضة بين النحاس بكميات كبيرة من الصوف والأقمشة، وكانت مجان أرض قصدير، التي يُعَاد الآن اكتشاف مناجمها في عُمان والإمارات، وظهرت أواني جَمْدَة نَصْر في أماكن ثُقِبَ فيها بالقرب من العَيْن وجبل [آخر] في الإمارات، وربما كانت من نتائج مقايضتها بالنحاس، وكان الدَّلْمُونيُّون يقايضون بنحاس هم بضائع، مثل: الحليب والحبوب والفضة والصوف والسمن من بلاد ما بين النهرين، وكان النحاس يأتي من منطقة مَجَان عُمان، وربما لعب سكان دَلْمُون دور العملاء لذلك المُنْتَج، الذي كثر الطلب عليه، ولدينا أدلة من الألواح المسمارية على استيراد النحاس من مجان إلى مدن في بلاد ما بين النهرين؛ حيث كان النحاس عندها أهم مصدر طبيعي للتصدير، يبدو أن الكثير من البضائع المشار إليها في المراجع المكتوبة كبضائع مجان، هي بالحقيقة قادمة من مَلُوخَة، وربما إنه قد عُثِرَ على بضائع من وادي السِّنْد في بلاد ما بين النهرين، ما يزال من الصَّعب التأكيد على وجود تجارة دائمة بسبب العدد القليل من البضائع المكتشفة، وليس باستطاعتنا كذلك التعليق على المجتمعات التجارية السِّنْديَّة داخل بلاد ما بين النهرين، وثمَّة أدلَّة من ألواح أُور الثَّالث تشير إلى أن الخليج لم يكن أكثر من بحر مفتوح، وأن التجارة ظلت مغلقة في الممر الضيق للخليج، ولسببٍ سياسي ما، اسْتُبْعِدَت مَلُوخة، ويبدو أنَّ مَجَان هي التي كانت تمارس خدعًا تجارية عبر تصدير بضائع مَلُوخيَّة تحت اسمها، أمَّا بالنسبة لتجارة بلاد ما بين النهرين مع مصر خلال أواسط الألفية الثالثة قبل الميلاد، فقد كان الطريق الأقصر يمر عبر الصحراء، إمَّا إلى خليج العقبة أو ساحل البحر المتوسط، وإن كان بالإمكان كذلك سلوك طريق البحر الأحمر عبر مصر العليا الإسكندرية، ويبدو أن أهمية أُورْ قد بدأت بالانحدار عند منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد عندما

تولَّى الكوشيُّون (١٤١٥ - ١١٥٩ ق. م) من جبال زَاغْرُوس زمام السُّلطة، ويمكن أن يعود ذلك الانحدار لانتهاء دورها بصفتها مركزًا رئيسًا لعمليات الاستيراد والتصدير البحرية؛ أي نهاية التجارة المثلثة مع دَلْمُون ومَجَان ومَلُوخَة. وعندما جاء الآشُوريُّون الجُدد إلى الحكم حوالي (١٠٠٠ - ٦١٢ ق.م)، رَكَّزوا سيطرتهم في بلاد ما بين النهرين عبر الحملات العسكرية إلى حين سقوط نَيْنَوَى في العام ٦١٢ قبل الميلاد؛ حيث استولوا على المنطقة بأكملها من زَاغْرُوس حتَّى الخليج، وغربًا حتى البحر المتوسط، لكن أهم تقدُّم لديهم ذلك الذي حدث في جنوب بلاد ما بين النهرين؛ حيث كان الكَلْدَانِيُّون والعَيْلَامِيُّون يتحكمون بمعظم التجارة، وتظهر العديد من مشاهد الحرب على نقوش الحجارة»[١].



[صورة – ٢٠: نموذج للوح من آثار بلاد الرافدين[٢]]

إنَّ حراك مجتمعات الشرق الأدنى القديم -وفق إشارة دراسة نوَّهنا إليها فيما مضى-، وتسارع وتيرة النمو الاقتصادي في الكثير من المدن والحواضر القديمة، ضاعف الطلب على المعادن، وعلى الثروات الأخرى خلال بواكير

(١) ديونيسيوس آجيوس، **السفن الكلاسيكية في الإسلام من بلاد النهرين إلى المحيط الهندي**، ص٣٩ وما بعدها.

(٢) المصدر: محال لموقع صيني، على الرابط الآتي: https://hei.red/physics/2924.html.

فترة الألف الثالث ق. م. ما عجَّل في تشكيل شبكه من الاتصالات، نظَّمت انسياب حركة التجارة، وسهَّلت عمليات التبادلات التجارية المختلفة، التي كانت بين مراكز الحضارة في منطقة الشرق الأدنى القديم، ومع دخول الألفية الثالثة كانت مجان تسهم في هذه الشبكة التجارية المعقدة، أو ما سمي بـ (التجارة البعيدة المدى)، وأضحت من مجرد مركز بسيط لتصدير النحاس إلى وسيط رئيس بين مراكز الشرق والغرب، وهكذا أحدث استخدام النحاس تحوُّلًا مهمًّا في تطور المجتمع نحو مرحله أخرى من مراحل التمدُّن خلال هذه الفترة[1].

تضيف الدراسة -في موضع آخر-: «بيَّنت الدراسات الآثارية الحديثة أن مراكز الخليج الساحلية التي انخرطت خلال بواكير الألف الثالث ق.م في التجارة الخارجية مع مراكز الشرق الأدنى القديم، لم تكن كيانات منعزلة، أو محطات صغيرة، تكتفي بالتجارة مع الداخل، بل تطورت فيها العلاقات الاجتماعية والسياسية، وفق نسق القرابة والنسب فيما بينها، وكانت تستغل، وبالتناوب الموسمي، موارد متعددة تتوافر في مختلف البيئات المتخصصة؛ أي أنها كانت تشترك مع جماعات أخرى في البحث عن موارد مختلفة لزيادة الكسب، من خلال تنويع الموارد المختلفة؛ وذلك بإقامة تحالفات سياسية واقتصادية مع القبائل الأخرى»[2].

تلك كانت لمحة بسيطة وموجزة حول علاقة الخليج ببلاد ما بين النهرين، ثم بالعالم القديم، وبالمراكز الحضارية المهمَّة -تكشف عنها التواريخ واللقى والآثار-، والتفاعل الحاصل بينها، والمبادلات التجارية والمعاوضات، والعمليات التعاقدية، وغيرها -بحسب ما انتهى إليه جهد الرَّاصد-، وسيأتي مزيد تفصيل لاحقًا حول العلاقات التجارية والاجتماعية والعسكرية، التي ربطت الخليج والعراق؛ على امتداد خط التاريخ.

وبعد، فلا بدَّ -بمناسبة ذكر الأدوار التجارية، والتواصل الملاحي عبر الخليج-،

(١) علي بن راشد المديلوي، **الطفرة الحضارية في مجان وإشكالية التنظيم السياسي خلال فترة الالف الثالث قبل الميلاد «تصدير النحاس أنموذجًا»**، ص٥ (بحث مرقون يحتفظ الباحث بنسخة منه).

(٢) علي بن راشد المديلوي، **الطفرة الحضارية في مجان وإشكالية التنظيم السياسي خلال فترة الالف الثالث قبل الميلاد «تصدير النحاس أنموذجًا»**، ص٥ (بحث مرقون يحتفظ الباحث بنسخة منه).

من الوقوف على أهم الطرق والمسالك، التي كانت مطروقة قبيل الإسلام وبعده خاصة؛ لقرب هذا الأمر وعلاقته بما نحن بصدده؛ وليتسنى لنا معرفة طبيعة تلك المسالك، والصعوبات التي كانت تواجه مرتاديها، والمحطات التي كانوا ينزلونها، والشُّطوط أو الجزائر البحرية التي كانوا يطرقونها، أو يتردِّدون عليها؛ تمهيدًا لما أشير إليه آنفا.

بالجملة، يمكن تقسيم المسالك القديمة والتاريخية التي تربط حواضر السَّاحل الغربي للخليج بالبصرة -قبيل الإسلام وبعده- إلى:

- الطرق البرية،
- الطرق البحرية.

(الطريق البري) -بحسب لغة الأصفهاني (ق٣ هـ) في **بلاد العرب**-: «يستخدم هذا الطريق لنقل السلع، ويسلكه الناس لأداء مناسك الحج، وقد فصلت المصادر العربية إبعاد هذا الطريق، واهتمت الدولة العربية به، وقد انفرد أحد المؤرخين بوصف هذا الطريق، فذكر: (بعد الخروج من الأحساء تأتي الأجواف وهي قرى ومياه، ثم بطن غر، فيه قرى ... ثباءات وكنهل، ثم الستار، وفيه أكثر من مائة قرية، منها: تاج وملج ونطاع وبعد السِّتار تأتي قاعة بني سعد وفيها مياه كثيرة، ثم ماء العتيد، بعده ماء الطَّرِيفَة ثم طُوَيْلِح[1]، وفيه قريتان ثَيْتِل والنَّبَاج، وبعد طُويلِع الشَّيْطان[2]؛ وهما واديان فإذا انحدر المسافر من الشِّيطِين، يسير في طرق سهلة بين جبال شبه القرون، وبعد الشِّيطِين تأتي الوُرَيعَة وهي جبل معترض، قبل أن يصل المسافر الوُرِيعَة على الطريق، إن شاء وطِأَهُ أو تَيَامَنَ عنه الشَّبَكة، ... وبين الوُرَيْعة وطُوَيْلِح ليلة، وبعد أن يجتاز المسافر الوُرَيْعَة يستقبل الدَّوْ، وبعد الدَّوْ كفَّة العَرْفَج، وفي منقطع الدَّوْحَيْن يجوزه وهو يريد البَصْرَة وادي السِّيدَان، أمَّا القاصد منها للطريق فماء النِّحِيحِيَّة، وعن يمينها ماء

(١) **طويلح**: وادي في طرق البصرة إلى اليمامة بين الدر والصمان [الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٥١].

(٢) **الشيطان**: وادٍ في ديار بني تميم لبني دارم، أحدهما طويلح أو القريب منه، به يوم للعرب [الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٨٥].

الرَّيَاطِيَـة، وبعـد أن يجـوز المسـافر السِّـيدان[1] مُنْحَـدِرًا يريـد البَصْـرَة يكـون عـن يمينـه ميـاه مـن ثِمَـاد، أحدهمـا ثَمـد الرِّفَاعـي، أمَّـا إذا اجتـاز النُّجِيجِيَّـة مُنْحَـدِرًا إلـى البَصْـرَة فعـن يمينـه جبـل تِيَـاس، وقريـب منـه ثَمـد الفارسـي، وعليـه قُبَّتـان مَبْنِيَّتـان، وعـن يميـن ذلـك الجبـل جبـل الرَّحَـا، وعـن يميـن الطريـق إذا اجتـاز المسـافر هـذا كلـه الرِّفاعـي، وقريـب مـن ثَمـد الكلـب، ثـم يقطـع المسـافر إلـى موضـع يُسَـمَّى الْمَخَـارِم، حتـى يهبـط إلـى كَاظِمَـة، وبعـد كاظمـة يصعـد إلـى النَّجفـة[2]، ثـم يجتازهـا إلـى الصَّلِيـب[3] (= الصَّلِيـف)، ثـم يهبـط مـن الصَّلِيـب فـي أوديـة سـهلة، حتـى ينتهـي إلـى إيرْمِـي الرُّكْبَـان؛ وهـو علـم مبنـي مـن الحجـارة للطريـق وهـو شـبه إنسـان، فـإذا اجتـاز إيرْمِـي الرُّكبـان عـن يمينـه مائـة المَعَرْقِيَّـة[4]، إن شـاء وَرَدَهَـا أم يردهـا، وهـو لعيسـى بـن سـليمان، وعليهـا قصـر مبنـي، وأُثْلَتَـانِ كبيرتـان، ثـم يمضـي فـي الحْزيـز حتـى يهبـط إلـى مـاء سَـفْوَان[5]، وفيـه بيـوت مبنيـة، وتجـار، وبيـن سَـفْوَان والبَصْـرَة بيـاض يـوم أو أقـل، ثـم يخـرج فيعبـر رُمَيْلَـة لـه، وطريقًـا تهامًـا، فيـه مَحَـاجُّ كثيـرة، حتـى يهبـط الأحْـوَاض؛ وهـو مـاء وضـع للسـاقية، عليـه قصـر وقُبَّتـان، ثـم يخـرج مـن الأحـواض مُنْحَـدِرًا فـي الطريـق، وهـو ينظـر إلـى البصـرة حتـى يدخلهـا»[6].

أمَّـا الطريـق البحـري، فيقـول الشـريف الإدريسـي (ت ٦٠٥ هـ / ١١٦٥ م) فـي **نزهـة المشـتاق فـي اختـراق الآفـاق**: «ومـن عُمـان الطريـق علـى السَّـاحل إلـى بـلاد البحريـن، وذلـك مـن صُحـار ودَمَـا إلـى مسـقط إلـى الخيـل إلـى جلفـار، وهاتـان قريتـان بهمـا مغائـص اللؤلـؤ، ويقابلهمـا فـي البحـر طـرف جبـل كبيـر غائـص فـي

(١) **السيدان**: موقع وراء كاظمة بين البصرة وحجر [البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ج٢، ص٧٦٥].

(٢) **النجفة**: موضع بين البحرين والبصرة [البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ج٣، ص١٣٦٠].

(٣) **الصُّلَيْب**: تصغير صلب؛ جبل عند كاظمة به رقعة للعرب [البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ج٢، ص٨٥٠].

(٤) **المعرقية**: لعلها أم قصر [العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، **البحرين في صدر الإسلام**، (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠م)، ص١٢٨].

(٥) **سفوان**: ماء على قدر مرحلة من المربد بالبصرة، به ماء كثير [البغدادي، **مراصد الاطلاع**، ج٢، ص٧١٩].

(٦) لغدة الأصفهاني، الحسن بن عبد الله، **بلاد العرب**، تح: حمد الجاسر وصالح العلي، (منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، ط: الأولى، ١٩٦٨م)، ص٣٤٤، و٣١٥ وما بعدها.

البحر، يظهر منه القليل في بعض الأماكن، ويغيب في غيرها، فإذا وصلت المراكب الصاعدة من البصرة إلى عُمان، ووصلت إلى هذا الحد، فرغت في السَّاحل ما فيها من الأمتاع حتى تخفُّ السفينة، وتجوز ذلك الطرف، ثم توسق بعد ذلك وتسير إلى عُمان، ومن جلفار وأنت نازل إلى البحرين تصير إلى مرسى السبخة؛ وهو مرسى فيه عين نابعة عذبة، ومنه إلى شقاب وبوار وبحر عويص صعب السلوك، وتسمى هذه الأمكنة ببحر قطر، وفي هذا البحر عدة جزائر خالية لا عامر بها يأوي إليها أجناس من الطير البحري والبري، فيجتمع بها من زبولها المقادير الكثيرة، فإذا طاب ماء هذا البحر للسفر قصدت إليها المراكب، فتوسق تلك الزبول التي قد كوَّمتها الطير في تلك الجزائر، وتصير بها إلى البصرة وغيرها، فيبيعونها هناك بالثمن الكثير، وتلك الزبول تصرف في عمارات الكروم والنخل والجنات والبساتين، وليس على بحر قطر ساكن، ولا يأوي اليه أحد، وهو مكان مخوف برًّا وبحرًا، ومنه يُسَار إلى مرسى المفقود؛ وهو مرسى جليل مَكِن من رياح شتى، وبه عين ماء غزير عذب، ومنه إلى ساحل هجر؛ وهو أول بلاد البحرين، ومن ساحل هجر إلى البصرة؛ طريق على الساحل غير معمورة»[1].

رصدت بعض الدراسات طبيعة الصِّلات والعلاقات التجاريَّة والسياسيَّة والعسكريَّة بين البصرة والخليج، وجعلت ذلك تحت عنوانين رئيسين؛ أُوردهما تتميمًا لما تقدَّم ذكره، الأول منهما حول: العلاقات التجارية، والثاني حول: العلاقات السياسية والعسكرية، وقد اعتمدت الدراسة كلًّا من عُمان والبحرين أنموذجًا للتمثيل، ونحن -وإن كنا قد أشرنا فيما تقدَّم إلى وجهٍ من وجوه تلك العلاقات، بخاصة التجارية والملاحية منها-، إلا أنَّنا سنعاود الوقوف مُجددًا مع بعض ما جاء في هذه الدِّرَاسة تحديدًا؛ لأهميته، ولتتميم الصورة والمشهد المرتبط بهذا الموضوع، وللوفاء بجوانب مُحْوِجَة إلى فَضْل عناية -كما ينبغي-، ولارتباط كل أولئك بما نحن بصدده، ثم ليسهل بعدها الانتقال إلى العلاقات

(١) الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج١، ص١٦٢.

والصِّلات الأدبيَّة والتواصل الحضاري بين سَاكِنَة السَّاحل الغربي للخليج والبَصْرَة -محور البحث، مُقدَّمًا له بالحياة الأدبيَّة في الجزيرة العربيَّة عمومًا، وفي البصرة وحواضر السَّاحل الغربي للخليج خصوصًا-.



[رسمة – ٩: طرق التجارة القديمة بشبه الجزيرة العربية (٦٠٠ ق.م – ٦٢٢م). المصدر: تقرير حول طريق البخور بشبه الجزيرة العربية، ص(١)٤].

جاء بين يدي الدِّراسة تحت العنوان الأول ما نصُّه: «كان للعراق زمن الدولة العباسية صلات تجارية مع عمان والبحرين؛ فكانت البضائع تصل إلى العراق خلال طرق وممرات عالمية، ويعود ازدهار التجارة في المنطقة إلى:

(١) ينظر تقرير حول: «طريق البخور بشبه الجزيرة العربية»، على الرابط:
https://www.aldopavan.it/books/via_incenso_PDF/Introd%201-13.pdf

- **الموقع وسهولة المواصلات**؛ إذ تقع البحرين وعُمان على السَّاحل الغربي للخليج العربي، وقد أدَّى ذلك إلى اتصالهما بالعالم بالطرق البحرية، فضلًا عن الطرق البرية التي تربطها بالجزيرة، وقد ساعد هذا الموقع على جعلها مركزًا تجاريًّا مزدهرًا قبل الإسلام وبعده، وربما ينطبق الشيء نفسه بالنسبة للأُبُلَّة والبَصْرَة وغيرها؛ حيث كانت تصلها المنتجات المحلية، ومنتجات المناطق المجاورة عن طريق البر والبحر.
- **وفرة المنتجات المحلية**: فالعراق والبحرين وعمان تنتج محاصيل زراعية متنوعة، وخاصة التمور الذي اشتهرت بها البصرة وهجَر، وتوجد -أيضًا- مراكز صناعية تنتج أنسجة متنوعة، وقد أدَّت وفرة المنتجات الزراعية والصناعية إلى تشجيع التجارة الخارجية، وتصدير تلك السِّلع إلى الأقطار الأخرى، وكانت تستورد من تلك الأقطار -في المقابل- ما تحتاجه.

يضاف إلى ذلك أنَّ كلًّا من العراق والبحرين وعُمان تستورد بعض البضائع الشرقية من الهِنْد والصِّين، كالمسك وغيرها من البضائع، كان أهل عُمان مشهورين بنشاطهم في التجارة البحرية، يتنقلون بسفهم إلى الهند والصين وإفريقيا؛ فيذكر المسعودي (ت٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) أنَّهم كانوا يُجهِّزون بلاد الصِّين ببعض السِّلَع، ويشير كذلك إلى أنَّه لولا قيام أهل عمان بتصدير العاج إلى الهند والصين لكان سعره رخيصًا في بلاد الإسلام، ويوضح القلقشندي (ت٨٢١ هـ / ١٤١٨م) نشاط أهل عُمان التجاري، فيقول: (ولهم متاجرة مربحة، وواصلهم إلى الهند لا ينقطع). أمَّا مدينة كُلَة، فقد كان أهل عُمان يترددون عليها، وقد نقل بورك قوله: (اجتمع لي في كرة واحدة وردت فيها من كلة إلى عمان، وذلك سنة سبع عشر وثلاثمائة ما لا يجمع لنوخذه قبلي ...، وقطعت من كلة إلى أن وصلت إلى شَطِّ العرب؛ يعني شحر لبان، فأخذ السلطان في عُمَان من عشور الأمتعة التي في مراكبي ستمائة ألف دينار، وترك على الناس العشور في بضائع وغير ذلك، مما سامحهم فيه، لعله يكون نحو مائة ألف دينار، سوى

ما سرت من العشور، ولم يوقف عليه)، وتطورت كلة في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عند اضطراب أمر الصين؛ حيث صارت ملتقى مراكب أهل عُمان والصين، وأصبحت -كما قال المسعودي-: (وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت، فيجتمعون مع من يرد من أهل الصين في مراكبهم)، وكانت عمان المركز الرئيس لتجارة كلة مع الشرق؛ فقد ذكر السيرافي أن (كلة مجتمع المتعة من العود والكافور والصندل والعاج والرصاص والأبنوس واليقم والأفاويه كلها، وغير ذلك مما يتسع ويطول شرحه، والجهاز من عمان في هذا الوقت، ومنها إلى عمان واقع).

وكانت سلع الهند والصين تنتقل إلى ميناء جرها، ومنها إلى القطيف في البحرين، ثم تحمل من هناك في السفن مع ما يستخرج من اللؤلؤ إلى العراق، وتعدُّ عمليات الغوص على اللؤلؤ من الموارد المهمة للدولة العباسية؛ ففي عهد الرشيد (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) كانت عملية الإشراف على غوص اللؤلؤ من الأمور التي ينص عليها عند تعيين الولاة على منطقة البحرين وباقي سواحل الخليج العربي؛ فقد ولَّى الرَّشِيد قائده المُعَلَّى على البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين و(الغوص)؛ مدة ولايته، ثم انتقلت هذه الوظيفة إلى محمد بن سليمان بن علي العباسي مدة ولايته، ثم إلى عمارة بن حمزة، وتدخل الدولة في هذا الشيء يعني سيطرتها المباشرة على مجريات الأمور، ومنها الاقتصاد؛ لأن الغوص على اللؤلؤ كان له أثره الواضح، وهو يشابه النفط في وقتنا الحاضر، ولهذا كانت السيطرة على استخراجه وبيعه من هيبة الدولة خاصة، وأنَّ عهد الرشيد ظلَّ العصر العباسي المعروف بحزم الخلفاء، ومحاولتهم ضبط أمور الدولة، ومنها الاقتصاد؛ لأن اللؤلؤ هو ثروة عامة للدولة العربية، ولهذا كان بيعه يتم بحضور الوالي، وجمع كبير من التجار، وفي عهد الرشيد كان مسلم بن عبد الله العراقي أحد المسؤولين على تجهيز الغاصة لطلب اللؤلؤ في سواحل البحرين وعُمان، وقد وقعت في يده دُرَّتَان، إحداهما كبيرة الحجم والأخرى أصغر منها، باعهما، كما مرَّ بنا للخليفة الرشيد بأسعار غالية.

ووصف لنا خِسْرُو عند مروره بمدينة الأحساء عملية البيع والشراء؛ حيث يتم بواسطة زَنَابِيل يزن كل منه سِتَّة آلاف درهم، فيدفع الثمن عدد من الزنابيل، وكانت -كذلك- تشتهر بصناعة الفوط الجميلة التي يصدرونها إلى البَصْرَة.

وكانت الأُبُلَّة ميناء العراق الرئيس، وفيه ترسو السفن البحرية الآتية من البحرين، ولكن بعد إنشاء مدينة البصرة أصبحت الأخيرة مركز التجارة، وصارت الأبلَّة مجرد ميناء للتجار البصريين، وكان التجار الداريُّون يَفِدُون إلى البصرة للمتاجرة بالمسك الداريّ، وفي حين تستورد البصرة من الخطِّ الرماح الخطية، وكانت البحرين تُصَدِّر الثياب والفوط إلى البصرة.

وفي الإطار نفسه كانت البحرين تُصَدِّر إلى اليمامة المنسوجات وخاصة الهجرية وغيرها. ويذكر الإدريسي أن جزر غير مأهولة بالغرب من بحر قطر، تأوي إليها أنواع من طيور البر والبحر، وكان يجمع من هذه الجزر مقادير من فضلات هذه الطيور، فتأتي سفن التجار لتنقلها إلى البصرة وإلى غيرها، حيث تباع بأثمان مرتفعة؛ وذلك لاستخدامها كسماد لبعض المحاصيل، وخاصة الكروم والنخيل.

ونتيجة لتطور الصلات التجارية بين كل من العراق والبحرين وعمان من جهة وبينها وباقي المناطق من جهة أخرى، فضلاً عن كون العراق مركز الخلافة المركزية والشرعية للمسلمين؛ فقد نشأت علاقات طيّبة ومتينة جدًّا، وقد زحفت تلك العلاقات إلى التعاون السياسي والعسكري بين تلك الأطراف»[1].

وحول العلاقة السياسية والعسكرية، وموقع الساحل الغربي بقاعدته (البحرين) من فتوح بلاد فارس، والاضطرابات الحاصلة لاحقًا، وتوتُّر العلاقة مع مركز الخلافة، جاء ما نصُّه: «بدأت العلاقات بين العراق والبحرين بداية حسنة؛ لكون [بعض الحواضر] تابعة للبصرة منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (ت٣٥

(١) فراس سليم حياوي، وماجد عبد زيد أحمد الخزرجي، «الصلات التجارية بين العراق وساحل عمان والبحرين (١٢٣ هـ - ٦٥٦هـ)» **مجلة العلوم الإنسانية** (جامعة بابل، جمهورية العراق، العدد: ٤، كانون الأول ٢٠١١م)، ج١٩، ص١٢ فصاعدا.

هـ / ٦٥٦م)، وأصبحت البحرين قاعدة لفتوحات الشرق،...، وقد عزَّز من تلك الصِّلة بين البحرين والبصرة، ووثقها هجرة عبد القيس والأزد إلى البصرة، وظلَّ الحال [كذلك] في العصر الأموي؛ حيث كان والي البصرة يشرف على العراق وخراسان والأقاليم الواقعة على الخليج. وفي أوائل العصر العباسي قلَّت الاضطرابات في البحرين، ولكن هذا لا يعني موالاة القبائل العربية في الحرب لسلطة الخلافة العباسية؛ حيث يبدو أن قبائل عبد القيس ضلَّت بعيدة عن أي سلطان يفرض عليها، ولكن يلحظ -أيضًا- أن العباسيين تقرَّبوا من الأزد والبحرين، [وذلك] لم يكن وليد الساعة، بل له جذور قديمة تعود إلى العصر الأموي، واستمرت العلاقات غير المستقرة بين الخلافة العباسية في العراق والبحرين في الفترات اللاحقة، ولم تشعر بغداد في العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) بأي قلق من الآراء القرْمِطِية، أو الهجمات العربية القرمطية، ودخل البويهيون في مفاوضات سياسية وتجارية مع القرامطة؛ من أجل تفاهم مشترك، وكان ثقل تفاهمها في البَصْرَة بوصفها مركزًا جمركيًّا لجباية المُكُوس، ويبدو أنَّ ضريبة المُكُوس كانت مرتفعة، وأساليب جبايتها محكمة، وحصلوا -أيضًا- من الأمير بُخْتِيَار على إقطاع في منطقة الفرات، وحصلوا من عضد الدولة على إقطاعات في منطقة واسط، وحين هاجم القرامطة البصرة بعد موت عضد الدولة استرضاهم بالمال، ولكن القرامطة ارتكبوا خطأ كبيرًا حين تدخلوا في النزاعات الداخلية البويهية، وساعدوا أميرًا ضد آخر، وعندها ضربوهم ضربة قاضية سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٦م، حين انسحبوا على أثرها من العراق وبادية الشام إلى حياة أكثر استقرارًا في البحرين، ويبدو أن البويهيين لم يتحمَّلوا تدخُّل القرامطة في النزاعات والمنافسات التي حدثت بينهم على السُّلطة، ورغم المفاوضات بين البويهيين والقرامطة؛ فإن ذلك لم يغير من الجوَّ السِّياسي؛ فالرأي العام لم يوافق أبدًا موقف البويهيين هذا من القرامطة، وبقي الخلفاء العباسيون يُعبِّرون عن رأي الناس عمومًا في معاداتهم للقرامطة، واستمرارًا مع هذا النهج نجد السلاجقة الذين دخلوا بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م حاولوا السَّير نحو نهج الخلفاء والناس في معاداتهم للقرامطة، وبرز هذا الموقف

عند وصول كتاب الأمير عبد الله العيوني إلى ديوان الخلافة، يطلب منهم المدد والمساعدة العسكرية والاقتصادية؛ للقضاء على آخر معاقل القرامطة بمدينة الأحساء، وبالفعل توجَّهت أنظار الخلافة لذلك الطلب، شريطة إعلان الولاء الرسمي للخلافة العباسية على منابر الدولة العيونية، والدعاء للخليفة العباسي، والمشاركة السلجوقية في حكم بلاد البحرين، وأنْ يرسل عبد الله العيوني (ت: نحو ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) العوائد الماليَّة والخراج إلى ديوان الخلافة في بغداد. وافق عبد الله على تلك الشروط، وتوجَّهت حملة عسكرية بقيادة القائد ارتق بك (ت: حوالي ٤٨٣ هـ / ١٠٩١م، أو بعدها) إلى البحرين، واستطاعت تلك الحملة من القضاء على خطر القرامطة، إلا أن العلاقة تعكّرت بين الطرفين؛ بسبب رفض عبد الله الخضوع المباشر للسلطة السلجوقية، التي تميل الى الخلافة المركزية، فضلاً عن تدمير بعض القوات السلجوقية في الأحساء، وشلَّ حركتها؛ خوفًا من تطور أطماع السلاجقة في البحرين، وبهذا أعلن عبد الله العصيان في بلاد البحرين، ولم يكتفِ بذلك، بل أعلن الاستقلال عن الخلافة المركزية في بغداد، وأخذ يدعوا إلى المذهب الشيعي، وعدَّهُ المذهب الرسمي للدولة العيونية، وفي الوقت نفسه أقام علاقات حسنة مع الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (ت: ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م). استمرت العلاقات المتوترة بين البحرين والخلافة العباسية إلى أنْ تولى الخلافة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م)؛ إذ تغيرت الأمور، وطلب الخليفة من الأمير العيوني محمد بن أبي الحسين بحفظ الأمن والسلام في جنوب العراق، لا سيما طرق الحجيج والتجارة والضرب على يد العابثين والمفسدين، مقابل ذلك أمر الخليفة الناصر للأمير محمد بن أبي الحسين (ت ٥٠٦ هـ / ١٢٠٨م) بمبالغ ماليَّة مقررة سنويًّا، فضلاً عن الأمتعة التي يحصل عليها الأمير من ديوان الخلافة، ولم تسعفنا المصادر عن المبالغ التي خصصت لهذا الأمير، واستمرت الخلافة في دعمها للأمير محمد وابنه الأمير فضل (حكم بين: ٦٠٦ – ٦١٦ هـ / ١٢٠٩ – ١٢١٩م)، الذي ساعدته بالأسلحة والمال اللازم، لتجهيز الجيش، واستطاع بفضل تلك المساعدات من استرداد عرش والده في القطيف من يد أبناء عمومته العيونيين، وليس هذا

فحسب، بل باركت الخلافة العباسية للمعاهدة الموقعة بين الأمير فضل وبين ملك جزيرة قيس، والتي كان للخليفة الناصر دور في الوصول إلى توقيعها. وهكذا دخلت العلاقات بين الخلافة العباسية والعيونين في البحرين العديد من الأطوار المختلفة، وتأرجحت بين العلاقة الحسنة والعدائية»[1].

وحول العلاقة بعُمان في أقصى الجزيرة تُقرِّر الدراسة ما يلي: «ارتبطت عُمان بالبصرة زمن الخليفة عثمان بن عفان؛ حيث كانت البصرة القاعدة الرئيسة لانطلاق الجيوش الإسلامية لفتح بلاد فارس -كما نوَّهنا إليه سابقًا-، إلا أنَّ هذا الارتباط لم يجرد آل الجلندى من مراكزهم، بل ظلوا يمارسون سلطات واسعة في عُمان، وإن كانوا يخضعون إلى التوجه العام للدولة؛ أي أنه قائم على إتاحة الفرصة لآل الجلندى في تنفيذ سياستهم في الإدارة والتجارة، على ألّا تكون معارضة لمصالح الإسلام والسياسة العامة للدولة، وكانت هجرة الأزد للبصرة قد عزَّزت ووثَّقت صلة عُمان بالبصرة، وقد تمتع آل الجلندى باستقلال كبير في عمان في بداية العصر الأموي؛ فكانوا يُسَيِّرون أمور عُمان كما يريدون، دون الرجوع إلى الخلافة في دمشق، ولما جاء العباسيون أظهروا اهتمامًا كبيرًا بالأقاليم الشرقية، كما اهتمُّوا بالتجارة البحرية، وكان لعُمان نصيبٌ كبير من الاهتمام؛ لكونها تقع على الطريق البحري بين البصرة وجنوبي شرق آسيا؛ وذلك لتأمين المواصلات التجارية، وقد ظلت عُمان تابعة للبصرة التي كان واليها يشرف على الأقاليم الأخرى الواقعة على الخليج، وكان العباسيون الأوائل قد أفردوا منطقة الساحل الغربي للخليج، وعدُّوها وحدة إدارية، وعيَّنوا لها واليًا على أقاليم واسط، وكان هذا الوالي يُعيِّن الولاة على كل منطقة من مناطق الخليج. شهدت عُمان منعطفًا سياسيًّا مهمًّا من تاريخها؛ حيث تأسَّست فيها الإمامة الأباضية الأولى سنة ١٣٢هـ / ٧٤٨م، مُتَحَدِّينَ العباسيين، ومُنْتهزين فرصة الاضطرابات في العراق وبلاد الشام، ثم تلتها الإمامة الأباضية الثانية، سنة ١٧٧هـ / ٧٩١م، وفي الوقت نفسه كانت هنالك محاولات جادة من قبل الخلافة العباسية لإعادتها إلى سيطرتها. لم يستطع خلفاء بني العباس أن يثبتوا

(١) فراس سليم حياوي، وماجد عبد زيد أحمد الخزرجي، **المصدر نفسه**، ج١٩، ص١٤ وبعدها.

سيطرتهم على عمان، التي احتفظت باستقلالها الذاتي، ولم يتعدَّ نفوذ الوالي العباسي السَّاحل ومدنه الرئيسة، أمَّا الداخل والجبل فكانت قبائله تتمتع بالسيادة التامة، وقد ظلَّت السُّلطة العباسية اسمية في عمان، وقد أدرك البويهيون الذين تسلَّطوا على مقدرات العراق السياسية سنة ٣٣٤هـ أهمية إقليم عُمان الإستراتيجية بالنسبة لأمن الخليج من جهة، ولتأمين انسياب السلع التجارية، من جهة أخرى، تلك السلع التي كانت تدرُّ أرباحًا كبيرة من الضرائب والمكوس المفروضة، ولهذا حاول البويهيين إشعار عُمان بنفوذهم، ولكن أمير عُمان (= صحار) يوسف بن وَجِيه (تولَّى بين ٩٢٦م – ٩٦٥م) حاول أن ينحو منحى آخر باتفاقه مع قرامطة البحرين، الأمر الذي أدَّى إلى مواجهة عسكرية بينهم، كانت نتيجتها لصالح البويهيين؛ وذلك بسبب خذلان القرامطة ليوسف، ونتيجة لذلك استطاع البويهيون السيطرة على سواحل عمان، واستمر نفوذهم إلى سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م؛ وذلك بعد أن تغيَّر ولاء عمان بعد مقتل واليها الموالي للبويهيين، ولهذا نجد عضد الدولة يتحرَّك بسرعة؛ لأنَّه كان يعرف أهميَّة عُمان لأمن الخليج وتجارته، ولم يتردَّد في التحالف مع كل الجهات لتامين المنطقة وتجارتها، بل وصل به الحال أن يُقاسم القرامطة في أرباح التجارة الخليجية، ورغم ذلك ظل النفوذ البويهي مُتذبذبًا، ومع هذا كانت سيطرتهم على الساحل، في حين ظل للإباضية النفوذ في الداخل. بعد سقوط الإمارة الإباضية الثانية استمرت حملة العلم من الفقهاء والدعاة الإباضية في نشاطهم العقائدي والسياسي في عُمان، وحين جاءت الفرصة المناسبة تجمعوا حول قبائل اليحمد، التي بدأت وكأنها الأمل الوحيد لهم لاستعادة الإمامة من جديد، وقد انتخب الفقهاء وحملة العلم الخليل بن شاذان الخروصي إمامًا جديدًا للإباضية عمان سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٦م، الذي استطاع أن يُوحِّدَ معظم قبائلها تحت راية الإمامة، وترك مهمة تقوية الدولة إلى من أتى بعده؛ وهو الإمام راشد بن سعيد اليحمدي (ت ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م)، الذي نشط في طرد البويهيين من عمان»[1].

(١) فراس سليم حياوي، وماجد عبد زيد أحمد الخزرجي، **المصدر نفسه**، ج١٩، ص١٥ وما بعدها.



وحتى لا نتناول العلاقة مع عُمان من زاوية الحوادث التاريخيَّة فحسب، نُحِيل إلى دراسة أخرى، تُؤكِّد النَّسَقَ الذي اخترناه لمعالجة العنوان المتقدم، ويضغط عليه، جاء فيها: «يذكر بَزُرْك الصلات التجارية والمراكب التي تخرج من عمان إلى البصرة، فيذكر أن امرأة من أهل الأُبُلَّة ذكرت أنه كان لوالدها صديق من عمان، يتردَّد مع المراكب التي تختلف بين عمان والبَصْرَة، وأشار بَزُرْك -أيضًا- لحركة التُّجَّار والتجارة والمراكب بين الموانئ الفارسية في الخليج وعُمان، وتجارة الأخشاب والسلع التجارية المطلوبة بين الإقليمين في وقته. يشير بَزُرْك -كذلك- إلى الصلات التجارية بين البَصْرَة وجُدَّة مرورًا بعمان؛ إذ قال: (خرج في سنة ٣٤٢ هـ مركب لبعض التجار بالبَصْرَة من عُمان إلى جُدَّة،

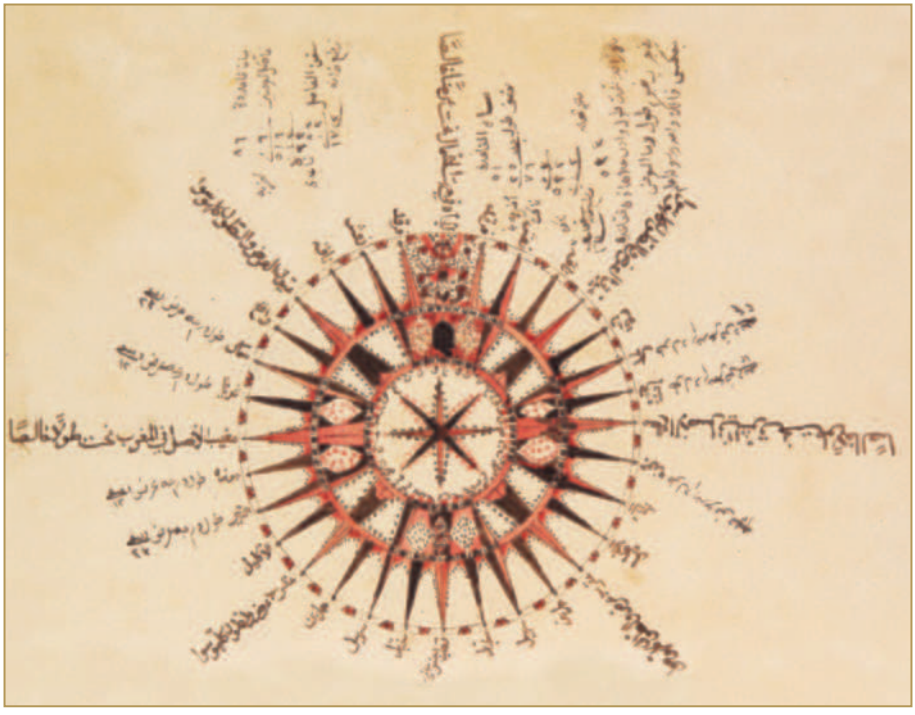
وتعرَّض المركب لأخطار البحر بالقرب من نواحي شحر لبان من عُمان، فطرحوا شيئًا من حمولة المركب بما يعادل خمسة أعْدال من القطن، فسَلِم المركب من الغرق)، وهذا يشير إلى نوع آخر من السلع المتاجر بها بين عُمان وجُدَّة، فكان معهم من جملة السلع القطن متوجهين به لجُدَّة، ولكنهم تخلصوا من هذا الحمل؛ طمعا في سلامة المركب، فكان لهم ذلك، وهناك إشارة عند بَزُرْك يذكر فيها اسم يزيد العماني، الذي يصفه بأنه نُوخْوَذة الزنج، وأشار بَزُرْك إلى أحد المراكب التي دخلت إلى الخور من عمان، ويحمل من البضائع أسقاط وقماش وماء ورد)،...، أمَّا الإصْطَخْرِي (ت٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) في كتابه **المسالك والممالك** فقد ذكر عمان؛ إذ قال: (عمان مُسْتقلَّة بأهلها، قصبتها صُحَار، وهي على البحر، وبها مَتَاجِر البحر وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعُمَان، وأكثرها مالًا، ولا تكاد تعرف على شاطئ البحر بجميع بلاد المسلمين مدينة أكثر عمارة ومالاً من صُحَار)، ويذكر الإصْطَخْرِي أنَّ الطريق المفضل لأهل عمان للوصول للحجاز للحج إلى مكة أو للتجارة مع جُدَّة ليس عن طريق البر غير الآمن والصعب، ولكن عن طريق البحر؛ إذ قال: (وإنَّما طريقهم في البحر إلى جُدَّة)، ويذكر الإصْطَخْرِي -أيضًا- أن اللؤلؤ يستخرج -كذلك- من بلاد عمان، ثم إنَّ الإصْطَخْرِي قد أشار فيما كتب عن بحر العرب وساحل عُمان إلى الأماكن الخَطِرَة والبلدان الموجودة على ساحله، والتي من شأنها أنها بلدان وموانئ تتعامل مع التجار والمراكب السائرة بين الهند وبلاد الزنج، أو بين الخليج والبحر الأحمر.



أمَّا المسعودي (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) في كتابه **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ففي معرض حديثه عن جزيرة قُنْبلُو في ساحل بحر الزنج شرق أفريقيا أشار المسعودي إلى نُوَاخِذة البحر من عُمان وسِيرَاف، وأنهم هم الذين يجوبون البحر من عُمان إلى ساحل إفريقيا الشرقي المعروف ببحر الزنج، وفي إشارة أخرى ذكر المسعودي أن أهل المراكب من العمانيين، يقطعون خليج البحر الحبشي المسمى الخليج البَرْبَرِي في شرق

أفريقيا، ليصلوا إلى جزيرة قنبلو على بحر الزنج، ويضيف: (والعُمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبَرْبَرِي، وهم يعرفونه ببحر بَرْبَرِى وبلاد حَافُونِي)، وأن موج هذا البحر عظيم كالجبال الشواهق .. ويذكر المسعودي أن هؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عُمان، عرب من الأزد، وهم الذين إذا دخلوا هذا البحر يرتجزون فيقولون:

بَرْبَرِي وحَافُونِي وَمَوْجِكِ المَجْنُونِ
حَافُونِي وبَرْبَرِى وَمَوْجها كَمَا تَرَى



[رسمة – ١٠: الديرة، من خلال مخطوطة «معدن الأسرار في علم البحار». المصدر: دار المخطوطات العمانية]

ويُسْهِبُ المسعودي في حديثه عن هؤلاء البحارة من عُمان؛ بأنهم ينتهون في إبحارهم إلى بحر الزنج إلى جزيرة قَنْبُلُو، وإلى بلاد سَفَّالَة والوَاقْ وَاقْ من أقاصي بلاد الزنج، ويشير المسعودي إلى أنه رافق البحارة السيرافيين من مدينة سنجار من بلاد عمان، وكانت آخر مرة ركب فيها معهم سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦

م، من جزيرة قنبلو إلى عمان، وكان الأمير على عمان آنذاك أحمد بن هلال، ويذكر المواضع التي تمرُّ بها المراكب التجارية من بلاد عمان وسيراف، ويشير المسعودي -أيضًا- إلى أن هذا البحر فيه مغاصات اللؤلؤ، ويؤكد المسعودي على أنه (لكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون منها مهَابّها، قد عُلِمَ ذلك بالعادات وطول التجارب، يتوارثون ذلك قولًا وعملًا، ولهم فيها دلائل وعلامات، يعملون بها إبَّان هياجه وأحوال ركوده وثورانه. وكان المسعودي قد أشار -أيضًا- إلى الأماكن التي لا بدَّ يتردد عليها نواخذة عمان، كمدينة القَلْزَم في البحر الأحمر ومصر وأرض البَجَة إلى أقاصي بلاد الزنج وأسافلها وخشبات وعَبادان من أرض البصرة، وهرمز مقابل مدينة سنجار من بلاد عُمان، فضلًا عن بحر الهند وبحر الصين، وذكر صُحَار، ثم مسقط: (وهي قرية منها يستقي أرباب المراكب الماء من آبار هناك عذبة)، ثم رأس الجُمْجُمَة من عُمان؛ وهو جبل مُتَّصل ببلاد اليَمَن من أرض الشِّحر، ويشير المسعودي إلى تجارة العنبر على أيدي التجار العُمانيين والسِّيرافيين، واستجلابه والحصول عليه من شواطئ بحر العرب، ثم يذكر المسعودي استجلاب المسك من مصدره الصين، حتى يَصِلَ إلى عُمان، وفارس، والعراق، ويتاجر به في هذه الأرجاء. ويذكر المسعودي طبيعة الملاحة والمد والجزر في بحر فارس (بحر العرب، وخليج عُمان، والخليج العربي)؛ بالاستناد إلى نواخذة هذا البحر، وهم أرباب المراكب من السيرافيين والعمانيين، ممن يقطعون هذا البحر، ويختلفون إلى عمائره من الأمم، التي في جزائره وحوله، إلَّا أنَّ المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلّا مرتين في السنة)،...، ويضيف البكري (الذي عاش في القرن الخامس الهجري): أنَّ عُمَان مكان للتجارة، قال: (ومن عمان يُتَّجَر ...، ومن الأمثال من تعذَّر عليه الرزق فعليه بعُمان)، ويصف البكريُّ الخليج المُتفرّع عن بحر الهند من حيث طوله، وأنَّه ينتهي إلى الأَبُلَّة والخَشَبَات وعَبَادَان من أرض البَصْرَة، وخشبات البَصْرَة؛ سُمِّيَ الموضع بذلك لأنَّها علامات من خشب

منصوبة في البحر للمراكب إلى عُمان..، ثم يذكر الجزر في هذا الخليج من عُمان إلى سِيرَاف؛ حيث يبحر النواخذة بين هذين المكانين للتجارة البينية. ثم يذكر البكري أنه يوجد في عمان مغاص للؤلؤ كغيرها من البلدان، مثل بلاد خَارَك وقطر وسَرَنْدِيب، وأنَّ اللؤلؤ موجود في بحار هذه البلدان، وغيرها من البحار لا لؤلؤ فيها،... وفي المجال الملاحي وخطورة المسالك البحرية وصف البكري الطريق من البحرين إلى عُمان، ذاكرًا بعض الصعوبات والمخاطر التي تعترض السفن وأماكنها التي أصبح يعرفها النواخذة بالتجربة والممارسة، ويشير البكري -أيضًا- إلى أنَّ بغداد آنذاك -في وقته- كانت تأتيها المِيرة من عُمان من جملة البلدان التي تزوِّدها به من سلع وبضائع ...، وذكر العمري (ت٧٤٩ هـ / ١٣٤٩م) أنَّ رجلًا كان بعُمان زمن الخليفة هارون الرَّشيد (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م)، واسمه: مُسَلَّم، كان أحد من يجهز الغَاصَة في طلب اللؤلؤ، وأنهم -أي الغاصة- كانوا يقيمون في الغوص مدة شهرين مقابل أجر، وفي آخر يوم -أي في اليوم الستين- تحصل بيد مسلم هذا دُرَّتَانِ، إحداهما: اليتيمة، والأخرى دونها، فحملها إلى الرَّشيد، وباع عليه اليتيمة بسبعين ألف دينار، والصُّغرى بثلاثين ألف دينار، وانصرف إلى عُمان بمائة ألف دينار)، ويشير العمري -أيضًا- إلى الصلات التجارية بين عمان والأُبُلَّة بالقرب من البَصْرَة جنوب العراق، قال: ويروى عن بعض الأشخاص أنه قال: ركبت في سفينة من الأُبُلَّة أريد عُمان، فأخذتنا الريح والأمواج، وزاد الأمر علينا، وكان معنا في السفينة امرأة من أهل الأُبُلَّة، قالت: كان لوالدي صديق من ربابنة المراكب المختلفة من عمان إلى البصرة ...»[1].

جدير بالذكر أن الدِّراسة السَّابقة خلصت إلى: أنَّ الخليج قام بدور بارز في صناعة تاريخ المنطقة، الذي يُعدُّ جزءًا من تاريخ الجزيرة من الناحية الجغرافية والبشرية والتاريخية والثقافية، ولهذا فإنَّ الحضارة التي قامت فيها،

(١) أ. د عامر أبو جبلة، «مصادر التراث البحري والتجاري العُماني» **مجلة الثقافية** (مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم، العدد: ٣٣، بتاريخ: رجب ١٤٤٢ هـ، مارس ٢٠٢١م)، ص٦٠ وما بعدها.

تعدُّ فرعًا من حضارات الجزيرة العربية، وقرَّرت الدِّراسة أهمية الخليج بالنِّسبة إليها، ودورَ أهلِ الساحل الغربي ومن جاورهم في نشر الإسلام، وتفاعلهم مع سكان تلك البلاد، وأثرهم في ازدهار الملاحة والتجارة، وأهمية البَصْرَة في كلِّ ذلك التبادل الحاصل، ثم دور الحكومات المتعاقبة في ازدهار النشاط التجاري والملاحي، وتشجيع الولاة في الخليج عليه، وأهمية الطرق البرية، والمسالك البحرية في توشيج تلك العلاقة وتقويتها، وفي ربط الحواضر ببعضها.



[صورة – ٢١: مراكب داو خليجية. المصدر: المكتبة البريطانية، أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند[١]]

(١) ينظر: مكتبة قطر الرقمية، على الرابط: https://www.qdl.qa/node/9557 .

الفصل الثاني

الصِّلات الأدبية .. المظاهر، والنصوص

1- الحياة الأدبيَّة في الخليج العربي، والبَصْرَة:

العرب أمَّةٌ شاعرة -هكذا كانوا يقولون-، وهو معنى عند التأمل بعيد الغوْر؛ فقد ظل الشعر متدفقًا عبر العصور، نابضًا بالحياة، مُتوهِّجًا، لم يخفُتْ، ولم تخْبُ جذوته، بل ازدادت اضطرامًا، وإنْ تباينت أقدار الشعراء. شكلَّت النُّصوص الشعرية والآثار الأدبية التي خلّفها العرب وساكنة الجزيرة العربية مُدوَّنة أدبية مهمَّة، عكست حيواتهم المختلفة: الدينية والاجتماعية والتجارية والسياسية والعسكرية، بل ظلّت تُقدِّم صورة مهمة عن الحياة التي كانت تطْبَع المجتمع العربي في ذلك الوقت؛ بقبائله المتعددة، ومكوناته المختلفة، وأعراقه المتباينة، والعلاقات الناظمة لأفراده، وكل ما يعْتمل لديهم من تواريخ، ووقائع، وأيام، وأخبار، وآثار، ومناسبات؛ فقد كانوا يُعْنَون في شعرهم بكل شيء؛ بالحياة الفطرية التي يعيشونها، وبالرحلة عبر الصحراء، وبالصيد، وبالمطر، وبما كانوا يواجهونه من شظفٍ في العيش، وشدَّة، وقحط، وقلّة حيلة. ووصفوا -كذلك- ما كان يعْتَورُهم من أحزان، ويَحِيقُ بهم من بُؤْس، وينزل بساحتهم من بلاء، أو ما كان -في المقابل- يُسَلِّيهم، ويُسَرِّي عنهم؛ فوصفوا الصيد، والمرأة، والشراب، وعَبَّروا بذلك الشعر عن مكنونات حياتهم، وعن دواخل نفوسهم، وعمَّا جاشَتْ به الخواطر، وانْطَوَت عليه القلوب. هو إذن تراث غنيٌّ، ومادة مُلْهِمَةٌ جدًّا لدْرس العرب، وسيكيولجية العربي، وطبيعته، وكيف كان ينظر للحياة، ويفكر في الأشياء من حوله. ظلَّ ذلك التراث مصدرًا لا غنى عنه لمعرفة أخبار العرب، وأيامهم، والمأثورات الشعبية، والتصوُّرات المعرفية، التي كانت تُوجِّه العقل قبل الإسلام وبعده، ثم ما لبث ذلك الشعر بعد أن جاءهم الدين الجديد، وعمَّت

أنـوار هداياتـه الجزيـرة العربيـة، أنْ تطبَّـعَ بطابـع الإسـلام، وتخلَّـقَ بأخلاقـه، وتلفَّـع بلَبُـوس العفَّـة والطُّهـر، وإنْ بقـي فيـه بقيَّـة مـن آثـار مـا كان عليـه العـرب الأوائـل مـن جاهليـةٍ قبـل الإسـلام؛ فقـد كان بعـض الشـعراء مسـكونين بالكثيـر ممـا درج عليـه أسـلافهم. لقـد تـرك الإسـلام أثـره الكبيـر علـى ذلـك الشـعر، وعلـى الأغـراض الشـعرية، والموضوعـات الأدبيـة التـي كان يطرقهـا الشـعراء، وعلـى المصطلحـات والمفهومـات، التـي لـم يكـن لهـم بهـا عهـد مـن قبـل، والتـي فرضهـا عليهـم ذلـك الديـن، وشـاع مديـح نبـي الإسـلام، والثنـاء علـى الصحابـة، والقـادة المسـلمين، وذم خصـوم الديـن، ثـم تسـجيل الغـزوات والوقائـع الحربيـة، التـي خاضهـا المسـلمون فـي مسـيرة الفتـح الإسـلامي الكبـرى. نجـد فـي شـعرهم -أيضًـا-: الوصـف والمفاخـرات، وحتـى الهجـاء؛ لمَّـا عـادت -لاحقًـا- العصبيـة القبليـة، وأطَلَّـتْ برأسـها مـن جديـد؛ ففـي مرحلـةٍ مـا أخـذ كلُّ فريـق يفخـر بمـا أحْـرَزَهُ مـن سَـبْق، وبمـا تحقَّـق لأسـلافه ممَّـا لـم يدركـه أو يظْفَـرْ بـه الآخـرون، وبمـا أحْـرَزُوه مـن شـرف وحظْـوَة وسَـعَةٍ ويسـار؛ عندمـا زُوِيَـتْ لهـم الدُّنيـا، وألِفُـوا الدَّعَـة، وانقـادتْ لهـم خيـرات الأرض طائعـة، وأسْلَسَـتْ لهـم كنـوز الأرض القِيَـاد، وذلَّـتْ لهـم الأمـم، فضعُـفَ الإيمـان بالاشـتغال بالحيـاة، ومُدَاخَلَـة مَلَذَّاتهـا، والانكفـاء علـى نعيمهـا، والتَّعالـي بمـا تحقَّـق لهـم فيهـا، فعـادت إليهـم بعـض تلـك الأدواء التـي عاشـها مـن سـبقهم قبـل الإسـلام؛ فبـدأ التفاخـر فيمـا بينهـم، واشـتدَّ الهجـاء والثَّلْـب والقـدح، ودارت سـجالات عنيفـة جـدًّا بيـن بعـض الشـعراء، أخـذ كل شـاعر يُعْلِـي شـأن قبيلتـه، ويحـطُّ مـن قـدر خصومهـا، ويَكِيـلُ لهـم التُّهَـم؛ مُسْـتَعْليًا بقـوَّة عارضتـه الأدبيـة، وبـذاءه لسـانه علـى الآخريـن؛ لضعـف إيمانـه، وذلـك -لا ريـب- مسـلكٌ حاربـه الإسـلام، وذَمَّـهُ، وقبَّحَـهُ أيَّمـا تقبيـح.

مـع هـذا وذاك ظـلَّ الشِّـعْر هـو الشـعر، وبقـي للشـعراء مكانتهـم؛ إذ كانـوا يُمَثِّلـون جهـاز الإعـلام فـي ذلـك الزمـان، يُدْنيهـم إليـه مـن كان يريـد رفْـع نقِيصتـه، أو إشـاعة ذِكْـره وفخْـره، أو حتـى إبانـة شـأنه وفضلـه علـى غيره من الملوك، وكان الشـعر -أيضًـا- مصـدر رزق وتكَسُّـبٍ للشـعراء، الذيـن أخذ بعضهـم يتردَّد على أبـواب الخلفاء والملوك والأمـراء، يسْـتَرْفِدُونهم، ويسـتدرُّون بأشـعارهم مـا يُعِينُهـم علـى الحياة.

فيما يلي محاولة لاستعراض أهم ما قيل حول حضور الشعر في حياة العرب، وطبيعته، والأغراض الجديدة التي طرأت عليه، والتعريف بالحياة الأدبية في الحواضر المختلفة، وصولًا إلى واحدة من كبرى الحواضر التي عَنِيَتْ بالشعر، والتي كان لها فضل استحداث علم جديد خادم له، عُرف باسم العروض.. ضبطَ الإيقاع والنَّغَم، وأطَّر لهذا الفن، وحمل الشعراء على قواعد تعْصِمُهم من الخلل. ما شكّل فتحًا عظيمًا، وإضافة مهمة وقيّمة للشعر وللشعراء، وللإبداع العلمي والفني العربي.

يُلخَّص طه حسين (ت١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م) الحياة الأدبية في جزيرة العرب بالقول في كتابه **ألوان**: «تستطيع أن ترسم لبلاد العرب في هذه الأيام صورتين مختلفتين أشدَّ الاختلاف، وكلتاهما مع ذلك صادقة صحيحة، فهي قسم من آسيا يسمى باسم واحد منذ عصور بعيدة جدًّا، ولكنه يتألف من أقطار وأقاليم تختلف في طبيعتها وتتباين أحوالها الجغرافية والاجتماعية والسياسية والدينية -أيضًا- ، فمنها السهل ومنها الوعر، ومنها المرتفع ومنها المنخفض، ومنها الخصب الغني، ومنها الجدب القاحل، ومنها ما يسكنه الحضر، ومنها ما يسكنه البدو، ثم منها ما يحتفظ باستقلال سياسي قوي أو ضعيف، ومنها ما خضع للأجنبي خضوعًا تامًّا، ومنها بعد هذا كله من يذهبون في الدين مذهب أهل السنة، ويتشددون في المحافظة على عقائد السلف الصالح من المسلمين، ومن يذهبون مذهب الشيعة معتدلًا أو متشددًا، ومن يقيم حياته الدينية على التصوف، ومن يعيش عيشة المسلمين العاديين في البلاد الإسلامية الأخرى، ومن جَهِلَ الإسلام جهلًا تامًّا، وانغمس في نوع من البداوة هو أشبه شيء بما يصوره الشعر العربي القديم من حياة العرب الجاهليين، الذين كانوا يعبدون الأوثان والأشجار قبل ظهور الإسلام.

تجد هذا كله في بلاد العرب، فلا تكاد تصدق أن لهذه البلاد وحدة ما، أو أن من اليسير أن تتحدث عنها وعن آدابها كما تتحدث عن أي بلد آخر من بلاد الشرق العربي؛ فأنت تستطيع أن تتحدث عن مصر وعن سوريا وعن تونس أو

الجزائـر، فتصـف حياتهـا الاجتماعيـة والسياسـية والأدبيـة والدينيـة فـي غيـر مشـقة ولا صعوبـة؛ لأن لـكل بلـد مـن هـذه البـلاد وحدتـه الجغرافيـة والسياسـية واللغويـة، وهـذه الوحـدة تمكنـك مـن أن تصـف كل بلـد مـن هـذه البـلاد وصفًـا مقاربًـا إن لـم يكـن دقيقًـا كل الدقـة، أمَّـا بـلاد العـرب أو جزيـرة العـرب -كمـا يسـميها الجغرافيـون-، فليس لهـا مـن هـذه الوحـدة حظ، فمـا تقولـه عـن الحجـاز لا يصـدق علـى اليمـن، ومـا تقولـه فـي أمـر نجـد لا يصـح بالقيـاس إلـى تهامـة، فليـس هنـاك قُطْـر واحـد، وإنمـا هنـاك أقطـار وأقاليـم»[1].

بعدهـا يربـط بيـن هـذه الصـورة والصـورة الأخـرى، التـي كانـت عليهـا الحـال قديمًـا، قائـلا: «هـذه الصـورة التـي أُصوِّرهـا لـك الآن مـن بـلاد العـرب قريبـة كل القـرب مـن الصـورة التـي تجدهـا لهـذه البـلاد فـي الشـعر الجاهلـي؛ حيـن لـم تكـن هـذه الأقاليـم كلهـا تتفـق إلا فـي الاسـم، وحيـن كانـت تختلـف فـي اللغـات واللهجـات وفـي النظـم السياسـية والاجتماعيـة والدينيـة باختـلاف الأقاليـم والأقطـار، وحيـن لـم يكـن الجمـل -وهـو أداة المواصـلات الوحيـدة- يسـتطيع أن يلغـي مـا بيـن هـذه الأقاليـم مـن الفـروق، فهـذه الأقاليـم مـا تـزال اليـوم كمـا كانـت قبل الإسـلام، لـم تُلـغَ فيها المسـافات، ولـم تقـرب بينهـا السـكك الحديديـة، ولـم يؤثـر فيهـا تأثيـرًا قويًّـا اسـتعمال التلغـراف علـى قِلَّـة اسـتعماله، ولا مـرور السـفن البخاريـة علـى سـواحلها فـي البحـر الأحمـر أو بحـر الهنـد أو الخليـج الفارسـي (= الخليـج العربـي)، فهـي إذن علـى حالهـا القديـم، تـكاد تكـون معزولـة عـن العالـم الخارجـي، وهـي إذن علـى حالهـا القديـم لا يـكاد يوجـد اتصـال وطيـد بيـن أقاليمهـا الداخليـة، ومـن الغريـب أن وضعهـا السياسـي بعـد الحـرب الكبـرى يشـبه جـدًّا وضعهـا السياسـي فـي القرنيـن الخامـس والسـادس للميـلاد قبـل أن يظهـر الإسـلام، فيوثـق الصِّلـة بينهـا وبيـن بـلاد الشـرق الأدنـى والأوسـط»[2].

(١) طه حسين، **ألوان**، (مؤسسة هنداوي، يورك، المملكة المتحدة، ط: الأولى، ٢٠١٣م)، ص٢٩.

(٢) طه حسين، **المصدر نفسه**، ص٣٠.



بعدها ينتقل للحديث عن الأطراف، والمؤثرات الأجنبية عليها، وانعكاس ذلك كلِّه على استقلالها، وعلى طبيعة الحياة فيها، ومدى الحرية والاستقلال اللذين كانت تنعم بهما، والقوى المسيطرة المُسْتبدَّة، بصرف النَّظر عن الموازنات التي عقدها، والأمثلة التي يضربها، والتي توافق وقت الكتابة -من وجهة نظره طبعًا- . يقول: «كانت أطراف الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس للميلاد متصلة بالدول الأجنبية المجاورة لها؛ فكانت أطرافها من جهة الشام متصلة بدولة البيزنطيين، ونشأ عن هذا الاتصال أن نُظِّمت علاقات سياسية بين أمراء الغسانيين وقياصرة قسطنطينية، أشبه بعلاقات الحماية في هذا العصر الحديث. وأيُّ شيء الآن إمارة شرقي الأردن؟ هي إمارة الغسانيين القدماء، فيها مدن لها حظٌّ ضئيل من الحضارة، وفيها بادية قوية غنيَّة، وعلى رأسها أمير كان غسانيًّا قبل الإسلام وهو هاشمي الآن، وهذه الإمارة كانت خاضعة لحماية قسطنطينية قبل الإسلام،...، وأطراف الجزيرة من ناحية العراق كانت متصلة بالفرس، تقوم فيها إمارة عربية يحميها أكاسرة الفرس، وتحافظ هي على حدود الدولة الساسانية من غارة البدو، وهي الآن تقوم فيها مملكة عربية ليس على رأسها لَخْمِّي كما كانت الحال من قبل بل هاشمي، وليس يحميها الفرس وإنما يحميها الإنجليز، وبلاد اليمن وما يتصل بها من الأقاليم الجنوبية في الجزيرة كانت

في القرنين الخامس والسادس موضع النزاع بين الفرس والروم، وكانت تخضع للروم بواسطة الحبشة أو تخضع للفرس مباشرة، أو تظفر باستقلال ضئيل، يظل موضع النزاع بين أولئك وهؤلاء، وهي الآن كما كانت من قبل، بعضها خاضع لسلطان الإنجليز مباشرة على الساحل، وبعضها مستقل، ولكنه موضع النزاع والتنافس بين القوة الإنجليزية والقوة الإيطالية»[1].

يَخْلُصُ بعدها إلى تأكيد الفكرة ذاتها التي ما فتئ يُلِحُّ عليها من أول الأمر؛ إذ يرى أن أسماء الدول الحامية لأطراف الجزيرة أو الطامعة فيها تغيَّرت، وتغيَّرت معها أشكال الحماية والطمع، ولكن طبيعة الأشياء لم تتغيَّر، وأسباب الحماية والطمع -كذلك- لم تتغيَّر؛ فالدول الأجنبية -الطامعة- تحمي -أو هكذا كان يراها- أطراف جزيرة العرب، إمَّا خوفًا من البدو وإمَّا رغبة في بسط النفوذ التجاري وإمَّا للأمرين جميعًا، وطريقة العرب أنفسهم في فهم العلاقة بينهم وبين الأجانب لم تتغيَّر؛ هي في القرن العشرين على ما كانت عليه في القرنين الخامس والسادس؛ تقوم على الحاجة إلى المال، والخوف من القوة، فأيّ الأجانب المجاورين للجزيرة كان أشد قوة وأكثر مالًا، فهو صاحب النفوذ عند هؤلاء الناس.

ثم يتحدَّث عن الصُّورة الثانية وعن القواسم المشتركة، التي يمكن البناء عليها. يقول: «الصورة الثانية فتمثل بلاد العرب من حيث إنها وحدة متشابهة من بعض الوجوه؛ فالدين الرسمي لهذه البلاد هو الإسلام، واللغة الرسمية لهذه البلاد هي لغة القرآن، والحضارة الرسمية في هذه البلاد هي الحضارة الإسلامية القديمة، وإذن فمهما يختلف سكان الجزيرة العربية في موطنهم الجغرافي، وفي نظامهم السياسي، وفي مذهبهم الديني، وفي علاقتهم بالأجانب، وفي لهجاتهم الخاصة، فهم جميعًا مسلمون، وهم جميعًا يكتبون لغة القرآن إذا كتبوا، ويفكرون ويعيشون على نحو ما كان يفكر ويعيش المسلم قبل أنْ تتوثَّق الصِّلَة بينه وبين الأوروبيين والأمريكيين. ومن هذه الناحية يستطيع الباحث عن الآداب في البلاد العربية أن يتحدث عنها في مقال واحد كأنه يتحدث عن شعب واحد، على أنَّ

(١) طه حسين، **المصدر نفسه**، ص٣٠ وما بعدها.

مـن الحـق عليـه أنْ يُلاحِـظَ الظـروفَ الخاصَّـة التـي تحيـط ببعـض الأقاليـم، فتجعـل فـي آدابـه صفـات ليسـت فـي غيرهـا مـن آداب الأقاليـم الأخـرى»[1].

وحـول العُزْلـة التـي تعانـي منهـا جزيـرة العـرب، وعلاقـة ذلـك بمسـألة الأدب ودراسـته، وشـأن العـراق ونبـوغ شـعرائها، وأثـر الخلْطَـة عليهـم، وتـردُّد شـعراء البـوادي عليهـا، وتقويـم الصِّلَـة الأدبيـة الكائنـة فـي ذلـك الوقـت، يقـول: «الـكلام عـن الأدب فـي جزيـرة العـرب يحتـاج إلـى أن تحـل مسـألة عزلتـه قبـل الشـروع فيـه؛ ذلـك أن بـلاد العـرب هـي مهـد الأدب القديـم، وفـي شـماليها ووسـطها ظهـر الشـعر الجاهلـي، وفـي الحجـاز ظهـر القـرآن، ومـن الحجـاز ونجـد وتهامـة انتشـرت اللغـة العربيـة، ومـا كانـت تحمـل مـن أدب ودين إلـى بـلاد الشـرق الأدنـى، فغمـرت أكثـره، وظلَّـت موطنًـا لـلأدب الخالـص طـول القـرن الأول للهجـرة؛ فكبـار الشـعراء فـي العصـر الأمـوي جميعًـا مـن الباديـة، أو مـن حواضـر الحجـاز ونجـد. ومـع أن العـراق قـد عظـم شـأنه جـدًّا فـي العصـر العباسـي، ونبـغ فيـه جماعـة مـن الشـعراء، منهـم مَـنْ أصلُـهُ فارسـي، ومنهـم مـن أصلـه مـن هـذه الأخـلاط السـامية التـي كانـت تنتشـر فـي العـراق والجزيـرة والشـام، فقـد ظـل فـي الباديـة شـعراء ممتـازون، كانـوا يفـدون علـى الخلفـاء والـوزراء فـي بغـداد إلـى أواخـر القـرن الثالـث للهجـرة، ثـم انقطعـت الصّلـة الأدبيـة، أو كادت تنقطـع بيـن جزيـرة العـرب وبـلاد الشـرق العربـي، وعـادت الجزيـرة العربيـة إلـى مـا كانـت فيـه قبـل الإسـلام مـن عزلـة تامـة فـي الأدب، وشـديدة فـي السياسـة وغيرهـا مـن مظاهـر الحيـاة»[2].

يعـاود إثـر ذلـك طـرح سـؤال أو التسـاؤل حـول العُزْلـة وسـرِّها وعقابيلهـا، مُتحدِّثًـا عـن الآثـار والظِـلال التـي تركتهـا علـى الأدب، وكيـف كانـت مسـتفيدة مـن ذلـك التواصـل الأدبـي، والتفاعـل المُنْتِـج، ووفـود الشـعراء والأدبـاء علـى الخلفـاء. يقـول: «كان اتصـال العالـم الإسـلامي بجزيـرة العـرب فـي القـرون الأولـى للتاريـخ الإسـلامي يبعـث فـي الآداب العربيـة فـي العـراق والشـام ومصـر روحًـا مـن البـداوة،

(١) طه حسين، **المصدر نفسه**، ص٣١.

(٢) طه حسين، **المصدر نفسه**، ص٣١ وما بعدها.

وحياة الصحراء يمنحها شيئًا من القوة والجزالة في الألفاظ والأساليب والمعاني أحيانًا، فلما انقطعت هذه الصِّلة أمعن هذا الأدب العربي في الحضارة والترف، وفقد روحه العربيَّ الخالص شيئًا فشيئًا، حتى استحال آخر الأمر إلى جسم لا تكاد تمشي فيه الحياة؛ فسدت ألفاظه فكثرت فيها العُجْمَة، وفسدت معانيه لإسراف الشعراء والكُتّاب في التدقيق، وفسدت أساليبه فظهرت فيها الركاكة والغموض. وكانت جزيرة العرب في تلك القرون الأولى تستفيد من هذا الاتصال؛ فكان وفود الأعراب إلى حواضر العراق والشام، ووفود أهل الحضر إلى مدن الحجاز ونجد، يثير في نفوس الأعراب معانيَ ما كانت لتثور في نفوسهم لو ظلوا في عُزْلتهم الأولى، ويكفي أن يلاحظ أن الغزل الحجازي -وهو أجمل ما قيل في الإسلام من غزل- إنما هو نتيجة لتبادل الصلات بين جزيرة العرب وحواضر العراق والشام ومصر، على أنَّ العلم نفسه قد خسر بهذه العُزْلة خسارة لا سبيل إلى تعويضها بحال من الأحوال؛ فمن المُحَقَّق أنَّ أعراب الحجاز لم ينصرفوا عن الإنتاج الأدبي بمجرد أن انقطعت الصِّلة بينهم وبين مراكز الحضارة الإسلامية، بل كان فيهم الشعراء والخطباء والقُصَّاص والرواة، ولكن شعرهم وقصصهم وآثارهم الأدبية بوجه عام لم تكن تُنقَل إلى مدارس البصرة والكوفة وبغداد، وتُدرَّس فيها كما كانت الحال في القرون الأولى، ولم تكن تدوَّن في البادية، وإنما كانت تحفظها الذاكرة عشرات السنين، ثم يذهب بها صوت الرواة والحفاظ، وتنتثر في الصحراء كما تنتثر الرمال بتأثير الرياح، وعلى هذا أخذت اللغة العربية وآدابها في الجزيرة تتغيَّر، وينالها التطور من حين إلى حين، دون أن يُدوَّن هذا التطور أو يُسجَّل، وأصبح من المستحيل الآن أن نعرف الصِّلَة الحقيقية بين اللهجات العربية في الجزيرة الآن، وبين اللهجات التي كانت فيها أثناء القرون الثلاثة الأولى»[1].

(١) طه حسين، **المصدر نفسه**، ص٣٢ وما بعدها.



[صورة – ٢٢: أطلال بُصْرَى الشام، التي كان يتردد عليها عرب الجزيرة العربية(١)]

وفي سياق مُتَّصل، ورغم ما أشار إليه، يؤكد أن العلاقات لم تنقطع أبدًا بين بلاد العرب والبلاد الإسلامية الأخرى من كل وجه، وأن ذلك الاتصال قد ظهر انعكاسه جليًّا على الشعر، وفي بعض أغراضه تحديدًا. قديمًا كان الاتصال بين الجزيرة وأطرافها -أدبيًّا- قائمًا ومعروفًا، يُعْرِب عن ذلك علي الجندي (معاصر) في كتابه **في تاريخ الأدب الجاهلي** بالقول: «كان العرب الجاهليون على اتصال داخلي بعضهم ببعض، واتصال خارجي بغيرهم ممن جاورهم، أو بعد عنهم، ممن كانت تربطهم بهم روابط تستدعي هذا الاتصال. فبجانب المجالس الخاصة التي كانت تعقدها القبيلة للبحث في أمورها، وتبادل الآراء في كل ما يتصل بها، وبخاصة ما كان يتطلب بحثًا عميقًا، ورأيًا جماعيًّا كانت هناك مجالس اللهو والسمر، التي يعقدونها حينما ينفضون من مشاكلهم الحيوية، وحاجاتهم اليومية؛ ترويحًا عن النفس، ورغبة في الإحساس بالهدوء ونعيم الحياة، حيث تكون فيها الطرائف الأدبية، والأحاديث المُسَلِّية، والأخبار، والقصص، مع الموسيقى والطرب والرقص والغناء، إلى غير ذلك من وسائل التسلية والترفيه، كما كانت هناك اتصالات أوسع مدى، تجمع بين عدة قبائل؛ بحكم صلات ودية، وروابط اجتماعية أو سياسية، كالنسب والجوار والتحالف والعداوة المشتركة،

(١) المصدر: الموسوعة البحثية «**ويكيبيديا**»، على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B5%D8%B1%D9%89#/media/%D9%85%D9%84%D9%81:Bosra-Ruins.jpg.

أو مفاوضات المصاهرة والمصالحة بعد الحروب والمشاحنات والمنازعات. ثم هناك الاتصالات الداخلية الكبرى، التي تضم عددًا كبيرًا من القبائل -شماليّها وجنوبيها-، كلها أو معظمها، في مناسبات عامة، أو على نطاق واسع، كالأسواق ومواسم الحج، وفي هذه المناسبات تعقد المجالس والندوات، وتوجد الفرص للتعارف، والتفاهم وتبادل الآراء والمشاعر، ومناقشة الأمور، ومعرفة الميول والاتجاهات، وقضاء المصالح، وتحقيق الرَّغبات بقدر الإمكان، ولم يكن الجاهلي ليستطيع أنْ يعيش بمعزل عن العالم الخارجي، والعالم الخارجي كذلك كان يهمه أن يكون على صلة به؛ فضرورات الحياة دائمًا تقتضي ذلك في جميع العصور والأحوال، فلدى كل من الجانبين ما يحتاج إليه الآخر، من ثَمَّ كان لا بد من الاتصال الخارجي تبعًا لاحتكاك المصالح، وتبادل المنافع»[1]، ويُسَلَّط الضوء على الارتباط الواقع عبر الخليج وسواحله، ثم في الداخل، وما يستلزمه من رعاية وحفظ وحراسة، مُتحَدِّثًا حول عبقرية الموقع الإستراتيجي لشبه الجزيرة العربية، وما كانت تُصَدِّرُه وتُبَادِلُ به غيرها بالقول: «كان في شبه الجزيرة العربية منتجات -وبخاصة في الجنوب، وعلى الشواطئ-، وهذه لا بد من تصريف ما يفيض منها على حاجة السكان في مناطق الإنتاج، كما كان العرب محتاجين إلى كثير من منتجات البلاد الخارجية، هذا إلى أن البلاد العربية كانت بحكم موقعها الجغرافي عامل اتصال بين بعض الأمم الذين لا يمكن اتصالهم إلا عن طريق بلاد العرب، من ثم نشطت التجارة في شبه الجزيرة منذ القدم، ووجدت مراكز تجارية مهمة في الشمال والجنوب والوسط ومن الشاطئ، وعَبَرَتْهَا القوافل التجارية طولًا وعرضًا، صيفًا وشتاءً، تنقل حاصلات اليمن وغيرها من البلاد العربية، وتجارات الهند والحبشة والشام إلى شبه الجزيرة وخارجها، وبالعكس، فكانوا ينقلون من اليمن وحوض المحيط الهندي وأفريقية الشرقية اللبان والطيب والبخور والجلود وثياب عدن النفيسة وتوابل الهند ورقيق إفريقية والصمغ والعاج، كما كانوا ينقلون من الطائف الزبيب، كل ذلك كانوا ينقلونه إلى حوض المتوسط، ويعودون محملين بالأسلحة والقمح والزيت والخمر والثياب القطنية والكتانية والحريرية...، ثم هذه القوافل التجارية كانت في حاجة

(١) علي الجندي، **في تاريخ الأدب الجاهلي**، (مكتبة دار التراث، د. م، ط: الأول ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م)، ص٨٠.

إلى من يحافظ عليها ويحميها من غارات الأعداء واللصوص وقطاع الطرق، فاشتدَّت صِلَة العرب بغيرهم من الأمم، وبخاصة الفرس والروم والحبشة والهند، وقوَّى هذا الاتصال -وبخاصة بينهم وبين الأولين- وجود إمارات عربية في الحيرة وغسان ونجد، فكان ملوك المناذرة والغسانيين وكندة بحكم عربيتهم، وحكم اتصال الأولين بالفرس والغسانيين بالروم، وتأرجح كندة بين هؤلاء وأولئك تبعًا لمصالحهم، غير صلة بين العرب الجاهليين ومملكتي الأكاسرة والقياصرة، واحتلَّت الحبشة اليمن فترة من الزمن، وحاولت اقتحام الحجاز»[1].

ثم ينتهي إلى أثر ذلك التواصل الحضاري، وتجلياته، والإشعاع الثقافي المتولِّد عنه، ودور التجارة والحركة التجارية والتنقل والملاحة في كل أولئك، يقول: «لا شكَّ أن هذه الاتصالات كان لها أثر كبير في حياة العرب الجاهليين ولغتهم وأدبهم؛ فقد أدخل الحُجَّاج وسائقو القوافل والتجار والأحباش واليمنيون والسوريون والفلسطينيون وأهل ما وراء النهر والإيرانيون مع سلعهم التجارية ألفاظًا وأسماء كثيرة. وبدراسة هذه الأسماء يمكننا أن نعرف أ هي من أصل عبراني أو آرامي أو حبشي، أو استعيرت بصفة مباشرة أو غير مباشرة من الإيراني أو اللاتيني، مثل كلمة فردوس (مُحرَّفة من اليونانية أو الفهلوية؛ ومعناها: الحديقة)، ودين (من الفهلوية)، وسجل (من اليونانية)، والصراط (من اللاتينية)، ومن الحبشية: الرجيم، والإنجيل، والمنير، والحواري[2].

من ثَمَّ نرى أن تجار الحيرة واليمن لم يجلبوا معهم السلع الغربية فحسب، بل طائفة من الأفكار والعادات التي من شأنها توسيع مدارك المحيط العربي، وقد حمل التجار معهم شيئًا أهم وأعظم قيمة من التجارة، هو حروف الهجاء؛ الحروف التي أخذ منها الخط الذي كتب به القرآن الكريم، فصار الخط الرسمي للمسلمين، الخط الذي لم يقتصر استعماله على العرب، بل صار خطًّا لملايين

(١) علي الجندي، **المصدر نفسه**، ص٨١.

(٢) التحقيق أن معرَّب القرآن عربي أصيل، ولذلك بحث ليس هذا محله، فالصراط -مثلاً- من: سَرَطَ اللقمة إذا ابتلعها، والسَّالك يَسْرطُهُ الطريق أو العكس، ولذلك قرئ: صراط -بالصاد خالصة-، وسراط -بالسين خالصة-، وزراط -بالزاي؛ بين السين والطاء-. الحاصل أن اللاتينية أخذت الكلمة من العربية، وجمهرة من الكلمات الإنجليزية من أصل لاتيني عربية.

المسلمين الذين تربطهم بالعرب رابطة الدين. ثم إنَّ ارتحال بعض هؤلاء العرب إلى ديار القوم في أعمالهم واتصالاتهم بهم، جعل عيونهم تقع على أشياء كثيرة من ظواهر الحضارة والمدنية التي كان يعيش فيها أهل هذه الأمم، وهذا بالطبع يؤثر في حياتهم وتفكيرهم. وقد ظهر هذا الأثر في الإمارات العربية التي كانت شديدة الصِّلَة بالأمم الأخرى كالحيرة وغسان؛ فقد تحدث التاريخ كثيرًا عن مظاهر الترف والنعيم التي كان يعيش فيها ملوكهما وأمراؤهما؛ لصلتهما الوثيقة بالفرس والروم، وسنرى فيما بعد إن شاء الله أن هذا كان له أثر كبير في الأدب العربي، وبخاصة في الشعر والشعراء. هذا إلى جانب الرقيق الذي كان في ذلك الوقت بضاعة ضرورية، لا بد منها لأهل المال، تدرُّ عليهم أرباحًا عظيمة؛ فهم آلات ذلك الزمن، ومصدر من مصادر الاستغلال للحصول على الثروة، وكانوا سلاحًا يستخدم للدفاع عن السَّادة الأثرياء في أيام السِّلْم وفي الحرب، فكان هناك رقيق أسود، ورقيق أبيض (قوم من أصل إفريقي، اشتراهم أثرياء مكة؛ للعمل في مختلف الأعمال ولخدمتهم)، والأسرى البيض الذين كانوا يقعون في أيدي الفرس والروم أو القبائل المغيرة على الحدود، فيُبَاعون في أسواق النخاسة، ومنها ينقلون إلى مختلف أنحاء الجزيرة؛ للقيام بمختلف الأعمال. يضاف إلى هؤلاء الرقيق المستورد من أسواق أوروبا لبيعه في أسواق الشرق، ومثل هذه البضاعة لا بدَّ أن تترك أثرًا في البيئة التي استوردت إليها»[1].

ينتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن علاقة إنسان الجزيرة العربيَّة بالبحر، وبالخليج، وحركة الأدباء والشعراء، وتردُّدِهم على البَصْرَة وغيرها، قائلًا: «كانت بلاد العرب محاطة بالبحار -كما سبق أن أشرنا إلى ذلك-، من ثم كان منهم من يسكن على سواحل: بحر القلزم في الغرب، وبحر الهند في الجنوب، وبحر العرب في الشرق، ولا شكَّ أنَّ سكان هذه السواحل من العرب كانت لهم صلة وثيقة بالبحر، فاشتغلوا بالصيد، والتجارة مع الهند والحبشة والروم وغيرهم، فكانت الحاجة ماسَّة إلى ركوب البحر، ولهذا لا بدَّ أنهم كانوا على شيء من علم الملاحة، وصناعة السفن، من ثم ورد ذكرها في الشعر الجاهلي

(١) علي الجندي، **المصدر نفسه**، ص٨١.

كثيرًا، من ذلك قول عمرو بن كلثوم (نحو ٤٠ ق هـ / نحو ٥٨٤ م):

مَلَأْنَا البَرَّ حتَّى ضَاقَ عَنَّا ... ومَاءُ البَحْرِ نَمْلَؤُه سَفِينا

وقال طرفة بن العبد (نحو ٦٠ ق هـ / ٥٦٤ م):

كأنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً ... خَلايَا سَفِينٍ بِالْنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

عَدَوْلِيَّةٌ أوْ مِنْ سَفِينِ ابنِ يَامِنٍ ... يَجُورُ بِهَا المَلَّاح طَوْرًا وَيَهْتَدِي



[رسمة – ١١: ميناء البصرة، وبعض المراكب، تخييل بالذكاء الاصطناعي، مع عدم الاعتبار بألوان الأعلام]

ولا بدَّ أن الملاحة اضطرتهم إلى معرفة كثير من النجوم والكواكب؛ للاهتداء بها في سيرهم عند ركوب البحر، ولا شك أن صناعة السفن الكبيرة تحتاج إلى أخشاب، وإلى مسامير من حديد، تستعمل في ربط الألواح والأخشاب بعضها ببعض، وإلى أيدٍ فنيَّة عاملة، ولم تتيسَّر هذه الأشياء في جزيرة العرب، ولهذا اقتصرت صناعة السفن على السفن الصغيرة في الغالب، هذا إلى جانب الصناعات المختلفة التي أشرنا إليها فيما سبق، ولا بد أنهم كانوا على الأقل ذوي

خبرة بهذه الصناعات، ولا شك أنَّ هذه الخبرات العملية التي أشرنا إليها كانت وليدة الحاجة، جاءتهم عن طريق التجارب العديدة التي قاموا هم أو أسلافهم بها، وهي وإن كانت بسيطة، أو تُعدُّ خطوات أولى في ميادينها، فإنَّها تدل على ما كان لديهم من كمال العقل، ونُضْج التفكير، وقوة الملاحظة، وحب الاستطلاع، ويقظة ووعي لما يقع تحت أعينهم، ومحاولة للاستفادة منه بقدر ما يستطيعون»[1].

إنَّ علاقة ساكنة الجزيرة العربية (ومنتسبي الساحل الغربي للخليج تحديدًا) بالبحر، علاقة قديمة جدًّا، بل هي علاقة أزليَّة، اضطرتهم إلى بناء تحالفات إستراتيجية، وعلاقات مختلفة مع أعراق متعدِّدة، وألجأتهم أحيانًا إلى مُسَايسة من هيْمَن على أجزاء مهمة من ذلك الساحل -على امتداد خط التاريخ-، بخاصَّة الفرس؛ فإن الفرس كانوا حاضرين بقوَّة في تاريخ المنطقة، وهذا ما يشير إليه آجْيُوس (معاصر) في كتابه **السفن الكلاسيكية في الإسلام**؛ إذ كان العنصر الفارسي في مرافئ البحرين وعمان وباقي ساحل شبه الجزيرة العربية قويًّا للغاية، واختلط الفرس مع عرب شبه الجزيرة العربية، وتعزَّز ذلك الاندماج خلال القرن الثاني الميلادي بحدوث هجرات كبرى من الأزديين؛ وهم مجموعة من أزد عمان (من شرق شبه الجزيرة العربية)، والقبائل العدنانية الممتدَّة من شمال شبه الجزيرة وسوريا، وبغضّ النظر عن الاسم الذي اتخذه المستوطنون الجدد في القرون التالية أو على أي جهة من سواحل الخليج قد سكنوا، فإنهم حملوا معهم عداوة قبلية طويلة الأمد، كانت قد فصلت عرب شبه الجزيرة الشماليين عن الجنوبيين من الناحيتين السياسية والثقافية، وعبَرَ بعض الأفراد القبليين من أزد عُمان، مثل سليمة بن مالك بن فهم (جاهلي) باتجاه الساحل الفارسي، واستقروا في كَرْمَان، واستقرَّ آخرون في جزر الخليج، وكان صيد الأسماك قوام اقتصادهم الرئيس، وبوصفهم بحارة وتجارًا استغل بعضهم امتداداتٍ جغرافية أخرى، لكنهم كانوا موضع حسد العرب الآخرين، وجلبت تلك المستوطنات العربية الجديدة، واندماجها مع الفرس انتعاشًا للاقتصاد الساساني، وربما يعود ذلك الاقتصاد المزدهر جزئيًّا إلى التجارة الرومانية طويلة الأمد

(١) علي الجندي، **المصدر نفسه**، ص٨٦.

بين البحر المتوسط والهند، ولكن أيًّا كانت الحالة فإنَّ السَّاسانيين قد رأوا في ذلك فرصة لبسط سلطانهم على بيزنطة في الغرب(١).

بهذا يظهر أنَّ منتسبي السَّاحل الغربي من الخليج كانوا -كغيرهم- مِصْداقًا للتَّواصل البَنَّاء، والتفاعل الخَلَّاق والمُنْتِج، الذي طَبَعَهُمْ بِطِبَاعٍ عَبَّرُوا عنها في أشعارهم وأدبهم؛ فقد أضاءوا بصنيعهم ذاك قناديل المستقبل لأبنائهم وحفَدَتِهم، وكانوا رُسُلَ تعاون وسلام بتطاول الأزمان، وما زالوا يَتَطَبَّعُونَ بما وَرَّثهم إيَّاه آباؤهم، رَادَة الخليجين، وربابنة البحار.

وبعد فيمكن بعد ذلك الاستعراض المتقدم، أنْ نوجِّهَ مسار الحديث؛ للوقوف على طبيعة الحياة والأدب -شعرًا ونثرًا- في البصرة وأختها الكوفة، على أنَّ المقصود مما أشير إليه سابقًا وضع المتابع في سياق دراسة الأدب في الجزيرة العربية بشكل عام، وعلاقة الحواضر الخليجية ببعضها عن طريق البحر، والمؤثرات التي انعكست على الشعر والأدب، بما يُمَكِّنُ من فهم كل تلك الجوانب، والوصول إلى محل البحث الدقيق، ومحوره. أفرد شوقي ضيف (ت١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م) فصلًا كاملًا حول مراكز الشعر، في كتابه **تاريخ الأدب العربي**، وتحدَّث عن موقع البصرتين وأهميتهما، قائلًا: «لما أقبل العرب من الجزيرة على العراق يفتحون وينشرون الإسلام، واتسعت بهم الفتوح لعهد عمر بن الخطاب، رأى ألَّا يتخذوا المدن القديمة منازل لهم حتى لا يتلاشوا فيها، وأمر بثاقب بصيرته أن يُبْنَى لهم معسكران على حدود الجزيرة الشرقية، حتى يظل اتصالهم بالجزيرة، وحتى لا ينساحوا في البلاد المفتوحة. وهذان المعسكران اللذان كانا مادة الجيوش المحاربة في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي جميعًا -سواء في فارس أو في خراسان- هما: الكوفة والبصرة»(٢).

وحول تنظيم البصرة بعد الاستيطان بها، وانتقال بعض القبائل العربية من الساحل الغربي للخليج العربي ومن قلب الجزيرة إليها، وخططها، وحظ تلك

(١) ديونيسيوس آجيوس، **السفن الكلاسيكية في الإسلام من بلاد النهرين إلى المحيط الهندي**، ص٥٩ وما بعدها.

(٢) شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ج٢، ص١٥٣.

القبائل من تلك الخطط والتقسيمات المعتمدة وقتها، يقول: «إذا ولَّينا وجوهنا نحو البصرة وجدناها تخطّط حوالي سنة ست عشرة للهجرة معسكرًا للجيوش المقاتلة في الشرق على مقربة من مصب نهر دجلة بين إقليم البطائح الذي تكثر مستنقعاته وشاطئ خليج العرب، وقد روعي فيها كما روعي في الكوفة أن تكون على حافة البادية، وسرعان ما توزعتها القبائل خططًا، خمسًا كبيرة: خطة لتميم وخطة لعبد القيس وخطة لأهل العالية وخطة لبكر وخطة للأزد، وكانت اليمن تلوذ بخطة الأزد، بينما لاذت عشائر من أسَد والنَّمِر بن قَاسِط بِبَكر، ولاذ أهل هجَر بخطَّة عبد القيس، ولاذت ضَبَّة والرَّبَاب بخطَّة تَمِيم. وقد أقاموا بجانبها سوقًا كبيرة، هي سوق المِرْبَد، وقد تحوَّلت في هذا العصر إلى سوق أدبية يتناشد فيها الشعراء أشعارهم، ولكل شاعر حلقته»[1].

ويتحدَّث عمَّن جاور تلك القبائل من العناصر الأجنبية، بحكم الموقع الاستراتيجي، والارتباط بالخليج؛ قائلًا: «نزلها مع العرب كثير من الرقيق الفارسي الذي جلبوه من الحروب، كما نزل معهم فريق كبير من جيوش يَزْدَجِرْد، خرج عليه وقاتله مع المسلمين، وهو المعروف باسم الأساورة. وقد دخل في حلف تميم، ودخل -أيضًا- في حلفها نفر من الهنود، هم المعروفون باسم الزّط والسَّيَابِجَة والإنْدَغَار، ونزل -أيضًا- بالبصرة جماعة من الأصْبَهَانِيِّين، وأخرى من الحَبَش، وكان وقوع البَصْرَة بالقرب من خليج العرب مهيَّأ دائما؛ لأن ينزلها كثيرون من الإفريقيين والهنود، كما كان مهيَّأ لازدهار التجارة بها»[2].

ويُنَوِّه إلى ما اتَّصَفَتْ به مما عُدَّ جاذبًا لكل أولئك، من جهة خصوبة أرضها، وصلاحيتها للزراعة، وما تحفل به من خيرات. يقول: «وكانت الزراعة مزدهرة بها هي الأخرى، ولا سيما زراعة النخيل؛ بفضل النهيرات الكثيرة، التي اشتقّت من دجلة، وخاصة نهرَي الأبلّة ومعقل»[3].

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٥٧ وما بعدها.
(٢) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٥٨ وما بعدها.
(٣) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٥٨ وما بعدها.



[صورة – ٢٣ : جانب من التقاطة لنخل البصرة، وكان يضرب ببساتينها المثل]

في السياق السابق يتحدث عن تغلغل العرب في جوار البصرة الجغرافي، ونفوذهم به، بخاصة في مرحلة الفتح وما بعده، قائلا: «أخذ نازلتها من العرب المجاهدين في سبيل الله ومن انضمَّ إليهم من الأساورة يثخنون بقيادة الأحنف بن قيس التميمي (ت ٧٢ هـ / ٦٩١ م) لعهد عمر بن الخطاب في أرض فارس، وتغلغلوا إلى خراسان، وتتابع الفرس على الصلح فيما بين نيسابور وطخارستان»[1].

وحول الأحداث التي شهدتها، ومن تعاقب عليها -عبر مسيرة صاخبة بالوقائع-، يقول: «ولي البصرة لعهد عثمان عبد الله بن عامر، فدفع الجيوش البصرية إلى سَجِسْتَان وعامَّة خُرَاسَان، ثم كانت الفتنة ...، فانضمَّ كثيرون من أهل البصرة إلى السيدة عائشة وطلحة والزبير،...، ثم أسلمت البصرة لعَلِيٍّ، يتقدَّم صفوفها الأحنف، وحاربت معه بصفِّين، وظلت موالية له إلى وفاته. وتدخل البصرة في العصر الأموي، ونراها تذعن لمعاوية وابنه يزيد، بينما تأخذ في اجْتِرار العصبيات القبلية القديمة، وكان مما هيَّأ لذلك قيام حلفين كبيرين بها؛ هما: حلف تميم وقيس، وحلف الأزد وبكر وعبد القيس. وبذلك تكتَّلت قبائلها في

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٥٨ وما بعدها.

حلفين كبيرين، وأوغر صدور الحلف الأول كثرة المهاجرين من أزد عمان إلى البصرة. ونرى زياد بن أبيه يستغلّ هذه العصبيات في توطيد سياسته بالبصرة؛ إذ أخذ يضرب القبائل بعضها ببعض، ومعنى ذلك أنَّ البصرة لم تُشْغَل بخصومة شيعية على نحو ما شغلت الكوفة، إنما الذي شغلها حقّا هو الخصومة القبلية وما طوى فيها من عصبيات، وقد كان بها كثيرون من الخَوَارِج، غير أن زيادًا (ت ٥٣ هـ / ٦٧٣ م) أمعن في الضرب على أيديهم. ونراه يختار من أهلها خمسة وعشرين ألفًا ومن أهل الكوفة مثلهم، ويخرجهم بأسرهم إلى غزو خراسان، حتى يتخلص من عناصر الشغب في البلدتين، وتبعه ابنه عبيد الله (ت ٦٧ هـ / ٦٨٦ م) في سياسته من ضرب القبائل بعضها ببعض، والتشديد على الخوارج.



[رسمة – ١٢: خروج بعض القبائل من مواطنها(١)]

ويُتوفَّى يزيد بن معاوية (ت ٦٤ هـ / ٦٨٣ م)، وتضطرب البصرة، ويبايع كثيرون منها ابن الزبير (ت ٧٣ هـ / ٦٩٢ م)، ويضطرّ عبيد الله أن يبرحها إلى دمشق، ويستولي مسعود بن عمرو (ت ٦٤ هـ / ٦٨٤ م) سيد الأزد على قصر الإمارة والمسجد بالقوَّة، يشدّ من أزره قبيلته وبكر وعبد القيس، ويصعد المنبر يخطب في الناس، فتغضب تميم وتهجم عليه مع أحلافها من الأساورة، فتنزله من فوق المنبر وتقتله، وينشب القتال بين الأزد وتميم طلَبًا للثأر، ويتدخَّل الأحنف (ت ٧٢ هـ / ٦٩١ م)، ويستطيع بحنكته أن يعيد السلام بين القبيلتين، نظير دية

(١) رسمة مقرونة بمقال: مدخل إلى الفقه السياسي ..، بموقع "**الجزيرة**"، على الرابط: https://www.aljazeera.net/blogs/

كبيرة يؤديها للأزد هو وقبيلته، ولكن العداوة تستمر متأجِّجة بين الفئتين طوال العصر، وتتبع البصرة ابن الزبير، ويولّي عليها أخاه مصعبًا (ت ٧١ هـ / ٦٩٠ م)، فيحارب المختار الثقفي (ت ٦٧ هـ / ٦٨٧ م) في الكوفة كما أسلفنا، ويقضي عليه قضاء مُبْرمًا، ويحارب الأزارقة، ويوجّه إليهم المهلب (ت ٨٣ هـ / ٧٠٢ م) وغيره من القوَّاد، ويوقعون بهم هزائم عنيفة، وتنشب ثورة صغيرة للزنج، فيجهز عليها، وتعود البصرة إلى الخضوع لبني أمية عقب مقتل مصعب، وهي تغلي بالعصبيات القبلية. ووليها الحجاج الثقفي لأكثر من عشرين عامًا، وفي عهده علا شأن قيس لتعصبه لها، وكان أكبر شخصية بين أبنائها، فجنحت إليه وجنح إليها، وخاصة أنه احتاج تأييدها له في الثورات الصغيرة التي كانت تنشب من حوله مثل ثورة قبيلة عبد القيس بزعامة ابن الجارود وثورة الزنج (٢٥٥ هـ / ٨٦٨م)، وكان طبيعيًّا أن يكون بين أفراد حاشيته كثير منها، وأخذ تعصبه لها يقوى مع الزمن، فإذا هو يعزل أبناء المهلب عن خراسان، ويولي عليها قتيبة ابن مسلم الباهلي (ت ٩٦ هـ / ٧١٥ م)، ونراه يولّى على الجيوش الغازية في الهند محمد بن القاسم الثقفي (ت: نحو ٩٨ هـ / ٧١٧ م). ومعروف أنه كان ينيب عنه في حكم البصرة الحكم بن أيوب الثقفي (ت: نحو ٩٧ هـ / ٧١٥ م)، وولّى على أصبهان خُتُنَه مالك بن أسماء الفزاري (ت: نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م)؛ ومعنى ذلك أن قيسًا قوَّى أمرها في البصرة لعهد الحجاج (ت ٩٥ هـ / ٧١٤ م). ويتوفّى سنة ٩٥ ويتوفّى بعده الوليد بن عبد الملك، ويخلفه سليمان (ت ٩٩ هـ / ٧١٧ م) أخوه، فيولّى على العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب (ت ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م)، فيعظم شأن قبيلة الأزد. وعلى هذا النحو كان يعظم شأن كل قبيلة في البصرة حين يتولاها شخص منها، وكان ذلك يزيد في تنافس قبائلها، واشتعال العصبيات بينها، لما يستتبع من المغانم السياسية في تولِّي الوظائف وغيرها، ووِلِيَ الخلافة عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ / ٧٢٠ م)، فعزل عن البصرة يزيد بن المهلب، وولّى عليها عديّ بن أرطاة الفزاري (ت ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م)، فعادت إلى قيس مكانتها، ويتوفّى عمر ويخلفه يزيد بن عبد الملك (ت ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م)، فيثور عليه يزيد بن المهلب، وتتجمع حول لوائه الأزد وربيعة، بينما تقف تميم وقيس بجانب ابن أرطاة، ويظهر مسلمة بن عبد الملك (ت ١٢٠ هـ

/ ٧٣٨ م) بجيوش الشام على المسرح، ويقضي على ابن المهلب، ويتبع فلول جيشه هلال بن أحوز المازني التميمي (ت: بعد ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م)، فيقضي عليها وعلى من بقي من المَهَالِبَة قضاء مبرمًا. ويولَّى يزيد بن عبد الملك على العراق مسلمة لمدة محدودة؛ إذ سرعان ما ولَّى عليه عمر بن هبيرة الفزاري (ت: نحو ١١٠ هـ / ٧٢٨ م)، وكان يتعصَّب لقيس تعَصُّبًا شديدًا، ولم يثر عليه الأزد وربيعة وحدهما، فقد أثار عليه -أيضًا- تميمًا وشاعرها الفرزدق (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م). ويلي الخلافة هشام ابن عبد الملك، فيعزل ابن هبيرة، ويولّي خالدًا القسري (ت ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) لنحو خمسة عشر عامًا، وكان يتعصَّب لليمن تعصبًا شديدًا، فاضطُرَّ الخليفة آخر الأمر أن يعزله، ويولِّي مكانه يوسف بن عمر الثقفي (ت ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م)، وبذلك رفعت قيس رأسها، وعادت إلى سابق مكانتها. وممن وليها بعده عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (ت ١٣٢ هـ / ٧٥٠م)، وكان آخر ولاتها يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة القَيْسي (ت ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م)»[1].



[رسمة – ١٣: حاكم على المنبر، حُبِّرت لمشهد لاحق في التاريخ الإسلامي بإحدى المخطوطات، أردناها هنا للمناسبة فقط]

(١) شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ج٢، ص١٥٨ وما بعدها.

يضع اليد بعدها على ما خلَّفته تلك الأحداث كلُّها على الشعر، وتنامي بعض الأغراض الشعرية، قائلًا -وهو ما يعنينا كثيرًا هنا-: «نرى من كل ذلك أن البَصْرَة ظلت طوال العصر تعيش للعصبيات القبلية، من ثَمَّ كانت المحور الذي دار عليه شعرها؛ إذ تحوَّل كل شاعر يفخر بقبيلته مصوِّبًا سهام هجائه لمن يعادونها من القبائل، ولم يقف الشعراء عند الخصومات بين الحلفين اللذين تحدثنا عنهما حلف تميم وقيس وحلف الأزد وربيعة، ومن انضم إليهما من القبائل اليمنية، فقد أثاروا ما بين العشائر والبطون من حزازات قديمة، وأضافوها إلى ما تكوّن من حزازات حديثة، بحيث لم تبقَ عشيرة إلا ولها شاعرها أو شعراؤها، الذين يذودون عنها مفاخرين هاجين، واتَّخذ ذلك شكل معارك عنيفة، على نحو ما نعرف عن معركة الهجاء التي نشبت بين جرير والفَرَزْدَق (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م).

ولم تُنَمِّ البَصْرَة شعر الفخر والهجاء وحده، بل نَمَّت -أيضًا- شعر المديح؛ فقد تحوَّل شعراؤها إلى الخلفاء والولاة والقواد والأجْوَاد يمدحونهم، ويأخذون جوائزهم. وقلنا آنفًا إن الخوارج في البصرة كانوا كثيرين، وقد هيَّأت هذه الكثرة لأن يظهر من بينهم غير شاعر، مثل عمران بن حطَّان (ت ٨٤ هـ / ٧٠٣ م)، أمَّا الشيعة فكانوا قليلين، من ثَمَّ لم ينشط الشعر الشيعي بالبصرة، وكأنها تركته للكوفة؛ كي تبلغ منه كل ما كانت تريد من معارضة الدولة والتشيع للبيت العلوي، وبيان حقّه في الخلافة. وإذا كنا لاحظنا في الكوفة أن شعراء كثيرين كانوا يقفون في صفوف بنى أمية ضد معارضيهم من الشيعة، فإنَّ البصرة هي الأخرى كان بها كثير من الشعراء الذين نافحوا عن الحكم الأموي، وعلى رأسهم جرير (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م)»[1].

ويختم بتفاعل العناصر الأجنبية التي عاشت بين ظهرَانَي أهل البصرة مع ذلك المشهد الأدبي العام، وظهور أغراض جديدة -بحكم ما كانت تعيشه من حالة تحضر ورفاه-، قائلًا: «يلقانا بين أعاجم البصرة غير شاعر، وطبيعي أن ينتظموا في صورة الشعر البصري العامة، من الفخر والهجاء والمديح، وممن

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٦٠ وما بعدها.

اشتهروا منهم يزيد بن مفرّغ الحميري (ت ٦٩ هـ / ٦٨٨ م)، ويلقانا -أيضًا- شعراء يتغنون بالخمر، مثل حارثة بن بدر الغداني التميمي (ت ٦٤ هـ / ٦٨٤ م) ، وإن كان من الحق أن موجتها لم تتسع في البصرة اتساعها في الكوفة؛ فقد كانت أكثر وقارًا، من ثمّ فسحت للزهد وشعرائه»[١].

في موضع آخر يعود للحديث عن المؤثرات العامة في الشعر والشعراء، ومما ذكره في جنْبَةِ الامتزاج بالأمم الأجنبية وتعرُّبِها، وأثر ذلك على اللغة والشعر -بمناسبة ما أشير إليه أعلاه-، يقول: «بمجرد أن تمَّت الفتوح أخذ العرب والموالي جميعًا يعيشون حياة مشتركة، حتى في المدن التي اختطها الفاتحون لمعسكراتهم، مثل البصرة والكوفة والفسطاط، فإن العرب اختلطوا فيها وفى غيرها من المدن بالأجانب الذين قدّموا لهم خدماتهم في الحِرَف والتجارة، وغصَّت بهم دورهم وقصورهم؛ إذ استخدموهم في حاجاتهم من جهة، وتزوَّجوا كثيرات من إمائهم من جهة ثانية، على نحو ما هو معروف عن اتخاذهم للسَّراري والجواري. وظهر أثر ذلك في أجيال التابعين منذ جيلهم الأول؛ فقد برز بينهم كثيرون لأمهات أجنبيات، نذكر من بينهم أبناء بنات يَزْدَجَرْد: علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبى طالب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهذا الامتزاج الواسع بالموالي زواجًا وولاءً لم يكن تأثُّر الموالي به أقل من تأثر العرب؛ فقد أخذوا في التعرّب سريعًا، وكانت أقطارهم تتكلَّم لغات مختلفة؛ إذ كان أهل إيران وخراسان يتكلمون الفارسية، وكان أهل العراق يتكلمون الفارسية والنبطية ولغات آرامية مختلفة، ويتكلم أهل الشام الآرامية وغيرها من اللغات السامية، بينما كان أهل مصر يتكلمون القبطية، وأهل المغرب يتكلمون البربرية، وكانت لغة السياسة والثقافة في المغرب والأندلس اللاتينية، وفي مصر والشام اليونانية والسريانية، وفي العراق وإيران السريانية والفارسية»[٢].

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٦١.

(٢) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٦٩.



[رسمة – ١٤: حالة التناغم العرقي، والتمازج بين الطوائف والأجناس المختلفة، في بلاط عبد الرحمن الثالث(١)]

ويتحدث عن التفاعل والمثاقفة الناشئة عن ذلك اللقاء الحضاري مع الأعراق والأجناس المختلفة، وكيف تركت العربية أثرها على أصحاب تلك الألسن، قائلًا: «أخذت هذه اللغات تترك أماكنها من أَلْسِنَة أصحابها لتحُلَّ محلها العربية، غير أن هذا لم يحدث سريعًا بين عشيّة وضحاها؛ فقد أخذ التعرُّب يتدرج شيئًا فشيئًا، وفي أثناء ذلك كانت العربية تتطور صورًا مختلفة من التطور، وكان أول ما أصابها من ذلك أن محيت إلى حدٍّ كبير -بفضل القرآن الكريم ولغته القرشية- فروق اللهجات بين القبائل، فأصبحت لغة القرآن هي اللغة العامة التي يتخاطب بها العرب.. مضريين ويمنيين في كل مكان، وإن ظلت من الماضي آثار هنا وهناك. وأخذ يظهر بسبب الامتزاج بالموالي تطور ثانٍ في لغة التفاهم؛ فإن

(١) المصدر: مقال حول: الشعر في العصر الأموي: نشأته وخصائصه وأغراضه وأبرز شعرائه، موقع «**النجاح**"، على الرابط: https://www.annajah.net/. وأصل الرسمة بموقع متخصص للفنون، على الرابط:
https://fineartamerica.com/featured/the-court-of-abd-ar-rahman-1885-abd-ar-rahman-iii-889-cordoba-dionisio-baixeras-verdaguer-1862-1943.html?product=canvas-print

العرب عمدوا إلى استخدام تعبيرات مبسّطة، حتى يفهم عنهم الموالي، ويلوكوا ما يلفظونه بسهولة، وفي أثناء ذلك كانوا يستعيرون منهم بعض الكلمات الأعجمية، وخاصة في الأطعمة وأدوات الحضارة، وكانوا يعرّبونها، وقد يبقونها على صورتها الأصلية، ويعرض علينا الجاحظ في كتابه **البيان والتبيين** كثيرًا من الكلمات الفارسية التي جرت على ألسنة أهل الكوفة؛ بسبب من عاشوا معهم، وخالطوهم من الفرس؛ فمن ذلك أنهم كانوا يسمّون المسحاة: «بال»، والحوك أو البقلة الحمقاء: «الباذروج»، وملتقى أربع طرق: «جهارسوك»، وكانوا يسمون السوق: «وازار»، والقثّاء: «خيارًا»، والمجذوم «ويذي»، وكانت الفارسية شائعة في البصرة، ويتضح ذلك في دخول مقطع «آن» -الفارسي- على كثير من أسماء القطائع، مثل: «عمران» لعمر بن عبيد الله بن معمر، و«سويدان» لسويد بن منجوف السّدوسي، و«خالدان» لخالد بن أسيد، و«مهلّبان» لآل المهلب. ومما يدل على شيوع الفارسية في البصرة ما يروى من أن يزيد بن مفرّغ حين هجا أسرة عبيد الله بن زياد في ولايته عليها، سقاه نبيذًا، وحمله على دابة في ثياب مُهَلْهَلَة مقرونًا إلى هرّة وخنزير، وأمَرَ أن يُطاف به في الشوارع على هذه الصورة المزرية، فتجمّع حوله الصغار، يسألونه بالفارسية إين جيست؟ أي ما هذا؟ فكان يجيبهم بلسانهم:

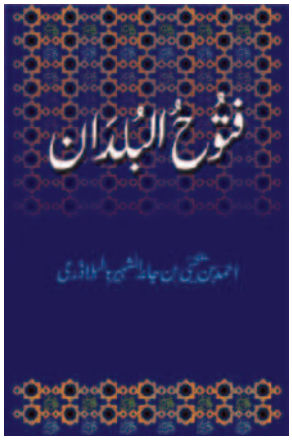
آب است نبيذ است عصارات زبيب است

سميّه روسبى است

واست: من أفعال الكينونة، وآب: ماء. وسمية: أم زياد. وروسبى: الخنزيرة؛ أي هذا ماء ونبيذ وعصارة زبيب، وسمية: الخنزيرة؛ ويريد البغي. ويلاحظ الجاحظ أن تأثير الفارسية سقط إلى داخل الجزيرة في المدينة مع من نزلها من الفرس، ولذلك سمو البطيخ: «الخربز»، والسميط: «الرزدق»، وطعام المصوص -وهو لحم ينقع بالخردل-: «المزور»، والشطرنج: «الإشترنج»، وغير ذلك من الأسماء»[1].

(١) شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ج٢، ص١٧٠.

في الجانب الحضاري، وفيما يخص البصرة -على وجه الدقة- يقول: «إذا ولّينا وجوهنا نحو البصرة والكوفة وجدنا العرب هناك يتحضرون تحضرًا واسعًا، رغم احتفاظهم بعصبياتهم القبلية؛ إذ ساكنوا الفرس وبقايا الآراميين وخالطوهم، وتحوَّلت إليهم كنوز العراق وإيران وما كانوا يفتحونه من خراسان، حتى كان يقسم للفارس الواحد في بعض الغزوات ثلاثون ألفًا من الذهب، ومن يرجع إلى ما كتبه البلاذري (ت٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) في **فتوح البلدان** عن تمصير الكوفة والبصرة تهوله كثرة القطائع التي تملّكها الناس هناك من عرب وموالٍ، أمثال مسمار، مولى زياد، وفيروز حصين، وحسَّان النبطي، وكانت الحمامات تدرُّ في البَصْرَة لهذا العصر أموالًا كثيرة، حتى لَيُرْوَى أن بعضها كان يغلُّ يوميًّا ألف درهم، ولم يكن يتملكها العرب وحدهم، بل كان يتملكها -أيضًا- الموالي. ومما يذكره البَلاذُري من حماماتهم: حمام أعين مولى سعد بن أبي وقاص، وحمام فيل مولى زياد، وحمام سباه الأسواري، ونرى العرب والموالي جميعًا يتنافسون بالبصرة في بناء القصور الفخمة، ويذكر البلاذري منها: قصر زربي مولى عبد الله بن عامر، وقصر أبي نافع مولى عبد الرحمن بن أبي بكرة، وقصر ابن الأصبهاني، وقصر شِيرويهِ الأسْوَارِي، الذي سمّي «هزار در»؛ لأنه اتَّخذ فيه ألف باب، ومما يدلّ على مبلغ التأنق في بناء هذه القصور ما يروى عن بعض التميميين بالبصرة من أنه طلب إلى معاوية أن يعينه في بناء داره باثني عشر ألف جذع، وكذلك ما يروى من أن عبيد الله بن زياد أنفق على داره هناك التي سمَّاها البيضاء ألف ألف درهم، وأنه ملأها بالرِّيَاش والطَّنَافِس، وزخرف حيطانها بتصاوير الحيوانات، وفي نصوص كثيرة أنهم كانوا يحيطون قصورهم بالحدائق والبساتين، وتبع ذلك كلّه الرَّفه والترف في المطعم والملبس، حتى لنرى نفرًا من الأتقياء يلبس الديباج والقلانس، ونراهم يكنُّون عن هذا التحول في حياتهم بأنهم طعموا الْجَرْدَق، ولبسوا النِّمْرِق، وكانت الثياب والأطعمة، تحمل إليهم من البلدان القريبة والبعيدة، ويروى عن الحجاج أنه كتب إلى عامل



لـه بفـارس: (ابعث إلـى بعسل من عسل خُـلَّار، من النّحل الأبكار، من الدِّسْتَفْشَار، الـذي لـم تمسَّـهُ النَّـار). وممَّـا يصـور هـذا الرَّفَـه فـي العيـش والتنعُّم، مـا يُـرْوَى مـن أن عبيـد الله بـن زيـاد هيَّـأ لأبيـه حيـن تُوفِّـي ستين ثوبًـا ليكفنـه فيهـا، فلـم يعـد الثـوب ولا الثوبان ولا الثياب القليلة تكفي الكفن الواحد.

وطبيعـي أنْ يُعْنَـوا فـي تضاعيـف هـذه الحيـاة الرَّغِـدة بكثيـر مـن أسـباب اللهـو، كسـباق الخيـل، والصيـد، والقنـص، ولعبتـي الشـطرنج والنـرد، وسـنرى أن كثيريـن تورَّطـوا فـي إثـم الخمـر، وقـد أخـذت الكوفـة تُعْنَـى بالغنـاء، ولـم تكتـفِ بمـن نشـأوا فيهـا، مـن أمثـال: حُنَيْـن الحِيـريّ، وأحمـد النَّصبـي، فقـد أخـذت تسـتقدم المغنيـن والمغنيـات مـن الحجـاز، وتفتـح لهـم دورًا يختلـف إليهـا النـاس، كـدار ابـن رَامِيـن، وسـقط هـؤلاء المغنـون إلـى كل بلـد عربـي؛ إذ نجـد فـي الفسـطاط ابـن أبْجَـر مغنـي المدينـة، ونَعِـمَ العـربُ فـي خراسـان بكثـرة مـا أصابـوا مـن الأمـوال وفيـئ الغنائـم، وفـي كتـب التاريـخ والأدب أخبـار مـن ذلـك تـكاد تشـبه الأسـاطير»[1]. واسـتطرد كثيـرًا فـي الحديـث حـول الكثيـر مـن وجـوه التقـدم الحضـاري، ومظاهـره فـي ذلـك الوقـت، ممـا يخـرج بنـا عـن المقصـود.

وأفـرد للثقافـة -أيضًـا- عنوانًـا آخـر، أسْـهَبَ الـكلام فيـه كثيـرًا، وأكَّـد أن العقـل العربـي دُعِـم بمـواد ثقافيـة كثيـرة، وهـو دعـم نجـد آثـاره -كمـا يقـول- فـي ازدهـار العلـوم الإسـلامية الخالصـة: علـوم الفقـه والتفسـير والحديـث؛ إذ نجـد هـذه الآثـار فـي كثـرة المناظـرات التـي نشـبت بيـن الآراء المختلفـة، فـي السياسـة والدِّيـن وغيـر السِّياسـة والدِّيـن[2]. وحـول ظاهـرة السِّـجال الفكـري والعقـدي يقـول: «إذا انتقلنـا مـن السياسـة إلـى الديـن وجدنـا الفقهـاء يتجادلـون طويـلًا فـي مسـائلهم الفقهيـة بيـن أيـدي الخلفـاء وفـى مجالسـهم العامـة والخاصـة، وتـروى مـن ذلـك مناظـرة بيـن قتـادة والزّهـري فـي مجلـس سـليمان بـن عبـد الملـك، وأخـرى بيـن ابـن شُـبْرُمَة وإيـاس بـن معاويـة، تنـاولا فيهـا نحـو سـبعين مسـألة. ويُـرْوَى أنَّ الشّـعبي الكوفـي كان يجلـس فـي مجالسـه، وحولـه تلاميـذه يناظرونـه، وقـد كثـرت هـذه المناظـرات حتـى نشـأ

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٩٦ وما بعدها.

(٢) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٠٣.

عنها علم الاختلاف؛ أي اختلاف الفقهاء، وكان أيوب السّختياني (ت ١٣١ هـ / ٧٤٨ م) يقول: (لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف)، وأدَّاهم ذلك إلى تحكيم العقل في آرائهم، والتدقيق في مسالك أدلتهم، حتى نشأ بينهم من سُمُّوا أهل الرأي؛ لغلبة القياس على فقههم. وقد تجادلوا طويلًا في مسائل العقيدة، وسرعان ما أخذ علم الكلام في الظهور، وتكونت فيه مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمعتزلة، وكان من أهم المسائل التي أثيرت بينهم مسألة حرية الإرادة، وهل الإنسان حرٌّ مختار في أفعاله، أو هو مجبر مسيّر؟ ووقف القدرية وعلى رأسهم الحسن البصري (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) يدافعون عن الرأي الأول؛ إذ لو كان الإنسان مُسيَّرًا بقضاء لازم وقدر محتوم لبطل الثواب والعقاب، وسقط وعد الله ووعيده، واصطفّ أمام القدرية أصحاب مذهب الجبر، يناضلون عن مذهبهم، وأن كل شيء بقضاء وقدر، وكان هذا المذهب يرضي الأمويين؛ لأنه يصرف الناس عن التفكير في ولايتهم وتدبيرهم لشئونهم، مؤمنين بأن خلافتهم قدر مقدور، يجب عليهم التسليم به، من ثم نرى شعراءهم يردِّدون هذه الفكرة طويلًا، على شاكلة قول جرير (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) يمدح عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ / ٧٠٥ م):

اللهُ طوَّقَكَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَى وَاللهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلُ

وانبثقت من هذا المذهب ومذهب القدرية شعبة المرجئة، فكان هناك جبرية مرجئة وقدرية مرجئة، وكانوا يرون الفصل بين الإيمان والعمل؛ فالمؤمن مسلم وإن لم يؤدّ الفروض الدينية؛ إذ المعوّل في الإيمان على التصديق بالقلب، وكانوا يرون -أيضًا- إرجاء الحكم على أعمال الناس وتركه إلى الله -جلّ جلاله-، من ثمّ رأوا إرجاء الحكم في أمر علي وعثمان ومعاوية حتى يحكم الله بينهم. وجعلهم ذلك يصطدمون بالدولة؛ لما تنتهي إليه دعوتهم من تعطيل أحكام الدين وأوامره ونواهيه، ويلقانا منهم أبو رُؤْبَة سنة ١٠٢ هـ في نفر من أصحابه يحارب مع يزيد ابن المُهَلَّب في ثورته على الأمويين، وفي أخبار عمر بن عبد العزيز أنه طلب أئمتهم في الكوفة من أمثال عَوْن بن عبد الله بن عُتْبَة الهُذلي، وناظرهم في آرائهم، ونرى عونًا يرجع من عنده، فيبرأ منهم، وينضم إلى الشيعة، مُصوِّرا ذلك في أبيات تنسب إليه، تجري على هذا النمط:

وَأَوَّلُ مَـا نُفَـارِقُ غَيْـرَ شَـــكٍّ نُفَـارِقُ مَـا يَقُـولُ الْمُرْجِـئُونَا
وَقَالُـوا مُؤْمِـنٌ مِـنْ أَهْـلِ جَـوْرٍ وَلَيْـسَ الْمُؤمِنُـونَ بِجَـائِرِينا
وَقَالُـوا مُؤْمِـنٌ دَمُـهُ حَـــلالٌ وَقَـدْ حَرُمَـتْ دِمَـاءُ المُسْـلِمِينَا

وواضح أنه يصف المرجئة بأنهم يستحلُّون دماء المسلمين، مما كان سببًا في تعَقُّبِ الأمويين لهم، وقتلهم أحيانًا على نحو قتل هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م) لغيلان الدمشقي (ت: بعد ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م). ولم يعرف هذا المذهب في العراق والشام فحسب؛ فقد كان له أنصار في خراسان، ومن قدماء أنصاره هناك ثابت قطنة (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م)، وهو من مرجئة الجبرية، وله قصيدة طويلة يصور فيها عقيدته، يقول في تضاعيفها:

المسلمونَ على الإسلامِ كلُّهـــمُ والمشركون أشَتُّوا دينَهُمْ قـــددًا
ولا أرى أنَّ ذنبًـا بالـغٌ أحـــدًا مِ النـاسِ شِرْكًا إذا مَا وَحَّدُوا الصَّمَدًا
ومَـا قَضَـى اللهُ مِـنْ أمْـرٍ فليسَ لـهُ رَدٌّ ومـا يَقْضِ مِنْ شيءٍ يَكُنْ رَشَـدًا
كلُّ الخـوارجِ مُخْـطٍ فـي مقالتـهِ ولـو تعبَّـدَ فيمـا قـال واجتهـــدا
أمَّـا علـيٌّ وعثمـان فإنهـــما عبـدانِ لـم يُشْـرِكا بـاللهِ مـذْ عَـــبَدَا

ويتوفَّى ثابت، ويظهر هناك جهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م) أحد رؤوس الإرجاء، ويضع يده في يد الحارث بن سريج (ت ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م)، ويشعلان ثورة عنيفة على الأمويين، ويقضى عليها بعد صراع مرير»[1]. ثم يُفْرِد مساحة سلَّط الضوء فيها على الاعتزال، الذي كانت البصرة -كما يُعلم- فضاء له؛ وهو يُؤكِّد ما نُقِل من أن العقل البصري كان عقلًا عبقريًّا، وأن التفكير والتحرر من شرنقة التقليد مكّنته من الولوج إلى عوالم فكرية غير مسبوقة. ليخلص بعد مناقشة مُسْتفِيضَة إلى هذه الخلاصة: «إنَّ العقل العربي في عصر بني أمية أمدَّته روافد كثيرة، دعمته دعمًا، مما كان له آثار بعيدة في أشعار الشعراء؛ إذ كانوا مندمجين في الفرق السياسية والعقيدية وما نشب بينها من مجادلات، ويسوق الرواة من ذلك مجادلة بين ذي الرّمّة ورؤبة في القدر، وكان أولهما قدريًّا، وثانيهما جبريًّا، وبتأثير هذه المجادلات تحوّل جرير والفرزدق يتجادلان جدالًا

(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٠٣ وما بعدها.

عنيفًا في عشيرتيهما من جهة، وفي قيس وتميم من جهة ثانية، على نحو ما هو معروف في نقائضهما، وكأنهما يتحوَّلان بشعر الهجاء والعصبيات القديم إلى ما يشبه مقالات أهل النّحل. وكلُّ ذلك من آثار هذا التطور الذي أصاب العقل العربي، والذي جعله يندفع في البحث والمناظرة والتدرب على جمع البراهين والأدلة في أي موضوع يعرض له. وكان من ثمار هذا التطور -أيضًا- أن رأينا بعض الشعراء يسعى بشعره إلى غاية تعليمية؛ إذ أخذ بعض الشعراء المعلمين من أمثال الكُمَيْتِ والطِّرِمَّاح يحشدون في أشعارهم أوابد اللغة وشواردها، ليعينوا الناشئة على معرفتها، ولم يلبث الرّجّاز -وعلى رأسهم العَجَّاج ورُؤْبَة- أن قدَّموا من ذلك مادة وفيرة للناشئة، ولعلماء اللغة»[1].

وإلى جانب المدرستين الكلاميتين: مدرسة المعتزلة ومدرسة أهل السنة، اللتين قسَّمتا الناس فئتين -كما يقول دارس **المعارف** لابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩م)- كانت تقوم مدرستان أُخْرَيَانِ، لا في علم الكلام، ولكن في شيء آخر أهون، لا يثير خلافًا، ولا يجر أذًى في الأنفس، ولا ضررا للأبدان؛ هما: مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، اللتان اشتغلتا بالنحو، وكان لكل مدرسة من هاتين المدرستين رأيها في النحو، ولكل رأي أتباعه وأشياعه، وكانت مدرسة البصرة هي المدرسة الأولى، وعلى رأسها: أبو الأسود، وابن أبي إسحاق الحضرميّ، وعيسى بن عمر الثقفي، وهارون بن موسى، ثم جاء الكوفيون من بعدهم، فقلَّدوهم في شيء، وخالفوهم في شيء، وقامت المناظرة بين البلدين، وصار لكل منهما مذهب، وعلى الرغم من تقدم مدرسة البصرة وسبقها، فقد ظهرت عليها مدرسة الكوفة؛ وذلك لمناصرة خلفاء بغداد لهم، وتفضيل أساتذة هذه المدرسة الكوفية على أساتذة تلك المدرسة البصرية، فلقد اختار هؤلاء الخلفاء لأولادهم: الكسائي، والفراء، والمفضل الضبيّ، والشرقي بن القطامي، وكلهم من المدرسة الكوفية،



(١) شوقي ضيف، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٠٧.

ولقد رأينا المأمون يتحامل على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه والكسائي، هذا إلى أنه لما عمرت «بغداد» توافد الناس إليها من كل حدب وصوب؛ فريق يطلب الكسب، وفريق تستهويه الحياة العلمية والفكرية، وفريق يطلب حياة الترف، فإذا «بغداد» معترك يشارك فيه إلى جانب العربيّ: الفارسي، والرومي، والنّبطي، والتركي، والصيني، والهندي، والبربري، والزنجي. وفيهم: المسلم، والنصراني، واليهودي، والصَّابئي، والسَّامري، والمجوسي، والبوذي، وغيرهم، وهؤلاء لا شكَّ قد حملوا إلى «بغداد» ألوانًا من الفكر والثقافة، سرعان ما انتفعت بها «بغداد»، وأثرت فيها، وصحبت هذا رغبة الخلفاء في نقل العلوم والفنون إلى اللغة العربية، فبدأ «المنصور» يعتني بنقل كتب النجوم والطب، ويجيء «الرشيد» فينقل في أيامه كتاب المجسطي. ثم يظل عصر «المأمون» فتتسع حركة النقل في أيامه.

وكان أكثر هؤلاء النقلة من السريان النَّسَاطِرة؛ لأنهم كانوا أقدر على الترجمة من اليونانية، وكان أشهرهم: آل بَخْتَيشُوع، وآل حُنَيْن، وقُسْطا بن لُوقَا، وغيرهم، وكان أشهر النَّقَلَة من الفارسية إلى العربية: ابن المقفع، والفضل بن نُوبَخْت، وموسى ويوسف: ابنا خالد، وكثير غيرهم، ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية): مَنْكَة الهندي، وابن دُهْن، ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية): ابن وَحْشِيَّة، نقل كتبًا كثيرة، أهمُّها: كتاب الفلاحة النبطية، ولقد بلغ عدد الكتب التي نقلت في تلك الحقبة القصيرة بضع مئات[1].

والآن دعونا نتقدَّم قليلًا لنضع اليد على الأدب في البصرة، وسنستعرض ذلك من خلال ما كتب حول الموضوع، على أنني سأقتصر على الشعر فحسب؛ لأنَّ التوسُّع في كافة الأجناس الأدبية مما هو مُحْوِجٌ إلى مساحة كبيرة جدًّا، لا يتسع لها هذا العمل، وأحيل هنا إلى ما يقوله الدكتور أحمد كمال زكي (معاصر)، في كتابه **الحياة الأدبية في البصرة**: «أستطيع أنْ أُقَرِّر أنَّ البَصْرَة ينبغي أن تكون مركز تجمع للشعر الجاهلي؛ فتميم رأس قبائل المصر مُتَعصِّبة للقديم، والمربد يُغْرِي الأعراب بحياة تشبه حياة بواديهم وأسواقهم الأصلية، والرواة الذين اشتغلوا

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **المعارف**، ص٥٤.

بجمع الشعر ما فتئوا يبحثون عما يُوَاكب حركة الاهتمام المبكرة باللغة، وكثير من الشعراء الجاهليين استقروا في المدينة استقرارَ مَنْ لا يجد فرْقًا بين حياته الجديدة وحياته القديمة، كل هذا يجب أن يحفظ للشعر الذي دوَّت به البصرة في مطالع حياته الإسلامية أُطُرَه الأصيلة، وموضوعاته التقليدية، ولغته وليدة البيئة الجاهلية. من ثَمَّ يكون من العبث أن أدَّعي تطوُّرًا أصاب القصيدة العربية في فجر الحياة الإسلامية بالبصرة. كان النَّمِر بن تَوْلَب مثلًا أحد الشعراء الأولين الذين عرفوا بالفصاحة، وقد فتنه المربد، فهاجر إلى البصرة كبير السِّن، لا يقول الشعر، فيما تعود الشعراء أن يقولوه مدحًا وهجاء، وإنما قصره على زوجته التي فرَّت منه إلى أهلها، وكانت أسيرة بعد معاشرة طويلة، على أنه لم يعش طويلا في البصرة، وقيل مات أيام عمر، فماذا أزعم لهذا الشاعر من أثر في المصر الجديد لا شيء أكثر مما أزعمه لعتيبة بن مرداس الذي مدح ابن عباس، فلم يُجِزْهُ، والذي قال عنه أبو الفرج: شاعر مُقِلٌّ غير معدود في الفحول، أو المخبل أبو يزيد الذي عاش معظم حياته في الجاهلية، وهاجر إلى البصرة، فظل فيها إلى أن مات في خلافة عثمان، على أننا نرى أحيانًا إزاء هذه الفئة من الشعراء آخرين، صاغوا في حياتهم الجديدة بالبصرة قصيدًا لم يختلف عن قصيدة الجاهليين، من هؤلاء أبُو الأَسْوَد الدُّؤْلِي، وحَارِث بن بَدْر، ومَالِك بن الرَّيْب، وإن يكن ثمَّة من لوَّنَ شعره أحيانًا بمظاهر الحياة الجديدة، كابن مُفَرِّغ، والحُصَيْن بن المُنْذِر، ولكن الجميع كانوا جاهلين في أكثر فَنِّهم -تفكيرًا وديباجة-؛ فأمَّا أبو الأسْوَد فهو يُمثِّل اتجاهًا سياسيًّا عَدَّهُ غريبًا من أوَّل الأمر في المصر؛ فهو شيعي مع أن مُضَري، واتجاهه الشيعي يُحدِّد موقف تميم منه نهائيًّا، وهذا يُفسِّر عداء البصريين له، وتعصُّب الأمويين ضده، ويُصوِّر أبو الفرج هذا الشاعر تصويرًا أسطوريًّا؛ فهو تابعي فقيه محدث كاتب بخيل فارس داهية شريف أصلع، ويحفظ لنا أشعاره التي يتشيَّع بها، ويهجو فيها زياد بن أبيه. هذا الشاعر سواء كان منصرفًا إلى المُنَافَحَة عن موقفه السياسي أم إلى شؤونه اليومية، يُعْطي نمطًا لا يختلف في شيء عن أنماط الجاهليين، فثمَّة فصاحة تسم ألفاظه، ومتانة تميز عباراته، وإحساس قوي باللغة، كان لا شك من الأسباب التي جعلته أحد الذين يسهمون في وضع أسس نحو، ولنسمعه على أية

حـال يقـول:

وَأَهْـوجَ مِلْحَـاحٍ تَصَامَمْـتُ قِيلَـــهُ ... أنَ اسْـمَعَهُ وَمَـا بِسَـمْعِيَ مِــنْ بـاسِ
ولـوْ شئتُ قَدْ أعْرَضْتُ حتَّـى أصِيبَهُ ... عَلَـى أنْفِـهِ حَـدْبَاءَ تَعْضــلُ بالآسـي
فـإنَّ لِسَـانِي لَيْـسَ أهْـوَنَ وَقْعَـــةً ... وَأصْغَـرَ آثـارًا مِـنَ النَّحْـتِ بالفَـاسِ

ويقول:

لَعَمْـرِي لَقَدْ أفْشَـيْتُ يومًـا فَخَانَنِـــي ... إلـى بعْـضِ مَـنْ لَـمْ أخْـشَ سِـرًّا مُمَنَّعا
فمَزَّقـه مَـزْقَ الْعَمَـى وَهْـوَ غَافِـــلٌ ... وَنَـادَى بِمَـا أخْفَيْـت مِنْـهُ فَأَسْمَـــعَا

ويقول في أحد الهذليين -ويدعى أبا الجَارُود-:

أبْلِـغْ أبَـا الجَـارُودِ عَنِّـي رِسَالَـــةً ... يَـرُوحُ بِهَـا الْغَـادِي لِرَبْعِـكَ أوْ يَغْـدُو
فيُخْبِرنـا مَـا بَـالُ صَرْمِـكَ بَعْدَمَـــا ... رَضِيتَ وَمـا غَيَّـرتَ مِـنْ خُلُـقٍ بَعْدُ
لَئِـنْ كُنْـت قَـدْ أزْمَعْـت بِالصَّـرْمِ بَيْنَنَـا ... لَقَـدْ جَعَلَـتْ أشْـرَاطُ أوَّلِـهِ تَبْـــدُو
فإنِّـي إذَا مَـا صَاحِـبٌ رَثَّ وَصْلُـــهُ ... وَأَعْـرَضَ عَنِّـي قَـلَّ مِنِّـي لَـهُ الوَجْـدُ

ومـن المؤكـد أن روح تلـك الأبيـات جميعًـا تـدل علـى أنهـا إسـلامية، فديباجتهـا تمسـح عليهـا دماثـة عذبـة، إلا أن الصياغـة بمتانتهـا تربطهـا بذلـك الشـعر الـذي ألفتـه الجاهليـة؛ فالعبـارات موجـزة لا حشـو فيهـا، والكلمـات فصيحـة ذات رنيـن قـوي، وأمثـال: (ملحـاح، وتصاممـت، وحدبـاء، ولعمـري، ومـزق، وصرمـك، ورث) ممـا يبنـي بنـاء قديمًـا.. ممـا يصـوغ صياغـة عتيقـة.. ممـا يـدل علـى صنعـة محكمـة، قوامهـا مراسـيم تقليديـة، وتراكيـب ترتبـط بنمـاذج متداولـة منـذ بعيـد. مبنـى الشـعر إذن عنـد أبـي الأسـود قديـم، وهـو كذلـك حتـى فـي تلـك القصائـد والمقطعـات التـي يُصـوِّر بهـا مـا يعـرض لـه مـن أسـباب معيشـية مختلفـة، وقـد نـرى آيـات ذلـك حيـن نأخـذ أنفسـنا بمناقشـة المحتـوى بعـد قليـل، فـإن اخترنـا بعـد أبـي الأسـود شـاعرًا آخـر لا نـكاد نحـسُّ خلافًـا فـي الصياغـة، بـل سـنجد هـذا الطابـع الجاهلـي الـذي يطبـع شـعر الأوليـن عـادة، وأمامنـا مالـك بـن الريـب مثـلًا فرديًّـا ثانيًـا، وقـد نسـتطيع أن نكتفـي بمـا يُـرْوَى عنـه أنـه وُلِـدَ ونشـأ فـي باديـة بنـي تميـم بالبصـرة، إلا أنَّ مـن تمـام الفائـدة أن نقـرأ لـه معًـا تلـك الأبيـات التاليـة، التـي يرويهـا لنـا أبـو الفَـرَج (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٧م):

تألّى حَلْفَةً فِي غَيْرِ جُرْمٍ أميري حارثٌ شَبَهُ الضِّرَارِ
علَيَّ لأجلدنْ فِي غَيْرِ جُرْمٍ وَلا أدْنَى فَيَنْفَعُنِي اعْتِذَارِي
وَعَنْسٍ ذَاتِ مُعْجَمَةٍ أَمُونٍ عَلَنْدَاةٍ مُوَثَّقَةِ القِفَارِ
تزيفُ إلَى تَوَاهَقَتِ المَطَايَا كمَا زَافَ المُشَرِّف لِلْخِطَارِ
وإنْ ضَرَبتْ بِلِحْيَيْهَا وَعَامَتْ تَفَصَّمُ عَنْهُما حلقُ السِّفَارِ

والأبيات بعض قصيدة أنشدها مالك (ت: نحو ٦٠ هـ / ٦٨٠ م)، وقد توعَّده أحد عمال الدولة بالموت بعد أن أفشى سره؛ فقد كان لصًّا يعتدي على الناس، بعصابة كونها مع شُظَاظ التَّمِيمي، وأبي حَرْدَبَة المازني، وغُوَيْث الحنظلي، وهي نمط استوى له كل ما تهيأ للقصيدة الجاهلية من الفصاحة، وغرابة، وتقاليد، وتتَّحد ألفاظها وأساليبها في إطار بدوي، لا يمكن فصله عن أي إطار قديم، مبرأ من التكلف، مُنَزَّه عن الاختلال. والواقع أنَّا نطيل -بغير غناء- لو أننا بسطنا في ذلك غير ذلك، وشعراء هذه الحقبة حتى يزيد بن مُفَرِّغ قادرون على الكلمة، مدربون على تنقيح عبارتهم، وهم في تصفية أساليبهم يثبتون دائمًا أنهم تعودوا حذف فضول الكلام، وألفوا إسقاط مشتركات الكلمات، وبألفاظهم المؤنقة المتسقة بإيقاعاتها المتناسبة الفخمة في البيت، لا يقدمون صورة معقدة ولا خيالًا مبهم المعالم؛ فأبو الأسود الدؤلي لا يكاد يقدم في كل شعره -وما سقت بعض دليل- صورا لافتة، بل هو لا يستعين بالصورة استعانته بتقريرية التعبير، وإن قدم شيئا منها قدمه في سذاجة، وفي أسلوب جاهلي معروف يقول في حبه لآل علي:

هَوًى أعْطَيْتُهُ لمَّا اسْتَدَارَتْ رَحَى الإسْلامِ لَمْ يَعْدلْ سَوِيَا

ويقول مُتحسِّرًا على الشباب:

أفْنَى الشَّبَابَ الَّذي فَارَقت جِدَّتَهُ كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ

وأما مَالِك فكلٌّ تخطيط صوره قديم، ووصفه للنُّوق لا يخرج عن وصف الأولين، ويتَّسع هذا الحكم فيشمل غيره هو، وغير أبي الأسود (ت ٦٩ هـ / ٦٨٨ م)، وإذا مقدرة الجميع على خلق المثل الجاهلي في أداته وفي صورته وفي إيقاعه الموسيقي، تبلغ حدًّا يرضي أصحاب القديم، بل بلغ هذا الرضا أقصاه

حين ألَحُّوا على الصور اللفظية التي وقعت كثيرًا في شعر الأولين؛ فأبو الأسْوَد يقول:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي حُصَيْنًا رِسَالَةً فَإِنَّك قَدْ قَطَّعْت أَخْرَى خِلَالكَا

ويقول:

أَ فَاطِمُ مَهْلًا بَعْدَ هَذَا التَّعَبُّسِ وإِنْ كَانَ مِنْكَ الجِدُّ فالصَّرْم مُوئِسِي

ومالك بن الرَّيْب يقول:

إِذَا مَا حَالَ رَوْضُ رَبابِ دُونِي وَتَثْلِيثٌ فَشَأْنُك بِالْبكَارِ

وأبو حزَاب الَّذي يوصف بالفصاحة يقول:

ألا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بنَ حَرْبٍ مُغَلْغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ اليَمَانِي

فمن تلك الأبيات تطلُّ هذه الصور اللفظية التي اعتدنا أن نراها عند الجاهليين؛ فالأداة الاستفتاحية (ألا)، والفعل والالتفات في استعمال الضمائر؛ كما نرى في البيتين الأول والثالث، وبناء البيت الثاني على نسق بيت امرئ القيس (ت: نحو ٨٠ ق هـ / ٥٤٥م):

أ فاطمُ مَهْلًا بَعْض هَذا التَّدلُّلِ فإنْ كنتِ قدْ أزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

كل ذلك يؤكد العلاقة القويَّة بين بيت الشعر الإسلامي وبيت الشعر الجاهلي، وهذه العلاقة لا تنبتُّ بوجود شاعر كابن مفرغ، أصاب شعره ضعف النسيج اللغوي باستعماله لغة العامة في شعره، بل لقد قال شعرًا بالفارسية حين طيف به في أزقة البصرة مخمورًا، والأطفال يصيحون من ورائه على ما رأى زياد بن أبيه في معاقبته:

آبست نبيذ آست عصارة زبيبست سمية روسفيدست

ومع ذلك فَلَدَى هذا الشاعر مقطَّعات وقصائد ليست دون شعر زملائه قوَّة وبيانًا، وقد أعجب بها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩م)، فسجَّلها في كتابه **الشعر والشعراء**.

من كل ذلك نرى أن الصورة العامة للشعر العربي في البصرة حتى هذه المرحلة من التاريخ كانت صورة قديمة، جهد صاحبها أن يجعل التراث الجاهلي

مثـلًا، ممـا يـدل علـى أنـه كان يُطِيـل النظـر فـي هـذا التـراث، وبيـت امـرئ القيـس الـذي سـلخه أبـو الأسْـوَد إيَّـاه شـاهد، وقولـه فـي هـذا الشـطر: (أغـرَّك مِنْهَـا أنْ نَحَـرْتَ حِوَارهـا)، يشـبه قـول امـرئ القيـس -صياغـة وإيقاعًـا-: (أغـرَّك منـي أنَّ حُبَّـك قاتلي)، فيكـون ذلـك شـاهدًا آخـر، فـلا غـرو بعـد أن نفهـم سـر قولـه فـي تنقيـح شـعره:

فَكَـمْ شَـاعِرٍ أرْدَاهُ أنْ قَـالَ قَائِـلٌ ... لَـهُ فِـي اعْتِـرَاضِ الْقَوْلِ إنَّـك شَاعِـرُ
عَطَفْـت عَلَيْـهِ عَطْفَـةً فَتَرَكْـتُهُ ... لِمَـا كَانَ يَرْضَـى قَبْلَهَـا وَهْـوَ حَاقِـرُ
بِقَافِيَـةٍ حَـذَّاء سَـهْلٌ رَوِيُّهَـا ... وللقـولِ أبـوابٌ تُـرَى وَمَحَاضِـرُ

غيـر أن هـذا الالتـزام الشـكلي ومـا صاحبـه مـن تقليـد لـم ينحـرف بالشـاعر عـن حيـاة عصـره؛ فعبَّـرَ شـعره عـن كثيـر مـن مضطـرب فيـه»[1]، واسـتمر المؤلـف فـي التمثيـل علـى ذلـك، ومناقشـة المحتـوى، وتعـرَّض للشـعر الـذي هاجـم بـه شـعراء ذلـك الوقـت السـلطة الحاكمـة، ثـمَّ تحـدَّث عـن الصـورة المقابلـة للزُّهـد.. عـن الإسـراف علـى النفـس والمجـون، وشـرب الخمـر، واللهـو، ومثَّـل علـى ذلـك؛ بمـا يكشـف الجانـب السَّـيِّء للْمِصْـر؛ حيـث الخمريـات لكثرتهـا حملـت بعـض الأدبـاء علـى رصدهـا وتتبعهـا، كمـا فعـل صاحـب **الأغانـي** وغيـره، وختـم كلامـه بـأن شـعر هـذه الفتـرة يرسـم صـورة صادقـة للحيـاة، بخيرهـا وشـرِّها، أصـاب أصحابهـا أم أخطـأوا، قـارّة كانـت هادئـة أم مضطربـة.



[رسمة – ١٥: مجلس مجون وطرب، ضمن إحدى المخطوطات القديمة]

(١) د. أحمد كمال زكي، **الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري**، ص٢٥٨.

ينتقل بعدها إلى عصر الفحول، فيقول: «الكلام عن الفحول يقصد به أربعة، أولهم: جرير ثم الفرزدق فذو الرمة والراعي وغيرهم، كان يسير في الركاب تابعًا، وربما كان ثمَّة من حاول الالتحام في المعركة التي نشبت بين عملاقي تميم فأخْمِل، كمُرَّة بن مُحْكَان التميمي (ت ٧٠ هـ / ٦٩٠ م)، الذي مثَّل في عصره شعر البداوة، وربما كان ثمَّة من شرُف بالانتساب فقط إلى العصر، كالعَدِيل بن [الفَرْخ] (ت: نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م)، الذي ينتمي إلى فرع رِبْعِي، والذي صادق الفَرَزْدق فرثاه حين مات، وما أظن أن يتَّسع هذا المجال لدراسة كل شعر هؤلاء؛ فإن مناقشة نقائض جَرِير والْفَرَزْدَق وحدهما تستطيع أنْ تملأ أكثر من كتاب كهذا الكتاب، فما بَالُنَا بقصيد غيرهما، لهذا كان من الضروري أن نمرُّ عَجِلين، ونقف عند المعالم الكبرى، ثم نقول بعد ذلك إنَّ شعر الفحول كان تقليديًّا بكل ما في التقليد من فعالية، وهم حاولوا -بحقٍ- الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظهم، حتى حصلوا على التوعير والإغراب، ومنهم كالفرزدق من تعسَّفَ ما قدر، وتغلغل في التعصُّب ما استطاع، حتى أرضى عنه العلماء، فكان شاعر الخاصَّة الذي لا يعنيه إلا الأسلوب الفخم والعبارة القويَّة واللفظ الغريبة، ولقد أرصد لذلك كله من الحمل على القريحة ما صار به شعره بعيدًا عن القلب، قريبًا إلى العقل، وربما لو قيس به شعر جرير -وقد ترقق فيه- تبيَّن فيه اللين، حتى ليظنُّه بعضنا ضعفًا، وحتى ليجمع القوم على أنه نزل به إلى العامة، فكان شاعرهم، ولا تعنينا المقارنة الآن، فغاية ما نريد أن نذكر أن الحقبة التي أطلق عليها عصر النقائض كانت تمثل المدرسيَّة تمثيلًا صادقًا؛ بحيث يمكن بسهولة أن نضع وراء كل شاعر جاهليًّا رحل! وقد افتخر الفحول أنفسهم بتلمذتهم على قدماء، فدلَّلوا على أنهم كانوا ذوي بصر بالقديم والروايات التي تُحدِّد ملامح تلك التلمذة الواعية موفورة، بل ربما قرَّرت أنَّهم كانوا يستفتون في أقدار الأولين، فأحد أعقاب جرير يقول: قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: من أشعر الناس؟ قال: فقال: ابن العشرين (يعني طرفة)، قال: فما رأيك في ابن أبي سلمى؟ قال: كان شعرهما نيِّرًا يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيث الشعر نعلين، وأقسم بالله لو أدركته لرفعت له ذُلَاذِلَه (أسافل كل قميص طويل). قال: فما تقول في ذي الرمة؟ قال: قدر من طريف الشعر وغريبه

وحسنه ما لم يقدر عليه أحد. فلا غرو أن يسْلُك نُقَّاد العصر كلَّ شاعر أموي في مدار جاهلي، فجرير في رأي أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ / ٧٧١ م) يشبه الأعشى، والفرزدق كزهير، والأخطل مثل النابغة، والواقع أن العلماء كافة كانوا يَرْسُمُون في ضوء هذه النَّظرة التَّصْنِيفيَّة سُبل الشُّعَرَاء الفنية، ويريدونهم على ضرب من التأمل النظري أكثر مما يريدونهم على وصف حالاتهم وعواطفهم.

وتعيش هذه المدرسة شامخة إزاء الجاهليين، وينتصر مذهبها على مذهب المحدثين، حتى لا يبدو أمام الجميع أن شعرها خير من الشعر العباسي، ثم خير من أيِّ شعر جاء بعده، لذلك زعم قوم أن ساقة الشعراء رؤبة وابن هرمة وابن ميادة والحكم الحضري، فإذا انتهى إلى من بعدهم -بشار وأبي نواس وطبقتهما- سُمِّي شعرهم مُلَحًا وظرفًا، واستحسن منه البيت بعد البيت، استحسانَ النادرة، وأجراه مجرى الفكاهة. ولقد كان لأخذ القصيدة الأموية صورة القصيدة الجاهلية في تفاصيلها ما حدا بعلماء القرن الثاني والثالث إلى أن يقولوا مثل ما قال ابن قتيبة: (وَلَيْسَ لِمُتأخِّر الشُّعَراء أنْ يَخْرُجَ عَنْ مَذْهَبِ الْمُتَقدِّمِينَ)، ويحدد هو هذا المذهب في خطوطه الكبرى بتدرج القصيد، من ذكر الديار والدمن، واستيقاف الرفيق، إلى النسيب وذكر الصبابة والشوق، ثم إلى رحلة الشعر، وسُرَى الليل فيه، وحرّ الهجير، حتى يوجب حق الرجاء فيكون المدح، أمَّا التفصيل فإنه يكون باستخدام العناصر الفنية القديمة؛ حتى ليخطئ من يقف على منزل عامر، ومن يرحل على حمار، ومن يَرِد المياه الجواري، ومن يقطع إلى الممدوح منابت الورد والنرجس والآس»[1]، بعدها استعرض ما قيل في الفحول، ومما جاء في جملة كلامه: «هؤلاء لم يكونوا في درجة واحدة من التفوق والظهور وتفاوت في الترتيب بقدر ما كان في شعرهم من بدائل وخشنة ورصانة، إلى جانب تنوعه، وتعدُّد ضروبه، أمَّا جرير والفرزدق والراعي ففي أولى الطبقات الإسلامية مع الأخطل، واعتبرهم ابن سلام جميعا متكافئين متعادلين، وبدأ بالفرزدق ثم عقَّب بجرير وختم بالرَّاعي، وأما ذو الرُّمة والبُعَيْث ففي درجة واحدة، بغض النظر عما يمتاز به الأول من ضروب التشبيهات التي

(١) د. أحمد كمال زكي، **المصدر نفسه**، ص٢٧٠.

حسده من أجلها كلٌّ من جرير والفرزدق، وأمَّا عُمَر بن لَجَإٍ البصري فلا يتأخر عن الكبار عند ابن سَلَّام، من ثَمَّ فهو يضعه في الطبقة الرَّابعة الإسلامية، في حين يتأخر مُزَاحِم العقيلي عنده، فيكون أحد الأربعة من الطبقة العاشرة، وقد جاء أبو الفرج مِنْ بعدِه فاحتفى به، وقال عنه: إنه شاعر فصيح إسلامي، وصاحب رجز، وذكر أنَّ جريرًا كان يقرّظه ويقدمه، أمَّا العجاج ورؤبة فهما اثنان من الأربعة الذين يكونون الطبقة التاسعة في الإسلام، ويبدو أن تأخّرهما عند ابن سلام راجع إلى اشتغالهما بالرجز، والرجز عند العلماء دون القصيد، وثمَّة شعراء لا يعرض لهم ابن سلَّام، وهو أوَّل بصري يضع أول كتاب في طبقات الشعراء أواخر القرن الثاني، ولكنَّ أسماءهم تتردَّد، وأشعارهم ترتفع من بين حين وحين، وكان من هؤلاء مِسْكِين الدَّارمي، ومُرَّة بن مَحْكَان، الذي أشرنا إليه، وجَرير بن خَرْقَاء العِجْلِي، شَتَّام بكر بن وائل، وغَسَّان السّلِيطي، والسَّرَنْدِي، الذي كان يعين ابن لَجَإٍ على جرير، والعبَّاس بن يزيد الكندي، وهشام المُرِّي، ويَزِيد بن الْحَكَم، الذي يقال إنَّ الفرزدق سمع بعض شعره، فقال: (كأنَّ شعره شعرنا)؛ يريد أنه في مستواه وفي رصانته وقوة أسْره، أما ما قيل في المشهور منهم فكثير، إلا أنه يدور في أغلبه حول تحقيق المثل الجاهلي في المبنى؛ فالفرزدق يقول عن نفسه وعن جرير: (إني وإيَّاه لنغترف من بحر واحد، وتضطرب دلاؤه -أي دلاء جرير- عند طول النَّهْز)؛ كأنه أراد لين خصمه في اللفظ، وقد وصف شعره -أي جرير- بالرقة مع ذلك، في حين وصف شعر الفرزدق بالصلابة، ويقول عنه ابن قُتَيْبَة البصري: (كان مِعَنًّا مِفَنًّا)، والمِعَنّ: الشخص ذو العنان والاعتراض؛ يريد أنه فصيح يدخل في كل شيء، وقد وصفه خالد بن صَفْوَان بفصاحة اللسان، وقال عنه شَبَّة بن عِقَال: (إنه ينحت من صخر)، وقال يونس بن حبيب: (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب)، وأمَّا جَرِير فإن ابنه عِكْرِمَة سأله عن شاعر الجاهلية، فذكر زُهَيْرًا، قال: قلت: فالإسلام؟ قال: الفَرَزْدَق نَبْعَة الشِّعر، قلت: فالأخْطَل؟ قال: يجيد مدح الملوك، ويصيب صفة الخمر، قلت فما تركت لنفسك؟ قال: دعني؛ فإنِّي نحرت الشِّعر نحرًا؛ كأنه يريد قتل الشعر استمْكانًا، منه واقتدارًا عليه، وأما الرَّاعي فقد قالوا عنه: (إنَّه كان فَحْل مُضَر، ضغْمَةُ الليث)؛ يريدون جريرًا، في حين أنَّ البُعَيْث

وصف بأنه شاعر فاخر الكلام، حرُّ اللفظ، وقال الفَرَزْدَق عن شعر العَديل على نحو ما رأينا؛ كأنه شعرنا، وقال ذو الرُّمَّة عارضًا لمُزَاحِم العقيلي: (إنه يقول وحشيًّا من الشعر، لا يقدر على مثله أحد)، وكل ذلك يدلُّ على أنّ شعر الفحول وُجِّهَ من قبل الأذواق توجيهًا محافظًا؛ فكانت بداوة الأسلوب أكبر ما يربط شعر البصرة في تلك الفترة بالأدب الجاهلي، وكان اللغويون يعينون على ذلك -كما قدمنا-، حتى إنَّ أبا عمرو بن العلاء يتحرَّج في رواية شعر جَرِير، ويقف عند ذي الرُّمَّة، مُختتمًا به الشعراء، وكان يونس بن حبيب يُقدِّم الفرزدق على غير الفرزدق، ويُقدِّمه المفضل تقدمة شديدة، وقال يُونس عن رُؤْبَة والعَجَّاج: (هما أشعر أهل القصيد، وإنَّما الشعر كلام، فأجوده أشعره).

ونستطيع -بعد هذا الاستقراء- أن نعود إلى شعرهم لنرى مصداق قولهم، وسنلحظ في عنايتهم بانتقاء الألفاظ الرصينة الدليل على تحقيق لون من ألوان المثل الجاهلي، فضلًا عن أن قوة العبارة تربطهم بعجلة الأولين»[1]، خلص بعد تمثيل إلى القول -مُلاحِظًا تعمُّدَ الغريب في اللغة، والقصد إلى تمَثُّل شعر الأقدمين، وانْتِحاء طريقتهم في التعبير والألفاظ-: «لقد ظهر بحق أن هذه الفنون قد هيَّأت لها الأسباب لتقوى، وإنَّ ما نقوله من أمر اللغة واضح ملحوظ، وإلا فإنَّ علينا أنْ نعود إلى النقائض لنقرأ ما يضطر إليه الشُّراح من تفسير أيَّام العرب، وما يتَّصل بأيام العرب، وكان الذين يتحدثون هذا الحديث هم الأعراب، الذين أخذت عنهم اللغة فيما بعد، والذين عُرِفوا بالفصاحة، وبقوة العبارة، وربما استطاع مؤرخ الأدب العربي إلى درْس ما خلفه ابن المقفع في أدبيه الصغير والكبير، وما كتب أصحاب اللغة من الذين اشتغلوا في الأدب ونقده أن يحس الفارق بين عبارتين؛ واحدة تتكلَّف روح العربية فأعْوَزَتْها البداوة، وواحدة تنطق بها عن بداهة وأصالة، فجاءت مُمثِّلة للطبيعة البدوية الخالصة، واضْطُرَّ كثير من الأدباء إلى اصطناع الغريب، وتكلُّف الخشن فيه؛ فيَحْيَى ابن يَعْمُر مثلا يثير الحجَّاج بأسلوبه الغليظ، وكان عيسى بن عُمَر فصيحًا يتقعر في كلامه، ويَعْدِل

(١) د. أحمد كمال زكي، **المصدر نفسه**، ص٢٧٣.

عـن سـهل الألفـاظ إلـى الوحشـي الغريـب، وكان نَصْـر بـن عَاصِـم اللَّيْثِـي فصيحًـا، يفلـق بالعربيـة تفليقًـا، وكان حَمَّـاد بـن سَـلَمَة يُعنـى بلغتـه، فلـم يكـن هنـاك أفصـح منـه فـي أيامـه»[1].

ثـم تحـدَّث عـن العنايـة بالرسـائل الفنيـة فـي عصـر هشـام، وكشـف عـن قوتهـا، وعلـو كعـب كاتبيهـا، وإنْ تراجعـت بَعْـدُ بسـبب مداخلـة الأجانـب. ويخلص بعد مناقشـة مُسْـتَفِيضَة، وتمثيـل مسـتقصٍ وحـاذق إلـى القـول: «نـرى أن الشـعر فـي هـذه الفتـرة قـد غلـب عليـه التقليـد، وسـادت روح المحافظـة، فـإذا هـو -فـي مبنـاه ومعنـاه- يُحقِّـق هـذه المثاليَّـة، التـي اسـتمدت عناصرهـا مـن الجاهلييـن، وقـد سـاعده علـى ذلـك شـيئان مهمـان؛ حركـة رجعيـة قـام بهـا اللغويـون والنحويـون، وذوق فنـي اسـتمد مقوماتـه مـن الحيـاة التـي كان يحياهـا أغلـب الشـعراء، أو أكبرهـم، وكانـت هـذه الحيـاة فـي الغالـب باديـة»[2].



[رسمة – ١٦: جلسة عربية لمجموعة من الفرسان، تتجلَّى فيها القيم والسنن القديمة]

(١) د. أحمد كمال زكي، **المصدر نفسه**، ص٢٧٧.

(٢) د. أحمد كمال زكي، **المصدر نفسه**، ص٢٨٦.

على أنَّنا إذا ما تجاوز كلَّ تلك العصور، والأدوار التي مرَّت بالبصرة، وقفزنا قفزة كبيرة جدًّا إلى عصرنا الحديث -اختصارًا للموضوع والزمن-، ألْفَيْنَا كاتبًا آخر، يسْتحضر في إحدى الصحف الإلكترونية حديث الماضي الجميل، ويُذكِّر بأسماء لمعت نجومها في البصرة، ويحاول جاهدًا أن يُقدِّم إشراقة حول حياة الفكر والأدب البصرية في حاضرها -حسب رصده لها-، رائمًا قراءتها قراءةً لا تخلو من مسْحَة أدبية، مُسْتمدًا قوّة ما يكتب، أو يُصوِّر معناه، من وحي الذَّاكرة الحيَّة، يقول: «حين نتحدَّث عن الأدب والحياة بمجملها في العراق، فإن البصرة ستقف في المقدمة من هذا الحديث، بل لا يمكن الحديث عن الأدب والرِّيادة من دون الحديث عن دور البصرة؛ بصفتها مصدرًا للتنوير والتحوُّلات في الأدب والحياة. وهذه القضية لها دواعٍ كثيرة، تقف في مقدمتها طبيعة البصرة؛ بصفتها ميناءً يستقبل ويودع يوميًّا آلاف الجنسيات الأجنبية، مما يعني أن البصرة مَوْئِلٌ للثقافات وللاختلاف. وقبل الميناء، سيلوّح لنا التاريخ بيده، وهو يتحدث عن نفسه في أزقَّة البصرة القديمة، حيث ولد الفلاسفة والمفكرون والشعراء والكتاب والمشاكسون لكل شيء، فالبصرة هي المكان الذي نبتت فيه المدارس الفكرية، والكلامية، والفلسفية، والنحوية، والشعرية؛ ففي أزقتها درَجَ بشار بن برد وأبو نواس، وفيها شبَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي، وبين حاراتها القديمة وُلِدَ الجاحظ، وكتب (بيانه وتبيينه) فيها، وسار في شوارعها، ودفن في ترابها، ومنها انطلقت المدارس النحوية والميولات العقائدية، وتحت شمسها اللاهبة دارت الصراعات الكبرى، فما عرفنا المعتزلة وواصِل ابن عَطَاء إلا من جوامع البصرة ومدارسها الفكرية، ولا اقتربنا منه إلا حين اعتزل درس أستاذه الحسن البصري في قلب البصرة القديمة، وما تراب البصرة الآن إلا ترابٌ غفت تحت أدراجه العقول العظيمة، وتسلَّلت تحت رمضائه الأفكار الكبرى، وما السَّائر فوقها إلا وهو يسير على مئات وآلاف السنين من الرُّوح الحيَّة فيها، وكبار السحرة الذين ملأوا العقل العربي نوادرَ وقصصًا ومعارفَ لا تنْفد، فلم نسمع بالتعايش الحقيقي بين جميع أهل الديانات إلا في البصرة، بل إنها انفتحت لكل من ليس له دين،

ولهذا فالبَصْرَة عَصِيَّة على التوصيف؛ فإذا كان العراق جمجمة العرب -كما يقولون- فقطعًا ستكون البصرة هي العقل الموجود داخل هذه الجمجمة، ودائمًا ذلك العقل هو المحرِّك لكل أطراف الجسد؛ به يفكر، وبسبب من إيعازاته يقوم الجسد، وتتفتح العيون، وينطلق اللسان. والبصرة لم تكن على طول عمرها في التاريخ إلا حاضنة للحوار، وضحكة نبتت على ثغر هذه البلاد الموكولة بالأنين، والرَّاعية لكل المواويل. والبصرة خبزة لكل جائع، ونجمة مضيئة دليلًا للحائرين؛ لم نسمع يومًا أن البصرة أكلت أبناءها، ولا مرَّ على تاريخها الطويل أنها سكبت أحبتها في البحر، بل دائمًا [ما] نسمع عنها أنها عبارة عن بيت ومضيف كبير، يلوح للقادمين والجائعين والسهارى في النوم بحبٍّ تحت أركانه، وحين نتحدَّث عن البصرة القريبة منَّا تاريخيًّا، بصرة القرن العشرين والحادي والعشرين، فإننا لم نعرف إلا أنها تستقبل الملوك بضحكتها، وتُودِّع العشاق بغمزة عين، فتحت شواطئها فنبت الغناء تحتها، وبين أمواجها صدح المغنون، وخلف سفائنها ناح التائهون، ومن خلالها عرفنا الهند وما وراءه، وبسببها زرع الخليج أحلامه، نخلها أكثر من أحلام أبنائها، وحلم أبنائها أشهى من برحيها ورازقيها، والبصرة -أدبيًّا- تميَّزت بميزات كثيرة، وسأتحدث عن البصرة المعاصرة -كما قلت: من النصف الثاني من القرن العشرين صعودًا للحظتنا الراهنة. فهي فضلاً عن أهميتها في الريادة الشعرية، وفضلاً عن رفدها السَّاحة الأكاديمية والإبداعية بأسماء كثيرة مهمة، انتشرت في العاصمة بغداد لتختلط في ملامح المدينة، وتكون جزءًا من الناتج القومي للأدب والفكر بشكل عام، فإنَّ البصرة امتازت بأنْ يبقى فيها حارسان دائمًا من طبقة الأدب، بشقيه الشعري والسردي، هذان الحارسان يتناوبان على حراسة الجمال في المدينة، ويُصِرَّان على أنْ يكونا دائمًا معًا، وأنْ يُنْتِجَا أدبًا في الوقت نفسه.

وهذه الظاهرة امتازت بها البصرة؛ بأنْ يكون شاعرٌ وقاصٌّ متلازمين معًا، ويكونان نموذجين، مُصَدِّرَين للعراق كلِّه إبداعًا وجمالًا، ولكنهما يمثِّلان علامة فارقة في روح المدينة، فمثلًا السَّيَاب تجد معه القاص الروائي مَهْدِي عيسى

الصَّقْر، وتاريخيًّا لم ينفك مثل هذا الاشتباك الجمالي، فبوجود أبو نُوَاس كان الجَاحِظ قد بدأ حياته في الكتابة والتأليف، وحين نعبر جيل التأسيس الأول في العصر الحديث، سنجد جيلًا آخر، وهما محمود البرِيكَان، يقف معه القاص محمود عبد الوَهَّاب، وحين نصل للجيل الستيني نجد كَاظِم الحَجَّاج برفقة القاص الرِّوائي مُحَمَّد خضِير، وحين نعبر إلى جيلٍ آخر، نجد طالب عبد العزيز ولؤي حَمْزَة عَبَّاس، وحين نصل إلى الرَّاهن من الأجيال الأدبية، نجد ضِيَاء الجبِيلِي مع علي محمود خُضَيْر. إنَّ هذه الثنائية نادرًا ما تجتمع في بيئة أو محافظة من المحافظات، لكنها في البصرة شكَّلت ظاهرة -حسب ما أظن-، لم تنفك في يوم من الأيام، وأسهمت بإغناء الحياة الثقافية في البصرة، من ثمَّ في العراق بشكل عام، ذلك أن الشعر يتمشَّى يدًا بيد مع القصة والرِّواية، فيما شكَّل الحارسان -الشعري والسردي- أيقونة في كل جيل من الأجيال؛ من الخمسينيات حتى هذه اللحظة، ولا أعرف من البصرة إلا الخَصِيبي سَعْدِي يُوسُف، وعلي عبَّاس عُلْوَان، وعبد الجبَّار داود البَصْرِي، ومَحْفُوظ داود سَلْمَان، وحُسَيْن عبد اللَّطيف ومجِيد المُوسَوي، وفَوْزِي السَّعد، وفُؤَاد سَالِم، ورِيَاض أحْمَد، وطَارِق الشِّبْلِي، ودَاوُد الغَنَّام، وصَادِق العَلِيّ، وعبد السَّتَّار البَصْرِي،...، وعَوَاطِف السَّلْمَان، وأمَل خُضَيِر، وسِلِيمَة خُضَيْر، وعَلِي خَلَف، ودكتور مَاهِر المَسِيحِي، الذي قال لي مرة: إنه ركض خلف مَحْمُود دَرْويش في البصرة ليوقِّع له، ولمَّا طلب منه التوقيع لم يجد ورقة يوقِّع عليها، فسحب ماهر المراهق وقتها الربع دينار من جيبه -وهو ما تبقَّى له-، فوقَّع درويش على الورقة النقدية التي أبقاها أجرة للعودة إلى البيت، لكنه عاد مشيًا على الأقدام، لأن درويش وقَّع عليها، وعشرات عشرات غيرهم من صُنَّاع الحياة فيها. هؤلاء هم البصرة، أعرفهم كما أعرف الجاحظ وأبا نواس والخليل والحسن البصري وواصل بن عطاء، هم وجه البصرة الباقي بعد فناء وجوهها الكالحة، هم الذين سيبقون في الذاكرة؛ لأنهم روح المدينة، وضحكتها الباقية، أعرفهم فقط، وأعرف الذين يشبهونهم فقط، ولا

أعـرف غيرهـم أبـدًا»[1].

ذلـك -باختصـار شـديد جـدًّا- بعـض مـا يمكـن أنْ يُشـار إليـه حـول الأدب فـي البصـرة، ومـا هـي إلا ومْضَـة، أردنـا لهـا أن تُعـرِّف بالحيـاة الأدبيـة، وبـالأدب والأدبـاء، وأهـم الشـعراء، والرمـوز، وكبـار المبدعيـن فيهـا، ونحـن -وإنْ كنَّـا قـد اقتصرنـا علـى الشِّـعر وحـده غالبًـا، بشـيء قليـل مـن التفصيـل، إلا أنَّنـا نؤمـن إيمانًـا جازمًـا، لا يُسَـاوِرُه رسـيس ريـب، أنَّ دراسـة الأدب لا تتـم إلا بالتعـرض لأجناسـه كافـة-.

حسْـبُنا المحاولـة، مـع اسـتعراض وجـهٍ مـن وجـوه ذلـك الجمـال الفنـي، وتلـك الحيـاة، مـن خـلال هـذا الجنـس -المقتصـر عليـه-، علـى نحـو مـا سـجَّله أو رصـده لنـا الدارسـون لهـذا الموضـوع. ويقينـي أن مـا قُـدِّمَ فـي هـذه العُجالـة كافٍ، ومُلَـبٍّ للغـرض -إن شـاء الله-.



(١) عـارف السـاعدي، «البصـرة فـي أزقتهـا درج ابـن بـرد وأبـو نـواس، وفيهـا شـب الفراهيـدي، وولـد الجاحـظ، ترابهـا غفـت عليـه العقـول العظيمـة» **الشـرق الأوسـط**، (٠٥ مُحـرَّم ١٤٤٢ هـ / ٢٣ أغسـطس ٢٠٢٠ م)، حسـب الموقـع: https://aawsat.com/home/article/

2- مظاهر، وتجليَّات:

تعدُّ البَصْرَة -تاريخيًّا- عُمْقًا ثقافيًّا وحضاريًّا، وتجاريًّا واقتصاديًّا مُهِمًّا للخليج العربي، وحاضرة رئيسة من حواضر الأدب والعلم والمعرفة. استوطنتها قبائل عربية، وأسر خليجية مختلفة؛ عبر التاريخ، وكان لقبيلة الأزد العربية -مثلًا، شأنها في ذلك شأن غيرها من القبائل-، والتي شاركت في فتح بلاد فارس وما وراءها دور محوريٌّ أصيل في حركة الفتح الإسلامي، ثم في الاستيطان والاستقرار بالعراق، وتحديدًا بالبَصْرَة منها، ولهم فيها خطة معروفة، وكان للعتيك دور آخر في إدارتها، وولاية أمرها، مُمَثَّلة في بيوتات آل المُهَلَّب بن أبي صُفْرة، ولقد ظهر من بين هذه الأسرة العريقة خاصة، ومن الأزد عامَّة أعلامٌ وفقهاءُ وأدباء ونحاةٌ كبار، ككَعْب بن سُور بن بَكْر الأزدي (ت٣٦ هـ / ٦٥٦م)، والفقيه جابر بن زيد اليحمدي (ت٩٣ هـ / ٧١٢م)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠ هـ / ٧٨٦م)، وأبو بكر بن دُرَيْد (ت٣٢١ هـ / ٩٣٣م)، وأبو العباس الثُّمَالي، المعروف بالمُبَرِّد (ت٢٨٦ هـ / ٨٩٩م)، وأبو الحسن علي بن الحسن الهنائي (بعد ٣٠٩ هـ / ٩٢١م)، وأضرابهم من العُرَفَاء. إنَّ دراسة الصِّلات الكائنة بين بلدان الخليج العربي والعراق قديمًا؛ تحديدًا العلاقة النَّشِطَة التي كانت تربطهم بحاضرة البَصْرة، والتَّواصل الحضاري الكائن معها، والتبادل العلمي والمعرفي بينها وبين محيطها القريب والبعيد، والمشاركة الخليجية في إدارة البصرة، وجوارها الجغرافي؛ مُمَثَّلة في أسرة المهالبة المعروفة.. مهمَّة جدًّا؛ لفهم طبيعة العلاقة بين الخليج والبَصْرَة، وللبناء على ذلك، وتوشيج الصِّلات، والرَّوابط، والعمل على تثمينها وتوثيقها، وتعريف الأجيال الصَّاعدة بها، وإحياء ما من شأنه

تقوية أُلْحمة، وتمتين العرى بين بلداننا والعراق. تاريخيًّا.. وفي الجانب العلمي والأدبي.. لمَعَ نجم عددٍ من أبناء الساحل الغربي للخليج العربي، الذين هاجروا إلى البصرة، أو قُدِّرَ لأسلافهم الوصول إليها، والاستقرار بها في مرحلة سابقة؛ وكان لبعضهم جهد الصَّدارة في حقول العلم والمعرفة المختلفة، وما من شك أنّ للشعر والأدب حظًّا عظيمًا جدًّا من ذلك الحضور وتلك المشاركة والتبريز؛ إذ ظهر جلّةٌ من النحاة واللغويين والأدباء المُبَرِّزين، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي رأسًا من رؤوس مدرسةٍ نحوية شهيرة، عُرِفَتْ بالمدرسة البصرية. ظهر -كذلك- التأليف المعجمي العربي في وقت مبكر، على أيدي بعض أولئك الأعلام، كالعين للخليل، وجمهرة اللغة لابن دريد، والمنتخب والمنجد لكراع النمل.. إلخ، وأنتج العقل العربي المبدع -كعادته- مؤلفات شتّى في ضروب مختلفة من العلم؛ ففي علوم العربية والآلة، أنتج الخليل بائية مستطرفة في علم النحو (وإن كان بعضهم يشكك في نسبتها إليه)، وفي اللغة والأدب أنتج المبرد الكامل، بل بنى بعض النحاة الكبار مؤلفاتهم على جهد أساتذتهم وشيوخهم في الطلب، مثل ما وقع لسِيبَوَيْهِ (ت١٨٠ هـ / ٧٩٦م) في الكتاب، الذي احتلَّت مرويات أستاذه الخليل مساحة كبيرة ومُهِمَّة من عمله ذاك. وفي سياق الحراك العلمي واللغوي، وحركة الأدباء بين البَصْرَة وسواحل الخليج، وبلدانه، فقد أَثَّر ذلك الانتقال، والتدافع، والتفاعل السياسي والاجتماعي بين تلك الحواضر على الإنتاج الأدبي، وترك ظلاله وانعكاساته الواضحة عليه، مثل ما وقع لابن دُرَيد (ت٣٢١ هـ / ٩٣٣م)، الذي شارك في بعض الأحداث والفتن الداخليَّة الحاصلة جنوب الجزيرة العربيَّة، فسجَّلها، وخلَّف روائع أدبية خالدة، حفرت اسمه في الذاكرة العربيَّة والعُمانية غائرًا.

فيما يلي رصد لبعض ما يُتَرْجِم تلك العلاقة، ويُجَسِّدُها (قديمًا، وحديثًا):

أ) قديمًا

«سأقتصر على ثلاثة مظاهر»:-

2-1- الأسواق الأدبية:

تُعَدُّ الأسواق الأدبية مُتنفَّسًا للشُّعراء؛ يقصدونها من الحواضر المختلفة، ويتَّصِلُون فيها بنظرائهم، ويستمعون بها إلى جديد الشعر، وإلى ما يدور في الجزيرة العربية من أخبار ووقائع. كانت هذه الأسواق مُلْهِمَة للشُّعراء، ومُسْتَفِزَّةً للقرائح، ومُعرِّفةً بكل جديد في عالم الشعر والأدب، وكانت -كذلك- وسيلة لنشْر القيم والأفكار، ونقْل المعارف، ومُلْتَقًى -في الوقت نفسه- للتُّجَّار وأرباب الصَّنائع والحِرَف، ومجْمَعًا لتبادل الخبرات، وتَدَارُس كلِّ مُسْتطْرَف، أو نافع ومُفيد. من أشهر تلك الأسواق سوق «عكاظ»، التي تعقد فيها لجانٌ للتحكيم بين الشعراء والخطباء، والقصيدة أو الخطبة التي يفوز صاحبها يتناقلها الناس، ويحفظونها، ويشيدون بقائلها، ومن القصائد الرائعة ما كان يُعَلَّق في «الكعبة» -هكذا نُقِلَ-؛ وهي التي عرفت باسم المعلقات -وإنْ كان العِلْق: الشَّيء النفيس؛ عُلِّق أو لم يُعَلَّق-، مثل معلقة «امرئ القيس» و«زهير بن أبي سلمى»[1]. كانت الأسواق الأدبيَّة، التي تجتمع فيها القبائل، تتناشد الأشعار، وتتفاخر بالأحساب والأنساب، وتزهو بأخبار الكرم والشَّجاعة والمروءة، من أهمِّ وسائل نقل التراث، الذي كان ينمو بإضافة الأجيال اللاحقة على السابقة، وقد هيَّأت هذه الاجتماعات فرصًا مهمَّة للتلاقح الثقافي واللغوي، ولتوحيد المقاييس النقدية والذوقية، وللتقريب بين لغات العرب، ومهَّدت بذلك لفهم القرآن الذي أُنْزِل بلغة قريش[2]، يقول أبو حيان التوحيدي (نحو ٤٠٠ هـ / ١٠١٠م) في **الإمتاع والمؤانسة**: «وممّا

(١) بتصرُّف: أحمد عبد الفتاح تمام، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، إشراف: مجموعة أكاديميين (شركة سفير، القاهرة، مصر، ط: الأولى ١٩٩٦م)، ج١، ص٧

(٢) أكرم ضياء العمري، **محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين**، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى، ١٤٠ هـ / ٢٠٠٩م)، ص٢٦٨

يدلّ على تحضُّرهم في باديتهم، وتبدِّيهم في تحضُّرهم، وتحلِّيهم بأشرف أحوال الأمرين، أسواقهم التي لهم في الجاهليّة، مثل: دَوْمَة الجَنْدَل بقرى كَلْب؛ وهي النصف بين العراق والشأم، كان ينزلها الناس أوّل يوم من شهر ربيع الأول، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء، وكان يُعشِّرهم أُكَيْدِر دَوْمَة، وربما غلبت على السُّوق كلب فيُعشِّرهم بعض رؤساء كلب، فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر، ثم ينتقلون إلى سوق هَجَر، وهو المُشَقَّر في شهر ربيع الآخر، فتقوم أسواقهم، وكان يُعشِّرهم المُنْذِر بن سَاوَى (ت ١١ هـ / ٦٣٣ م)؛ أحد بني عبدِ الله بن دَارِم، ثم يرتحلون نحو عُمان، فتقوم سوقهم بديار دبا، ثم بصُحَار، ثمّ يرتحلون فينزلون إرَم، وقرى الشِّحر فتقوم أسواقهم أيَّامًا، ثم يرتحلون فينزلون عَدَن أبْيَن، ومن سوق عدَن تشترى اللطائم وأنواع الطِّيب، ولم يكن في الأرض أكثر طيبًا، ولا أحذق صنَّاعا للطّيب من عدن، ثم يرتحلون، فينزلون الرَّابية من حضرموت، ومنهم من يجوزها ويَرِدُ صنعاء، فتقوم أسواقهم بها، ومنها كانت تجلب آلة الخرَز والأُدُم والبُرُود، وكانت تجلب إليها من مُعَافِر؛ وهي معدن البرود والحبَر، ثم يرتحلون إلى عكاظ وذي المَجَاز في الأشهر الحُرُم، فتقوم أسواقهم بها، فيتناشدون ويتحاجُّون ويتحادُّون، ومن له أسير يسعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة من بني تميم، وكان آخرهم الأقْرَع بن حَابِس (ت ٣١ هـ / ٦٥١ م)، ثم يقفون بعرفة، ويقضون ما عليهم من مناسكهم، ثم يتوجهون إلى أوطانهم، وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة، فيحضرها من قرُبَ من العرب ومن بعُدَ. هذا حديثهم، وهم همَلٌ لا عزَّ لهم إلا بالسُّؤدد، ولا معقل لهم إلّا السَّيف، ولا حصون إلَّا الخيل، ولا فخر إلَّا بالبلاغة»[1]، والمربد: سوق قرب البصرة، كان في الإسلام كسوق عكاظ في الجاهلية، وكان المربد ميدان التنافس بين الخطباء والشعراء. قال ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) في **عيون الأخبار**: «قال جعفر بن سليمان: العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمربد عين البصرة، وديارين عين المربد»[2].

(١) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، **الإمتاع والمؤانسة**، (المكتبة العصرية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ)، ص٧٦.

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ)، ج١، ص٣٢٣.

جاء في كتاب **أسواق أدبية في الجاهلية والإسلام** لسعيد الأفغاني (ت١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م): «لئن كان لعكاظ ذلك الأثر في اللغة العربية: ألفاظها وأساليبها، فإن المربد كان له -أيضًا- في اللغة أثر بعيد، يختلف بعض الاختلاف عن أثر عكاظ؛ لما بين الزمانين والمكانين من التباين؛ فعكاظ في قلب الجزيرة العربية، يحج إليها أشراف العرب وفصحاؤها، لا عُجْمَة فيها، ولا أثر لأعجميين البتة. والأمر في المربد على العكس: هو في طرف الجزيرة على الخليج الفارسي (= العربي)، وبينه وبين الفرس قُرْبٌ قريب. وزاد الإسلام والفتوح اختلاط العرب بالعجم، فتطرَّق إلى اللغة الفساد والعُجْمَة واللَّحْن، وغَشِيَ هذا الضَّعْف مجالس الخاصَّة من العرب، وأزْرَى بلهجات الفصحاء، حتى صرت تسمع الأمير على المنبر في المواسم يلحن على ملأ من الأعراب والبلغاء والأشراف، فعِيب على الحجاج (ت ٩٥ هـ / ٧١٤ م) لحن، وأُثر عن عبيد الله بن زياد (ت ٦٧ هـ / ٦٨٦ م) مثله، وكذلك نقلت لحنات عن أشراف العرب، فكان المربد يعجُّ بأعلام اللغة والأدب والشعر والنحو، معهم محابرهم ودفاترهم، يكتبون عن فصحاء الأعراب فيه، وهذه الظاهرة لم تكن في عكاظ قط، فهذا أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ / ٧٧١ م) يسأل الأصمعي (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م): من أين أقبلت؟ فيجيبه: جئت من المربد، فيقول: هاتِ ما معك، فيقرأ عليه الأصمعي ما كتب في ألواحه، فإذا ستة أحرف (كلمات) لم يعرفها أبو عمرو، فيخرج يعدو في الدرجة، ويقول للأصمعي: شمّرت في الغريب؛ أي: غلبتني.

ويشبه المربد عكاظ في أمر الشعر وحلقاته، بل يزيد عليه؛ فلكل شاعر حلقة، ولكل متهاجِيَيْن مجلس، ولكل قبيلة نادٍ وشاعرٌ يذود عنها، ويَرُدُّ عدوانَ قَرِيعِهِ من القبيلة الثانية؛ فللعجَّاج (ت نحو ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) ولرُؤْبَة (ت ٤٥١ هـ / ٧٦٢ م) حلقة، ولأبي النَّجْم العِجْلِي (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) حلقة، ولجرير والفَرَزْدَق (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) وراعي الإبل (ت ٩٠ هـ / ٧٠٩ م) وذي الرُّمَّة (ت ١٧١ هـ / ٧٣٥ م)، لكل منهم حلقة. وكثر هذا المحصول من الرجز والشعر والنِّكات الأدبيَّة كثرة ملأت أمهات كتب الأدب بأخبارها، ولا شكَّ في أنَّ المربد في هذا فاق عكاظ مراحل واسعة، وفاته بعدد الشعراء والرجّاز وكثرة الروّاد وطلاب الأدب.

وفي المربد أطفئت ثالثة جمرات العرب، أطفأها جرير بقصيدته الدمَّاغة.



[خريطة – ١٨: الأسواق الأدبية موزعة على الجزيرة العربية، علما أن دبي الواردة خطأ هي دبا(١)]

كان لكل من الشعراء رواة ينقلون له ما قاله خصمه، وينشرون في الناس جواب شاعرهم عليه، وكان اهتمام الناس بالشعر والأدب من أقوى الأسباب العاملة في غزارته، وكثرة المقبلين على تعلمه وروايته، ويتفرد المربد بأمر علميٍّ محْضٍ لم يكن له في عكاظ من أثر؛ وهو أنَّه أرْفَد اللغة بمادة كثيرة، عليها أسَّس النحاة قواعدهم وأصلحوها، وذلك بما كانوا يقصدون له فصحاء الأعراب يسألونهم فيما فيه يختلفون، ويأخذون عنهم مستفيدين ومتعلمين، وحسبك أن تقرأ أيًّا شئت من كتب الأدب الأصول، كالأغاني والأمالي والبيان والتبيين

(١) الخريطة جاءت في إحدى مواقع التواصل الاجتماعي، على الرابط: https://alkhaleejonline.net/.

والكامل...، لتجد أن أكثر مادتها فيما يتعلق بالعصر الأول والثاني للهجرة، كان المربد ميدانه وينبوعه. وخذ إن أردت كتب التاريخ الكبرى كالطبري -مثلًا-، ثم أبلغ في فهرس أماكنه إلى المربد، يأخذك العجب من كثرة المواطن التي ورد ذكر المربد فيها، مع أن الكتاب كتاب سياسة وأخبار ملوك، لا كتاب عامة وأدب، فمن المربد، وعلى هامشه غُذِّي الأدب بقصص وأساطير، وغُذِيَ التاريخ بالأخبار الواقعة، ووضع من وضع من الرُّواة والأخباريين أحاديث حاكَوا بها ما وقع. وفي حلقاته اصطرعت الأهواء المتباينة، والنزعات المتضاربة، استغلها الشعوبيون والمنافحون عن الحقائق -على السَّواء-، وشهدت هجومًا من أولئك، ودفاعًا من هؤلاء، والغريب أن هذا المربد لم يكتفِ بأن يستأثر بكل ميزة كانت لعكاظ، بل جمعها وضم إليها ميزات جديدة، أفادها من خصائص عصره وطبيعة اجتماعه، فإن كانت في عكاظ حروب موضعية بين قبيلتين، فإنَّ المربد كان ميدانًا لأكبر فتنة وأشدِّ حرب داخلية، وقف فيها المسلم أمام المسلم يكافحه بسيفه ويشرع إليه رمحه. كان المربد ميدانًا لإحدى مواقع الجمل؛ أول حرب فرَّقت كلمة هذه الأمة المخيفة، وجعلت بأسها بينها، وكانت حلقة أولى في هذه السلسلة الطويلة التي نخرت الجسم الإسلامي، ومكَّنت عدوه منه، وكانت أفتك به من كل حرب صليبية، وغارة تترية ووحشية أوروبية»[1]، بعدها يتحدَّث عن الأدوار التي مرَّ بها؛ في العصور الإسلامية المختلفة، قائلًا: «أستطيع أنْ أُقسِّم الكلام على المِرْبَد أقسامًا ثلاثة، كان شأنه في كلٍّ منها مختلفًا، أمَّا الأول فعلى عهد الراشدين؛ إذ كان يقتصر أمره على التجارة غالبًا، وإنْ لم يعدم يومًا أن كان ساحة حرب ومسرح مآسٍ. وقد عرفنا ممَّا ذكر الطبري (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٣م) أنَّ به موضعًا للدبَّاغين، فالمِرْبَد إذن سوق البصرة أيام الراشدين، وأغلب ما يُتاجر فيه التمر وما إليه، والإبل، والسِّلاح، والغنائم، ممَّا كان يُقْسم على المحاربين، فيبيعه هؤلاء في المربد، ثم يأتي العهد الثاني أيام الأمويين، وقد اتَّسعت السوق وكثر قاصدوها من الأطراف، وازدهت بالشعراء والأدباء والعلماء ووفود القبائل، ممَّا لم يكن في العهد الأول؛ لانشغال الناس آنئذٍ بالجهاد والفتوح، وعدم الفراغ لهذه الألوان من الأدب التي لا تغْزُر وتتهيَّأ إلا بعد استتباب حال الدولة، ولم نعهد حركة أدبية نشأت إبَّان الفتوح حين تتأسس الدول، وازدان هذا العهد

(١) سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، ص٤٠٧ وما بعدها.

بأفْحَل رُجَّاز وشعراء أخرجهم العهد الأموي، وأخصُّ بالذكر: جريرًا والفرزدق (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) والأخْطَل (ت ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) والبُعَيْث (ت ١٣٤ هـ / ٧٥١ م) ورَاعِي الإبل (ت ٩٠ هـ / ٧٠٩ م) وذا الرُّمَّة (ت ١١٧ هـ / ٧٣٥ م)، ومن الرُّجَاز: رؤبة (ت ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) وأباه العجَّاج (ت نحو ٩٠ هـ / ٧٠٨ م)، وأبا النَّجْم العِجْلِي (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م)، وهذا الفريق. أما في العهد الثالث -أي: بين آخر العصر الأموي والقرن الثاني للهجرة-، فقد نضجت حركة المِرْبَد الأدبية والعلمية نُضْجًا يتَّسِق هو وما وصلت إليه الدولة من حسن الحال، وسَعة الأفق، ومرافق الحضارة، وبسْطة العلم، وسعة السلطان.

وكان من أبطال المربد أكابر النحاة، ورواة الشعر والأدب والشعراء. والذي كان جديدًا في هذا العهد ولم يكن قبل، الناحية العلمية؛ وأعني بها ما كان يصنعه أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ / ٧٧١ م) والأصْمَعِي (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م) وقبيلهما من غشيان لفصحاء الأعراب، وصبر على لوثتهم وجفائهم، وتلقُّف لما ينطقون به، وإثبات له في الصحف، يروونه؛ ليبني عليه الأساس في وضع القواعد العربية»[1].

وبعد فقد اجتذبت هذه السوق إليها الكثير من الأدباء والمهتمِّين والتُّجار والمتردِّدين إليها، بخاصَّة من السَّاحل الغربي للخليج وغيره من الحواضر المعروفة في ذلك الوقت، وكان ذلك الحدث قِبْلَة ووجهة مُهِمَّة ومُلْهِمَة لكبار الشُّعراء، ويعدُّ المربد من أهمِّ الأسواق الأدبية في الإسلام، وقد عمَدَتْ -قبل أمَدٍ- الجهات المختصة في جمهورية العراق على إحياء تلك التظاهرة الأدبية الكبيرة، والسُّنة الثقافيَّة الحميدة، فشهدها ودُعي إليها كبار شعراء الخليج، والدول والأقطار العربية والإسلاميَّة، واستحالت -للإقبال الكبير عليها- مهرجانًا شعريًّا ضخمًا، يَؤمُّهُ إليه كبار المسؤولين والمهتمين بالشَّأن الثقافي، إلى جانب المختصين؛ من أكاديميين ونقَّاد وغيرهم، ويضمُّ إليه النُّخْبَةَ الشعرية المُمَيَّزة، المُمَثِّلَة للشعر والأدب العربي عامة.

(١) سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، **المصدر نفسه**، ص٤١٨ وما بعدها

2-2- هجرة القبائل العربية إلى البصرة:

تقدَّم القول في شأن هذه الهجرة المُرْتدَّة، وكيف كانت القبائل تنتقل من المركز إلى الأطراف ومن الأطراف إلى ما جاورها. كانت العراق -تاريخيًّا- مَعْبَرًا رئيسًا لحركة القبائل المختلفة، وقد شهدت البصرة بعد الفتح الإسلامي استقرار كثير من تلك القبائل العربية الخالصة بها، بخاصَّة أنَّ التوجيه الذي صدر من الخلافة يقتضي أنْ تُمَدَّن البصرة، وأنْ تُخَطَّط، وأنْ تُوَزَّع خططها على القبائل، ما أسْهَم في استقرار تلك القبائل، واشتداد شأنها، وتفاعلها مع القبائل الأخرى، والأعراق التي كانت تتَّخذ البصرة مَقَرًّا لها، أو تلك التي كانت تتردد عليها لقضاء مصالحها. انتقل إلى البصرة -أيضًا- عدد من قبائل السَّاحل الغربي للخليج العربي، بل كانت البصرة لوقت متأخِّر مَسْرَحًا مُهِمًّا للحراك الخليجي، وتردُّد أبناء الساحل عليها.

يحدثنا الدكتور صالح العلي (معاصر) في كتابه القيِّم **خطط البصرة ومنطقتها** عن استقرار تلك القبائل بالبصرة، وانتظامها في خطط معروفة، قائلًا: «كانت المقاتلة العرب الذين استوطنوا البصرة عند تأسيسها قد قدموا من شبه الجزيرة العربية، حيث كانت النُّظُم السَّائدة فيها قائمة على الأسس القبلية؛ فكانت كل عشيرة تتكون من عدد من الأفراد المنحدرين من جدٍّ واحد، يحملون اسمه عادة، وهم يرتبطون بروابط من النسب، ويشتركون ببعض الحقوق والواجبات في عدد من الأمور المدنية والجنائية؛ ففي التوريث وزّعوا ميراث المتوفى على أسرته بموجب القواعد التي وضعها الإسلام، فإنْ لم تكن له أسرة فإنَّ إرثه يوزَّع على العشيرة، كما أنهم يسهمون جميعًا في دفع دية القتل الخطأ الذي يرتكبه أحد أفراد العشيرة أو مَوَاليها، يضاف إلى ذلك أنَّ أفراد العشيرة يرتبطون بالتعاون والتناصر في أوقات الشدَّة عند الحاجة، وقد قُسِّمَت البصرة عند تأسيسها إلى خطط، سكنت كلًّا منها عشيرةٌ، وسُمِّيت باسم العشيرة التي سكنتها، وقد احتفظت معظم هذه الخطط بأسمائها بضعة قرون، وكانت سمتها المميزة، ولا بدَّ أنَّ المقاتلة الأولين كانت خطتهم حول المسجد الجامع، وامتدت إلى المربد، وكان عدد أهل البصرة عند تأسيسها قليلًا، وهم من عشائر متعددة،

وقد ثبتت لهم الخطط عند أول توزيعها، غير أنَّه سرعان ما ازداد عددهم بمن تقاطر إليها من العرب، وانضموا إلى مقاتلتها.



ولم تضع الدولة خطة لتحديد الهجرة وتنظيمها؛ فكان المهاجرون إليها من مختلف العشائر وبأعداد متباينة، وبذلك أصبح عدد العشائر في البصرة كبيرًا، وكثير منها كانت لهم خطط في الكوفة -أيضًا-، فيذكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦م) أن الوزير أبا عبد الله الكوفي سأله: (كم بالبصرة من قبيلة ليست بالكوفة؟ وكم بالكوفة من قبيلة ليست بالبصرة؟ فقلت: بالبصرة المَهَالِبَة والْمَسَامِع والجَارُودِيُّون وبَاهِلة، وبالكوفة بنو أسد عدَّة مواضع، وليس بالبصرة إلا مكان زعموا أنه سُمِّي بغيرهم، وبها الأشَاعِرَة، وبها المقِيتُون، فقال: ذهب عليك الأعظم، وبنوا حمَّان بالكوفة، وليس هم بالبصرة، فقلت: بلى هم بالبصرة)، والواقع أن كثيرًا من المصادر التي تذكر خطط القبائل لا تشير إلى مكان هذه الخطط، وهل هو في البصرة أم في الكوفة، ويجدر أن نلاحظ أن المَسَامِعَة

والمَهَالِبَة والجَارُودِيُّون لم يكونوا قبائل، وإنَّما كانوا أُسَرًا، وفي أخبار الحوادث التي مرَّت بالبصرة أسماء عدد كبير من الأسر والعشائر والقبائل، وقد أشارت المصادر إلى قلة عدد بعض المجموعات؛ فذكر ابن دريد (ت٣٢١ هـ / ٩٣٣م) أنَّ بني عَسَل الذين كانت لهم خطة بالبصرة يبلغ عددهم ثمانية، وأنَّ بني غَلَّاب أهل بيت بالبَصْرَة من هوازن، وأنه ليس بالبَصْرَة بَجَلِي غير شِبْل وأهله، وذكر ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) أنَّ حُمَيْس بن أُدٍّ من ضَبَّة، فهم قليل يكونون في البصرة، في بني عبدِ الله بن دَارِم، ولم يكن لبني أَسَد بن خُزَيْمَة خطة بالبَصْرَة، ومن المحتمل أنَّ الخطط روعي في أول توزيعها عدد أفراد العشائر التي تقطنها؛ أي أنَّ توزيع السكان على رقعة البصرة كان متوازنًا في أوائل تأسيسها، غير أن هذا التوازن اختلَّ على مرِّ السنين؛ إذ يروي البُلاذِري (ت٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) أنَّ زيادًا (ت ٥٣ هـ / ٦٧٣ م) خطب فقال للعرب: (إن عشائركم وردت علينا، فاختاروا أن يأخذوا نصف أعطيتكم وأرزاقكم، فنَقْوَ بهما مع ما لهم عندنا، أو تكفينا كل عشيرة من فيها منهم من ضمِّ إلى عشيرته، ومنهم من طابت نفسه بنصف عطائه ورزقه وأرزاق عياله)، والرَّاجح أنَّ كثيرًا من الأفراد المهاجرة المتأخرين استوطنوا في الخطط القديمة المخصَّصة لعشائرهم، مما أدى إلى أن تزدحم بعض المناطق، وتبقى بعض المناطق قليلة الازدحام، غير أنَّ المصادر لم تذكر وجود خرابات أو أراضي بَرَاح في البصرة، ما يدلُّ على تماسك سكَّان كلِّ خطة»[1].

وحول تقسيم الخطط، وتنظيمها، ودفع ما يطرأ عليها، يقول: «لا ريب في أنَّ اختلاف العشائر في عدد أفرادها كان يُحْدِث مشاكل إدارية واسعة، لذلك أعاد زياد تنظيم البصرة؛ فجعل العشائر متكافئة في العدد، ويضمُّ كلٌّ منها حوالي ألف مقاتل مع أفراد أسرهم، وجعل لكلِّ عشيرة عريفًا يُشْرِف على إدارتها والأمن فيها، ويقوم بتوزيع العطاء على أفرادها، وقد استلزم هذا ضمَّ بعض

(١) د. صالح أحمد العلي، **خطط البصرة ومنطقتها «دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى»**، ص٤٩ وما بعدها.

العشائر الصغيرة إلى أخرى، وتقسيمَ العشائر الكبيرة؛ بحيث تصبح كل واحدة مُكوَّنة من حوالي ألف مقاتل، ثم وضع زياد تقسيمات كبرى، فجعل البصرة خمسة أخماس، يضمُّ كل خمس عدد من العشائر، وهذه الأخماس هي: أهل العالية (أي أهل الحجاز)، وتميم، وبكر، والأزد، وعبد القيس، وجعل لكلٍّ خمس رئيسًا، يقرُّ تعيينه الخليفة، وكثيرًا ما يقوم بقيادة خمسه في الحروب. وضع زياد تنظيماته في زمن كانت البصرة قد وصلت مرحلة متقدمة في النمو والاستقرار، ولا ريب في أنَّه لم يعد النظر في تنظيم خطط العشائر ومواطن إقامتها، ومع أنَّ البصرة قُسِّمَتْ منذ أول تأسيسها إلى خطط، فأُعْطِيَتْ كل عشيرة خطَّة يسكن فيها أفرادها، إلا أنَّ النُّموَّ الكبير في سكانها من حوالي ألف مقاتل في بداية تأسيسها إلى حوالي ٩٠ ألفًا بعد نصف قرن، لا بد أن تكون قد رافقته زيادة في عدد الخطط، وربما في إعادة تنظيم بعضها، وكانت بعض العشائر لها أكثر من خطة؛ فقد ذكر ابن سعد (ت ٣٢٠ هـ / ٨٤٥م) أنَّ بني زياد بن شُمْس -وهم من الأزد-، كانت لهم أربع خطط بالبصرة، منها: خطة في الباطنة تحاذي بُنَانَة، وقد غلب عليها ناس من بني الشِعِيرَاء؛ وهم الشعَّارون -قوم يفْتلون الشَّعْر، ليس لهم نسب-، والثانية تحاذي بني غَبر، والثالثة تحاذي هُدَاد، والرابعة بالخُرَيْبَة» [1].

وحول العلاقات النسبيَّة وعلاقتها بتوزيع تلك الخطط يقول: «إن كتب الأنساب تذكر العلاقات النسبية بين العشائر، غير أنَّ المصادر لا تذكر فيما إذا كانت العلاقات النسبية أساسًا لتوزيع الخطط؛ كأن جعلت للعشائر المتقاربة في النسب خُططًا متقاربة في المكان -أيضًا-، ويلاحظ أنَّ كتب النسب المتداولة استمدَّت أغلب معلوماتها من ابن الْكَلْبِي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩م)، الذي يتجلَّى كتابه المعتمد في الأنساب أنَّ اطلاعه على أحوال القبائل في الكوفة كان أوسع من اطِّلاعه على أحوالها في البصرة، أم نسَّابو البَصْرَة وأشهرهم أبو عُبَيْدَة (ت ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م) وابن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م)، فقد ذكروا الأسر والعشائر، وقلَّما ميزوا بينها، كما أنهم لم يستوعبوا ذكر كافة العشائر وعلاقاتها النسبية، ونادرًا

(١) د. صالح أحمد العلي، **المصدر نفسه**، ص٥١.

مـا يُشـيرون إلـى خطـط القبائـل، أو مواقـع هـذه الخطـط»[1].

يشـير -كذلـك- إلـى البيـوت والقصـور التـي كان يتملكهـا الأفـراد أو الأسـر، وكيـف أنهـا تتعـدد، مـا يعنـي أن الأسـرة الواحـدة قـد تقطـن فـي أكثـر مـن بيـت، أو أكثـر مـن مـكان، يقـول: «ذكـرت المصـادر رجـالًا مـن أهـل البصـرة كان لـكل منهـم أكثـر مـن دار فـي مسـاكن متفرقـة؛ فقـد كان لأَنَـسِ بـنِ مَالِـك دور منهـا عنـد المسـجد الجامـع، وفـي سـكة أصْطَفَانُـوس، وكان لمُجَاشِـع بـن مَسْـعُود أكثـر مـن دار، أحدهمـا حضـرة المسـجد الجامـع، وآخـر مـن بنـي سـليم، وكان لعثمـان بـن أبـي العـاص غيـر دار فـي البصـرة، ولأبـي بكـرة دار حضـرة المسـجد الجامـع، وفـي سـكة أصْطَفَانُـوس، ولسَـمُرَة بـن جُنْـدُب دار فـي بنـي رَقَـاشٍ، ودار فـي الـكَلَاَ وفـي السُّـوق،...، ومنـذ أوائـل ازدهـار البصـرة أنشـئت فيهـا قصـور فـي أطرافهـا، وبعيـدًا عـن مراكزهـا، ويبـدو أن النـاس كانـوا يفضلـون بنـاء قصورهـم بعيـدًا عـن الأماكـن المزدحمـة؛ لأنَّ الفضـاء حولهـا أوسـع، وهواءهـا أنقـى، وهـي بعيـدة عـن عيـون الفضوليين، ولهـم قـدرة علـى حمايتهـا، وتيسـير مـواد المعيشـة لأهلهـا، ولعـل هـذه كانـت مبعـث القـول المشـهور: (الأطـراف منـازل الأشـراف)، ومـن قصورهـا المشـهورة قصـر أَنَـس فـي الزَّاوِيَـة علـى بعـد ميليـن مـن المسـجد، وقصـر الحَجَّـاج بالحَزِيـز، وقصـر جَعْفَـر بـن سُـلَيْمَان بالمِرْبَـد، والبَيْضَـاء قَصْـر عبيـد الله بـن زِيَـاد فـي الأطـراف الشـمالية مـن البصـرة، وذكـرت المصـادر كثيـرًا مـن الـدور والقصـور التـي يمتلكهـا بعـض رجـال البصـرة البارزيـن، لعـل أسـماء الـدُّور التـي ذكـرت يفـوق عـدد خطـط العشـائر، وقـد شـيدت بعـض هـذه الـدور والقصـور فـي غيـر خطـط العشـائر التـي ينتمـي إليهـا أصحابهـا، وهنـاك عـددٌ مـن الأفـراد امتلـك كل منهـم أكثـر مـن دار واحـدة متفرقـة فـي عـدة أماكـن، أمَّـا السـكك القليلـة التـي ذكـرت فـي البصـرة فأكثرهـا مسـماة بأسـماء أشـخاص لا تعـرف هويتهـم أو انتمائهـم القبلـي، فهـي لا تسـاعد علـى معرفـة توزيـع الخطـط ومواقعهـا»[2].

(١) د. صالح أحمد العلي، **المصدر نفسه**، ص٥٢ وما بعدها.

(٢) د. صالح أحمد العلي، **المصدر نفسه**، ص٥٢ وما بعدها.



[رسمة – ١٧: بلاد العرب، كما وردت في مخطوطة «المسالك والممالك» للإصطخري، ورقة: ٢١، وتظهر البصرة والكوفة فيها. المصدر: المكتبة البريطانية – مخطوطات شرقية[١]].

بهذا يمكن القول بأن البَصْرَة شهدت موجات متعاقبة من القبائل التي استقرَّت بها في مرحلة مبكرة جدًّا، وكذلك هو شأن العراق بعامَّة، وإذا كنَّا نقول إنَّ بعض الأسر خرجت من السَّاحل الغربي للخليج العربي، فالعكس صحيح -أيضًا- ؛ فأسرة كالقواسم -على سبيل المثال-[٢] في عُمان والإمارات يُذْكَر أن أصولهم من العراق -وهذا على قول ينقله بعض الأسلاف-. فحركة الهجرة -بناء على ذلك- متبادلة، وهي سُنَّة بشريَّة، تحكم الوجود؛ لأسباب وبواعث مختلفة، ليس المقام لتفصيل الكلام حولها.

(١) الإصطخري، مخطوطة **المسالك والممالك** (و: ٦- ٢٠/١٧٠). المكتبة البريطانية: مخطوطات شرقية OR ٥٣٠٥. ينظر: مكتبة قطر الرقمية، على الرابط:
https://www.qdl.qa/archive/81055/vdc_100151239265

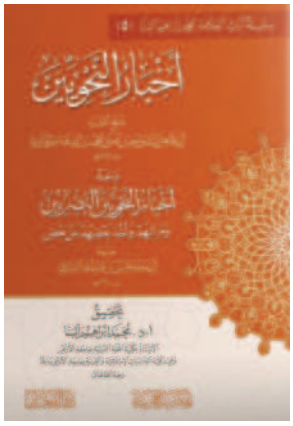
(٢) خلفان بن علي بن خلفان القاسم، **الفيصل القاسم في أصل القواسم**، راجعة: د. صالح بن ناصر القاسمي، (القاسمي، سلطنة عمان، ٢٠١٣م)، ص٥٦.

2-3- الرحلة الأدبية:

الانتقال بين الحواضر طلبًا للأدب والمعرفة اللغوية أمرٌ كان معروفًا في مرحلة باكرة، والقصص المأثورة حول ذلك غنيَّة جدًّا وملهمة. دأب كثير ممن كتب أنْ يتعرَّض للرحلة العلمية عادة، وقليلًا من نجِدُه قد تعرَّض لمعالجة هذا الموضوع على سبيل الاستقلال، فيما يلي رصد لبعض وجوه ما أطْلَقْتُ عليه بالرحلة الأدبية إلى البصرة (محور البحث).

2-3-1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، والرحلة إلى البصرة:

يعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، شخصية عمانية فذَّة، نشأت بالبصرة، وباتت رمزًا من رموزها المهمة؛ في اللغة والنحو والأدب، ورأسًا لمدرسة البصرة المعروفة في النحو، وأسلاف الخليل من منطقة وُدَام العمانية، على ساحل خليج عُمان، وأبوه أحمد بن عمرو انتقل إلى البصرة، وعاش بها، وشارك في بعض الأحداث الكبرى. يقول أبو طاهر المقرئ (ت ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م) في **أخبار النحويين**: «كان من أهل البصرة جماعة انتهى إليهم علم اللغة والشعر، وكانوا نحويين، منهم: الخليل بن أحْمَد، وأبو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّى التَّيْمِي، والأصْمَعِي عبد الملك بن قُرَيْب، وأبو زيد سعيد بن أوْس الأنصاري؛ فهؤلاء المشهورون في اللغة والشعر، ولهم كتب مصنفة، وكان بالبصرة جماعة غيرهم قبلهم وفي عصرهم، كأبي الخَطَّاب الأخْفَش. وكان قبل هؤلاء وفي عصرهم خلف الأحمر، وأبو مالك عَمْرو بن كَرْكَرَة الأعرابي، وأبو فَيْد مُؤَرِّج العِجْلِي، وغيرهم. ويقال: إن الأصْمَعِي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان الخليل يحفظ نصف اللغة..»[1]. هذا النَّص يؤخذ منه أن الخليل كان من كبار نحاة



(١) أبو طاهر، عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم المقرئ، **أخبار النحويين**، تح: المحقق: مجدي فتحي السيد، (الناشر: دار الصحابة للتراث – طنطا، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م)، ص٣٩

البصرة المنظور إليهم في ذلك الوقت، وكان حافظًا، مُستوعبًا للغة، يزيد حفظه فيها على أمثال الأصْمَعِي وأضرابه من كبار الأدباء. وبتتبع نسب الخليل بن أحمد يظهر جليًّا أنَّه من فراهيد؛ وفراهيد من الأزد، والأزد -كما يذكر النَّسَابة الكبار- جرثومة عظيمة من جراثيم العرب، تزيد على أربع وعشرين عمارة[1]؛ يشيد أحد الشعراء بذلك الانتماء، قائلًا:

ومَا زَالَ هَذَا الْعِلْمُ تنْمِيهِ سَادَةٌ ... جَهَابِذَةٌ تبْلَى بِهِ وَتُعَاضِدُهْ
إلَى أنْ أتَى الدَّهْرُ الْعَقِيمُ بواحِدٍ ... مِنَ الأزْدِ تَنْمِيهِ إليهِ فَرَائِدُهْ
إمَام الوَرَى ذاكَ الخَلِيلُ بنُ أحْمَد ... أقرَّ لَه بالسَّبْقِ فِي العِلْم حَاسِدُهْ
وبِالْبَصْرَةِ الْغَرَّاءِ قَدْ لاحَ فَجْرُهُ ... فَنَارَتْ أدَانِيهِ وَضَاءتْ أبَاعِدُهْ
ذَكِيُّ الوَرَى ذِهْنًا وأصْدَقُ لَهْجَةً ... إذَا ظنَّ أمْرًا قُلْت مَا هو شَاهِدُهْ
وَمَا أنْ يُروّي بَلْ جَمِيعُ عُلُومِهِ ... بَدَائِهَ أعْيَتْ كُلَّ حَبْرٍ تجالُدُهْ
هُوَ الوَاضِعُ الثَّانِي الَّذِي فَاقَ أوَّلًا ... وَلَا ثَالِثٌ فِي النَّاسِ تصْمِى قَوَاصِدُهْ
فَقَدْ كَانَ رَبَّانِيَّ أهْلِ زَمَانِهِ ... صُوَيْمٌ قُوَيْمٌ رَاكِعُ اللَّيْل سَاجِدُهْ
يقيِّمُ مِنْهُ دَهْرَهُ فِي مثوبةٍ ... وثوقًا بأنَّ اللهَ حقًّا مَوَاعِدُهْ
فَعَامٌ إلَى حجٍّ وعامٌ لغَزْوَةٍ ... فيعرفهُ البيتُ العتيقُ وَوَافِدُهْ
ولم يثنهِ يومًا عن العلمِ والتُّقى ... كواعبُ حُسْنٍ تَثْنِي وَنَوَاهِدُهْ
وأكثرُ سكناهُ بقفْرٍ بحيث لا ... ثُنَاغِيهِ إلا عفرُهُ وأوَابِدُهْ
وما قوتهُ إلا شعيرٌ يسِيغُهُ ... بماءٍ قُرَاحٍ ليس تُغْشَى مواردُهْ
عُزُوبًا عن الدُّنْيَا وعَنْ زَهَرَاتِهَا ... وشوقًا إلى المولى ومَا هُوَ واعدُهْ[2]

جاء في كلمةٍ لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ / ١٠٠٥م) في **الأوائل**: «كان من فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد صريح

(١) أحمد علي أحمد الزهراني، **العنوان في أنساب زهران**، (نشره مؤلفه، السعودية، ط: الثانية، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م)، ص٥٣

(٢) محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ)، ص١٩٥٨.

فيهم...؛ والفراهيد غنم صغار، واحدها فرهود»[1]، بينما يستدرك صاحب **العنوان** قائلًا: «فَرَاهِيدُ بن شَبَابَة بن مَالِك بن فَهْم بن غُنْم بن دَوْس بن عُدْثَان بن عبدالله بن زَهْرَان»[2]. يواصل عمود النسب: «الخليل بن أحْمَد بن عبد الرحمن بن عمْرو بن تَمِيم الفراهيدي»[3]، ويصفه الأول قائلاً: «كان الخليل من أزْهَدَ النَّاس وأعلاهم نفسًا، وأشدَّهم تعفُّفًا، وكان يعيش من بستان له خلَّفَهُ أبوه بالجزيرة، وكان يحجُّ سنة ويغزو سنة، حتَّى جاءه الموت»[4].

ويشيد عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥ هـ / ٨٦٩م) في **البيان والتبيُّن** (المعروف بالبيان والتبيين) بمدى عنايته بالأوزان والنَّغم، قائلًا: «وضع الخليل بنُ أحمدَ لأوزان القصيد وقِصار الأرْجَاز ألقابًا لم تكن العربُ تتعارف تلك الأعاريضَ بتلك الألقابِ، وتلك الأوزان بتلك الأسماء، كما ذكر الطَّويلَ، والبسيطَ، والمديد، والوافر، والكامل، وأشباه ذلك، وكما ذكر الأوتادَ والأسباب، والخَرْم والزِّحاف»[5]، وقال في **رسائله الأدبية**: «ولم يزل أهل كلِّ علم فيما خلا من الأزمنة يركبون منهاجه، ويسلكون طريقه، ويعرفون غامضه، ويُسَهِّلون سبيل المعرفة بدلائله، خلا الغناء، فإنّهم لم يكونوا عرفوا عِلَلَه وأسبابه ووزنه وتصاريفه، وكان علمهم به على الهاجس، وعلى ما يسمعون من الفارسيّة والهندية، إلى أن نظر الخليل البصريُّ في الشّعر ووزنه، ومخارج ألفاظه، وميَّزَ ما قالت العرب منه، وجمعه وألَّفه، ووضع فيه الكتاب الذي سمَّاه العروض، وذلك أنَّه عرض جميع ما روي من الشّعر وما كان به عالمًا، على الأصول التي رسمها، والعلل



(١) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، **الأوائل**، (دار البشير، طنطا، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ)، ص٣٧٧.

(٢) أحمد علي أحمد الزهراني، **العنوان في أنساب زهران**، ص٥٣

(٣) أحمد علي أحمد الزهراني، **المصدر نفسه**، ص٥٣.

(٤) أبو هلال العسكري، **الأوائل**، ص٣٧٧

(٥) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، **البيان والتبيين**، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٣ هـ)، ص١٩٧.

التـي بيّنهـا، فلـم يجـد أحـدًا مـن العـرب خـرج منهـا، ولا قصَّـر دونهـا. فلمَّـا أحكـم وبلـغ منـه مـا بلـغ، أخـذ فـي تفسـير النّغـم واللّحـون، فاسْـتَدْرَك منـه شـيئًا، ورَسَـمَ لـه رسْـمًا، احْتَذَى عليه من خلفه، واستتمَّه من عنِيَ به»[1].

ممَّا سبق يتبيَّن لنا الآتي:-

- الخليل بن أحمد عالم من فَرَاهِيد الأزديَّة العمانية، سكن البَصْرَة، وعاش فيها.
- كان زاهـدًا متواضعًـا، كثيـر المراعـاة للنـاس، عارفًـا قـدر نفسـه، ومكانتهـا، كثيـر العبـادة والخشـية لله.
- وضـع الخليـل علـم العـروض، وألقـاب الأوزان، وهـو بذلـك يكـون أول مـن ضبـط الإيقـاع، وقعَّـد للشـعر.

قيـل: ولـد الخليـل بالبصـرة سـنة مائـة للهجـرة، وعـاش بهـا، وفيهـا كانـت نشـأته وتعلمـه، وكانـت وفاتـه سـنة خمـس وسـبعين ومائـة. هكـذا ورد فـي بعـض المصـادر، بينمـا يقـول العوتبـي الصحـاري (ت ٥١١ هـ) فـي **الإبانـة**: «ومـن أهـل عمـان: الخليـل بـن أحمـد الأزدي، وكان خـرج إلـى البصـرة وأقـام بهـا، فنُسِـبَ إليهـا. وهـو صاحـب كتـاب (العيـن)؛ الـذي هـو إمـام الكتـب فـي اللغـة، ومـا سـبقه إلـى تأليـف مثلـه أحـد، وإليـه يتحاكـم أهـل العلـم والأدب فيمـا يختلفـون فيـه مـن اللغـة؛ فيرضـون بـه، ويُسَـلِّمون لـه، وهـو صاحـب النحـو، وإليـه ينسـب، وهـو أول مـن بوَّبـه، وأوضحـه ورتَّبـه وشـرحه. وهـو صاحـب العـروض والنقـط والشَّـكل، والنـاس تبـع لـه، ولـه فضيلـة السـبق إليـه، والتقـدم فيـه»[2].

ويُعـرِّف صـلاح الديـن الصفـدي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) فـي **الوافـي بالوفيـات** بأسـاتذته، ومـن أخـذ منهـم أو أخـذوا عنـه، قائـلا: «روى عـن: أَيُّـوبٍ وعَاصِـم

(١) عمـرو بـن بحـر بـن محبـوب الكنانـي بالـولاء، الليثـي، أبـو عثمـان، الشـهير بالجاحـظ، **الرسـائل الأدبيـة**، (دار ومكتبـة الهـلال، بيـروت، ط: الثانيـة، ١٤٢٣ هـ)، ص١٩٧.

(٢) سـلمة بـن مسـلم بـن إبراهيـم الصحـاري العوتبـي العُمَانـي الإباضـي، أبـو المنـذر، **الإبانـة فـي اللغـة العربيـة**، تـح: د. عبـد الكريـم خليفـة، د. نصـرت عبـد الرحمـن، د. صـلاح جـرار، د. محمـد حسـن عـواد، د. جاسـر أبـو صفيـة، (وزارة التـراث القومـي والثقافـة، مسـقط، سـلطنة عمـان، الطبعـة: الأولـى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، ج١، ص ٣٦ ومـا بعدهـا.

الأخْـوَال والعَـوَّام بـن حَوْشَـب وغَالِـب القَطَّـان. وعنـه أخـذ: سِـيبويهِ والأصْمَعِـي والنَّضْـر بـن شُـمَيل وهَـارون بـن موسـى النَّحـوي ووَهْـب بـن جَرِيـر وعلـيُّ بـن نَصْـر الجهضمـي»[1]، وحـول سـيرته وأخلاقـه وحياتـه العلميـة يقـول: «كان خيِّـرًا متواضعًـا، ذا زهـد وعفـاف؛ يقـال إنـه دعـا بمكـة أن يرزقـه الله علمًـا لـم يُسْـبَق إليـه، فرجـع إلـى البصـرة وقـد فتـح عليـه بالعـروض، فوضعـه، فهـو أول مـن وضعـه، وصنَّـف كتـاب (العيـن) فـي اللغـة، وقـد ذكـره أبـو حاتـم ابـن حيّـان (ت٣٥٤ هـ / ٩٦٥م) فـي كتـاب **الثِّقـات** فقـال: يـروي المقاطيـع. وقـال النَّضـر بـن شـميل (ت ٢٠٣ هـ / ٨١٩ م): أقـام الخليـل بـن أحمـد فـي خُـصٍّ بالبَصْـرَة، ولا يقـدر علـى فلسـين، وتلامذتـه يكسـبون بعلمـه الأمـوال. وكان آيـة فـي الـذكاء، وكان سـبب موتـه أنـه قـال: أريـد أن أعمـل نوعًـا مـن الحسـاب، تمضـي بـه الجاريـة إلـى الفاميِّ (= البقـال فـي زماننـا)، فـلا يمكنـه أن يُظِلَّهـا، فدخـل المسـجد وهـو يُعْمِـل فكـره، فصدمتـه سـارية وهـو غافـل فانصـرع، ومـات»[2]. أخبرنـي بهـذه القصَّـة الأخيـرة جـدِّي الفقيـه سـالم بـن حمـد الحارثـي -رحمـه الله-، وكان كلِفًـا بالنحـو، مُحِبًّـا للعربيـة.



[صورة – ٢٤: الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، أحد قضاة عُمان وأدبائها الكبار، التقطت الصورة بالمضيرب، ويظهر خلفه مسجد «الحساب»]

(١) صـلاح الديـن خليـل بـن أيبـك بـن عبـد الله الصفـدي، **الوافـي بالوفيـات**، تـح: أحمـد الأرنـاؤوط وتركـي مصطفـى، (الناشـر: دار إحيـاء التـراث – بيـروت، د. ط، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ج١٠/٧٩٧

(٢) صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص٧٩٧.

وفي شأن انقطاعه للعلم، واشتغاله بالتأليف، وبخاصة كتابه العين، وجدت ابن المعتز (ت٢٩٦ هـ / ٩٠٩م) يحكي في **طبقات الشعراء**: «حدثني أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثني الحسن بن المهلبي قال: كان الخليل بن أحمد منقطعًا إلى الليث بن نصر بن سيَّار، وكان الليث من أكتب الناس في زمانه، وكان بارع الأدب، بصيرًا بالنحو والشعر والغريب، وكان يكتب للبرامكة، ويطير معهم في دولتهم بجناحين، وكانوا به معجبين، فارتحل إليه الخليل بن أحمد، فلما عاشره وجده بحرًا، فأجزل له وأغناه. وأحبَّ الخليل أن يُهدي إليه هدية تليق به، فأقبل وأدبر، وعلم أن المال والأثاث لا يقع منه موقعًا حسنًا؛ لوجود ذلك عنده، وكثرته لديه، وأنَّه لا يسرُّ بشيء سروره بمعنى لطيف من الأدب، فجهد نفسه في تصنيف كتاب العين، فصنَّفه لليث بن نصر دون سائر الناس، ونمَّقه وحبَّره، وأخرجه في أسْرَى ظرف، وأحسن خط، فوقع منه موقعًا عظيمًا، وسُرَّ به سرورًا شديدًا، فوصَلَهُ بمائة ألف درهم، واعتذر إليه من التقصير، وأقبل ينظر فيه ليلًا ونهارًا، ولا يملُّ منه ولا يفتر»[1].

رغم اشتغال الخليل بالعلم، وانكبابه عليه، وتفانيه فيه، وانقطاعه له، إلا أنَّه كان يقول الشعر، وتحفل كتب الأدب والتراجم والتواريخ بمنثورات من شعره، وإنْ كان مُقِلًّا أصلًا في قوله، وهو شعر تظهر فيه شخصية المؤمن الواثق بالله، الزاهد فيما عند الناس، المُتعلِّق بربه، ويغلُب على شعره الوعظ والحكمة.

وبالجملة فللخليل قصص كثيرة جدًّا، تشهدُ له بجلالة القدر، وعلو المنزلة، ورفعة المكانة، والنبوغ والاجتهاد، وإفناء العمر في التحصيل وطلب العلم النافع وبذْله، والأخذ بأيدي الناس لما فيه صلاح أمورهم؛ في معاشهم ومعادهم -رحمه الله رحمة واسعة-.

(١) عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، **طبقات الشعراء**، تح: عبد الستار أحمد فراج، (الناشر: دار المعارف – القاهرة، ط: الثالثة، د. ت)، ص١٤٣

2-3-2- شخصيات أخرى:

ارتحل إلى البصرة طلبًا للأدب والعربية كثيرون -عبر مسيرة حافلة-؛ ففي مرحلة مبكرة استقرَّ بالبصرة عدد من الشعراء الكبار، كالمخبَّل السعدي (ت١٢ هـ / ٦٣٣م)، وكان من المُعَمَّرين. شهد مع قَيْسِ بن عَاصِم (نحو ٢٠ هـ / ٦٤٠ م) حرب ربيعة في البحرين، وله فيه مديح[١]، وكصُحَار بن عيَّاش العَبْدِي (نحو ٤٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٦٠ م)، وكان خطيبًا مُفوَّهًا، له صُحْبَة، وأخبار حسنة. قال له معاوية: ما تعدُّون البلاغة فيكم؟ فقال: الإيجاز، قال: وما الإيجاز؟ قال: ألَّا تبطئَ ولا تُخْطِئ. وهو أحد النَّسَّابين، وله مع دِغْفِل النَّسَّابة محاورات، وكان ممن شهدوا فتح مصر، ولما قتل عثمان قام صحار يطالب بدمه. وشهد (صفين) مع معاوية، وسكن البصرة، ومات فيها[٢]. وكالفَرَزْدَق (ت١١٠ هـ / ٧٢٨ هـ)، وأصله من كاظمة -كما سيأتي-، سكن البَصْرَة، وكان رمزًا من رموزها الأدبية، وهو عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يُشَبَّه بزهير بن أبي سلمى (ت ١٣ ق هـ / ٦٠٩ م). وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى؛ زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين، وهو صاحب الأخبار مع جرير (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م)، والأخطل (ت ٩٠ هـ / ٧٠٨ م)، ومهاجاته لهما أشهر من أنْ تُذْكَر. كان شريفًا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه -وكان أبوه من الأجواد الأشراف-، وكذلك جده. جاء في **شرح نهج البلاغة**: «كان الفرزدق لا يُنْشِد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعدًا، وأراد سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩ هـ / ٧١٧ م) أنْ يُقِيمَه، فثارت طائفة من تميم، فأذِن له بالجلوس!»[٣].

---

(١) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٥ هـ)، ج٢، ص٣٨٠.

(٢) خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٢٠١.

(٣) خير الدين الزركلي، **المصدر نفسه**، ج٨، ص٩٣.

وممَّن قَدِمَها: العَدِيلُ بن الفَرْخ العِجْلِي (ت: نحو ١٠٠ هـ / ٧١٨ م)، من رهط أبي النَّجْم الفَضْل بن قُدَامَة (ت ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م)، ويُلَقَّب بالعُبَاب، وهو شاعر فحْل[١]. مدح مَالِك بن مسْمَع الجُحْدُرِيَّ، فوَصَلَه. أقام بالبصرة، واستطابها، وكان مقيمًا عند مالِك، فلم يزل بها إلى أن مات، وكان يُنَادِم الفَرَزْدَق (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م)، ويصطحبان، فقال الفَرَزْدَق يرثيه :

وَمَا وَلَدَتْ مثل العَدِيلِ حَلِيلَةٌ ... قديمًا ولا مُسْتَحدثاتُ الحَلائِلِ

ومَا زَالَ مُذْ شَدَّتْ يَدَاهُ إزَارَهُ ... بِهِ تفْتَح الأبْواب بَكْر بن وَائِلِ[٢]

وممَّن ولد بالبصرة وعاش بها ومات عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصْمَع البَاهِلي، أبو سعيد الأصْمَعِي (٢١٦ هـ / ٨٣١ م)، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصْمَع (أدرك النبي -عليه السلام-). كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها، ويتلقَّى أخبارها، ويُتْحِف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدًّا. وكان الرشيد (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) يسمِّيه: (شيطان الشعر). قيل عنه: ما رأينا أحدًا أعلم بالشعر من الأصمعي، وقال أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م): كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحْضَرَهم حفظًا. وكان يقول عن نفسه: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة، وتصانيفه كثير[٣]. وجدت في بعض المصادر أن قبر جده الخامس (مُظَهِّر بن رباح -الفارس الشاعر-) بكاظمة على البحر[٤]، فإن صحَّ ذلك فلا يبعد أن يكون أسلافه منها. وفي مصدر آخر أنَّ أجداده خرجوا من نجد واستقروا بالحفير (ماء بين الكويت والبصرة)، ثم استقروا مع الفاتحين في البصرة التي ولد بها الأصمعي، وعاش بها، وخرج للصحراء لتلقِّي اللغة[٥]، ويُرْوَى أن جده علي بن

(١) خير الدين الزركلي، **المصدر نفسه**، ج٤، ص٢٢٢.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، **الأغاني**، (دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. م)، ج٢٢، ص٥٠١.

(٣) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ج٤، ص١٦٢.

(٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، (دار المعارف – مصر، د. ط، عام النشر: ١٩٦٢ م)، ص٣٤٦.

(٥) فرحان الفرحان، «الأصمعي يجوب صحراء الكويت (١٢٢ - ٢١٦ هـ = ٧٤٠ - ٨٣١ م)" **موقع تاريخ الكويت**، (دولة الكويت، بتاريخ: ٩-٢٠٠٨-٩٢م). ينظر الرابط:
https://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php

أصمع كان على عهد علي بن أبي طالب -كرَّم الله وجهه- (ت ٤٠ هـ / ٦٦١ م) بسفوان[١].

بالجملة فقد تردَّد على البصرة كثير من الشعراء[٢]، تطول القائمة بذكرهم كلهم، منهم: عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م)؛ من أئمة الكتَّاب، وأول من عُنِي في الإسلام بترجمة كتب المنطق، هو وإن كان فارسي الأصل؛ إذ وُلِدَ سنة (١٠٦ هـ / ٧٢٤ م)، في قرية جُور (فيروز آباد) بفارس، ونشأ بها، وعمل على تحصيل الثقافة الفارسية هناك، إلا أنَّه رحل إلى البصرة، وتعلم اللغة العربية بها سريعًا، وشهد سوق المربد[٣]، وقد اجتمع بالخليل، وتطارحا العلم، يحكي أبو هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ / ١٠٠٥م) في **الأوائل**: «حدثنا أبو أحمد عن الصولي، عن المغيرة بن محمد المهلبي، من حفظه قال: حدثنا خالد بن خداش قال. كان الخليل ابن أحمد يحب أن يرى عبد الله ابن المقفع، وكان عبد الله يحب ذلك، فجمعهما عباد بن عباد المهلبي، فتحدثا ثلاثة أيام ولياليهن، ثم افترقا، فقيل للخليل: كيف رأيت عبد الله؟ قال: ما رأيت مثله قط، وعلمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقنع: كيف رأيت الخليل؟ قال: ما رأيت مثله قط، وعقله أكثر من علمه. قال المغيرة: وصدقا في ذلك»[٤].

توفي ابن المقفع على يد أمير البصرة سفيان بن معاوية المهلبي (حوالي ١٦٩ هـ / ٧٨٦م)، في قصة معروفة، حقد فيها الأمير على الرجل بسبب بذاءة لسانه، وكان ذلك سنة (١٤٢هـ / ٧٥٩ م)[٥].

وتذكر كتب التراجم عن الكسائي، أبي الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن الأسدي (ت ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م)، مولاهم الكوفي، المقرئ النحوي، أنه

(١) أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد، ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٣، ص١٧٤.

(٢) عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، **طبقات الشعراء**، ص١٤٣

(٣) بتصرف: أحمد عبد الفتاح تمام، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، ج١٠، ص٣٤٤

(٤) ـ أبو هلال العسكري، **الأوائل**، ص٥٩٠.

(٥) بتصرف: أحمد عبد الفتاح تمام، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، ج١٠، ص٣٤٤

رحل إلى البصرة، فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م). قال الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ٣٤٨١م) في **سير أعلام النبلاء**: «جالس في النحو الخليل، وسافر في بادية الحجاز مدَّة للعربية، فقيل: قدم وقد كتب بخمس عشرة قنينة حبر. وأخذ عن: يونس. قال الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م): من أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي»[١]. كان الكسائي إمامًا في النحو واللغة والقراءات، ولم تكن له في الشعر يد، حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر؛ وكان يُؤدِّب الأمين بن هارون الرشيد (ت ١٩٨ هـ / ٨١٣ م)، ويعلِّمُه الأدب[٢].

وممَّن استقرَّ بها -أيضًا- سعيد بن هارون الأشناندانى، أبو عثمان (٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)، وهو لغوي من العلماء الأوائل بالأدب، من أهل بغداد. سكن البصرة، ولقيه بها ابن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م)[٣]. وابن دريد هذا أديب عماني معروف، قال عنه العوتبي (ت ٥١١ هـ) في **الإبانة** ذاكرًا أهل عُمان: «ومنهم: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، وهو صاحب كتاب الجمهرة، وله مصنفات كتب عدة. وهو الخطيب المذكور، والشاعر المشهور، والفصيح الذي يقف عن كلامه البلغاء، ويعجز عن آدابه الأدباء، وتستعير منه الفصحاء، وتستعين بكلامه الخطباء. وهو خطيب في شعره، ومصقع في خطبه، وقدوة في أدبه، وحكيم في نثره، ومجيد في شعره، لا زيادة عليه في فنون العلوم والآداب»[٤]. وقد قفل هذا الشاعر عائدًا إلى وطن آبائه عُمان، وشارك في بعض الأحداث الجسيمة بها، وقال شعرًا، أقام بها اثني عشر عامًا، وعاد الى البصرة، ثم رحل إلى نواحي فارس، فقلَّده (آل مِيكَال) ديوان فارس، ومدحهم

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، **ج٩، ص١٣٢.**

(٢) أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، ج٣، ص٢٩٥.

(٣) خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص١٠٣.

(٤) سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي العُمَاني، أبو المنذر، **الإبانة في اللغة العربية**، ج١، ص ٣٧.

بقصيدته (المقصورة)، ثم رجع إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي (ت ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م)، فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارًا، فأقام إلى أن توفي[١].

ومنهم: حنين بن إسحاق العبادي (ت ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م)، من أهل الحيرة (في العراق)، هو الآخر سافر إلى البصرة، فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، وانتقل إلى بغداد، فأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م)، وغيره، وتمكَّن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، فانتهت إليه رئاسة العلم بها بين المترجمين، مع إحكامه العربية، وكان فصيحًا بها شاعرًا[٢].

وممن أفاد من البصرة محمد بن الوليد ابن ولاد، أبو الحسين التميمي (ت ٢٦٣ هـ / ٨٧٧ م)، أصله من البصرة، ونشأ بمصر، ثم رحل إلى البصرة يطلب العلم، فتلقى عن مروان بن سعيد بن عباد المهلبي (نحو ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م)، تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)، وعن غيره، فروى كتب اللغة والنحو وحذقهما، ثم قفل إلى مصر ومعه كتب النحو واللغة التي رواها بأسانيدها، فهو أول من أدخل كتب النحو واللغة إلى مصر، وقد بُورك له في بنيه وحفدته، توفي بمصر، قيل سنة ٢٦٣هـ[٣].

ومن أدباء عُمان الذين استقرُّوا بالبصرة أبو العباس المبرد (ت ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م)، صاحب الكامل في اللغة والأدب. قال عنه ابن رزيق النخلي (ت١٢١٩ هـ / ١٨٧٣م) في **الصحيفة القحطانية**: «ومن فراهيد المبرد النحوي؛ وهو أبو العباس أَحْمَد بن مُحمَّد بن يزيد بن عبد الأَكْبَر الفَرْهُودِي، وهو صاحب كتاب المقتضب في النحو، وما سبقه أحد إلى تأليفه، وإليه يتحاكم أهل النحو فيما يختلفون فيه من النحو»[٤].

---

(١) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ج٦، ص٨٠.

(٢) الزركلي، خير الدين، **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٨٧.

(٣) محمد الطنطاوي، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، تح: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل (مكتبة إحياء التراث الإسلامي، د. م، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، **ص١٤٧ وما بعدها.**

(٤) حميد بين محمد بن رزيق بن بخيت النخلي، **الصحيفة القحطانية**، تح: أ.د محمد حبيب صالح ود محمد بن مبارك السليمي (وزارة التراث والثقافة، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م)، **ص١٤٧ وما بعدها.**

ومنهم قبله: كَعْب بن معْدَان الأشْقَرِي (ت: نحو ٨٠ هـ / ٧٠٠ م)؛ الفارس، والشاعر، والخطيب المعروف، من جلَّة أصحاب المُهَلَّب[1]، المذكورين في حروب الأزَارِقة، يكنى: أبا مالك. وروى العتبي أنه لما وفد على الحَجَّاج استفتح القول بإنشاده قصيدته التي أوَّلُهَا:

يا حَفْصُ إنِّي عَدَانِي عَنْكُمُ السَّفَرُ ... وقد سَهِرْتُ فأرْدَى عَيْنِيَ السَّهرُ

ومرَّ في القصيدة يذكر وقائعهم مع المُهَلَّب (ت ٨٣ هـ / ٧٠٢ م)، حتى انتهى إلى قوله:

خبُّوا كَمِينَهُمُ بالسَّفْحِ إذْ نَزَلُوا ... بِكَازَرُونَ فمَا عزُّوا ولا نصرُوا
باتتْ كتائبنا تُرْدِي مُسلَّمَةً ... حول المُهَلَّب حتى نوَّر القَمَرُ
هناكَ ولَّوْا خَزَايَا بَعْدَ ما هُزِمُوا ... وحَالَ دُونهمُ الأنهارُ والجُدُر
تَأبَى علينا حَزَازَاتُ النُّفوسِ فمَا ... نُبْقِي عليهمْ ولا يُبْقونَ إنْ قدرُوا

قال فضحك الحجّاج له، وقال: إنك لمنصف يا كَعْبُ، أ خطيب أنت أم شاعر؟ قال شاعر خطيب، فسأله كيف كان محاربة المُهَلَّب للقوم، وساق الحديث إلى آخره بمعناه. قال ثم قال: كيف كان بنو المُهَلَّب؟ قال حُمَاة الحريم نهارًا، وفرسان الليل تيقُّظًا. قال: فأين السماع من العيان؟ قال: السماع دون العيان، قال صفهم رجلًا رجلًا، قال: المغيرة فارسهم وسيُّدهم نار ذاكية، وصعدة عالية. وكفى بيزيد فارسًا شجاعًا ليث غاب، وبحرًا جمَّ العباب. وجوادهم قبيصة ليث المغَار، وحامي الذِّمار. ولا يستحي البطل أن يفرّ من مدرك، وكيف لا يفرُّ من الموت الحاضر، والأسد الخادر، وعبد الملك سمٌّ ناقع، وسيف قاطع. وحبيب موت ذعاف، إنما هو طود شامخ، وعزٌّ باذخ. وكفاك بالمفضَّل نجدة ليث هرَّار، وبحر موّار. ومحمد ليث غاب، وحسام ضرَّاب. قال: فأيّهم أفضل؟ قال: هم كالحلقة المفرغة، لا يُعْرَف طرفاها. قال: كيف جماعة الناس؟ قال: هم على أحسن حال؛

(١) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ج٥، ص٢٢٩.

أدركوا ما رَجَوا، وأمِنُوا ما خافوا، وأرْضاهم العدل، وأغناهم النفَل[١].

وممَّن انتقل إلى البصرة: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م)، نسبة إلى صناعة الحرير أو بيعه، ولد بالمُشَان؛ وهي قرية قريبة من البَصْرَة، ثم رحل إلى البَصْرَة، وسكن في محلة بني حَرَام، وتأدَّب بها، وقرأ العربية على أبي الحسن بن فضَّال المُجَاشِعِي (ت٤٧٩ هـ / ١٠٨٩م)، شيخ إمام الحرمين[٢]، والأخير من ذرية الفَرَزْدَق الشَّاعر (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م). وأصل الفرزدق من كاظمة -كما تقدَّم-، وقبر أبيه بها، في المَقَرّ (=امْغِيرَة، من جهة شَالِيهَات الصَّبِّيَّة؛ أو هي أمْغَرَة: السِّكْرَاب). وعامة أهلها قديمًا من تميم، وسكنها قوم من بَجِيلة بعد يوم مهْرَان. وقد نسب إلى كَاظِمَة كثير من الشعراء[٣]. والمجاشعي -المذكور- إمام في النحو، طوَّف الدنيا، واتصل بنظام الملك، وصنف (الإكسير في التفسير) في خمسة وثلاثين مجلدًا، ومؤلفًا في النحو في عدّة مجلدات، و (البرهان) في التفسير في عشرين مجلدًا، وقد ألَّف بغَزْنَة كتبًا بأسماء أكابر، وأقْرَأ الآداب مدَّة، وله نظم جيِّد[٤].

ومن طريف ما وقفت عليه أن قبر زوج جَرِير بن عَطِيَّة (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م) -الشَّاعر-، أم ابنه حَرْزَة، في المَقَرّ (بالكويت) -هكذا قيل-، وقد رثاها بقصيدة رائعة، على كبره، يقول[٥]:

لولا الحياء لعادني اسْتعبارُ ... ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ
ولقدْ نظرتُ وما تمتُّع نظرةٌ ... في اللَّحْدِ حيث تمكنَّ المِحْفَارُ
فجزاكِ ربكِ في عشيركِ نظرةً ... وسقى صداكِ مجلجلٌ مدرارُ

(١) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى، **سمط الآلي في شرح أمالي القالي**، تح: عبد العزيز الميمني (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. م)، ج١، ص٥٨٨.

(٢) الشريسي، **شرح مقامات الحريري**، ج١، ص٦.

(٣) عبد العزيز بن مساعد الياسين، **كشاف الألقاب «معجم ألقاب الأسر الكويتية»**، (مكتبة دار المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ط: الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م)، ص١٩٣ وما بعدها.

(٤) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٨، ص٥٢٨.

(٥) جرير بن عطية الخطفي، **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**، ج٢، ص٨٦٢.

ولَّهْـتِ قلبـي إذ عَلَتْنِـيَ كـــــبرةٌ ... وذوو التمائـم مـن بنيـكِ صغـــارُ
أرْعَـى النجـومَ وقـد مضـت غوريَّـةً ... عصـب النُّجـومِ كأنهـنَّ صـــوارُ
نعـم القريـنُ وكنـت علـق مضـــنَّة ... وأرى بنعْـفِ بليَّـة الأحجـــارُ
عمـرت مكرَّمـة المسـاك وفارقـتْ ... مـا مسَّـها صَلَـفٌ ولا إقْتَـــارُ
فسَـقَى صَـدَى جـدث ببرقـة ضاحـكٍ ... هـزِمٌ أجـشٌ وديمـةٌ مِـــدْرَارُ

وفيها:

كانـت مكرمـةُ العشـيرِ وَلَـمْ يَكُـــنْ ... يُخْشَـى غَوائـلَ أمِّ حَـرْزَة جـــارُ
ولقـد أراكِ كُسـيتِ أجْمـلَ منظـــرٍ ... ومـعَ الجمـالِ سـكينةٌ ووَقَـــارُ
والريـحُ طيِّبـةٌ إذا استقبلتـــها ... والعِـرْضُ لا دنـسٌ ولا خـــوَّارُ
وإذا سـريت رأيـتُ نـارَكِ نـــوَّرت ... وجهًـا أغـرَّ يزينـهُ الإسفـــارُ
صَلَّـى الملائكـة الذيـن تَخَـــيَّروا ... والصَّالحـونَ عليـك والأبـــرارُ

ومـن الأدبـاء الذيـن سُـمِعَ لهـم بالبصـرة وأصلهـم مـن القطيـف: أبـو إسْـحَاق، إبْرَاهيـم بـن أحمـد بـن يوسـف العَبْـدِيُّ الجَذْمِـيُّ (حـي ٥٥٧ هـ)، مـن (بنـي عبـد القَيْـس)، مـن: رَبِيعـة. قـال عمـاد الديـن الأصفهانـي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) فـي **خريـدة القصـر وجريـدة العصـر**: «سـمعت الأديـب الفاضـل علـيَّ بـن الحسـن بـن إسـماعيل العَبْـدِيَّ البَصْـريَّ، بهـا، فـي ذي الحجّـة مـن سـنة سـبع وخمسـين وخمس مائـة، قـال: نزلـت القطيـف فـي شـعبان سـنة أربـع وخمسـين وخمس مائـة، والأميـر بهـا قُـوَام الدِّيـن بـن المنصـور: عزيـز بـن المُقَلَّـد بـن علـيّ بـن عبـد الله العبـديّ -رحمـه الله-، وأنزلنـي فـي محلّـة يقـال لهـا: «العطـش». فكنـت يومـا جالسًـا فـي الـدّار، إذ دخـل خـادم لنـا، وبيـده رقعـة، فيهـا مكتـوب:

يـا أيُّهـا السَّـيِّدُ الكريـمُ وَمَـــنْ ... فـاقَ الـوَرَى فـي العلـــومِ والأدَبِ
إنَّـك مِـنْ مَعْشَـرٍ أولـي شَـــرَفٍ ... فِـي النَّـاسِ زاكِـي النِّجـار والحَسَـبِ
أتيـتُ أبغـي لديـك فائـــــدة ... والعلـمُ قـد يُسْـتَفادُ بالطَّلَـــــبِ

قال: فكتبت في ظهرها:

أهـلا وسـهلا ومرحبًـا بأخـي الـ ... فضـل وخـدْن العلـوم والخُطَـــبِ

بيِّنْ أخي نوع ما قصدت لـه نبذلـه طوعًا من غير ما صَخَبِ
واقْدُمْ على خيرة الإلـه وسَلْ نفدك ما تبتغيهِ مِنْ أدبِ

فدخل رجل حسن السّمت، كثير الصّمت، عرفته بصفة كان وصفها لي أبو علي بن أبي الهوارس، قاضي القطيف، قلت له: لعلّك المُلقَّب السّكونيّ؟ قال: نعم. فرحَّبتُ به، وسألني إملاء شيء من العروض، وتردَّد إليَّ أيَّامًا، إلى أن صار فيه إمامًا»[1].

ترجم العِمَادُ بعد هذه الشخصيّة للحسين بن ثابت ابن الحسين العَبْديّ الجذْميّ، من (عبد القيس)، من القطيف، كان -أيضًا- شاعرًا نسَّابة كاتبًا. له ذكر سنة ٥٥٤ هـ، توفيَ بعُمان. نقم عليه -كما يقول- أبو سِنَان: محمَّد بن فضل الله بن عليّ بن عبد الله بن عليّ العَبْدِيُّ، ثمّ المرّيّ، فحَبَسَهُ عدَّة سنين، وطالت مُدَّته في الحبس، فكتب قصيدة إلى عشائره من (عبد القَيْس) يستغيث بهم، ويقبِّح لهم إهمالهم إيَّاه، مع كون الأمير منهم، ويستنجد بهم على الأمير، ويسألهم سؤاله إطلاقه. والقصيدة طويلة جدًّا -بحسب العماد-، وقد ذكر فيها من بطون (عبد القيس)، وأمجاد القبائل حدود خمسين قبيلة وفخذًا وعمارة، يدلُّ ذلك -كما يقول- على علمه بالنّسب: دقيقه وجليله[2].

وقد ارتحل إلى البصرة، أو زارها في العصر الحديث كثيرون، إذا ما تجاوزنا تلك المحطَّات المشار إليها، يطول المقام بتتبُّع كلِّ الأسماء، أذكر من بينهم -على سبيل المثال-: عُثْمَان بن سَنَد بن راشد النَّجْدي الوائلي (١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م)، ولد هذا الشيخ الشاعر في فَيْلَكَا سنة ١١٨٠ هجري، ١٧٦٦ ميلادي، وعاش سنوات الصِّبا وشرْخ الشباب على أرض كاظمة، ثم تنقَّل بين الحسا والبصرة وبغداد؛ طلبًا للعلم والمعيشة، يُعْرَف بالفَيْلَكَاوِي، وله مؤلفات من المراجع المهمة[3].

ومنهم: الشيخ عبدالله بن أحمد البصري البلادي (حي ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣م)،

---

(١) عماد الدين الكاتب الأصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن ألـه، أبو عبد الله، **خريدة القصر وجريدة العصر**، تح: سعيد جميل، (المجمع العلمي العراقي - عراق – بغداد، ط: الأولى ١٣٧٥ هـ)، ج٦، ص٨٥١ وما بعدها.

(٢) بتصرف: عماد الدين الكاتب الأصبهاني، **المصدر نفسه**، ج٦، ص٨٦٠ وما بعدها.

(٣) عبد العزيز بن مساعد الياسين، **كشاف الألقاب «معجم ألقاب الأسر الكويتية»**، ص١٨٢.

ولد بالبحرين. وُصِف بأنه أديب فاضل، لبيب كامل، أوَّاه، وكان من المشتغلين بالنحو واللغة وعلوم الآلة، يَحْوِي ديوانه الشعري حوالي أربعة آلاف بيت، طرقَ فيه مختلف الأغراض الشعرية، وله الكثير من المخمَّسات والمشطَّرات والمشجَّرات والمعارضات الشعرية، والألغاز والمعمَّيات، وكان متقنًا لها. وَصَفَهُ محقق ديوانه بأنه متفنِّن في الكلام، بارع في الوصف، وشعره خفيف الرُّوح، وأرقُّهُ ما أمْلَتْهُ العاطفة والوجدان(١).



[صورة – ٢٥: ديوان الأديب عبدالله بن أحمد البصري البلادي البحراني(٢)]

ومنهم: محمد بن عبد الله الزُّهِيري (ت ١٣٢٩ / ١٩١١م)، عالم وأديب وخطيب معروف، ولد في إحدى مناطق القطيف. نشأ على حب العلم منذ الصغر، وهاجر إلى العراق من أجل الدراسة، وبقي يتنقل بينه وبين موطنه، وسكن البصرة لفترة من الزمن، ثم استقر في الكاظمية حتى وافاه الأجل، ودفن فيها(٣).

(١) عبدالله بن أحمد البصري البلادي البحراني، **ديوان البصري**، تحقيق وتعليق: د. حسين أحمد سلمان، (مكتبة الحاج جلال العالي الخاصَّة، مملكة البحرين، ط: الأولى، ٢٠٢٤م)، م: الدراسة.

(٢) تنظر الصورة على موقع «**البلاد القديم**»، بمنصة إنستغرام، على الرابط:
https://www.instagram.com/albelad_alqadeem/p/C8c2wN_MMLF/

(٣) عبد العزيز بن مساعد الياسين، **كشاف الألقاب «معجم ألقاب الأسر الكويتية»**، ص١٨٢.

منهم -كذلك-: مُحَمَّد مَهْدِي البَحْرَانِي (ت ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م)، ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م). وهو -كما وُصِفَ- عالم جليل، وشاعر رقيق. وُلِدَ في النجف، ومات أبوه وهو في الثانية من عمره، فكفله أخوه السيد رضا الصايغ، فعني بتربيته. اشتغل بالعلوم الأدبية، ونظم الشعر وهو ابن ستة عشر عامًا، ثم تابع تحصيله من العلوم النقلية والعقلية. رحل إلى البصرة بطلب من أهلها، حيث وافته المنية هناك، فنُقِلَ إلى النَّجف، ودُفِنَ فيها. وله شعر جيِّد رقيق[1].

توجد -أيضًا- في البصرة أسرٌ مختلفة، ترجع أصولها إلى القَطِيف والحَسَا والبَحْرِين، خرَّجت عِدَّة أسماء، وُلِدَتْ وعاشت بالبَصْرَة، وعَلِقَت الأدب والحكمة في فضائها المبُدِع، وجوِّها الشعري المُلْهِم، الباعث على الإبداع.

كذلك خرج بعض الشُّعراء من البَصْرَة، واستقرُّوا بالسَّاحل الغربي من الخليج، أو تردَّدوا على حواضره المختلفة، أو عاشوا مهاجرهم بإحدى دول الخليج، بخاصَّة من العلماء والمعلمين الأوائل، أو من الصحفيين والأكاديميين في العصر الحديث.

نُمَثِّل على الحالة الأولى بالشيخ محمد بن الشيخ صالح بن محمد بن صالح بن أحمد بن محمود بن حسين بن محمد بن جَبْر بن مَانِع بن راشد المُنْتَفِقِي، من آل مانع. المولود في البصرة. أخذ العلم عن والده الشيخ صالح بن محمد بن صالح المُنْتَفِقِي (ت: بعد ١١٣١ هـ)، وعن كثير من علماء بلده، وارتحل في طلب العلم، فأخذ عن علماء الحرمين، والأحْسَاء، ولَنْجَة، وغيرها، ومكث المُنْتَفِقِي في لَنْجَة طالبًا للعلم مدة ثلاث سنوات، ثم توجَّه بعدها إلى الصِّير، التي طاب له المقام فيها؛ فاتَّخذها وطنا، واشْتُهِرَ بها؛ فأصبح يُنْسَب إليها، فيقال له: الصِّيري، وساكن الصير، وقد أقام فيها وفي رؤوس الجبال مدَّة حياته،

(١) العلامة علي بن الشيخ منصور المرهون، **شعراء القطيف**، راجعها: عدنان السيد محمد العوامي، ومصطفى آل مرهون (مؤسسة المصطفى للتحقيق والنشر، د. م، ط: الثالثة، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م)، ص١٧٩

ناشـرًا العلـم، مُجيبًـا عـن أسـئلة المسـتفتين، مرشـدًا العـوام، مُربيًّـا الطلبـة.

وقـد كان الشـيخ المنتفقـي أديبًـا بليغًـا، ناظمًـا الشـعر، مجيدًا لـه، مُكثـرًا منـه؛ حتـى عـرف بـ «شـاعر الصيـر»، وقـد كُتِـبَ لأشـعاره وقصائـده الذُّيـوع والانتشـار فـي كثيـر مـن الأقطـار، وكان مقصـد طلبـة العلـم فـي جميـع علـوم الشـريعة واللغـة، وقبلـة للمسـتفتين؛ تَـرِدُ إليـه المسـائل مـن عُمـان وفَـارِس والأحْسَـاء والبَصْـرَة وغيرهـا[1].

ومنهـم: عبـد الجليـل بـن ياسـين بـن إبراهيـم بـن طـه بـن خليـل الطَّبَاطَبَائِـي (ت ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م): أديـب، وشـاعر. ولـد بالبصـرة، وارتحـل إلـى الزَّبَّـارة فـي قطـر، فسـكنها إلـى أن اسـتولى عليهـا آل سـعود، فانتقـل إلـى البحريـن، فتعاطـى تجـارة اللؤلـؤ، ثـم اسـتوطن الكويـت، وتوفـي بهـا. مـن آثـاره: ديـوان شـعر[2].

ومنهـم: مُـلَّا أحمـد بـن محمـد بـن أحمـد بـن رَمْـل الأحْسَـائي، المعـروف بأَحَمْـد الرَّمْـل (١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م)؛ وهـو خطيـب، وأديـب، وشـاعر. ولد في سـوق الشـيوخ (العـراق)، ونشـأ بهـا، واتصـل بمشـايخها ومجالسـها، كآل حيـدر وغيرهـم. ثـم هاجـر إلـى أبـي الخصيـب فـي البصـرة، ومنهـا إلـى عربسـتان (المحمـرة)، واتَّصـل بخطبائها وعلمائهـا، وأخـذ عـن السـيد سـلمان بـن السـيد محمـد القَارُونَـي، ومنـه تعلـم فنـون الخطابـة. توفـي فـي مسـقط (عُمـان)، يـوم الخميـس ٢٧ ذي الحجـة، ونُقِـلَ جثمانـه إلـى النجـف[3].

وحسـبنا -أيضًـا- أنْ نعلـم أنَّ بـدر شـاكر السـياب (ت ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م): شـاعر البصـرة العظيـم، قـد عـاش الـدورَ الأخيـر مـن عمـره فـي مهاجـره بالكويـت، وتوفـي بهـا. وهـو قامـة أدبيـة وقيمـة كبيـرة، لا يُنكـر قدرهـا.

---

(١) د. سـالم بـن سـعيد البوسـعيدي، المنتفقـي.. **شـاعر الصيـر، جريـدة عمـان**، (مؤسسـة عمـان للصحافـة والنشـر والإعـلان، بتاريـخ: ١٥ مـارس ٢٢٤م). ينظـر الرابـط:
https://www.omandaily.om

(٢) عمـر رضـا كحالـة، **معجـم المؤلفيـن. تراجـم مصنفـي الكتـب العربيـة**، (مكتبـة المثنـى ودار إحيـاء التـراث العربـي، بيـروت، د. ط، د. م)، ج٥، ص٨٤.

(٣) كامـل بـن سـلمان الجبـوري، **معجـم الشـعراء مـن العصـر الجاهلـي حتـى ٢٠٠٢م**، (منشـورات علـي بيضـون، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، لبنـان، ط: الأولـى، ٢٠٠٢م)، ج١، ١٨٥.

والشاعر أحمد مطر (معاصر)، عاش -هو الآخر- في الكويت، وعمل في جريدة القبس محررًا ثقافيًّا، وعمل -كذلك- أستاذًا للصفوف الابتدائية في مدرسة خاصَّة هناك، وكان آنذاك في منتصف العشرينات من عمره؛ حيث مضى يُدوّن قصائده التي أخذ نفسه بالشدّة من أجل ألَّا تتعدى موضوعًا واحدًا، وإن جاءت القصيدة كلّها في بيت واحد، وراح يكتنز هذه القصائد وكأنه يدوّن يومياته في مفكرته الشخصيَّة، لكنها سرعان ما أخذت طريقها إلى النشر، فكانت «القبس» الثغرة التي أخرج منها رأسه، وباركت انطلاقته الشعرية، وأسهمت في نشرها بين القرّاء[1].

وممَّن عمل بالكويت الشاعر البصري محمود دواد البُرَيْكَان (ت ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م)، له ديوان شعري منشور. درّس في العراق والكويت -على حدٍّ سواء-[2].

على أنّ الأسماء التي جَسَّدَتْ -عبر التاريخ البعيد والقريب- تلك الصِّلات الأدبية النَّشِطَة بين البَصْرَة ومنتسبي الخليج كثيرة جدًّا، يقصر المبحث عن الإحاطة بها كلِّها، وهي شاهد حيٌّ على التفاعل الحضاري، والتواصل الفكري والأدبي، المحفور في الذاكرة، والذي ما يزال صداه يتردَّد حتى يومنا هذا.

ب) حديثًا -

وسأقتصر على مثال واحد-:

في راهننا المنظور إليه اتخذت الصِّلات صورًا وأشكالًا مختلفة، بخاصَّة مع تنامي جهود الدول والمؤسسات والمراكز والتربُّصات العلمية والأدبية، التي تبذل قصارى الجهد لتعزيز تلك الروابط، وتوشيج العلائق فيما بين الفرقاء، وفي الحالة (الخليجية – العراقية) اتخذ التفاعل بين أبناء الساحل الغربي تحديدًا والبصرة وجوهًا شتَّى، لا يمكن بحال الإحاطة بها كلّها، لذا أراني مُضْطَرًا

(١) أحمد مطر، **المجموعة الشعرية**، (دار الحرية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ٢٠١١م)، ص٥.

(٢) د. إميل بديع يعقوب، **معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة**، (دار صادر، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٩م)، ص١٢٠٥.

للاقتصار في التمثيل على ذلك بوجه واحد من تلك الوجوه المُعبِّرة، التي أراها أصدق الوجوه وأجلاها، وأمضاها أثرًا، وأغزرها نتاجًا، وذلك كما يأتي:

2-1- مهرجان المِرْبَد الشِّعْري:

كان سوق المربد التاريخي مُلْهِمًا للقائمين على الشأن الثقافي في العراق؛ فلقد كان المِرْبَد -كما تقدَّم- جامعًا للشعراء، وجاذبًا للمواهب، ومُحَفِّزًا على نقل الشعر وحفظه، وكان -في الوقت نفسه- ملتقى تجاريًّا تردَّد عليه التُّجار من مختلف الحواضر، ولقد كان لأبناء الساحل الغربي للخليج العربي أدوار مهمة في التواصل التجاري والملاحي مع البصرة قديمًا. سجَّل التاريخ مشاركتهم في تلك التظاهرة الأدبية المهمة -وفق ما أشير إليه آنفا-، وسجَّل -أيضًا- تفاعل البصريين مع الأسواق الأخرى القائمة على طول ذلك الساحل، ونظرًا لما خَلَّفَهُ ذلك الحدث من آثار حضارية ثابتة، ولما كرَّسَه من معانٍ سامية ومُثُل، ولما كان يشيعه من أفكار؛ فقد رأى القائمون على الشأن الثقافي في العراق إحياء هذا المهرجان الشعري من جديد، وبعْثه بصورة عصرية؛ تجديدًا لذكْراه من جهة، وتأكيدًا لأدواره الحضارية والأدبية المهمة من جهة أخرى. شهدت الدورة الأخيرة للمهرجان حضور أكثر من ثلاثمائة شاعر وشاعرة، ومهتم بالشعر والأدب، وشارك عدد من شعراء سلطنة عمان، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وقطر، والمملكة العربية السعودية، والكويت. تعدُّ الدورة الخامسة والثلاثون من أضخم الدورات التي تعيدنا بالذاكرة إلى دورات سابقة، كان يُسَارع في المشاركة بها أمثال: الشاعر الكبير مُحَمَّد مهْدِي الجَوَاهِري، ونِزَار قَبَّاني، ومحمود دَرْوِيش، ومحمد الفِيتُوري، وسليمان الْعِيسَى، ومَمْدُوح عدوان، وعبد الله البَرَدُوني، وشَوْقي بزِيع، ومحمد علي شمس الدِّين، وأبو سرور الجامعي، وأضرابهم من الشعراء الكبار، إلى جانب لفيف من النقاد والباحثين والمهتمين بالشعر العربي. تعود انطلاقة المهرجان إلى العام ١٩٧١م، ورغم الأحداث المختلفة التي عصفت بالعراق، إلا أن المهرجان يُعَاود من جديد نفض غبار الزمن عنه؛ ليظهر في حلة قشيبة، ينافس فيها كبار الشعراء، وأدباء الوطن العربي، وقد دأب رئيس

الجمهورية العراقية -في بدايات انطلاقه- على شهود فعالياته؛ تقديرًا منه لهذا الحدث الكبير، وإكرامًا لضيوف العراق ورادته؛ من المشاركين والمشاركات.

في تعليقه على دورة الانطلاق يقول الشيخ أبو سرور الجامعي (ت ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤م) -في لقاءٍ جمعني به قبل سنوات خلت-: «كان الاحتفاء بالشعر في المربد عظيمًا، حضره رئيس العراق وقتها، وقد ألقيتُ قصيدة بتلك المناسبة، أولها:

أَتَيْنَا نَمْخُرُ السَّبْعَ الطِّبَاقَا ... نؤمُّ عريقةَ المجدِ العِرَاقَا
نؤمُّ الرَّافِدَيْن قَنًا ومَجْدًا ... وآدابًا أبَتْ تأوي المُحَاقَا

وكانت الأبيات التي سأشارك بها قد استعصت عليّ قبل السفر، فلَّما أقلعت الطائرة نزلت عليّ القريحة، وقد احتفى بي الحضور كثيرًا بعد إلقاء تلك القصيدة، ووجَّه الرئيس العراقي وقتها وزير الإعلام بنشر صورتي بالزيّ العماني على صفحات الجرائد العراقية، وكنت ألبس العمامة والخنجر العماني في تلك المناسبة. كان حدثا كبيرًا ومؤثرًا»[1].

أمّا رئيس اتحاد أدباء البصرة سلمان كاصد (معاصر) فيعبّر في الدورة (٣٣) عن الأهمية التي يشغلها هذا الحدث بالقول: (إن المربد يعتبر مجلسًا للشعر العربي، يقام سنويًّا لأجل فهم التحوُّلات الشعرية العربية، وإن لم نجدها كاملة، فنجد ملامحها وتغيُّراتها وأفكارها، فالجديد في الشعر العربي يظهر في المربد).

ويرى جَاسِم العَايَف أنَّ المِرْبَد سِمَة من سمات البصرة، ويضيف: (لن نتنازل عنه ليكون خارج البصرة؛ كون المدينة تضم كل الثقافات العربية، والبَصْرَة من دون المِرْبَد لن تموت لكنها ستخسر قيمتها).

وترى الشاعرة السورية سُمَيَّة صالح أنَّ المِرْبَد من أهمِّ المهرجانات

(١) لقاء جمعني بالأديب العماني الكبير الشيخ حميد بن عبدالله بن حميد الجامعي، بالخوض، في سلطنة عمان، قبيل وفاته -رحمه الله-.

الشعرية التي تقام حاليًا في الوطن العربي، وأنَّ المشاركة فيه قيمة مضافة لأيِّ شاعر، ويحمُّله مسؤولية كبرى، وقالت سمية: «إنَّ ما يميِّز هذا النشاط الثقافي هو الاستمرارية والدورات المتلاحقة، التي لم تتوقف عند حدٍّ معين، كما تمنح مشاركة الشعراء من مختلف البلدان العربية فرصة للتنوع الثقافي العربي»[1].

جاء في إحدى المقالات المنشورة في **القدس العربي**، للكاتبة البحرينية بَرْوين حَبِيب؛ بمناسبة الدورة الأخيرة: «عراقة هذا المهرجان، الذي يستمد تاريخيته من سوق المِرْبَد، الذي يقع على بعد ثلاثة أميال من البصرة، والذي كان مثل سوق عكاظ موسمًا يتبارى فيه الشعراء، وتُردَّد فيه نقائض جَرِير والفَرَزْدَق، وتلتقي فيه غزليَّات أبي نُوَاس بمدائح بشَّار بن بُرْد، وقد أعيد إحياؤه من جديد سنة ١٩٧١م، وفي أرجائه تجاوبت جزالة الجواهري مع حداثة محمود درويش، وأعلن نزار قباني من على منبره حبَّه لبلقيس الرَّاوِي، واكتشف رواده رجلًا أشعث أغبر أعمى، أذهل الجميع بشاعرية فذة، يدعى عبد الله البردوني. هذه المشاعر وتزاحم الصور والأفكار انتابتني يوم زيارتي الأولى للمربد في دورته الثانية والثلاثين سنة ٢٠١٨م، والتي حملت اسم الشاعر كاظم الحجاج، ويحلو لي أن أسميها زيارة الاستكشاف التاريخي، والتعرُّف على مدينة الخليل بن أحمد الفراهيدي، والجاحظ، والكندي، وإخوان الصفا، وبدر شاكر السياب، أحد شعرائي الأثيرين، بل كنت محظوظة بزيارة بيت جدِّه حيث نشأ وتربى، فرأيت أين كان يدرس وينام، وتعرفت على ابنته آلاء، التي أهدتني مجموعة من الطبعات الأولى لدواوين والدها. ورأيت «بُوَيْب»؛ هذا المجرى المائي الصغير، الذي يشبه الساقية، لكن ولَهَ السياب به حوَّله في قصيدة «النهر والموت» إلى نهر عظيم، لا يقل عن النيل والسين الباريسي والدانوب، وجعله معادلًا للخصب حينًا وللحزن حينًا آخر: أ غابة من الدموع أنت أم نهر؟

(١) عمار الصالح، «ديوان العرب وتحولاته في مهرجان المربد الشعري بالبصرة" **الجزيرة**، (مؤسسة الجزيرة الإعلامية، قطر، بتاريخ: ٧-٣-٢٠١٩م). على البريد: https://www.aljazeera.net/culture

ومن زيارتي الأولى للمِرْبَد ما زلت أحتفظ ببسمة على الشِّفَاه، ودمعة في العين لذكرى سهرة شاعرية جمعت بين الشعر والفن على شط العرب مع الشاعر الغنائي، الذي غادرنا قبل أشهر «كريم العراقي»، وهو فاكهة المجالس، بروحه المحبة وشغفه بالشعر»[1]، وتختم مقالها بالقول: «برغم الموافق والمخالف يبقى المربد مساحة للشعر، يلتقي فيها الذين لا يزالون يحلمون بفعل الكلمة، في زمن تَغَوُّلِ التكنولوجيا، ويبقى ساحة تجالس فيها القصيدة العمودية ابنتها قصيدة التفعيلة، دون أن تنظر شزرًا إلى قصيدة النثر. ففي النهاية المنتصر الأكبر هو الشعر، في زمن كثر المنادون فيه بموت الشعر، وسلب الشعراء أحلامهم»[2].

(١) بروين حبيب، «مهرجان المربد الشعري.. دورة أحمد مطر» **القدس العربي**، (صحيفة القدس العربي، لندن، بتاريخ: ٢٥ فبراير ٢٠٢٤م). على البريد:
https://www.alquds.co.uk

(٢) بروين حبيب، «مهرجان المربد الشعري.. دورة أحمد مطر» **المصدر نفسه**، على الرابط المشار إليه في الهامش المتقدم.

3- نصوص شعرية مختارة حول الخليج والبَصْرَة:

فيما يلي جملة من النصوص الشعرية، التي قيلت في الخليج العربي من شعراء بصريين وغيرهم، أو من شعراء من الخليج نفسه، والبصرة، وقد أردنا لهذه الاختيارات أن تكون تجليَّاتٍ لحضور الخليج والبَصْرَة في المدونة الشعرية (الخليجيَّة – العراقيَّة)، والتي يمكن مواصلة البناء عليها؛ للخروج بعمل مُستقل وافٍ، يبقى للأجيال.

3-1- ما قيل في الخليج:

3-1-1- جاء في مذكرات بحَّار، للشاعر محمد الفايز (من دولة الكويت)[1]:

المذكرة الأولى

أ ركبتَ مثلي البومَ والسَّنْبُوك والشُّوعِي الكبيرْ؟

أ رفعتَ أشرعةً أمام الريحِ في الليلِ الضَّريرْ؟

هل ذقت زادي في المساءِ على حصير؟

من نخلةٍ ماتتْ وما ماتَ العذابُ بقلبيَ الدَّامي الكسيرْ

أ سمعت صوتَ دجاجةِ الأعماقِ تبحثُ عن غذاءْ

(١) المصدر: محمد الفايز، **مذكرات بحَّار**، (منشورات تكوين، د. م، ط: الأولى، ٢٠١٧م)، ص٣ وما بعدها.

هلْ طاردتك الَّلخْمَة السَّوْداء والدول العنيدْ؟
وهلِ انْزَوَيْتَ وراءَ هاتيك الصخورْ؟
في القاع والرماي خلفك كالخفيرْ
يترصَّد الغوَّاص. هل ذقتَ العذابْ؟
مثلي وصارَعْتَ العبابْ
أ مَسَكْتَ مِفْلَقَةَ المحَارْ؟
في الفجر مرتجفا لتكتمل القلادة
في عنق جارية تنام على وسادة
ريشيةٍ في حضنِ سيدها، ورائحة المَحَارْ
بإزارك البحري تعبق، والبحارْ
مملوءة دُرًّا سيَمْلُكُهُ سِوَايْ
كحقول تلك الأرض. يا دنيا العذابْ
ما ذاق مُرَّكِ مثلُ بحَّار تقاذفه العُبابْ
عريان إلا من سوادْ
تتهيَّب الأسماك منه، والبحارْ
أحنى من الأرض التي مَحَلَتْ، فلا عطر يضُوعْ
فيها ولا نبتتْ كرومْ
مهما تلبَّدتِ الغيومُ وأمطرت كلُّ السماءْ
تبقى ككفٍ بخيلة تأبى العطاءْ
أواهِ يا أرضَ الحرائقِ والسَّمُومْ
البحر أحنى من ضفافك، والشراعْ
أذرى إليّ من الصنوبر، يا بحار
الملحُ فيك ألَذُ من عنب الدوالي في المدينةْ
فخُذي شراعي يا رياح خذي السفينةْ

سأعيد للدنيا حديث السندبادْ

ماذا يكون السندبادْ؟

شتان بين خيال مجنون وعملاق تراه

يطوي البحار على هواه

بحباله

بشراعه

بإرادة فوق الغيوم

بيد تكاد عروقها الزرقاء ترتجل النجوم

يا أرض يا كهف الهموم

من أمس أمسِ، و لم تزالي مثل ماخِضَةٍ بها ماتَ الجنينْ

لا السحر ثبَّط من جماحك لا و لا الحق المبينْ

من عهد قابيل وقمحك كلَّ عامْ

يسطو عليه الدود يا أرضَ الظلامْ

مصباحي النفطي يلهث مثل عيني لا تنامْ

تترصد الآفاق تبحث عن ضِفَافْ

وتهب عاصفة فتطفئه، ويرتفع النُّهَامْ:

ضوء الشموعْ

من وهج عينيها فذوبي يا ضلوعْ

والجوع والجُدري في الأرض الحزينةْ

وترصد الأسماك للبحَّارِ في غرق السفينةْ

والموت في غرقٍ أجلُّ من البقاءْ

في عالم فيه مكان لابن آوى والقرودْ

إلا أنا

ما دمت حيًّا فالبحار

مأواي، أو باع قصير
في الأرض حين أموت. يا ملح البحار
ستكون شهْدًا عن قريب، والنهار
سيطلُّ مثل عيونها.. ألقوا الشراع
ودعوا السفينة يا رفاقي في الضفاف
ها نحن عدنا ننشد الهُولُو على ظهر السفينةْ
من رحلةِ الصيفِ الحزينةْ
ها نحن عدنا للمدينةْ
ولَسَوْفَ نبحرُ حين تمطر في الشتاءْ
فإلى اللقاء.

وركضت عائدة إلى بحر خاصمته سبعين عامًا، أين غواصي العظيم؟ أين رائحة القفال وزحمة الحريم؟ وما زلت في اقتراب وأنا أرى على الرمال اللؤلؤ المنثور، وما زلت في اقتراب حتى صار حبوب قِصّيع وخدود العجوز، داخلها هواء، وتدور مع النسيم، وتدور وتدور، لكنها أبدا لا تطير.

يا أيها النائي إلى زمن بعيد، زمن يلطم البحر وجه الأرض على موت الرجال، وأي رجال.

بحّاري الحبيب، في نفسي عادة موروثة أن أكون زاد الأساطير ليحلو ليلك المالح، وفي نفسي انتظار لقلائدي التي وعدتني بها... عيناك قلائدي، يا حلاتها حين تلمع بين حكايا الهند وزنجبار. أقصها حكاياك على النساء بفخر النساء، وعندما ترينك عائدا وقت القفال تتلفعن بطرف العباة، وتتلفتن على بعضهن وتتهامسن. في البحر عزك وأنا هنا بعبايتي حول جسدي تواسيني، تقبّلني تذكرني بشفاهك الجافة.

بحّاري لقد لفَّتنا عواصف الغبار، فاختفت مراميي البحار. لم نعد نجلس بالذُّرى ننتظر السفينة، وعافت الأثواب عطرك، فلم نعد نغسل بالبحر ملابسنا الثمينة. بحّاري اختلط تاريخك بأساطير السندباد، وشاب البحر فلا نرى على

الخليـج إلا أطفـال يلعبـون بأطرافـه، ويتراشـقون مياهـه، وكأن لـم يكـن يومـا مَلِـك البحـار. بحـاري الحبيـب، إن كنـت حزينـا مـن أهـوال تراهـا، فمدينتنـا الآن مـن لا شـيء حزينـة. لسـت أهـوى ترديـد أمجـاد تقادمتهـا السـنين، ولكنـي سـأجلس علـى ذات المسـنّة، أحيـك لـك قحفيـة، وأدعـو مـع كل عقـدة أن تعـود، ويصدقنـي الأطفـال لعـل يولـد فـي قلوبهـم بحّـارة صغـار.

المذكرة الثانية

الشمسُ فوقَ السُّور تُشْرِق مثل قنديل كبيرْ
تهدي خطانا مثلما كنا على ضوء النجومْ
في الليل نسري عبر هاتيك البحارْ
أيام كنت أعيش في الأعماق أبحث عن محارْ
لقلادةٍ لسوار حسناء ثريةْ
في الهند. في باريس. في الأرض القصيَّةْ
أيام كنت بلا مدينةْ
وبلا يد تحنو علي ولا خدِينَةْ
إلا حبالي والشِّرَاعْ
ويدي المُقَرَّحة الأصابع والضياعْ
والريح، والأسماك في القاع الرهيبْ
غرثى تطاردني بعالمها الغريبِ
عن عالمي القاسي العنيف
يا بحر. يا قبرًا بلا لحد. ويا دنيا عجيبةْ
أجتاز عالمها المخيف بروح بحار كئيبةْ
أبدا يغني للسواحل والعيال
يترقبون قدومه بعد المحال

ويعود من رحلاته كيما يعود
للبحر والأسفار، والدنيا كفاح
ضد المجاعة والرياح
الجوع فوق الأرض والريح الخؤونة في البحار
وتظل زوجته هناك بلا سوار
وبلا قلادة
في بيتها الطيني حالمة وحيدة؛
سيعود ثانية بلؤلؤة فريدة
يا جارتي سيعود بحاري المغامر
سيعود من دنيا المخاطر
ولسوفَ تَغْرِقُنِي هداياه الكثيرة
العطر والأحجار والماء المعطر والبخور
ولقاؤه لما يعود كأنه بدر البدور
وتظل تحلم والحياة
حلم يجول بلا نهاية
وبلا بداية
والشمس والأقمار تشرق فوق كوكبنا الكبير
وأنا هنا في هوة الأعماق كالحوت الصغير
فكأنَّ هذي الشمس ما كانت، ولا كان الصَّباحْ
إلا لغيري. و القناديل الصغيرة
أبدا تضاء بغير بيتي والحدائق والأقَاح
في حقل غيري والرياح
أبدا تطاردني على ظهر السفينة
والموت والحوت اللعينة

والسيب والديين في كفي وآلاف المحار
في القاع تبرق باخضرار
كعيون عفريت يطارده النهار
مثل المصابيح الصغار
و الدود والأسماك حولي والحجار
أواه يا تعب البحار
حطمت ظهري والحياة رحى تدور كما يقول
نَهَّامُنَا في الليل: أيام تزول
وتدور أفلاك الحياة لغاية فوق العقول
يا أيها البحار سوف تظل في ليل البحار
نجمًا بلا أفق، وفي تلك السواحل
الشمس تشرق في الخمائل
كعروسة شقراء، والدنيا نهار
في عين غيري، والسوار
سيصاغ للحسناء في بمباي يا روحي الكئيبة
نَهَّامُنَا يشدو لشطآن قريبة
سأرى بساحلها الحبيبة
عدنا على ضوء النجوم إليك يا دار الحبيبة
والريح نشوى والشراع كأنه سرب الحمام
سار على صوت النهام
ويظل ينهم والسواحل من بعيد
تبدو لنا صفراء تعكس كل ما فينا من الشوق الشديد
وتطل كثبان الرمال على الضفاف الحالمات
ونساؤنا المتحجباتْ

يضربن فوق دفوفهن كأنَّهنَّ بيوم عيدْ
فرح اللقاء على الوجوه وفي النذورِ
والشمس فوق السور تشرق مثل قنديل كبيرْ
تهدي خطانا مثلما كنا على ضوء النجوم
في الليل نسري عبر هاتيك التخوم

بحاري الحبيب؛ ثلاث شموس أشرقت قبل لقياك هاتيك السِّنون، والآن أشفق على شوقي الطفولي العجول، عندما خالطت أحلامي الصغيرة صوت نهامكم الصبور. علمتني أرضنا الصفراء أن الشمس لعبة العارفين بعروق مدينتنا القديمة.

علمتني من أين نأتيها لنزينها بخطوط الفيء الدقيقة. فوقتك عبر بحر كل يوم هو في شأن، ووقتي يمر عبر شمس كل يوم على ذات الشأن، وتجول بخاطرك من بجيدها القلادة، وتذوب في عنقي حبات تندي الجيد في فيح الظهيرة، وما أحلى النساء إن عزّ النساء، وما أبلغ أصوات الكون وصفا للحبيبة، تتكون كنسيج ثوب مسحور في كل خيط منه عطر امرأة، وفي كل ثنية زمن امرأة، وفي كل فتحة روح امرأة. غب سننتظرك حتى تهل علينا، وثق بالشمس ما دامت في يدينا

المذكرة الثالثة

أحلى لياليا الليالي المُقمراتْ
حيث النجوم الغارقاتْ
في الضوء كالأعراس في كهف مُضَاءْ
حيث السماءْ
في البحر ترسم عالمًا نشوان من نور وماء
يجتثُّنا ويطير فينا في الفضاء
للحور.. للجنات... للدنيا الجميلة

عندي حكايات لها من ألف ليلة
من شهر زاد وليلها المخمور. ليل الحالمات
الشاربات الماء من شَطِّ النجوم
مثل التي كانت تغني للغيوم
فتصير نارًا ثم تمطر، والحياة
مملوءة بالسحر؛ حيث الساحرات
قد كُنَّ ربَّات البيوت العامرات
ونظل نحلم بالقصور، وبالدهاليز الطويلة
تلك التي قد صورتها شهرزاد بألف ليلة
والدود في بطني يشاركني غذائي، والوجار
خالٍ بلا قدر، وأسماك البحار
أكلت ونامت، والصحاب
يتحدثون عن الموائد في القصور
وعن التي كانت تُعَطِّر خِدَرها المسحور من أشْهَى العطور
وعن الضَّفَائر عندما تُطوى على نهدٍ وجِيدْ
وعلى سفينتنا القمر
يضوي ولا يُعطي كتنُّور بعيد
كسفينة بيضاء عالية الشراع
أو مثل شبَّاك مُضَاء
تحت السماء
ونروح نستوحيه كالشعراء نشكيه الهيام
حتى ننام
يا رب يا ملكًا تعالى في سماه
يا أيُّها الأبدي يا نورا نراه ولا نراه

دعنا ننم، وبلا غيوم
ودع القمر
يضْوِي علينا والنجوم بلا مطر
نحن العراة المبحرين مع المخاطر والمنون
ربَّاه لا تُمْطِرْ علينا فالزوابع والرياح
تأتي مع المطر الذي يروي الأقاح
والتين والزيتون في أرض الغجر
رباه إن الأرض تزهر بالمطر
لكننا سنضيع نحن وينطفي ضوء القمر
وتهب عاصفة ويحتدم الظلام
وتذوب أنوار السماء وينتهي حلم النيام
الساهرين مع القمر
والشاربين الخمر من كأس السهر
ويطير قنديل وتضطرب السفينة
كضلوع مُومِسَةٍ تؤرِّقها خطاياها الدفينة
البحر ثار
يا أيها البحارة الشجعان إن البحر ثار
ألقوا الشراع
وارموا إلى البحر الحمولة والمتاع
فالحوت والأسماك جائعة، وأمطار السماء
هيهات تغسل حقد حوت، والرجال
في البحر تُعرف ما معادنها. هضاب أم جبال
شدوا الحبال
وتعادلوا فالبحر يعرف ما الحرام من الحلال
والريح ضد البحر والبَحَّار من ماضي الزمان

ونروح نقرأ بعض آيات الكتاب
فالموت في غرق عذاب
لكن تجّار السفينة هؤلاء يفضلون
موتي وموت الآخرين
وفناء كل الأرض. كل العالمين
كل الوجود، ولا يرون
أموالهم تُرمى لقاع البحر. تجّارُ البحار
أقسى علينا من رياح البحر والحوت الكبير
ونروح نلعنهم كما لَعَن الكتاب
كفار مكة، والذي سحَّ السَّحاب
أحنى علينا من جميع الناس. يا قمر السماء
عيناك أقوى من عيونهم المريضة، والنجوم
ستشعُّ ثانية وتحترق الغيوم
ونعود نحلم بالجنان وبالقِيَان وبالدهاليز
الطويلة
تلك التي قد صورتها شهرزاد سميرةُ الملك
الجميلة

بحاري الحبيب، لا أدري بأي بحر في دنياك أغرق، أبَحر شِعرك المُفني كالنَّفَس الملهوف قبل الزّفرة، أم بحرك الطاغي الذي فيه تبحر، وعن لآلئ الأميرات المنثورة فيه تبحث. في البحر تختلط البِحار، فالآيات والأحلام والليالي والمال، أوه يا مال... كلها تلتحم بواو... بعد المطر، كل شيء بعد المطر، وستحتضنك الدهاليز بعد حضن الأفق البارد، وستسمع المزيد من القصص عن تجار السفينة، وعن الشُّبَّاك المضاء، وعن التنُّور البعيد... عندما تتنفس صخوري بحورك، أعِدُكَ بحَّاري، بالوعود

المذكرة الرابعة

أنا ما رأيتْ
لكنَّني ما زلتُ أذكر نار موقدنا بمنزلنا القديمْ
وحديث والديَ الضرير عن الحياةْ
وعن الحروب. حروبنا ضد الغزاةْ؛
الأرض قاحلة هنا حتى الذئابْ
تخشى ظهيرتها، ولكنَّ الملوكْ
والترك والألمان والمتسللونْ
باسم الحضارة والحماية.. هؤلاء المُدَّعُونْ!
كم حاربونا بالأساطيل الكبيرة والجنودْ
يترصَّدون شراع غوَّاص يعودْ
كي يغرقوهْ
كي يقتلوهْ
يا قاربَ الصَّيَّادِ إيَّاك التوغلَ في البحارْ.
فالبحر مثل الأرض ملك الأقوياءْ
والدُّرُّ للحسناء نجمعه ونحن إلى الشقاءْ
ويروح والديَ الضريرْ
يبكي ويسعل، والدخانْ
يندس في عينيه في البيت القديمْ
ونروح نسأله المزيدْ:
يا والدي ماذا رأيتْ؟
يا والدي لِمَ قد بكيتْ؟
ويظل يَسْعَل ثم يجهش في البكاءْ

ويقول كنَّا! أقوياءْ
كنَّا أمام هجومهم مثل الرِّمالِ على العيونْ
مثل الظهيرة في بلادك يا بني
مثل المنونْ
أنا ما رأيتْ
لكنَّ والديَ الضريرْ
قد قال لي هذا بمنزلنا القديمْ
وأروح أسأل: ما الذي ببلادنا غير الرمالْ؟
ويجيب والديَ الضرير عن السؤالْ؛
لا بد للأظفار من شيء تُمَزِّقه، ومَن حَمَل الحِراب
أبدًا يفتش عن رقابْ
والأرض تمنح عندما تجد الرجالْ
انظرْ، ويكشف والدي عن صدره الواهي الضعيف
وأرى النُّدُوب كأعْيُنِ المَوَتى كأوراق الخريفْ
في صدره الواهي الضعيفْ
ويروح يلمسها كآثار قديمةْ
بأصابع مثل العيونْ
تَفْلِي مكان الجرح. تَعْرِف أيَّ تاريخ حزينْ
في كل جرح، والجراحْ
فخر الرجالْ
كالوشم في الحسناء. يا وطن الظهيرة والرمالْ
الموت والجدري أرحم من قراصنة البحارْ
وذراك أرفع، والجميع إلى الزوالْ
إلا النجومْ

والشمس والأقمار والسور العظيمْ
يا نار موقدنا بمنزلنا القديمْ
ما زال دفؤك في عروقي مثل آثار الجراحْ
في صدر والديَ الضريرْ
قنديل عينيه أضاء لِيَ الطريقْ
وجراحه مثل الهوامش في طريق الشمس. يا وطن البحار
يا عندليب الفجر يا عطر القرنفل يا سماءْ
الرمل أورق بالدموع وبالدماءْ

بحَّاري، يا نور عيني، تلطّف أرجوك على خاطري المُبْعَد الحزين، وتعال تلمّس رمال بلادي وتدفَّى؛ هي جرح البحر القديم وفي البحر لا يبقى جريح. الجرح مساحة للشك على أجسادنا والجدران التي نعيش بينها، والبحر لا يقبل جريح.. لهذا كانوا أقوياء يا لَهَا من دموع هذي التي تنحدر من مُقَلٍ خلت من نظر، فبقيت لنا محض عيون نرتع منها الألم، ونستدر منها عاطفة الشمس في أطلال نورها، لنذكر، ونتذكر، ونتذاكر، ثم نذاكر بحّاري عيوننا المدهوشة على صدر والدك كعيون الشمس حارت على الرمال، فلا بد أن نبني لنهتدي، لابد أن نبني لتهتدي شمسنا إلى ظلال، ويهتدي الحبيب إلى عباءة حبيبته. وعُد إليّ لنهرب بين الندوب إلى مكان فيه نختبئ، إلى مكان فيه نلتقي بعيدًا عن قراصنة الفلوس، وعن حماة الأرض الذين لفّقوا كذبة الوطن... ثم أبْحِر حبيبي عن كل شيء، فإذا ارتاح بومك، يرتاح البحر من الحياة.

المذكرة الخامسة

عندي خُمورْ
عندي عُطورْ
عندي بَخور الهند يا تجار مكة يا ملوكْ
عندي القلائد والأساور للجواري والنساءْ
من يشتري أفراح بحارٍ يعود مع المساءْ
الشمس في عينيه ماتت مثلما مات العبيرْ
والنور في بيت خلا لولا حصيرْ
وفتيل مسرجة كأهداب الضريرْ
لِمَ تُنبت الأرض الزهورْ
وعظام موتانا بها؟ أين الحبيبة؟
ماتت من الجُدَريِّ طيبة
من يشتري كل المَحارْ؟
من يشتري كل البِحارْ؟
بعيون طيبة يا نهارْ
قد أطفأت عينيك عيناها فحاربْتَ الضياءْ
أين الضياءْ؟
بعيونها، أين انطلاقات الضفيرةْ؟
وميض مَفْرِقِها كخطٍ من نجوم
في ليل أيامي الحزينة، أين أفراح اللقاءْ؟
لمَّا أعود وملء أعماقي كآبات المساءْ
أين الضفيرة حين أنشرها كليل من عبيرْ
مثل القرنفل؟ أين ضحكتها الحزينةْ

لما أعود من البحار إلى المدينةْ؟
أفراح عينيها تُذيب بي العناءْ
ولقاؤها. أواه ما أحلى اللقاءْ
من غير وعد فالدموعْ
تهْمِي مع الفرح المُغنِّي في الضلوعْ؛
أحبابنا دخلوا المدينةْ
يا ليت أهدابي شراع للسفينةْ
غدًا القلوعْ
أمسِ رسَوْنا والرَّحيل غدًا، وما لي من رجوعْ
غنَّيت أمْسِ للعيون وللورود على الخدودْ
غنَّيت أمسِ لمن أحبُّ وهِمْتُ في ليل البحارْ
لأعود ثانية لها. ومعي الهدايا للصغارْ
واليوم حاربتُ الظهيرة والنهارْ
شمس بلا أقمار عينيها ظلامْ
أطْفِ الشموعْ
فعيون طيبة كل ما حَوَت الشموعْ
والكل وهْمٌ والحياةُ إلى الفناءْ
أبوابنا غُلِقت كمقبرة فأمطرت السماءْ
بالموت والْجُدَرِيّ أمطرت السماءْ
بيتي تهاوى مثل أضلاعي ومات به العبيرْ
حتى الحصيرْ
لم يبق منه الداء شيئًا يا حياتي يا فناءْ
أيامي الأولى ويا طيبة الجميلةْ
عيناك تحت الأرض تُبرِقُ لي كفانوس بعيدْ

يُومي إليَّ. أكاد ألمَس مِن هوًى عرق الضفيرةْ
مذ كنتِ عند البئر تحت لظى الظهيرةْ
يا قرطها الذهبي يا كُحلَ العيونْ
يا طيب مَبخَرةٍ يغازلني الدُخانْ
فيها فثوبي من روائحها يضوعْ
يا حِقَّهَا الوردي يا صندوقها تحت الشُّموعْ
وإضاءة الأهداف في الأخشاب مِن صُنع الهنودْ
يا ثوبها يا رُدْنَهَا المعطار حين تلفُّه لمَّا أعودْ
عطر البنفسج تحت نهديها وفي فمها الورودْ
يا شهر زادي في البحارْ
أروي حكايتها لروحي. الوداعْ
فأنا سأرحل. أصدقائي والشراع
في الشَّاطئ النَّائي.. سأرحل فالوداعْ

تتذكر، وأتذكر ومالي من ماضيك بتذكار، وإنما هذا حال التاريخ يملي علينا الأحداث أشكالًا، فأكاد أكون رأيت. أنا ما رأيت ولكني عكست التاريخ من كلماتك صورًا، ومددت من عمري إلى قبل هذا العمر لكي أُتْبِع فيه أوراقك الخاصَّة، وغوايات الضفيرة.

بحَّاري لا تنادي فأنت في دار الصَّدَى؛ متوازيان برٌّ وبحر، لا تنادي؛ فقد تعشق ذاتك، أو تناديها فتُنكِر ذاتك. هي في الثوب المشجَّر وعلامات الطُّوف، هي في صوت الصباح، هي في المكحلة والمبخرة والصندوق وجميع تماثيل الأنوثة. هي حولك وأنت فيها، لا أراها توارت في الثرى طيبة. حسها في صيحات أطفالك ولونها صَبَغَتْ به يديك، وشفتيها تقاسمتها الشموس فقُبلةٌ في كل حين.

ارحل حبيبي فكذا عهدتك راحلًا، لكن لا تأمننَّ الرَّحيل؛ فقد يجرُّ رحيلًا.

المذكرة السادسة

تحت الفوانيس المُشِعّة كالنجوم
السور يبرق مثل خط النار. يا ليل الهموم
ستذوب في حدَق العيون السَّاهرات مع النجوم
الحاملات الماء في جراتهنَّ، وفي الشِّفَاه
ظمأ الصيام؛
غدًا «التتار» سيدخلون مدينتي. أين الرجالْ؟
عطري سأنضحه على قدم تسير إلى القتالْ
وضفيرتي السَّوداء أغزلها حبالْ
لسفينة في الليل تبحر بالرجالْ
هبّي شِمَالْ
يا أنت يا ريحَ البحار
هُبّي شِمَالْ
"للقصر» حيث رجالنا الأبطال. يا وهج الرمال
يا نار صحراء الجنوب
وأنا وراء السور أسمعها. فأشعر باللهيبْ
والنار في رأسي تعربد. أين تجار الحروبْ؟
أين الذين يُشَوِّهون الأرض بالدم والدُخَان؟
أين الملوك و أين عنتر يا جبالْ
الكل فانٍ
إلا الحقيقة والرجولة يا بلادي. والزمان
أبدًا يدور
والمجد والتاريخ للشمس السَّخيَّة و البدور

وإلى الخنادق يا حِراء
يا خندق الأبطال في الماضي القديم
"الشمريُّ" على الجواد
والقصر تحت الفجر يبرق مثل فجر من رمال
أقوى من الإعصار يا وطن الرجال
وعلى الجزيرة
بطلٌ أقَلَّتْهُ سَبوحٌ فالعباب
واحات أعناب تظلله. وتبرق من بعيد
سُفُنُ الرجال القادمين من المدينة
جاءوا إذن فالويل للمتلصِّصين القابعينْ
تحت الجدار ومن وراء القصر والمتسللينْ
ها هم رجال مدينتي جاؤوا على متن العباب
صوت المجاديف الطويلة مثل ألْسِنَة تقول؛
لا شيء غير الحق. والأفعى تموت
في البر أو في البحر، والسُّمُّ الزُّعَاف
كأس الذين بنوا المعابد والقصور على الدماء
جاءوا إذن. فحفيف أشرعة السفائن مثل
أجنحة العقاب
فوق العُباب
الفجر تحمله السفين. فيا شمال
هُبّي سريعًا. فالغزاة
ملأوا الصحارى والوهاد
مثل الجراد
والفجر أقوى من كهوفهم العميقة، والحياة

والمجدُ للإنسان، فاصدح يا هزار
هُزِم التتار
رجل البحار على سفينته وفي يده منار
من نور عينيه يُضاء كما النهار
خاض المعارك بالمعاول والفؤوس وبالحجار
والمجد للإيمان في صدر الرجال
لسفينةٍ رجعت كأن شراعها العالي هلال
والسور تحت الشمس يبرق كالسوار
في جيد حسناء يباركها النهار
مات التتارْ
يا إخوتي الأبطال قد مات التتارْ
والبدر يشرق في سواحلنا كلؤلؤة كبيرة
كرسالة بيضاء تحملها النجوم
لعيون موتانا على تلك المفاوز والتُّخُوم

بحَّاري الحبيب، قرأت مذكرتك هذه منذ أسابيع، أيام كنا صيام، فلم أستطع ردًّا، وما أدركت لك قولًا، غير صلاة العيون على المدى الضوئي. هبِّي شمال! وأراقب الحظرات تتتابع أمام عينَيَّ. هُبِّي شمال! ويرحل الحدَّاقة بينها في هدوء.. وخيط الميدار الذي شار بين عصيها يرنو لخطِّ الأفق، ويجمع حوله القصيع من وقت لآخر. أ تقصد بالسور الحظرة؟ أم هي القصر، والسور هو الأفق؟ يا لَسذاجة الرموز. أيُّ نارٍ بحَّاري ونحن في أرض الماء؟ فلا ندَّ لأرضي سوى الرمل والسماء، ونحن بين أنداد الطبيعة نتوازى، تُعَمِّرنا الرمال فتهدمنا السماء، ويغنينا البحر فتُشقينا الرياح، فهذا يغلب ذاك، حتى إذا اختلّت موازين الأسماء، وتداخلت المعاني فهمنا أنَّ ما الأفق المهيب حولنا إلا خطًّا من نور، يعيد تسمية الأشياء، فتصير السماء بحرًا لتقترب منَّا أكثر، ويصير البحر رملاً،

ليثبت أقدامنا ثم يحتال الرمل ريحًا ليقتلعنا، كخطوط التاريخ، تتغير فيها الأسماء لنظن اختلافها، ولكنها مجرد حاجة لتحريك ساكن أيًّا كان السبب. بحَّاري أنت تعلم وهم لا يعلمون، أنت تعلم أننا جميعا آخرون.

المذكرة السابعة

كصرير أبواب القلاع
في الفجر كالآهات في ظلمات قاع
كدوي رعد فوق مقبرة بعيدة
كرنين أجراس عتيقة
أصواتنا فوق السفينة حين نبحر. والنهام
كغراب حارات قديمةْ
يشدو بألحان حزينةْ
للبحر والمحار: أبحرت السفينةْ
وغدًا نعود لكم أحبائي على شاطئ المدينةْ
حاراتكم فوق الرمال ونحن في ليل البحارْ
ضوء النهار نصيبنا منه الظهيرة والجُثامْ
ومن الشموع دخانها، صوت النهامْ
قيثارة بحرية ألواحها الثكلى عظامْ
من صدر مسلول: تعالَي يَا حَذَامْ
قد قلتِ صدقًا ليس يفهمه الأنامْ
بيتي أحَبُّ إليَّ من قصر يُقَامْ
في وسط مزبلةٍ. تعالي يا حذامْ
ويظل ينهم ثم يبكي. والمجاديف الطويلة
تحت الضلوع الناتئاتْ

تحت البطون الخاوياتْ
رَفَسَات عفريتٍ تخبَّط. والبحارْ
فيها العجائب. مهد طفل من حجارْ
قبر بلا لحد. عراة يغزلونْ
إكليل عرس. سندبادْ
تحت المياه يعيش كالأسماك. سقراط الحزينْ
والكأس والقمر الجميلْ
كالبيت يسكنه. حفاةٌ يصنعونْ
نعلًا من الفيروز غابات مخيفةْ
للنجم والأقمار. مقبرة كبيرةْ
أمواتها يتحركونْ
ويدي ومجدافي وصندوقي العتيقْ
هم عدتي في البحر يا وطني الحبيبْ
يا أيها الرمل المعطر بالدماءْ
يا موطن الصيَّاد والبحَّار يا خبزًا وماءْ
أصواتنا فوق العباب وراء هاتيك القلاعْ
كصرير أبواب القلاعْ
كدوي رعد فوق مقبرة. كأجراس عتيقةْ
في الليل تقرع، والسفينةْ
وسط العبابْ
"كسدوم» أو «روما» التي شب الحريقْ
فيها ليطرب ذلك المجنون. يا ريح البحارْ
نام النهام وفي الصدورْ
مات التشبب والحنينْ

مثل البراعمْ
أوراقها يبست عليها، والحناجر قد تموتْ
إلا الأغاني سوف تخلد يا بلادي. يا رياحْ
سيكون بطن الحوت قبري. والحياةْ
قد تنتهي إلا العذابْ
يبقى كما تبقى الطلولْ
بعد الزلازل، فالمهودْ
مثل القبورْ
والشمس تغرب مثل حسناء تموتْ
والبدر يذبل مثل قنديل تكَسَّرَ، والجبالْ
تنهار كالجدران، حتى الأرض تقلقها الزلازلْ
والرياحْ
إلا البحارْ
تبقى لتبتلع الجميعْ
كالحوت حين يجوع يا طوفان نوحْ
يا حكمة الدنيا القديمةْ
في البدء كان البحر لا الكلمات، يا تلك السفينةْ
أبناء «نوح» فوق متنك يبحثونْ
عن ساحل وأنا أفتش عن محارْ
ذهب الغراب ولن يعودْ
إلا غرابي عاد كالمطرود في وضح النهارْ
كرسالة سوداء يعلوها الغبارْ

بحَّاري الحبيب، باسم الصوت أبدأ كما بدأتَ، كما عزفت بعد الكاف، عن قلعة حاكم سكان المقبرة، هم تحت الأرض يزرعون نعلًا لا تمشي. وينظمها إيقاع أجراس عتيقة نسيت مواعيدها. جدرانها الريح، جدرانها خمار حسناء تموت كل يوم تحت قنديل تكسر. حسناء من نار خَلْقُها تتمنى أن تكتب رسالة لا تحترق، أو تسمع لحن جنازتها قبل موتها. أزورها كل يوم أجمع العظام لعلي أستطيع أن أصنع منها قيثارة أُورْفُيوس العجيبة، لكن الضلوع تتنافر حسب اعتيادها العنيد، فأعتذر منها كل يوم على جهلي وقلة حيلتي، ولكني أعدها بالعودة في غد آخر، لعل الضلوع ترضى بمسافة أقرب.

بحَّاري الحبيب، هو لحن صناعة اللحن ما أسمع.

المذكرة الثامنة

ما زلت أذكر كل شيء عن مدينتنا القديمةْ
عن حارتي الرملية الصفراء والمقل الحزينةْ
لما نحدق في السماء على السطوحْ
نضبت جرار الماء والغدران مثل يد البخيلْ
محلت فأمست كالقبورْ
مخسوفة سوداء تملؤها الصخورْ
وعلى الضفاف الغارقاتْ
بالشمس والرمل المندَّى والضبابْ
وقف الصحابْ
يترقَّبُون سفينة الماء التي قالوا تعودْ
بالماء من نهر الشمالْ
فالأرض رمل والسماءْ
بيضاء صافية كنهر من جليدْ

هيهات أنْ تمطر. ويهتف من بعيدْ
نفر يبشر: أن صارية تلوحْ
كهلال مئذنة يغلفها الضبابْ
عبر العبابْ
وعلى ظهور جِمَالِنَا الظَّمْأى تحجَّرتِ القراب
سوداء فارغة يغطيها التراب
كبطوننا
صلِّي إذن فالموت أقرب ما يكونْ
والريح أغرقت السفينة والسماءْ
حقدت علينا يا أمينةْ
صرخات طفلك في الظلام أ تسمعينهْ؟
نهداك ملؤهما الحليب وأنت ظمأى ترضعينهْ
في بيتك الطيني قابعة حزينةْ
تتساءلين عن السفينةْ
وعن السَّحاب وعن رفاقي في المدينةْ
والأفق صحو والنجومْ
زرقاء تبرق مثل أقراط ثمينةْ
وتثور عاصفة كأن قوى الوجودْ
سمعت أنينك فوق أرض لا تجودْ
إلا برمضاءِ الرِّمَال وبالدماءْ
والجوع والجدري يفتك بالصغارْ
ضحكاتهم في الليل تبرق كالنجوم وفي الصباحْ
يتساقطون كما الزَّنَابق حين تعصفها الرياحْ
وكما تنير الشمس أعماق الكهوفْ

إيماننا بالأرض ملء قلوبنا رغم الجفافْ
نحن الرجالْ
نحن العطاء إذا تعذَّرت الحياة عن العطاءْ
وفي السماءْ
الجنة الخضراء والمطر الذي يروي الحقولْ
لا في القصور الشامخاتْ
أو في خزائن أغنياء مدينة إسطنبول و روما
البعيدة
تلك التي شبت بها النيران. أبرقت السماءْ
عيناك تحت ضيائها الفجري تشرق يا أمينةْ
مثل الشموعْ
والرّيح كالرَّاعِي الَّذي ألقى عصاهْ
لينام خلف الأفق. والبرك الحزينةْ
بدأت تفتح مثل أفواه الجياعْ
مثل البراعم حين يلفحها شعاعْ
حتى خليفة جارنا الأعمى تحسَّس أن أمطارًا
ستهبط يا أمينةْ
هل تسمعينهْ؟
هل تسمعين عصاه تقري السُّلَّم الطيني
تبحث عن مداهْ
فالسطح يزخر بالمياهْ
والبركة الجوفاء فارغة كبطن الذئب تبحث عن غداء
أختاه أمطرت السماءْ
وذكرتُ قصة من تمَرَّد ضد طاغية عنيدْ

في ذلك الماضي البعيدْ
فتألَّبوا كي يقتلوهْ
وتساءل الملك الذي في كفِّه أمر المدينةْ
عن ميتة أقسى من الموت الذي قرروهْ
فرموه في الصحراء حيث رؤى السَّرابْ
كالماء يبرق في مهاويها الرِّحابْ
ويروح يركض ثم تنبجس المياه بكل خطوهْ
فإذا الرِّمَال الصفر ربوةْ
خضراء تملؤها الأزاهر والطيورْ
وبكوخه عند الغديرْ
جلس المُشَرَّد كالنبيِّ ليكتب الكتب الكثيرةْ
عن رحلة الإنسان فوق الأرض والدنيا الأخيرةْ
عيناه ينبوعان من نور وجبهته ظهيرةْ

بحَّاري الحبيب، وسوست لي ما يكفي عن هاجس المطر. عن مكاتيب تنشف ريق قارئها وقرابين كُثُر. بحَّاري عطاؤكم بعيد، عطاؤكم بعيد. وهأنذا أكتب في اليأس. ظننت مدة أنني من بُعدك أتأذى، ولكن يبدو أنك من محاولات وصلي تتعذب. فكفانا إيمانًا بالمدى، ولنقل قد كان سراب. ولتعد البسمات إلى عين الشمس كسنون طفل وسيم.

أبرقت السماء، فرسمت بالضوء خرائط مدينتنا؛ قصورًا فوق البيوت، وشوارعًا فوق السكيك، ودكاكين تُباع وتُشترى.. ما فيها أحد، فأنت هناك، ولقبك الآن «كان». ولهذا ينظرها الناس من بعيد، مدينتي، ويظنون فيها الحياة لكن فيها تدور عذراء الموت تجمع أشياءنا في ساحة رملية، وتصلي للمطر حتى تكتمل المائدة.

بحَّاري غشتنا الصدفة بمكاييل الرؤية، وشكهم بقوى الخيال بدأ يفنيني شيئا فشيئا.

المذكرة التاسعة

لا، لا تقولي رحلتي كانت طويلةْ
ما زلت أذكر كل شيء عنك يا طيبة الجميلةْ
إني دفنتك في فؤادي
بين أضلاعي العليلةْ
لا في التراب. وقد أجَسّك حين أُمْسِكْ
كل شيء في جواري
القرط يحمل ليل شعرك والمواقد حرَّ ناري
حتى ثيابك لا يزال عبيرها عبقًا بداري
صندوقك الهندي ذو الأصداف والحق الصغيرْ
قبران لي ولقلبي الدَّامي الكسيرْ
يا لَلْمُلَاءة والعباءة غيمتانْ
في أفق أيامي وما أحلى السوادْ
لما يوشِّحُها، ستذبل يا فؤادْ
كعيونها. ويح الرمالْ
كيف احتوتنا، والوجودْ
قد كان يصغر أن يضمَّ حبيبتي لما أراها
خرز القلادة أفق نجم فوق نهديها تناهى
أو دورة القمر الذي قد شعَّ محترفًا فتاها
أين الشفاه العابقات كما الزنابق في رباها؟
ورداؤها العربي حين تخيطه ليلاً يداها؟
يا ليتني مسرى الخيوط وإبرة حملت شذاها
أين العيون الحاملاتْ

ضوء المسارج حين يغرقني سناها
أين الشفاه العابقات؟
بالطيب والجمر الشهي المثقلاتْ
بالنار والعطر الذي هيهات تحمله الورودْ
في كل غابات الشمال أو الجنوبْ
أواه يا موتي. وقبل مماتها ما قلت آها
فيمَ البقاء وعالمي في قبرها الرملي تناهى
قال الصحاب غدًا سنبحر فاستعد إلى القلوع
فأجبتهم: كل البحارْ
بحدود قبر عبر هاتيك القفارْ
الرمل يرضع شعرها ويمصُّ أيامي العِذابْ
يا ليت أعماقي ترابْ
بدل الرمال العابقات على ثراها يا رفاقي
في البحارْ
أمسِ كرهت الرمل وهو لظًى ونارْ
واليوم أحببت الرمالْ
العابقات بعطرها وكرهت محار البحارْ
والعطر. كل جواهر الدنيا وأعناق النساءْ
فحبيبتي ماتت ولو أنَّ الحبيبْ
محارة لسكنت أعماق البحارْ
لو أنها نجم لكان الليل أجمل من ينابيع النهارْ
ليس الجفاف بأن تعيش مع الجفافْ
إن الجفاف بأن تعيش بلا حبيبْ
والأرض لولا الحب قبرٌ من جليدْ

ويح الحِمامْ

أ يكون بطن الأرض أحنى من ضلوعي

والحجار؟

ولِمَ البقاء وكل شيء للفناءْ؟

العطر والضحكات والعبث المحبب والهناءْ

ضوء النجوم من العيون الحالماتْ

تحت الثرى. ومن الشفاه الذَّابلاتْ

عطر البنفسج والورود العابقاتْ

ويح الحياةْ

تعطي القليل لتأخذ الشيء الكثيرْ

من رحلة العمر القصيرْ

بحَّاري الحبيب، يبدو أن مذكراتك تزورني بتاريخ حاجتي إليها، فها أنت تسهب في الرثاء في أيام ألطم بها على الأحياء، وأحاول فيها تفجير عيون أُخَر من وجهي الصحراوي، ثم تُدفن الأشياء في الجسد النابض حالما يُدفن الجسد الهالك في بطن الأرض.

كيس حناء

علبة بخور

مشط عاج

سوار من لؤلؤ

ثوب رش المطر

تؤدي العطور طقوس الحياة الأليفة؛ لتستعيد دواخلنا رهبة الحضور؛ مخاضه الوسواس، وولادته الإيمان، ولفيفه الصمت، ثم نحتجب وراء الطبيعة، ونرسل ملابسنا بشتى المقاسات، والألوان لتمثل واجبات المجتمع وقوانين البقاء.

بحَّاري نحن لا نموت، ولكن نتوارى تحت الثرى.

المذكرة العاشرة

البحر أجمل ما يكونْ
لولا شعوري بالضياعْ
لولا هروبي من جفاف مدينتي الظمأى و خوفي
أنْ أموتْ
عريان في الأعماق أو في بطن حوتْ
إنّي أحاذر أن أموتْ
لمَّا أفكِّر أنَّ لي بيتًا و لي فيه عيالْ
لمَّا أحسُّ بأن في الدنيا جمالْ
يا أيُّها الفجر المُشِعُّ ويا أصائل يا ليالْ
الشمس في الآفاق كالإيمان في قاع النفوسْ
ومن القلوب المؤمناتْ
بالأرض والإنسان تنبثق الحقيقة والحياةْ
زرقاء صافية كعين حبيبتي عند اللقاءْ
كالفجر كالأمواج حين تنام كالأفق المضاءْ
وكما يشع النجم في كبد الظلامْ
يأتي الربيع من الشتاءْ
وغدًا ستمطر غيمتي. ويذوب في الرمل الصقيعْ
والمجد للأسرار في القلب العظيمْ
وإلى المحبة للجميعْ
وإلى الربيعْ
في كل أرض في الشمال أو الجنوبْ
والمجد للمحار في كفي هدايا للعذارى الطاهراتْ

الحاملات جنين إنسان الحياةْ

القارع الأجراس في ليل الطُّغاةْ

يا بحر يا محار يا سحر الأصائل يا غداةْ

آمنت أن غدًا سيشرق في بلادي والحياةْ

ستدب حتى في الرمالْ

ومن التشرُّد في البحارْ

سيشع في روحي النهار

بحَّاري الحبيب؛ ليتني أستطيع أن أومئ رسالتي إليك، فأنا في هالة من الأمية والعجز. إن الصبر كظم يلي، أو يسبق مصاب سوء، ويناسب مصاب بعد، وأشده مقترن بالقتل، فالمصبور هو المحبوس بنية قتله، وهو يخطُّ عبر الزَّمن مشوارين متوازيين، أحدهما لليأس والآخر للأمل.

بحَّاري الحبيب، ما زالت البيوت تُهدم، وعيالك اعتادوا الرحيل، حتى من أنفسهم. أتمنى أن ترجع سالمًا؛ لتراهم. يتوالى مُخاض المحّار فلا تكون اللؤلؤة، وأستمر في دعائي للبحر لعله يتوب، وللسماء لعلها ترحم.

3-1-2- وممَّا قاله الشاعر عبد الصمد آل زانوم (من جنوب المملكة العربية السعوية) مُصَوِّرًا وحدة الخليج العربي، وتماسك بنيانه، في صورة دول متحدة[1]:

دُرْ فِـي الخليـج اليعربـيِّ المُبْهِـرِ ... وَافْخَـرْ بوَحْـدَة أمَّـةٍ واسْتَبْـشِرِ
دُوَلٌ على الشَّـطِّ الْعَرِيق تصَافَحْتْ ... وتزيَّنـت بِلآلِـئٍ مِـنْ جَوْهَـرِ
أنْفَاسُـهَا عَبَقَـتْ بنَخْـلِ رياضِـهَا ... وخُزامِهـا وبَـدَتْ بِأحْسَـنِ مَنْظِـرِ
فانْظُـرْ هُنَـا وهنـاكَ عِـزَّةُ أمَّـةٍ ... مهْـدُ العُرُوبـةِ شـامِخٌ لـم يُقْهَـرِ
اللهُ أكـرمَ شـعبها بأماجـدٍ ... صهـروا القلـوبَ بحِنْكَـةٍ وتدبُّـرِ
أَرْبَـابُ مَجْـدٍ بالمَـكَارِمِ خُضِّـبوا ... وَرِثُـوا السَّـجَايا وَالوَفَـا مِـنْ أَدْهُـرِ
فَتَوَحَّـدُوا وَتَعَانَقَـتْ أَلْبَابُهُـم ... برويَّـةٍ وفطانـةٍ وتفكُّـرِ
مِـنْ مِنَّـةٍ للـرّبِّ فـاضَ رباطُهُـمْ ... فغَـدَا زُلالًا صافيًـا كالْكَـوْثرِ
وَسَـرَتْ عَلَـى بَحْـرِ الْهُـدَى نيَّاتُهُـم ... وَمَضَـتْ بِعَـوْنِ اللهِ دون تكَـدُّرِ
هِـيَ وَحْـدةٌ وسْـطَ الجزيـرةِ أُنجِبـتْ ... هِـيَ قُـوَّةٌ تَسْـعَى بِـدُونِ تَعَـثُّرِ
هُـمْ قـادَةٌ لَبِسُـوا البَسَـالَةَ والنُّـهَى ... وتَسَـلَّحُوا بِجَلالَـةٍ وتَحَضُّـرِ
فـي كُلِّ وجـهٍ للتَّواضُـعِ شامَـةٌ ... وَضِيَـاءُ نُـورٍ فِـي الْجَبِينِ الأزْهَـرِ
بَسَـطُوا النُّفوسَ إلَـى التَّحَضُّـرِ والرُّقِـي ... وبِجُهْدِهِـمْ نبـذوا لِـكُلِّ تأخُّـرِ
شـادُوا صُـرُوحَ الِعِلْـمِ فَـوْقَ رُبُوعِهـا ... فَتَحُـوا الْمَجَـالَ لِرَفْعَـةٍ وتَطَـوُّرِ
وَهَبُـوا البَشَاشَـةَ لِلْشُّـعُوبِ بنهجِـهِمْ ... رَفَـدُوا البـلادَ بـكُلِّ مـورِدِ مصْـدَرِ
وَقَفُـوا سَـوِيًّا للعُـدوِّ وشَـيَّدوا ... دِرْعًـا حصينًـا ضِـدَّ أيِّ تآمُـرِ
مَـدُّوا جُسُـورَ الحُـبِّ بَيْـنَ مُرُوجِهِـمْ ... نَـذَرُوا الحِمَايَـةَ وَالْتَقَـوا بمُعَسْكَـرِ
عَـرَبٌ عَلَـى الدِّيـنِ الحَنِيـفِ تَرَابَطُـوا ... وبسُـنَّةِ الهـادِي الأميـنِ ألأطْهَـرِ
فـوق المتـونِ أشـاوسٌ وقـت الوغَـى ... وبِـكُلِّ قُطْـرٍ صَوْلَـةٌ لِغضَنْفَـرِ
وَضَعُـوا الخطـوطَ النّيّـراتِ لمجدِهِـمْ ... وَصَلُـوا سَـوِيًّا لِلْصّـرَاطِ المُؤْسِـرِ

(١) المصدر: إرشيف الباحث الخاص (أبيات شعرية مَرْقُون).

يَـا لَيْـتَ كُلَّ العُـرْبِ تنهـجُ حَذْوَهُـــم ... وَتَعِـي الدُّروسَ مِـنَ الرِّبَـاطِ الأصْغَرِ
حتّــى نُشـيِّدَ للتّعــاونِ مُرتقًـــى ... وَنَقِيـمَ عُرْسًـا لِلْرِّبَـاطِ الأكْـــبَرِ
وَنَقُـولَ للتّاريـخِ مَهْـلًا ســـيِّدي ... عُـذْرًا فإنّـكَ بالخُطَـا لَـمْ تَشْعُـــرِ
إنَّ العُرُوبَـةَ مـن قديـمٍ تَلْتَقِـــي ... نَسَـبًا بشَـمْسِ حَضَـارَةٍ لـمْ تُدْبِـــرِ
وَأرَى وَمِيـضَ شُـعَاعِهَا بِتَفَـــاؤُلٍ ... يَطْـوِي القِفـارَ كفـارسٍ مُسْتَنْفِـــرِ
ليَـرُدَّ أنْفَـاسَ التَّعَـــــاوُنِ للـرُّبَا ... ويُمِيـطَ أسْمَالَ الزَّمَـانِ المُعْـــسِرِ
هِـيَ وَحْـدَة وسـطَ الجزيـرةِ أنْجَـبَتْ ... هـي قـوةٌ تسـعى بـدون تَعَـــثُّرِ

3-1-3- وقال بَدْر شاكر السَّيَّاب (ت 1384 هـ / 1967م) في أنشودة المطر[1]:

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ،
أو شُرفتان راحَ ينأى عنهما القمرْ.
عيناكِ حين تَبسمانِ تورقُ الكروم.
وترقص الأضواء... كالأقمار في نهَرْ
يرجّه المجذاف وهناً ساعة السَّحَرْ
كأنما تنبض في غوريهما، النّجومْ...
***
وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيفْ
كالبحر سرَّح اليدين فوقه المساء،
دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريفْ،
والموت، والميلاد، والظلام، والضياءْ؛
فتستفيق ملء روحي، رعشة البكاءْ

(١) المصدر: بدر شاكر السياب، **أنشودة المطر** (مؤسسة هنداوي، يورك، المملكة المتحدة، ط: الأولى ٢٠١٧م)، ص١٢٣ وما بعدها.

ونشوةٌ وحشيّةٌ تعانق السماءْ
كنشوة الطفل إذا خاف من القمرْ!
كأن أقواس السحاب تشرب الغيومْ
وقطرة فقطرةً تذوب في المطرْ...
وكركر الأطفالُ في عرائش الكرومْ،
ودغدغت صمت العصافير على الشجرْ
أنشودةُ المطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
تثاءب المساء، والغيومُ ما تزالْ
تسحُّ ما تسحّ من دموعها الثِقالْ.
كأنّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينامْ:
بأنّ أمّه ـ التي أفاق منذ عامْ
فلم يجدها، ثمّ حين لجّ في السؤالْ
قالوا له: (بعد غدٍ تعودْ ..)
لا بدّ أن تعودْ
وإنْ تهامس الرفاق أنها هناكْ
في جانب التلّ تنام نومة اللّحودْ
تسفّ من ترابها وتشرب المطرْ؛
كأن صياداً حزيناً يجمع الشِّباكْ
ويلعن المياه والقَدَرْ
وينثر الغناء حيث يأفل القمرْ.
***

أتعلمين أيَّ حُزنٍ يبعث المطرْ؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمرْ؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياعْ؟
بلا انتهاء ـ كالدَّم المراق، كالجياعْ،
كالحب، كالأطفال، كالموتى ـ هو المطرْ!
ومقلتاكِ بي تطيفان مع المطرْ
وعبر أمواج الخليج تمسح البروقْ
سواحلَ العراق بالنجوم والمحارْ،
كأنها تهمّ بالشروقْ
فيسحب الليل عليها من دمٍ دثارْ.
أصيح بالخليج: (يا خليجْ
يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والرّدى!)
فيرجعُ الصّدى
كأنه النشيجْ:
(يا خليج
يا واهب المحار والردى...)
***
أكاد أسمع العراق يذْخُر الرعودْ
ويخزن البروق في السّهول والجبالْ،
حتى إذا ما فضَّ عنها ختمها لرّجالْ
لم تترك الرياح من ثمودْ
في الوادِ من أثرْ
أكاد أسمع النخيل يشربُ المطرْ
وأسمع القرى تئنّ، والمهاجرينْ

يصارعون بالمجاذيف وبالقلوعْ،
عواصف الخليج، والرعود، منشدينْ:
(مطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
وفي العراق جوعْ
وينثر الغلالَ فيه موسم الحصادْ
لتشبع الغربان والجَرادْ
وتطحن الشّوان والحجرْ
رحىً تدور في الحقول ... حولها بشرْ
مطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
وكم ذرفنا ليلة الرحيل، من دموعْ
ثمّ اعتللنا ـ خوفَ أن نُلامَ ـ بالمطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
ومنذ أنْ كنّا صغاراً، كانت السماءْ
تغيمُ في الشتاءْ
ويهطل المطرْ،
وكلَّ عام ـ حين يعشب الثرى ـ نجوعْ
ما مرَّ عامٌ والعِراق ليس فيه جوعْ.
مطرْ...
مطرْ...

مطرْ...

في كل قطرةٍ من المطرْ

حمراءُ أو صفراء من أجنَّة الزَّهَرْ.

وكلّ دمعةٍ من الجياع والعراةْ

وكلّ قطرةٍ تُراق من دم العبيدْ

فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسم جديدْ

أو حُلمةٌ تورَّدتْ على فمِ الوليدْ

في عالم الغد الفتيّ، واهب الحياةْ!

مطرْ...

مطرْ...

مطرْ...

سيُعشبُ العراق بالمطرْ

***

أصيح بالخليج: (يا خليج ..

يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والردى!)

فيرجع الصدى

كأنّه النشيج:

(يا خليج

يا واهب المحار والردى).

وينثر الخليج من هِباته الكثارْ،

على الرمال: رغوه الأجاج، والمحارْ

وما تبقّى من عظام بائسٍ غريقْ

من المهاجرين ظلّ يشرب الردى

من لجَّة الخليج والقرارْ،

وفي العراق ألف أفعى تشرب الرَّحيقْ
من زهرة يربُّها الفرات بالنَّدى.
وأسمع الصدى
يرنّ في الخليجْ
(مطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
في كلّ قطرةٍ من المطرْ
حمراء أو صفراء من أجنَّةِ الزَّهَرْ.
وكلّ دمعة من الجياع والعراة
وكلّ قطرةٍ تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسمٍ جديدْ
أو حُلمةٌ تورَّدت على فمِ الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ، واهب الحياة).
ويهطل المطرْ...

3-1-4- وقال في قصيدة غريب على الخليج (الكويت، ١٩٥٣م)[1]:

الرِّيحُ تلهث بالهجيرة، كالجثام، على الأصيل
وعلى القلوع تظل تُطوى أو تُنشَّر للرحيل
زحم الخليج بهن مُكْتَدِحُون جوَّابو بحار
من كل حافٍ نصف عاري

(١) المصدر: بدر شاكر السياب، **المصدر نفسه**، ص٧ وما بعدها.

وعلى الرمال، على الخليج
جلس الغريب، يسرح البصر المحيَّر في الخليج
ويهد أعمدة الضياء بما يُصَعِّدُ من نشيج
أعلى من العبَّاب يهدر رغوُهُ ومن الضجيج
صوتٌ تفجر في قرارة نفسي الثكلى عراق
كالمد يصعد، كالسحابة، كالدموع إلى العيون
الريحُ تصرخ بي عراق
والموج يُعوِل بي: عراق، عراق، ليس سوى عراق!
البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون
والبحر دونك يا عراق
بالأمس حين مررتُ بالمقهى، سمعتك يا عراق
وكنت دورة أسطوانهْ
هي دورة الأفلاك من عُمُري، تكور لي زمانهْ
في لحظتين من الزمان، وإن تكُن فقدت مكانَهْ
هي وجه أمي في الظلام
وصوتها، يتزلقان مع الرؤى حتى أنام
وهي النخيل أخاف منه إذا ادلهمَّ مع الغروب
فاكتظ بالأشباح تخطف كلَّ طفلٍ لا يئوب
من الدروب
وهي المفلية العجوز وما توشوش عن (حزام)
وكيف شَقَّ القبر عنه أمام (عفراء) الجميلهْ
فاحتازها ... إلا جديلهْ
زهراء، أنت أتذكرين
تنورنا الوهاج تزحمه أكف المصطلين؟

وحديث عمتيَ الخفيض عن الملوك الغابرين؟

ووراء بابٍ كالقضاء

قد أوصدته على النساء

أيدٍ تُطاع بما تشاء؛ لأنها أيدي رجال

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال

أ فتذكرين؟ أ تذكرين؟

سعداء كنا قانعين

بذلك القَصَصِ الحزين لأنه قصص النساء

حشدٌ من الحيوات والأزمان، كنا عنفوانُهْ

كنا مَدَارَيْهِ اللذين ينام بينهما كيانُهْ

أ فليس ذاك سوى هباء؟

حلمٌ ودورة أسطوانهْ؟

إن كان هذا كل ما يبقى فأين هو العزاء؟

أحببت فيك عراق روحي أو حببتك أنت فيه

يا أنتما، مصباح روحي أنتما. وأتى المساء

والليل أطبق، فلتُشِعَّا في دجاه فلا أتيهْ

لو جئت في البلد الغريب إليَّ ما كمل اللقاءْ!

الملتقى بك والعراق على يدي هو اللقاءْ!

شوق يخضُّ دمي إليه، كأن كل دمي اشتهاءْ

جوع إليه ... كجوع كل دَمِ الغريق إلى الهواء

شوق الجنين إذا اشرأب من الظلام إلى الولادَهْ!

إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون!

أيخون إنسانٌ بلادَهْ؟

إن خان معنى أن يكون، فكيف يمكن أن يكون؟

الشمس أجمل في بلادي من سواها، والظلامْ
حتى الظلام هناك أجملُ، فهو يحتضن العراق
وا حسرتاه، متى أنام
فأحس أنَّ على الوسادَهْ
من ليلك الصيفي طلًّا فيه عطرك يا عراق؟
بين القرى المتهيِّبات خطاي والمدن الغريبَهْ
غنيت تربتك الحبيبَهْ
وحملتُها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبَهْ
فسمعتُ وقع خطى الجياع تسير، تدمى من عثار
فتذرُّ في عيني، منك ومن مناسمها، غبار
ما زلت أضرب، مُترب القدمين أشعث، في الدروب
تحت الشموس الأجنبيَّهْ
متخافق الأطمار، أبسط بالسؤال يدًا نديَّهْ
صفراء من ذلٍ وحمى: ذل شحاذٍ غريب
بين العيون الأجنبيَّهْ
بين احتقارٍ، وانتهارٍ، وازْورَارٍ أو (خطيّة)
والموت أهون من (خطيّة)
من ذلك الإشفاق تعصره العيون الأجنبيَّهْ
قطرات ماءٍ ... معدنيَّهْ!
فلتنطفي، يا أنت، يا قطرات، يا دمُ، يا نقود
يا ريح، يا إبرًا تخيط لي الشراع، متى أعود
إلى العراق؟ متى أعود؟
يا لمعة الأمواج رنحهن مجدافٌ يرود
بي الخليج، ويا كواكبه الكبيرةَ ... يا نقود!

***

ليت السفائن لا تُقاضي راكبيها عن سفار
أو ليت أن الأرض كالأفق العريض، بلا بحار!
ما زلت أحسب يا نقود، أعدُّكُنَّ وأستزيدْ
ما زلت أُنْقِصُ، يا نقود، بِكُنَّ من مدد اغترابي
ما زلت أوقد بالتماعتكُنَّ نافذتي وبابي
في الضفة الأخرى هناك فحدثيني يا نقود
متى أعود؟ متى أعود؟
أتراه يأزف، قبل موتي، ذلك اليوم السعيد؟
سأفيق في ذاك الصباح، وفي السماء من السحاب
كِسَرٌ، وفي النسمات بردٌ مشبع بعطور آب
وأزيح بالثؤباء بُقْيَا من نعاسي كالحجاب
من الحرير، يشفُّ عمَّا لا يبين وما يبين
عمَّا نسيت وكدت لا أنسى، وشكٍّ في يقين
ويضيء لي، وأنا أمد يدي لألبس من ثيابي
ما كنت أبحث عنه في عتمات نفسي من جواب
لم يملأ الفرح الخفي شعاب نفسي كالضباب؟
اليوم -واندفق السرور عليَّ يفجؤني- أعود!

***

وا حسرتاه ... فلن أعود إلى العراق!
وهل يعود
من كان تعوزه النقود؟ وكيف تدخر النقود
وأنت تأكل إذ تجوع؟ وأنت تنفق ما يجود
به الكرام على الطعام؟

لتبكينَّ على العراق

فما لديك سوى الدموع

وسوى انتظارك، دون جدوى، للرياح وللقلوع!

3-1-5- وقال محمد مهدي الجواهري (ت 1418 هـ / 1997م)[1]:

أعيذك أن يعاصيَك القصيدُ

وأن ينبو على فمك النشيدُ

وأن تعرو لسانك تمتماتْ

وأن يتفرط العقد الفريدُ

أعيذك ان تتوه بكل وادٍ

وأنت لكل سامعة بريدُ

فكن كالعهد منتفظًا شباب

وجود أيها اليفن المجيدُ

فقد آلى وريدك ان يغنِّي

بحب الناس ما نبض الوريدُ

وقائلةٍ أمَالك من جديدٍ

أقول لها: القديمُ هو الجديدُ

كشفتُ بأمسِ وجهَ غدٍ رهيب

ماطت عنه قافيةً شرودُ

«كزرقاء اليمامة» حين جلَّى

مصائرَ قومها بصرٌ حديدُ

وما كنتُ «النبيَّ» بها ولكنْ

(١) المصدر: مجموعة محررين، **محاضرات الموسم الثقافي**، (وزارة الإعلام، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى ١٩٧٩م)، ص١٦٢ وما بعدها.

نبيُّ الشعر شيطانٌ مَريدُ
لعمركِ إنَّ سادرةَ الليالي
إذا لم تُخشَ عودتها تعودُ
تعود بمثل ما حملتْ وألقتْ
ومثلِ لداتهِ الفجرُ الوليد
ومن لم يتعظ لغدٍ بأمسٍ
وإن كان الذكيُّ هو البليدُ
أفتيانَ الخليجِ ورُبَّ ذكرى
تُعاد ولا يمِلُّ المستعيدُ
سعيت إليكمُ يحدوا ركابي
لقاءُ صنوُ مسعاكم حميد
إلى هذي الوجوه تشع لطفاً
يشع بمثلها هذا الصَّعيدُ
تحدبتم علىَّ ينثُ حولي
نديُّ الحبَّ والطفُ المجودُ
فبوركتم وبورك ما تبنت
مواهبكم وبوركت الجهودُ
بكم والصفوةِ الواعين تاهت
بأجمل واحة قفراء بيدُ
من الملح الأجاج مشى ريخًا
يرقّص نخلة شبمٌ برود
يسيل بقاحلٍ عذب فراتٌ
وفي الرمل اليبيس يرف عودُ
وقفت على الخليج تذوب فيه

زمردةٌ يزانُ بها الوجود
تدور على الحِفاف كما استدارت
على النَّحر القلائدُ والعقودُ
طليقًا لا المسافُ يحدُّ منه
ولا تقف الحواجز والسُّدودُ
وحول ضفافهِ يمتد نبعٌ
بما يُحيي يفور وما يبدُ
حقول النفط تسمنُ راصديها
وغازيها وإن سَمُنَ الرصيدُ
فقلتُ وفي البداوةِ ما يزين
البُداةَ وفي الحضارةِ ما يشيدُ
أبوظبيٍ بما أخذت وأعطت
عروسٌ مهرُها نارٌ وقودُ
وعنَّت لي رؤى هيمٍ طواتٍ
تلفهمُ التهائمُ والنُّجودُ
جَحَاجِيحٌ وكم عمُرت عصورٌ
بما شقيتْ جحاجيحٌ وصِيدُ
تهاووا فوق حَرَّتها ركوعٌ
لهم من حولها ولهم سجودُ
ودبوا فوقها ولهم لحودُ
وذابو تحتها ولهم لحود
أ فتيان الخليج وليس تألوا
دروب المجد تَعمرها الوفود
مشرفةٌ هوى صيدٌ وصيدُ

عليها والتوى جيدٌ وجيد
يشبُّ الجيل بعد الجيل منها
لحودُ الصامدين هي المهودُ
وخالدةٌ على الذكوات منها
يمد جناحهُ الأبد الأبيدُ
أهيبُ بكم و قد رجفَ الصعيدُ
ومات الوعدُ وأنتفض الوعيدُ
وزلزلت البسيطةُ وأستنامتْ
على الأضغانِ أيْقاظٌ رقودُ
وباتت أرضنا كرةً تنزَّى
على الفرقاء تركنُ أو تميدْ
وأضحتْ ساحةُ الألعابِ فيها
كأقصر ما ترسَّمت الحدودُ
تَخَطفُها على نسقٍ بروقٌ
وترعبها سواسية رعودُ
ويوشك فرط ما دُحيت بناها
على الرمضاء ينتثر الجليدُ
حذارِ بني الخليج فثَمَّ وحشٌ
حديدُ الناب مفترسٌ حقودُ
خبيث الكيل في شركٍ خفيٍّ
يصيدُ عوالمًا فيما يصيدُ
يغازلكمْ مُرَاوَدةً ويَغْزِي
سواحلكم أساطيلًا ترود
أ فتيان الخليج ولا خيارٌ

وأن زعم الدعاةُ ولا محيدُ
وليس هناك إلا من يطاطي
إلى المستعمرين ومن يذودُ
وما لضياعنا أملٌ يُرجَّى
سوى أن يُجمعَ الشملُ البديدُ
فيالك أمةً قُسمت ثلاثاً
وعشريًا وتسألُ هل مزيدُ؟
تُعد لكل واحدةٍ طبولٌ
وحراسٌ وترتفعُ البنودُ
وعند الهندِ ربعُ الكون عدًّا
وفي شطرين تنقسمُ الهنود
ودجالين يصطنعون سحرًا
وترياقًا بما صنع الجدودُ
تَعِلّاتٌ تشوق وهم صحاةٌ
وأطيافٌ تروق وهم رقودُ
ولم يُعطِ الجدود القدس يومًا
ولا أحتلَّت فلسطيناً يهود
ولا كانوا مقادة أجنبيٍّ
متى وبكيف ما يهوى يقودُ
صلاح الدين كان يفتُّ خبزًا
وكان ينام أرضًا والجنودُ
وكانَ يَمُدْ زنداً للمنايا
فتتبعهُ مطاوعةٌ زنودُ
وها هو عنده فلكٌ يدويّ
وعِند منعمٍ قصرٌ مشيدُ

يموت الخالدون بكل فجٍ
ويستعصي على الموتِ الخلودُ
أ فتيان الخليج ولا عقوق
لنذر الواهبين ولا جحودُ
ولي ولكم هُناك دمٌ وحنا
وخدرٌ شاردٌ وأخٌ طريدُ
ونحن غدًا لموعود سُوحًا
يُلف على القريبِ بها البعيدُ
سِوى أنا بضوءِ دمٍ زكيٍّ
يعنُّ لنا رؤي شنعاء سودُ
رؤى متفرجين على الرزايا
كأنهمُ على عُرسٍ شهودُ
تُنز جراح أهليهم ويؤذي
منعَّمةَ الخياشيمِ الصديدُ
أ فتيان الخليج وكل زرعٍ
رديءٍ سوف يلفظهُ الحصيدُ
وسوف يرفُ بعد اليوم ظلٌ
على جمراتِ هاجرةٍ مديد
سيُبدل من صدى نغمٍ شقيٍ
بأنغام المنى وترٌ سعيدُ
فإن تك أطبقتْ جُدرُ الليالي
فسوف يُشقُ من فجرٍ عمودُ
وإن تَزِدِ الميوعةُ من بَنِيها
فأم الضرّ والبلوى ولودُ
سينهض من صميم اليأس جيلٌ

مريدُ البأسِ جبارٌ عنيد
يقايضُ ما يكون بما يُرَجَّى
ويَعطفُ ما يُراد لما يُريد

3-1-6- وقال عدنان الصائغ (بغداد، 1991م)[1]:

ترى كمْ من الينابيعِ
والسواقي
والأنهارِ
والبحيراتِ
امتزجتْ في مياهكَ
وضاعتْ بين أمواجكَ
دون أن تتذكّرَها
أيها البحر

3-1-7- وقال غازي بن عبد الرحمن القصيبي (ت1431 هـ / 2010م)، من المملكة العربية السعودية، مُتَمَجّدا بالخليج وعروبته، وتاريخ أهله، في «أغنية الخليج»[2]:

أتَيْتُ أرْقُبُ ميعادي مَعَ القَمَرِ ... يا سَاحر الموج والشطآن والجُزُرِ
هديتي رَعْشَتَا شَوْقٍ وقافية ... حملتها كل ما عانيتُ في سفري
أتيت أمْرَحَ فوق الرمل أنبشُهُ ... عن ذكرياتي القدامى عن هوى صغري

(١) المصدر: عدنان الصائغ، **الأعمال الشعرية**، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط: الأولى ٢٠٠٤م)، ص٢١٢.

(٢) المصدر: مجموعة مؤلفين، **معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين**، (مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري، دولة الكويت، ١٩٩٥م)، ج٣، ص٧١٨ وما بعدها.

عــن النجــوم أذبنـاهــا بأكؤسنــا ... عـن الليالــي مشيناهــا علــى الوتــرِ
أمــرُّ بالشاطــئ الغَافــي فأوقظــه ... بقبلــة وأنـاديــهِ إلـــى السمــرِ
أقــول شاعــرك الولهــان تذكــره؟ ... أتــاك يحلــم بالأصــداف والــدُّرَرِ
مــن بعد أن ذَرَعَ الدُّنيــا فمــا فتحــت ... لــه الشواطــئ إلا مرفــأ الضَّجَــرِ
ولُحْــتَ يــا أزْرقَ العينينِ فانطلقت ... أشــواقه بجنــون البيــد فــي المطــرِ
خليــجُ مــا وَشْوَشَ المَحَّارُ فــي أذنــي ... إلا سمعتــك صوتــا دافــئ الــخَــدَرِ
ولا تَـرَنَّـــمَ مـــــلّاحٌ بأغـنيـــةٍ ... إلا وَضَـجَّتْ أغـاني الغـوصِ في السَّحَـرِ
ولا رَأَيْــتُ شراعــا ضمــه أُفُــقٌ ... إلا ومَـرَّت هـواري الصَّـيدِ فـي فِكَـري
ولا احترقــت بنــار الشمــس ثانيــة ... إلا ابْـتَرَدْتُ بمــا خلَّفْــتُ فــي ذِكَـري
خليــجُ مــرَّت علينــا بالنَّــوى سنَــة ... فهـاتِ حـدِّثْ وسَلْ مـا شئتَ من خَبَـري
ركبــتُ ســبعين بحــرًا جُبْــتُ أوديــة ... طــارتْ بــيَ الرِّيحُ مِنْ أمْـنٍ إلى خَطَرِ
ضحكــتُ والحِــبُّ يَرْعَانِــي ببسمتهِ ... ونحْـتُ والحُـبُّ ليـلٌ صاخـبُ الكَـدَرِ
عشْــتُ الســعادةَ حُلْمًــا لا يفارقنــي ... وعشتُ أعْنَفَ حُـزْنٍ فـي دَمِ البشَـرِ
حــتى أتيتــكَ فامســح بالنسيــم علــى ... آهـات جرحـي ورشَّ المـوجَ فـي شَـرَرِي
وصُبَّ فـي مسمعـي الظمــآن ملحمــة ... مـن عـالم الظـل والألـوان والصـوَرِ
عَــنِ الشَّـواطئ تُغْـوِي الشَّـمْسَ وجْنَتِها ... فترتمــي فــي أصيــلٍ أحْمَــر الخَفَــرِ
علــى اللآلــئ فــي أصدافهــا رقدتْ ... وخَلَّفَــت أعْيــنَ الغَــوَّاص لِلْسَّـهَـرِ
خليــج يـا مـوْجَــةً بيضــاء تنقُلُـهَـا ... أصـابعُ الشَّـوق من قلبي إلـى بصـري
أعيــذ وجهــك أنْ تغـزو مَلامِـحُــه ... رغـم العواصـفِ إلا بسْمَــة الظَّفَـرِ
عهدتــــه عربيًّــا مــا لَــوَى فَمَــهُ ... بلكْنــةٍ هاجــرتْ مــن شاطــئ التَّتَـرِ
عهدتـــه عربيــا مـــلء جَبْهَتِــهِ ... كِبْـرٌ من البيدِ لـم يرْكَـعْ علـى قَـدَرِ
عهــدته عَرَبيًّــا مَــا غَفَــا وصَحَــا ... إلا علـــى لغـــةِ الإعجـــاز والسُّـوَرِ

3-1-8- وألقى يوسف بن عبد القادر الكمالي (من سلطنة عُمان) قصيدة جميلة، تدعو إلى الألفة، وسلِّ السَّخائم من النفوس، والاتحاد، وحسن الجوار، سمَّاها: «أغنية الخليج الثانية»، جاء فيها[1]:

أنفقتُ باليمنى من الأنهار ... ما ليس تعلم يا خليل يساري
أنفقت من عيني النديَّة عَبْرة ... تكفيك يا أملي لوَأْد النارِ
ليس الخليج ببقعة مائية ... أو بئر نفط أو سجل عقاري
ليس الخليج مجامعا سكنية ... من عَرْعَرٍ حتى جبال ظفار
إنَّ الخليلج هو التقاء دمائنا ... في ساحل من لؤلؤ ومحارِ
إنَّ الخليج هو انصهارُ قلوبنا ... عن ظلمة الدنيا بنورِ الغارِ
وخليجنا العربي أوسع رحمة ... من روحنا في لحظة استغفارِ
أستغفر الرحمن في تفريقنا ... بين المهاجر فيه والأنصاري
عرق تبخَّر من جبين شعوبنا ... صعدَ السَّماءَ وعادَ بالأمطارِ
فاهتزَّ طَلْع مَحَبَّةٍ بيدي أولي الـ ... أيدي وفي عَيْنَيْ أولي الأبصارِ
بزغَتْ هُنالِكَ نَخْلةٌ بل واحةٌ ... تسَعُ النخيل الستَّ ذات نهارِ
هم بادروها بالصَّلاةِ وبالرُّؤى ... هَمْ جَابِرٌ مَعْ زايدِ المغوارِ
مع خالدٍ وخليفةٍ لم تثْنَنِ ... عيسى وقابوس ورب بدارِ
بالحبِّ والإيمانِ يخترق الذي ... تغْشَاهُ ألْفُ غشاوةٍ وجِدَارِ
فوق الصُّدورِ نما الخليجُ حدائقًا ... مذ كان فوق الأرض مَحْضَ صَحَاري
كانت مشاعرنا نداءً أولا ... ونداؤنَا الثاني مِنَ الأسْفَارِ
ما إنْ نَزَلْتُ إلى المَطَارِ يشُدُّني ... في المَنْفَذِ الخَالِي مِنَ الزُّوَارِ
لمواطني دول الخليج تقول لي ... وسطَ الزِّحَامِ تعَالَ يا ابنَ الدَّارِ

(١) المصدر: الكمالي، يوسف بن عبد القادر، **أغنية الخليج الثانية**، (مرقونة، يحتفظ الباحث بنسخة منها).

أختـم جـوازك فالجـواز وثيقـة ... للـروح والتاريـخ والآثـارِ
مَـا كنْـتُ أشْـعُرُ والوثيقـة فـي يـدي ... أنِّـي سَأَشْـتمُ ذَاتَ يَـوْمٍ جـارِي
مَـا كنْـتُ أشْـعُرُ والأمَـانُ يحيطنـي ... مثـل الخليـجِ بحاجتـي لفـرارِ
مَـا كُنْـتُ أشْـعُرُ فِـي المَطَـارِ بأنَّنِـي ... سـافرتُ أصـلا فالمَطَـارُ مَطَـارِي
فأنـا الخليجـي يـا نـوالُ وإنَّ أوْ ... ردتـي إذا غنَّيْتهـا أوتـاري
ورضعْتُ أغنيـة الخليج[1] وما سئمـ ... ـتُ من ارتحالي خلفَ ذاكَ السَّاري
مَـا كُنْـتُ أدَّخِـرُ الدِّفَـاع عـن الحقيقـة ... والشِّـعَارُ مِـنَ الحقيقـةِ عـارِ
مَـا كُنْـتُ يـا قابـوسُ أشْـعُرُ جَيِّـدًا ... أنِّـي أحبُّـك فـوقَ كلِّ شِـعَارِ
أنـا لسْـتُ يـا قابـوسُ شـاعر سـلطةٍ ... أو بـوقَ طاغيـةٍ أو اسـتثماري
لكـنْ أحبُّـكَ لا مُجَـرَّدَ طاعـةٍ ... لولـيِّ أمْـرٍ مُسْـلِمٍ مُخْتَـارِ
مقدارَ مـا يُرْضِـي المُلُوكَ من الهَوَا ... نِ رضـاك فيـهِ مَعَـزَّةُ الأحْـرَارِ
وملامَـةُ المُتَصَالِحِيـنَ مـع الشَّـتـ ... ـاتِ وأنـتَ تدْعوهم إلـى استقرارِ
وأنـا عُمانـيُّ الهـوى وعمومتـي ... فـي كلّ عامـرةٍ وَكُلِّ دِيَـارِ
وأنـا الكَمَالـيُّ الغنـيُّ عـن الرِّيـا ... ءِ أنـا ابـنُ أهْلِ العَدْلِ فـي الأمصـارِ
يـا مَـنْ نَـكَأْتَ الجُـرْحَ بَعْـدَ مخيطـهِ ... أغْرَقْـتَ نَفْسَـكَ فِـي النزيـفِ الجَـارِي
وصَنَعْـتَ مِـنْ خَشَـبِ الـكَلامِ سَـفِينةً ... وَشَـرِبْتَ مِـنْ بَحْـرِ الظَّـلامِ مَجَـارِي
هـل تأخـذ الأخْـلاقَ مِـنْ قرآننـا ... أم أنـتَ تَأخُذُهَـا مِـنَ الأخبَـارِ
هبْنِـي سُـعوديًّا وليْسَـتْ أمُّـهُ ... قطريَّـةٌ يـا مُبْعِـدَ الأقطـارِ
هبْنِـي إماراتيَّـةً شـرْقِيَّةً ... ليْسَـتْ لهَـا صِلَـةٌ بأهْـلِ صُحـارِ
هبْنِـي كويتيًّـا ويسْـكُنُ جَـدَّهُ ... غيْـرَ المَنَامَـةِ يَـا غريـب الـدار
يـا مفتـيَ الجَاريـنِ أنْ يتقاطَعَـا ... والله يأمرنـا بِحُسْـنِ جِـوَار
ثـوب الريـاء يشِـفُّ عمَّـا تَحْتَـهُ ... فـإذَا الْتَحَفْـتَ بـهِ فإنَّـك عَـارِ
قابـوسُ يَـا وَجْهًـا يُطَمْئِـنُ أمَّـة ... هـلا أجبـت أبـي علـى استفسـاري

(١) للمرحوم غازي القصيبي.

وإذا سـأَلْتُ فإنَّنـي مُتَعلِّـقٌ ... فـي قشَّـةٍ بِالْبَحْـرِ أوْ مِسْـمَارِ
هـل مَـا تبقَّـى مِـنْ مِيَـاهِ خليجنـا ... يـا سـيدي يكْفِـي لـوأْدِ النَّـارِ

3-2- وممَّا قيل في البَصْرَة:

3-2-1- ما جاء نقلًا عن ابن أبي عُيَيْنَة المُهَلَّبِي يصف البَصْرَة، وقيل الأبيات للخليل بن أحمد (ت 170 هـ / 786 م)[1]:

يَـا جَنَّـة فَاقَـتِ الجنـان فـما ... تبلغهـا قيمـة ولا ثمـــــنُ
عُلِّقْتُهـا فاتّخذتهـا وطـــنًا ... إنّ فـؤادي بذكرهـا وطـــنُ
انْظـر وفكـر لمـا نطقـت بـه ... إن الأديـب المفكـر الفطـــنُ
مـن سُـفُنٍ كالنعـام مقبلـــة ... ومـن نعـام كأنهـا سفـــنُ
صاهـر حيتانهـا الضـباب فـذا ... ضـرَّةٌ وذا خَـــتَنُ

3-2-2- وقال الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، أبو نواس (ت 198 هـ / 814 م)، شاعر العراق في عصره؛ واصفًا[2]:

لنـا بالبصـرة البَيضـا ... ءِ أُلّافٌ وَإِخـــوانُ
بَهاليـلُ مَسامـــيحُ ... لهـم فضْـلٌ وَإِحســانُ
كأنَّ المَسـجِدَ الجامِـــ ... ـــعَ عِندَ اللَيـلِ بُستانُ
وفيـه مِـنَ طَريـفِ النبـ ... ـــتِ والأَزهـارِ ألـوانُ

(١) المصدر: الحموي، **معجم الأدباء**، ج٣، ص١٢٦٦.

(٢) المصدر: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي، **ديوان أبي نواس**، (الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٩٧١م)، ص١٦٥.

لـه فـي خَـدِّهِ خـــــالٌ ... بِـهِ الأَلبـابُ فُـــــتّانُ
وَقَـد جَرَّعَنـي كَأسًـــا ... لَهـا فـي القَلـبِ نـــيرانُ
لـهُ مِـن جُنـدِ إبلـــيسَ ... علـى الفِتنَـةِ أَعـــوانُ
شـبا خنجـره مـن عَـ ... ـلَقِ الأَجـوافِ رَيَّـانُ
وعِمـرانُ اِبـنُ عَمَّـارٍ ... فَفيـهِ الأَمـرُ وَالشـــانُ
إِذا أَقبَـلَ قـالَ النـــا ... سُ ظَبـيٌ ريـعَ وَسـنانُ
فمـن يَسـأَلُ عَـن قَلبـي ... فَقَلبـي حَيثُمـا كـــانوا

3-2-3- وقال عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي، أبو الحكم (ت549 هـ / 1155م)[1]:

أقـول وقـد أشـرفت مـن نهـر مَعْقِلٍ ... على البصرة الغراء حييت من مِصْرِ
أيـــا حبـذا سـاحاتها ورسـومها ... وطيـب رباهـا لا عريـن مـن القُطْرِ
فكـم فيـك مـن يـومٍ لَهُوتُ وليلـةٍ ... رأيـت لهـا وجهًـا ينـوب عـن البَدْرِ
وإنْ سَـفَرَتْ جنْـح الظـلام نقابهَـا ... رأيـتُ لَهَـا وجْهًـا يَنُـوبُ عَـنِ الْبَـدْرِ

3-2-4- وقال عبد اللّه بن عبد الواحد بن محمد بن زيد، جمال الدِّين الشِّيرازي الأصل، البصري الشّافعي، نزيل مكة، يُعرَّفُ فيها بالشَّيخ عبد اللّه البصري (ت: حوالي 893 هـ / 1488م)، يتشوَّق أهله وبلاده[2]:

هـي البصـرة الفيحـاء لا زال ذكرهـا ... جديـدًا لأهليها لدى الخَلْق إجـــلالُ
فقد كانـت الفيحـاء للعيـن نزهـــة ... وللقلـب جنـات بها ينعم البـــالُ

(١) ابـن أبـي أصيبعـة، أحمـد بـن سـديد الديـن القاسـم بـن خليفـة بـن يونـس الخزرجـي الأنصـاري، **عيـون الأنبـاء فـي طبقـات الأطبـاء**، (دار مكتبـة الحيـاة، بيـروت، ١٩٦٥م)، ص٦٢٣.

(٢) المصـدر: عمـر الشـماع الحلبـي، **القبـس الحـاوي لـرر ضـوء السـخاوي**، تـح: مـروة خلـدون حسـن (دار صـادر، بيـروت، لبنـان، ط: الأولـى، ١٩٩٨م) ج١، ص٤٤٣ ومـا بعدهـا.

فآهًا لأوقات مضت في مسـرَّة ... لنا من رغيد العيش فيهنَّ أوصالُ
وترتيب أوراد وأفعال طاعة ... وخدمة أعلام من العلم قد نالوا
وعين الرَّدى والحادثات عميَّة ... ودهري غفول والمبرَّات أنفالُ
ففارقتها بالرَّغم منِّي مخافة ... على الدّين من قوم بضدِّ الهدى قالوا
بغوا وعتوا في الأرض واشتدّ وطؤهم ... على أهلها والله ما شاء فعَّالُ
رماني لديهم ثمَّ انقذ مُنْعَمًا ... عليَّ له بالعَبْدِ مَنٌّ وإفضالُ

3-2-5- وممَّا قاله جعفر بن محمد بن عبدالله الربعي النقدي (ت1370 هـ / 1951م)، من أهالي العمارة (مركز محافظة ميسان)، يمدح البصرة، وبهجتها[1]:

مَا البَصْرَةُ الفَيْحَاءُ إلا جنَّةٌ ... جَادَ الإلهُ بهَا عَلَى أَهْلِيهَا
تَحْكِي شَوَارِعُهَا رِيَاضًا تزْدَهِي ... والحُورُ والولْدَانُ تَمْرح فِيهَا

3-2-6- وقال محمد بن علي اليعقوبي التَّجَفي (1384 هـ / 1966م)، حين حضر جماعة من علماء البصرة ووجوهها لوداعه في محطة القطار، في معقل، عند زيارته لها سنة ١٣٦٦ هـ[2]:

أشْرَقْتِ يَا فَيْحَاءُ حُسْنًا فَاسْتَوَتْ ... فِيكِ الليالي الغُرُّ والأيَّامُ
أمَّا المحاسنُ فهي فيكِ حقائقٌ ... وبِغَيْرِ أرْضِكِ كلُّها أوْهامُ
لولا الحنينُ لموطني وَهْوَ (الْحِمَى) ... مَا طَابَ لِي إلا لديكِ مُقَامُ
يفترُّ شاطئكِ الجميلُ كأنَّهُ ... ثَغْرُ الحبيبِ يُمَاطُ عَنْهُ لِثَامُ

(١) علي الخاقاني، **شعراء الغري أو النجفيات**، (مكتبة آية الله العظمى المرعشي، المطبعة الخيرية، النجف، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م)، ج٢، ص١٠٧

(٢) المصدر: اليعقوبي، محمد بن علي، **ديوان اليعقوبي**، (مطبعة النعمان، العراق، ١٩٥٧م)، ج١/١٢٩

نادَمْتُ فيكِ أحِبَّةً أخلاقُهُمْ ... كالزَّهْرِ عَنْهُ تَفَتَّحَ الأكْمَامُ
كَرُمُوا ومَا شحُّوا عَلَيَّ بِوَصْلِهِمْ ... وَهُمُ وإنْ شحُّوا عليَّ كرامُ
فارَقْتُهُمْ والقلبُ عن صبَوَاتِهِمْ ... لَمْ يَثْنِهِ عَذْلٌ بهمْ وملامُ
العامُ عندي فيكِ يومٌ واحدٌ ... وعليَّ يومُ فراقِ جوّكِ عامُ
وإذا تَبَسَّمتِ البلادُ لأهلها ... بشرًا فإنَّكِ ثغْرُها البَسَّامُ

3-2-7- وقال بدر شَاكِر السَّيَّاب (ت 1384 هـ / 1967م) في ديوانه الشعري، ذاكرًا أحد أنهارها الصغار[1]:

«بويب»

أجراس برج ضاع في قرارة البحر
الماء في الجرار والغروب في الشجر
وتنضح الجرار أجراسا من المطر
بلورها يذوب في أنين
بويب يا بويب
فيدلهم في دمي حنين
إليك يا بويب
يا نهري الحزين كالمطر
أود لو عدوت في الظلام
أشد قبضتي تحملان شوق عام
في كل إصبع كأني أحمل النّذور
إليك من قمح ومن زهور

(١) المصدر: بدر شاكر السياب، **الديوان الشعري**، تقديم: إيناس الربيعي، (دار القلم، لبنان، ط: الأولى، د.ت)، ص٢٦٢ وما بعدها.

أود لو أطل من أسرّة التلال
لألمح القمر
يخوض بين ضفتيك يزرع الظلال
ويملأ السِّلال
بالماء والأسماك والزَّهَر
أود لو أخوض فيك أتبع القمر
وأسمع الحصى يصل منك في القرار
صليل آلاف العصافير على الشجر
أ غابة من الدموع أنت أم نهر
والسَّمك الساهر هل ينام في السَّحر
وهذه النجوم هل تظل في انتظار
تطعم بالحرير آلافا من الإبر
وأنت يا بُوَيْب
أود لو عرفت فيك ألقط المحار
أشيد منه دار
يضيء فيها خضرة المياه والشَّجر
ما تنضح النجوم والقمر
وأغتدي فيك مع الجزر إلى البحر
فالموت عالم غريب يفتن الصِّغار
وبابه الخفي كان فيك يا بُوَيْب
بويب.. يا بويب
عشرون قد مضين كالدُّهور كل عام
واليوم حين يطبق الظلام
وأستقرُّ في السرير دون أن أنام

وأرهف الضمير دوحة إلى السَّحَر
مرهفة الغصون والطيور والثمر
أحسُّ بالدِّماء والدموع كالمطر
ينضحهنَّ العالم الحزين
أجراس موتى في عروقي ترعش الرنين
فيدلهم في دمي حنين
إلى رصاصة يشق ثلجها الزّؤام
أعماق صدري كالجحيم يشعل العظام
أود لو عدوت أعضد المكافحين
أشدّ قبضتيَّ ثم أصْفَع القدر
أود لو غرقت في دمي إلى القرار
لأحمل العبء مع البشر
وأبعث الحياة إن موتي انتصار.

3-2-7- ومما قاله السيد محمود بن حسين بن محمود الحبُّوبي (ت1389 هـ / 1969م)، المعروف باتجاهه الوطني، في قصيدة سمَّاها: «من وحي الفيحاء»، نظمت في البصرة سنة 1943م[1]:

(فيحاءُ) يا ثغْرَ العراقِ تبسَّمِي ... عن هذه الأزهارِ والأوْرادِ
وتجَنَّبي دنيا الجرائمِ واغْفَلي ... عمَّا بهذا الكونِ من أنْكَادِ
أممٌ تساق إلى الفناء ومثْلُهَا ... بين القيودِ تئنُّ والأصْفَادِ
فتمتَّعي بالطيباتِ وجاوبي ... للهوِ والأفْرَاحِ كلّ مُنَادي

(١) الحبوبي، محمود بن حسين بن محمود، **ديوان الحبوبي**، (مطبعة دار النشر والتأليف، د. م، ١٩٤٨م)، ص١٢٤ وما بعدها.

في كلِّ ناحيـةٍ أشـاهدُ جنَّـةً ... هـيَ مُنْيَـةُ المُتَنَـزِّه المُرْتَـادِ
شـجرٌ يداعبـه النسـيمُ وجـدولٌ ... يجـري علـى مَهَـلٍ وطيـرٌ شـادي
وحدائـقٌ هـذي تنافـس هـذه ... أ رأيـتَ حفْـل الغِيـدِ فـي الأعْيـادِ؟!
وأوانـسٌ يضحكـن بيـن ورودهـا ... فتـرى الأقـاح لهَـا مِـنَ الحُسَّـاد
تصطادنـا أجفانهـن وفـي الفـلا ... أخواتهـن غنيمـة المصطـاد
(فَيْحَـاءُ) ردِّي لـي فـؤادي إننـي ... مـا زرت أرضـكِ كـي يضيـعَ فؤادي
لـم أدرِ أيـن مضـت بـه حـدَقِ المهـا ... فـدَّاه فـي وادي الصبابـةِ حَـادِي
يمْرَحْـنَ أسـرابًا فسِـرْبٌ رائـحٌ ... لهيَـامِ أنْفُسِـنَا وسِـرْبٌ غـادي
يـا صـبُّ فاطـمُ أو سـعادٌ هـا هنـا ... لـك ألـفُ فاطمـة وألـفُ سُـعَادِ
مـن كلِّ مخطفـة الحشـا فتانـة ... بِلِحَاظِهَـا وَقوَامِهـا المَيَّـادِ
زُرْ شـارعَ (الكورنيـش) تلْقَ مشـاهدًا ... هِـيَ أخْـتُ مـا شـاهدتَّ فـي (بغـدادِ)
صـفٌّ مـن الأدْواحِ قابـل مثلـه ... كتحيَّـةِ الأجْنَـادِ للأجْنَـادِ
وإذا أردتَّ انظـر لسـياراتهِ ... تنْـسَ الجِيَـادَ القُـبَّ يـومَ طِـرَادِ
وعلـى رصيـف (الشَّـطِّ) قـف متأمـلاً ... بجمـال تائهـةٍ علـى الأنـدادِ
أرسـتْ بجَنْـبِ لِذَاتهـا فتخالُهـا ... وتخالهـنَّ رواسـيَ الأطْـوادِ
تلـك اللواتـي إنْ غـزت بحـرًا غـدا ... متلاطِـمَ الأمـواجِ والأزْبَـادِ
وإذا دوى مـلء المسَـامِع صوتهـا ... أخفـى وأخْفَـتْ زَارَة الآسَـادِ
والكهربـاءُ نجومـه وهَّاجَـة ... فيهـا وفـي مجْـرَى النميـر الهـادي
أجْمِـلْ بهـا والمـاء مـوجٌ ظلهـا ... فهـي السـبائكُ في يَدَيْ نقَّـادِ
ولقـد تظنُّ على البُعَـادِ لناظـرٍ ... إحـدى الكنائـسِ ليلـةَ الميـلادِ
ذا صاعـدٌ فيها وهـذا نـازلٌ ... منها وذا مـاشٍ وذلـك عـادي
حـركاتُ جـنٍّ ليـس يفتـأ سـاعيًا ... لبلـوغ آمـالٍ ونَيْـلِ مُـرَادِ
لا تنكـرنَّ عليهـمُ أعمالَهُـم ... وجهادَهُـم مـا العيـش غيـر جِهَـادِ
وإلـى المطـار اذهـب تجدْ مـا لـم تجِدْ ... فـي صـرح بلقيـسٍ وجنَّـةِ عـادِ

جـوٌّ يمـرُّ بـه النَّسـيمُ مُعَطّرًا ... ممَّـا تحمَّـل مـن شـذا الأوْرَادِ
هـو بيننـا نفـس الطبيعـة موقظًـا ... إحساسَـنا مـن غفلـةٍ ورُقـادِ
انظـر تجـدْ مِـنَ النواظـر بقعـة ... خضـراء تفتـن أعْيُـنَ الـرُّوَّادِ
و(بنايـة) لا يسـتطيع صفاتهـا ... قلـمُ (الوليـد) ولا لسـانُ (زيـاد)
أعجوبـة الفـن الحديـث وكـم لـه ... مـن غُـرّ آثـارٍ وبيـضِ أيـادي
أنْهَاؤُهـا وبناؤهـا وضياؤهـا ... ممَّـا أضـاع هدايتـي ورشـادي
وشـوارعٌ قامـت علـى جنباتهـا ... أغراسُـها لتحيَّـةِ الوُفَّـادِ
و(مسـابحُ) للغيـد أُتْقِـنُ صُنْعُهَـا ... ذَوْقٌ ويقْظَـةُ خاطـرٍ وقَّـادِ
مـاءٌ كأنَّ بـهِ الصَّفَـاء بَقِيَّـة ... مِـنْ تِلْكُـمُ الأجسـامِ والأجْسَـادِ
والمـوْجُ والأكْفَـالُ فيـه تسـابقا ... لغوايـةِ النُّظَّـار والشُّـهَّاد
وعليـهِ مِـنْ بنْـتِ السَّـما وشـعَاعِهَا ... أزْهَـى الثِّيـابِ وأجْمَـلُ الأبْـرَادِ
(فيحـاءُ) يـا مهْـدَ الثقافـةِ لَيْتَنِـي ... لَـمْ أتَّخِـذْ إلا ثـراك مهَـادِي
وبـلاد (إخـوان الصَّفـا) أذكرتنـي ... أسْـمَارَ إخْـوَانِ الصَّفـا ببـلادي
أيَّـام تجمعنـي وإيَّاهُـمْ علـى ... مـا نشـتهيهِ مَحَافِـلٌ ونَـوَادِي
مـاذا أُعَـدِّدُ مِـنْ مزايـاكِ الَّتـي ... كبِـرَتْ عـن الإحصـاءِ والتَّعْـدَادِ
خَلَـتِ السِّـنون وَمَا خَلَتْ ما بيننـا ... مِـنْ حاضـرٍ يَـرْوي ثنـاكِ وبـادي
أيامـك الأولـى -ولسـت مغاليًـا- ... قـد أحْكَمَـتْ آسـاس مجـدِ (الضَّـادِ)
هـل كان (مِرْبـدُك) الجليـل مقاصـدًا ... في العُـرْبِ إلا كعبـة القُصَّـادِ
هـو أيُّ مضمـارٍ تسـابقَ ضِمْنَـه ... للشِّـعْرِ والآدابِ أيُّ جِيادِ
وهـل (الخليل) ومُشْـيِهُوهُ سوى هدًى ... للنَّـاسِ مِـنْ تاريخـكِ المُتَهَـادِي
ما كانَ أجْـدَرَ أنْ نـرَى أوْصَافَهُـمْ ... وَهُـمُ الجـدودُ الغُلْـب فـي الأحْفَـادِ
(فَيْحَـاءُ) إنْ لـم أبْـقَ فيـكِ فإنَّمـا ... ذكـراكِ باقيـةٌ مـع الآبـادِ
ولـو استطعتُ جعلـتُ فيكِ قصائدي ... بـدل اللَّلنَالِـئِ حِلْيَـةَ الأجيـاد

3-2-8- وقال تحيَّة للبصرة[1]:

رَجَــعَ الهَــوَى بــي مــرَّةً أخْــرَى ... لــكِ بعْـدَ مَـا ذُقْـتُ الهَـوَى مُـرًّا
فيحــاءُ لا أنســى الفــؤادَ يــدا ... يَعْـيَ الّلِسَـانُ لِمِثْلَهَـا شُـكْرًا
إذْ بــتُّ فــي الجنــات منــك وإذْ ... طالعـتُ فيـكِ الحُسْـنَ والسِّـحْرا
وخشــيتُ أنْ أنْسَــى هــوَى وطــنٍ ... قلبــي بــه منـذ الصِّبَـا مُغْـرَى
ورأيــتُ مــن أخــلاق أهلــكِ مــا ... يُنْسِـي النديـمَ الـكأسَ والخَمْـرَا
لــم أدرِ حيــن عَلِقْتُهُــمْ شــغفًا ... أ خلائقًـا أنبـتِ أم زهـرا؟!
أنــا فــي ربوعــكِ إنْ نعمــتُ فكــم ... بعـد الفـراق نعمـت بالذكـرى
(فيحــاء) عــدت إليــك ثانيــة ... أ يعـودُ عَهْـدٌ فيـك لـي مَـرَّا
أيَّــام كنــتُ أرى الحيــاةَ إذا ... فاتتـك كانـتْ بالفنـا أحْـرى
أنَّــي اتَّجَهْــتُ وحيــثُ سِــرْتُ أرَى ... مـا هزَّنـي طربًـا ومـا سَـرَّا
إذْ كلُّ دربٍ بالحســان بــدا ... كالرَّمْـل ضـمَّ ظبـاءَهُ العفْـــرَا
مــن كلِّ واضحــة الجبيــن إلــى ... نَعْسَـى إلـى مُخْتالـةٍ كِبْـرًا
لــم تــدرِ أعينُنــا أ مبصــرةٌ ... شـهبُ السَّـما أم أوجهـا زهـرًا؟!
وإذ الحدائــق ههنــا وهنــا ... تطْـوِي الهمـومَ وتنشُـرُ البِشْـرَا
الطَّــرْفُ حــارَ بشــكْلِهَا عجبًــا ... والجـوُّ فـاحَ بوردِهَـا عِطْـرًا

إلى آخر ما جاء فيها.

(١) الحبوبي، محمود بن حسين، **المصدر نفسه**، ص١٢٧ وما بعدها.

3-2-9- وقال شاعر المنافي رعد بندر (معاصر) -من العراق-، أحد الأعضاء الفاعلين في عدد من المؤسسات الخليجية، وعضو اللجنة العليا المنظمة لبرنامج أمير الشعراء بدولة الإمارات العربية المتحدة[1]:

قدْ جِئتُ ثانِيةً يا بَصْرَةَ الوَجَعِ ... لوْ رُحْتُ آخِرَةَ الدنيا فأنتِ معِي
تأتي على دُفعِ كلّ الدِماءِ أسًى ... إلاّ دِماؤكِ لا تأتِي على دُفع
يا أمنا في الرزايا ربما ابتعدت ... خطى الصغار دعيهم والجراح دعي
خاطوا قلوبهم فازَّاحَمَتْ رقعًا ... فتقتِ أنتِ الذي خاطوه من رقعِ
قالوا صَدِئتِ ومعذورونَ لوْ صَدِئَت ... سَعْيفةٌ صاحَ فيها جَذعُها التمِعِي
كيفَ احتملتِ الذي لمْ يُحتملْ أبَدًا ... من أينَ جئتِ بهذا الزهْدِ والوَرَع
أذناكِ بالدمِ والبارودِ أغلِقتا ... استخرجي الدمَ والبارودَ واستمعي
عكازتاكِ على المنأى دماؤكِ والـ ... ـدموعُ فاحتملي الاثنين واندفِعِي
قدْ جعتِ حتى أكلتِ الجوعَ ناقِمة ... وقدْ مضغتِ الحَصَى والرملَ فابتلِعِي
وظلّ أجملَ شيءٍ فيكِ أنكِ قد ... أتخمتِ بالجوعِ ما أتخمتِ بالشَبَع
كنتِ العِرَاقَ الذي لاقى منيتَه ... عِملاقةً تشربينَ الموتَ بالجُرَعِ
حَضنتِ شَطّكِ والعَشارَ صابرة ... وقلتِ ذا عُنقي يا حَربُ فاقتطعي
صاحوا دعي واركضي فالأرضُ راكضة ... واستصرخَ الشهَدَا إيَّاك أنْ تدعي
عيناكِ أغمضتا بعدَ السُهَادِ وقد ... تكونُ إغماضةً تُفضي إلى الفزَعِ
ها أنتِ واقفة كالنخل ثانية ... كأنّكِ لم تكسري يوما وتنصدعي
وما لبستِ فراءَ الفأر إنكِ لمْ ... تستبدلي كبرياء فروة السَبُعِ
بَناكِ (عتبَةُ) أسوَارًا ومِأذنة ... وأنتِ باهتة في قمةِ الهلعِ
ولامسَ الأرضَ مزهواً بفطرتِها ... قال اقبلي هذه البلوى أو امتنعي

(١) رعد بندر، **بصرة الوجع، وتأمل** (يحتفظ الباحث بنسخة منها).

طابُوقــةً ألمًـا طابُوقــةً وَجَعَــا ... وَصـاحَ (عُتبَـةُ) يا أسوارَها ارتفعي
مِـن ذلـكَ الوقتِ حُبلى أنـتِ بالفرحِ الـ ... ـدَامِـي فقـولي لمـاذا بعدُ لمْ تضعي

3-2-10- وقال -أيضًا- مستذكرا سني الصِّبا فيها، وما حملته الأيام، وراكمته الأحداث:

تـأمَّلي لحظـةً فـي أفقِـكِ الرَحِـبِ ... وحــاولي أنْ تُقيلـي عـثرَةَ السُّحُبِ
يـا بَصـرَةَ اللـهِ شـاءَ اللهُ مقـدَرَةً ... يُـدمِيكِ مـذْ كنتِ حـتى آخرِ الحقبِ
وإنَّـهُ شـاءَ هـذا كـي يُفاجئنـا ... أنَّ النبـوَّةَ قـدْ تُعطـى لغيـرِ نَبـي
فمَـنْ يُطالِبْـكِ فـي المَرْقـى بمعجَزَةٍ ... قـولي دمـوعي التي يَعْلقنَ في هُدُبي
ومَـنْ يقـلْ أ لهَذا الدمعِ مـن سَبَبٍ؟ ... قـولي تعَـوَّدتُ أنْ أبْكِـي بلا سبَبِ
قـولي محَاربَـةٌ مثلـي تُصـاحِبُهَا ... كالظِـلِّ موتتُهَـا فـي أحلـكِ النُّوَبِ
هُـدوءُ أوجَاعِهـا أنْ تغتِلـي صـخَبًا ... وَرُبَّمـا تهـدَأُ الأوجَـاعُ بالصَّـخَبِ
وليـسَ فـي حزنِهـا أو موتِهـا عَجَبٌ ... لكِـنْ سـلامتُها مِـن أعْجَـبِ العَجَـبِ
مدينـةٌ حاصـرتني بـالوجوهِ فـذا ... وجهـي ووجـهُ أبـي وجهـي ووجهُ أبي
لا تسـألي أيـنَ يمضـي الطفلُ تسحبُهُ ... هـذي الخطى وهو يمشي راجفَ الرُكبِ
مِـنْ حَـائِطٍ لِمتـاهٍ معتِـمٍ لَجِـبٍ ... لِحَـائِطٍ لِمَتـاهٍ مُعْتِـمٍ لَجِـبِ
هـلاّ أعَـدتِ سـنِينَ العمـرِ ثانيـةً ... قـدْ شـاخَ شـاخَ كثيرًا وهوَ بعدُ صَبي
يمضـي إلى أينَ يمضي والزّحامُ وما ... بعـدَ الزحَـامِ متاهـاتٌ مِـن الحُجُـبِ
فـاتَ الأوَانُ ولـمْ يَعْلَـقْ بِـهِ فـرَحٌ ... مِـن عمـرِهِ مذْ تمادَى العمرُ بالوَصَبِ
لا تسـألي أيـنَ يمضي إن ذاكِـرَةَ الـ ... ـنخيلِ تُغري أكُفَّ الطفلِ بـالرُطَبِ
يَعـضُّ دشداشـةَ الأوجـاعِ يركضُ فـي ... العـرَاءِ مندهِشًـا بالشـمسِ والشُـهُبِ
خُـذي حَيَـاتِيَ قربَانًـا وأضـحيةً ... وألبسـي جَسَـدي دِشدَاشـةَ اللّعِـبِ
لـي فيـكِ مَـدْمعَ جمـرٍ لسـتِ آبهـةً ... وَحَشـدُ أسـئِلةٍ عنـدي ولـمْ تُجبـي
أجـرُّ وجهـيَ خلفـي مُثقلاً وَجَعًـا ... وَشـاربًا ظمـأي أوْ آكِلًا سـَغبي

فيـا سَـوَاقي سنيني درنَ بالوَشَـلِ الـ ... ـبـاقي ويـا أكؤسـي لَـوَّحَنَ بالحَبَـبِ
ويـا نـواعِيرُ لا تَبْقـي مجَـاورةً ... فـولاذَ هـذا الأسَـى أنتـنَّ مِـن خَشَـبِ
أظـلُّ ألْظَـى بـوجهٍ عنـكِ محْتَجِـبٍ ... لـمْ يبـقَ لـيْ غيرُ وجهٍ عنكِ محْتَجِـبِ
لحمـي الـذي بيـنَ أسناني أضيءُ بهِ ... ليـلَ الخسـاراتِ والأوهَـامِ وَالعَتَـبِ
عَرَفتِنـي الآنَ أمْ ألقـاكِ عـن كثـبٍ ... ويحـي أ أحتـاجُ أنْ ألقـاكِ عـن كَثَـبِ
وَتَرْتِنـي سَـهْمَ حـزنٍ مِـن سِـهَامِكِ هلْ ... أذنبـتُ إنْ كنـتُ لمْ أخطُـئ ولَمْ أُصِـبِ
كـلُّ المـدائِنِ تحيـا وهـي مطفـأةٌ ... إلاكِ تحييـنَ فـي دوامـةِ اللَّهَـبِ
هـذا نخيلُـكِ فـي أعـتى مَنَـازِفِهِ ... هـوَ الـذي قدْ رأى في ذروة الغَضَبِ
لـوْ كـانَ محضَ نخيلٍ لانحنى جزعًا ... ومـاتَ هذا ضـلوعُ اللـهِ في التُّرَبِ
كـذا عرفتُـكِ مـذ شـالتْ يَـدَاكِ دمي ... وقطّـرتْ فوق حلقي غيمـةُ الكُـرَبِ
حـتى تغرَّبـتُ فـرَّ الـدربُ مـن قدمي ... وأبشـعُ الخطـوِ فيـهِ خطـوُ مغتربِ
يـا بصـرةَ اللـهِ مـاذا بعدُ مِن شجنٍ ... أقـولُهُ إنَ صـمتي الآن أجْمـل بـي
وغابَـةُ الحـزنِ مهمـا قيـلَ وَارفـةٌ ... فإنهَـا تُـوهِمُ الحَطّـابَ بـالحَطَبِ

3-2-11- وقالت الشاعرة عاتكة بن وهبي الخزرجي (ت1418 هـ / 1997م)، من بغداد - العراق، في قصيدتها «مربد الفيحاء»[1]:

وجـنَّـة عـدنٍ تـبَـدَّتْ لنـا ... وَقَـدْ بَـاغَـمَ الـحُـورُ ولْـدَانَـهـا
ورضـوان نَـشْـوَان مِـنْ سِحْـرِهَـا ... وتـفْـتِـنُ فـي الـدَّلِّ أفْـنَـانَـهَـا
أرتْـنَـهُ مـن الـحُـسْـنِ ألـوانـه ... فـأشـبـه فـي الـسـحـر ألـوانَـهـا
جَـلَـتْ عَـنْ عـرائسـهـا عـن لآلٍ ... ودُرٍّ يُـنـافِـسُ عِـقْـيـانَـهـا
تـضـوعُ نـسـائـمـهـا بـالـعـبـيـر ... فـبـالـروح تـنـقـل ريـحـانَـهَـا
فـأدْوَاحُـهـا قَـبَّـلَـتْ ضَـالَـهَـا ... وَكَـرْمَـاتُـهَـا عَـانَـقَـتْ بَـانَـهَـا

(١) المصدر: الخزرجي عاتكة، **أفواف الزهر**، (جامعة ميتشيغان، المكتبة الأسرية، ١٩٧٥م)، ص٢٥

ويا بَهْجَةَ النَّخَلاتِ الحِسَان ... وقد فوَّف الطلع أرْدَانَها
وحَلَّتْ ضفائرها فانْثَنَتْ ... على الصدر تسترُ رُمَّانها
وسُبْحان مَن ثجَّ أمواهها ... وطرَّز بالوشي شُطآنها
وَلَقَّنَ أطْيَارَهُ حَمْدَهُ ... فَرَنَّتْ تُسَبِّحُ رَحْمَانَهَا
إذا رَجَّعَتْ شَدْوَهَا خِلْتَهَا ... بتولًا تُرتِّلُ قرآنها
وسبحان بارئ أنسامها ... ومِنْ نطفةٍ صاغ إنسَانَهَا
وسبحانه باعثًا من رميم ... ومَنْ يزن النفس مِيزَانَها
وسبحان فالق حباتها ... لآلئ تبهر مُرْجَانَهَا
وأجرى بها الشمس للمستقر ... وقدَّر سبحانه شأنَها
وسبحانه مارجًا للبحار ... ويهدي السفين وربانَها
وأجرى الرياح على هونها ... وأغْرَى بِهَا بَعْدُ شطآنها
تعاليتِ يا قدرة من قدير ... فما كنت إلا بما كانَها

إلى أن قالت:

أ فيحاء يا بَسْمَةَ الرَّافدين ... لقد هِجْتِ فِي الرُّوح تَحْنَانَها
تذكَّرْتُ أيامك الخاليات ... وذِكْرَايَ تُوجِبُ شُكْرَانَهَا
وإذْ أنتَ كالطَلِّ أو كالعبير ... يُسَاقِي دِمِشْق وبَغْدَانَهَا
تَمَثَّلَ لِي الْعِزُّ مِلْء الإهَاب ... وهَلْ نَافِعِي كُنْتُ أو كانَهَا
أ فَيْحَاءُ لو تمسحينَ الدُّمُوع ... وسرَّى عَنْ النَّفْسِ أشْجَانَهَا
وعودي لأمسكِ كي تسعدي ... وشقي عن الروح أكْفانَهَا
فَهَذَا أبو الفَضْلِ عَبَّاسنا ... تلوَّمَ «فوزًا» وهجْرَانَها
وذاك ابنُ بُرْدٍ وذي عَبْدَة ... وشيطانُه غَرَّ شَيْطَانَها
وذاك النَّوَاسِيُّ في حَانِهِ ... يَصُبُّ مِنَ الرَّاحِ ألوَانَهَا
وذاك الفرزدقُ من صخْرِهِ ... يشيدُ البيوتَ وأرْكَانَهَا
وذاك أبو عمرو في حلقةٍ ... يدير الأحاديثَ أفْنَانَهَا

وذاك الخليلُ وأتباعه ... يقيمُ القوافيَّ أوْزَانَهَا
وذا الأصمعي يعبُّ العلوم ... ويسقيك منهن ريَّانها
وبَاحَة مِرْبَدِها عُمِّرَتْ ... وشاعرها بزَّ سَحْبَانَهَا
أ فيحاء هل عودة ترتجي ... وبعث يحطم أوثانها

إلى آخر ما جاء.

3-2-12- وألقى الشاعر حافظ بن عبد الجليل بن أحمد آل جميل (ت1405 هـ / 1984م)، المعروف بأبي نواس بغداد، أو أبي نواس القرن العشرين، في مهرجان المربد الثاني (سنة 1972م) قصيدته الفذّة، الموسومة «تحية البصرة»، والتي جاء فيها[1]:

ها قَدْ تحَقَّقَ يا فؤادُ رجائي ... ونزلتُ ضَيْفَ البصرةِ الفَيْحَاءِ
فلا صدحنَّ مُجَدِّدًا مَا كَانَ لي ... بالأمسِ مِنْ طَرَبٍ بهَا وَغِنَاءِ
ولأهْبِطَنَّ بأيْكِهَا مُتَظَلِّلا ... بوريفِ مَا فيهِ مِنَ الأفْيَاءِ
ولأتلُوَنَّ عَلَى خمَائلِ شَطِّها ... نَفَثَاتِ أشْوَاقِي لهَا وَوَلائِي
بلدُ الرَّحَابةِ والسَّمَاحَةِ والنَّدَى ... وَخَمِيلةُ الأدباءِ والشُّهَدَاءِ
فخْرُ البِلادِ أرُومَة وَحَضَارة ... أمُّ النَّوَابِغِ دَارَةُ العلماءِ
هيْهَاتَ تَبْلَى رَغْمَ أحْكَامِ البلَى ... ذِكْرَى هَوَايَ لأهْلِهَا الوُدَعَاءِ
فارَقْتُ أحْبَابِي بِهَا وتَعَلَّلَتْ ... نَفْسِي بِعَاجِلِ أوْبَةٍ وَلِقَاءِ
فاذَا بِطُولِ البَيْنِ يَجْتَازُ المَدَى ... ويَزِيدُ فُرْقَتَنَا طَوِيلَ تَنَائِي
يا لَلأحِبَّةِ مَا عَسَانِي ذَاكِرًا ... ممَّا أتَاحُوا لِي سِوَى النَّعْمَاءِ
كمْ ظَلَّ مِنْهُمْ مَنْ رَعَانِي وُدُّه ... وَجَزَيْتُهُ مَا يَقْتَضِيهِ وَفَائِي
قسَتِ السِّنُون عَلَيَّ حَتَّى لَمْ تَدَعْ ... لِي فِي نَوَاهُمْ مِنْ جَمِيلِ عَزَاءِ

(١) المصدر: مجموعة شعراء، **مهرجان المربد الثاني** (وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، الجمهورية العراقية، ١٩٧٢م)، ص٢٢٧ وما بعدها.

إنْ كـانَ مَـاءُ العَيْنِ سَحَّ لِبَعْضِهِمْ ... فلطُول عُـمْـر الآخَـريـنَ دُعَـائِـي
أمَـلِـي بِـأنْ أجِـدَ النَّجَابَة لم تزلْ ... سِـمَـةَ البنين الـفِـتْـيَـةِ الـنُّـجَـبَـاءِ
فلَطَالَمَا وَرِثَ البنونَ مَكارِمًا ... تَرْبُو عَلَى مَا كَـانَ للآبَـــاءِ
مـا جَـــاوَزَتْ بـغداد فـي أفضالها ... مـا عند أهـلِ الـبـصـرةِ الـفُـضَـلاءِ
إنْ كـانَ مِـنْ ذِكْـرَى لهم لا تنمَّحِي ... مِـنْ خَـاطِـري فشمائلُ الـكُـرَمَـاءِ
لا يـعـرفـونَ الـمَـــالَ إلا أنـه ... وقْـفٌ على الأضْـيَـافِ والـنُّـزَلاءِ
ولقَدْ أقَـصِّـرُ حِينَ أطْـرِي مَعْشَرًا ... جَـلَّـتْ مَـآثـرُهُـم عَـنِ الإطْـــرَاءِ
بُـوركـتَ يا ثَغْرَ الـعـراقِ ولا عَفَا ... أثَـرُ النَّعيمِ بـأرْضِـكَ الـخَـضْـرَاءِ

3-2-13- وقال الشاعر أنور بن خليل السامرائي (ت 1406 هـ/ 1986م)، من مدينة العمارة، التابعة لمحافظة ميسان، جنوبي العراق، في قصيدته: «الربيع والفيحاء»[1]:

عَـادَ الرَّبِيعُ إلـى الفَيْحَاءِ نَشْوَانا ... فاسْتقبلتْهُ مُـحِـبًّـا جـاءَ لَـهْـفَـانَـا
وأنـزلـتـه بـجـنَّـاتٍ مُـفَـوّفَـةٍ ... يَلْقَى النَّزِيلَ بها روحًـا وريحانا
مـدَّت إلـيـهِ يـدًا بيضاءَ صافَحَها ... ومـالَ يرْشفُ خَمْرَ الثَّغْرِ ظمآنا
يا جـارة الشَّطِّ أيـام الصّبا نضبتْ ... علـى ضـفـافكِ تـهـيـامًـا وتحْنانا
قَبَّلْتِ كُـلَّ شـراعٍ في المياهِ سَرَى ... مُـرَفْـرِفًـا يحْمِلُ الأشـواقَ ألْـوَانـا
وعدتُّ أسألُ غَابات النَّخِيل ضُحًى ... ما بـالُ سِـرْبـكِ لا يـألـوكِ هجْرانا
أرنو إلى الدَّرْبِ هَلْ عادُوا وهلْ رَجَعَت ... رُؤى الأحـبَّـة نـلْـقـاهـا وتـلْـقَـانـا
يَا غَائِبِينَ وَعِـنْـدي بعْدَ غَيْبَتِكُمْ ... لَوَاعِجٌ تملأ الأشْعَارَ أشْجَـــانا
أعْـزِزْ عَلَيَّ بـأنْ أغْشَى مَرَابِعَكُمْ ... فَـلا أراكـمْ وألقى الحَيْنَ قـدْ حَانا
مَـنْ لي بعودةِ أيَّامي الَّتي سَلَفَتْ ... وَاحَسْرَتَاهُ لِعُمْـــرٍ فِي النَّوَى بانا

(١) أنـور خليـل، **الربيـع العظيـم وقصائـد أخـرى**، (وزارة الثقافـة والإعـلام، مديريـة الثقافـة العامـة، دار الجمهوريـة، بغـداد، ١٩٦٩م)، ص٥٨ ومـا بعدهـا.

يا ساكني البصرة الفَيْحَاء كَمْ أمَلٍ ... أوْدَعْتُـهُ فِي مغانيكم فَمَـا هَـانَا
لـو يَـنْسَأِ اللهُ مِـنْ عُـمْـرِي بَقِيَّتَـهُ ... أَنْـفَـقْـتُـهُ فِـي حِـمَـاكُـمْ مِثْلَمَا كانا
يا سَاكني البصرة الفَيْحَاء مِنْ وطني ... عِشْتُم لهذا الفتى أهـلًا وجِيرَانا
أبصرتُ بَصْرَتَكُمْ هـذي زُمُـرُدَةً ... خـضْـرَاءَ تلْثمُ كثبانًا وشُطْـــآنا
البحر من جهةٍ والـبـرُّ مـن جهةٍ ... أ تحضن الفضَّة البيضاء طيَّانا؟!
أصبو إلى سَعَفَـاتِ النَّخْل مائجة ... إذا النسيمُ عليها مـــرَّ عَجْلانا
إلـى الـجـداول أنْ تنسابُ حالمة ... وسْنَى تُـغَـازِلُ أزْهـارًا وأغْصَانا
إلى الأماسيِّ من تلك القرى وإلى ... إصْبَاحِهَا إذْ تبثُّ العطـرَ هَيْمَانا
يا سامحَ اللهُ احبابي وإنْ ظَلَمُوا ... ويـا رَعَـى اللهُ في الفيحاءِ خِلَّانا
أهْفُو وأصْبُـو فلا واللهِ ما نفَعَتْ ... مـنْ غـلَّـتـي هـذه الأنـهـار نيرانا
أحبَّتِي في الظِّلال الخُضْر وارفة ... لمَّا تزل في المروجِ الفيحِ نَجْوَانا
مـا بـال كـل نـزيـلٍ فـي مرابعكم ... يَلْقَى المُنَى غَضَّهُ والعَيْشَ فَيْنَانا
إلا أنـا كـلُّ حـظِّـي عندكم حُـرَق ... وحـسْـرَة ردَّدتـهـا الـنَّـفْسُ ألحانا
مـا كـان ذنـبُ فـؤادي فـي محبتكم ... فتجعلوا حظَّـــه صـدًّا ونسيانا؟!
قيل الـوفـاء هنا والـطـيـب معدنه ... فهل وفيتم لصَـبٍّ بات سهرانا؟!
وهـل نـسـيـتـم عـشـيَّـات معطرة ... تـنْـدَى رَوَاءً وأشْـــذاءً وأفـنـانـا؟
نـهـيـمُ بـالـحُـسْـنِ تسبينا مفاتنهُ ... مِـنْ كُـلِّ سَـمْـرَاءَ نهواها وتهوانا
فكم هَـصَـرْنَـا قُـدُودَ الغِيدِ مائسةً ... وكـم قطفنا بـهـا وَرْدًا ورُمَّـانـا
ويـلاهُ من مهجةٍ حـرَّى ومـن حُلُم ... لـو يـسـتـعـاد لـعـادَ الـقـفـر بستانا
فكم عـنـاقٍ وكـم ضـمٍّ وكـم قُبُل ... أكـــاد ألـمـسـهـا فـي أنْـمُـلِـي الآنـا
تلك الليالي الخوالي كيف عَوْدَتُهَا ... أواهِ لـو عـادت الأمـــواتُ أحيانا
مضت وأبقت طيوفا في خواطرنا ... وذكـــريـــات شـجـيـات وأحـزانـا
مضت تباعا ونمضي بعدها فإذا ... بِـلُـجَّـةِ الـغـيـب تطوينا وتنسانا

3-2-15- وقال عبد الجبار داود البصري (معاصر)، في أبي خصيب[1]:

على الجسر الصغـــير وملء سمعي ... غنـــاءُ حمامـــة أو عندليـــبِ
وتصفيـق الجـداول للدوالـــــي ... وأحيانـا مقاطع من نســـــــيبِ
لأشـهد باسـقات النخـل حولـــي ... تناجينـي مناجـاة الحـــــــبيبِ
وهـل تقسـو الطبيعـــة وهـي أمٌّ ... إذن عدم الحنـان من القلـــــوبِ
ومـن مثـل الطبيعـة للحـــزانى ... تواسـي الجرح في صدر رحـــيبِ
ولسـت ألـوم مـن سـجدوا إليهـا ... وهامـوا بالشـروق وبالغـــــروبِ
يذكرنـي الطفولـة وهـي دنـــيا ... مزخرفـة طريـق أبـي خصـــــيبِ

3-2-15- وقال أبو سرور الشيخ عبد الله بن حميد الجامعي (ت 1435 هـ / 2014م) أبياتًا ألقاها في مهرجان المِرْبَد الشعري التاسع (مايو 1990م):

أتينـا نمْخُـرُ السَّـبْع الطِّبَاقـــا ... نـؤمُّ عريقـة المجـد العِرَاقَـــا
نـؤمُّ الرَّافديـن قنًـا وعلـــــمًا ... وآدابًـا أبـتْ تـأوي المُحَـــاقَا
إذا افتخـرت ديـار المجـد يـومًا ... ففَخْـرُكِ يـا عـراقُ عـلا وفـــاقا
كأنَّ الله لـم يخلـق لمجـــــدٍ ... سـواكِ فمَـنْ نـرى رامَ الِّلحَاقـــا
إذا مـا رُمْـتُ أكتـب بعـضَ فخـرٍ ... حويـتِ كتبـتُ عِيًّـا بـي تلاقـــى
ولـو صغـت الكواكـب فيـك مـدحًا ... لمَـا بَلَغـتْ مِـنْ المَـدْحِ النِّطَـــاقَا
ولـو أضحـى الفـراتُ لنَـا مـدادًا ... لمدحـكِ مـا كفَـى أبـدًا فُـــوَاقًا
وعجـزي أنْ أُعِـدَّ لـك المعـالي ... مديحًـا حـاز فِـي السَّـبْق السِّباقـا
أخُوَّتُنـا وقـد عَلَـمَ الـــبرايا ... أخـوة سـالفٍ شـدَّ الوثاقـــا

(١) يحتفظ الباحث بنسخة مَرْقُونة منها.

فبَيْـنَ الرَّافِـــدَيْنِ وبيـن نَـزْوَى ... صـروحٌ شـيَّدَتْ قدَمًـا وسَـــاقا
صرَعْنَـا مَـنْ عَـدَا يومًـا فَـــوَلَّى ... وضـاقَ بـهِ الفَضَـا ذَرْعًـا وَحَـاقَا
أتينـاهُ بأسـطولِ المَـــــنَايَا ... نخـوضُ خِضَـمَّ نـارٍ لَـنْ تُطَـــاقَا
فنـالَ هَزِيمَـةً مِنْهَـا تَلاشَـــى ... وخَلَّـدَ وُدَّنَـا البـاري اتِّفَاقَـا
أرى التاريـخ ليـس يُضِيـعُ يومًـا ... ودائِعَـهُ ولـو دَانَـى مُحَاقَـا
أ تنسـى البصـرة الشَّـمَّاء عهـدًا ... أفـاض العلـم يَنْدَفِـقُ انْدِفَاقَـا
أينسـى الدهـرُ طـودًا لَـنْ يُسَـامَى ... أبـو الشَّـعْثا سَـمَا مِـنْ أنْ يُرَاقَـى
وأيـنَ أبـو عبيدتنـا المُجَـــلِي ... وهـل نَنْسَـى الرَّبِيـعَ سَمَا وفَـاقَا
وهـل مثـلُ الخليـلِ لَنَـا خَلِيـلٌ ... وابـنُ دُرَيْدِنَـا سَـبَقَ السِّبَـاقَا
عمانيُّـون مـن أزد المعـــالي ... أ يرضـى النجـم مـن للشـمس لاقـى
فَلَـوْ لـم يـأتِ آدم غيـر قومـــي ... كفـى بعـد النبييـن اتفـــاقا
جُزِيـتِ الْبَصْـرة الفَيْحَـاء فَخْـرًا ... كمـا جُـوزُوا مِـنَ الحُـورِ الْعِنَاقَـا
أيَعْذُلُنَـا الزَّمـانُ إذَا افْتَخَـــرْنا ... وهـل بِسِـوَى مَفَاخِرِنَـا تَرَاقَـــى
ورثنـا الماجـداتِ أبًـا وَجَـــدًّا ... وقـد عَجَـز الزَّمَـان لنَـا لِحَاقَـــا
ونحـن القـوم إنْ تُـدْعَ المَعَـالي ... أجَبْنَـا مُسْـرِعِينَ لَهَـا انْطِلاقـــا
دَعَـا دَاعِـي البيـانِ وَمـا انْتَشَـيْنا ... أ يُحْجِـمُ مَـنْ حَـوَى الجُـرْدَ العِتَاقا
وهـل كالشـعر أكسـبنا المعالـي ... زَهـورًا كُـنَّ أو بيضًـا رَقَاقَـــا
ألا يـا مِرْبَـد العليـا أقيـــمي ... عُـكاظَ الشِّـعر يَنْبَثِـقُ انْبِثَاقَـــا
ونـادي دجْلَـةً لِتُدِيـر فِيَـــنا ... مـن الإينـاس أكوابًـا دِهَـــاقَا
وكـم فـاض الفـراتُ حِجـىً وعلمًـا ... وكـم قـذف القنابـلَ لَـنْ تُطَاقـــا
أيَـا بغـدادُ حُبُّـكِ فِـي عِظَامِـــي ... ومـلء دَمِـي بـيَ اشـتعلَ اشـتياقا
عشـقتكِ قبـل أنْ أُلْفِـي وُجـودي ... ولـم أر قبـلُ مِنْـكِ قَنًـا وسَـــاقَا
فصيَّـر حُبَّـكِ السَّـامي فـــؤادي ... أسِـيرًا لا أُحِـبُّ لـهُ انْعِتَاقَـــا
أهـاروتَ الظِّبَـا حَيَّـاكِ قلـــبي ... سُـبِينَا قَبْـلَ أنْ نَصِـلَ الْعِـــرَاقَا

أيسلم شاعر من سِحْرِ طَرْفٍ ... عراقيّ البيانِ وَلَوْ تَوَاقَى
وهل يصحو إذا ما دار يومًا ... لديهِ لِبَابِلٍ كَأسٌ وَذَاقَا
ثِقِي بنتَ الفراتِ ولو نَأَيْنَا ... فنحنُ لديكِ لا نهوى الفِرَاقَا
وليسَ يضرُّ بعْدَ الجِسْمِ حُبٌّ ... إذَا أَلْقَى عَلَى الرُّوحِ الوَثاقَا
أ بغدادَ البيانِ أضَفْتِ قومًا ... فوارسُ إنْ هُمُ ركبوا العِتَاقَا
يقُودون القَوافي مُسْرَجَاتٍ ... قدِ انْطَلَقَتْ أعِنَّتُها انْطِلاقا
بشعرهم عيون الضَّادِ قَرَّت ... ولا تخشى من الخصم اختلاقا
ألا يا ندوة تَبْنِي المَعَالِي ... بها قواد فُصْحَانا تلاقَى
جنينا من بواسِقِهَا الأمانِي ... ومن ريحانِها عَصْرِي أفَاقَا
فشيدوا الشعر يزخر بالمعاني ... وللأمجادِ يَعْتَنِقُ اعْتِنَاقَا
وأوْرُوا الحرب بالأشعارِ تَرْمِي ... عدو الله ينزهق انْزِهَاقا
وآخُوا بين أهل الدير فيهِ ... كفانا ما نعانيه شِقَاقا
فهلْ كالإتحادِ بَنَى جيوشًا ... تبيدُ الخَصْمَ أنْ يَبْغِي النفَاقا
فكَمْ أوْرَى العِدَا فينَا حروبًا ... بها اغتنموا تقاتلنا ارْتِزَاقا
أننتج نحن تفويقَ التآخي ... وينتج خصمنا السام المذاقا
يفجِّرُه بأيدينا علينا ... ومِنْ دَمِنَا له التكوين ساقا
فيَا قُوَّاد دِينِ الله هُبُّوا ... لجَمْعِ الشَّمْلِ يَنْبَسِقُ انْبِسَاقا
إلهي فَرِّقَ الأعداء عنَّا ... ولا تتركْ لهم عُنُقًا وسَاقا
وألِّفْ بين أمتنا رحيمًا ... وزَوِّدْهَا ودَادًا واتِّفَاقًا
ليَحْيا الحقُّ مَنْصُورًا سعيدًا ... ويُمْسِي البُطْلُ مدحورًا مُعَاقا
ودامَ الشعرُ يدعو للمعالي ... وخَلَّدَ حِكْمَةً وشَدَا ورَاقَا
رعى الباري مجالسنا بأنسٍ ... وَسَادَ بَيَانَنَا وَحَمَى الْعِرَاقَا
وعطَّرَ سائرَ الأرْجاءِ مِسْكًا ... صلاة لَّلذي رَكِبَ البُرَاقا

3-2-16- وممَّا قاله الشيخ الجليل العم أحمد بن حمد بن سليمان الحارثي (معاصر) -حرسه الله-، في «بصرة المهلب، وجابر والمذهب»[1]:

تَعَانقَ التاريخُ فوقَ البَصْرَةِ
عُمانُ والعراقُ عَيْنَا مُهْجَتِي
يـــا بـــصـــرة الـــمُـــهَـــلَّـــبِ
وجـــــابـــــرٍ والـــمـــذهـــبِ
يا عـودة التاريخ عند الكرَّةِ
تلاقيا تعانقا.. يـا رَوْعَـتِـي
لـقـاؤكـم أعـــاد كـل مُـنْـيَـتِـي
عينانِ في وجْهِ الزَّمانِ الغابر
تلاقَيَا على ضِفَافِ البَصْرَةِ
حقٌّ على التاريخ يجْمَعُ أسْرَتي
وفي عراق العُرْب كانت[2] لُقْيَتي
هذي عُمان مجدها مُحَلِّقا[3]
حتى أنـاخَ بالعراقِ[4] ناقتي
ياناقةلجابر حنَّت لأجل[5] رفْقَتي
حتى أعادت رحلها في البصرةِ

(١) الحارثـي، أحمـد بـن حمـد بـن سـليمان، **بصـرة المهلـب وجابـر والمذهـب**، (مرقونـة، يحتفـظ الباحـث بنسـخة منهـا).

(٢) القياس: كانت.

(٣) القياس: مجدها محلق، وقد ينتصب حالا، عامله معنى أشير، في اسم الإشارة، أو أرى مجدها مُحلقا.

(٤) في الأصل: بالرافدين.

(٥) في الأصل: كانت تحنُّ.

3-2-17- ومما قُلْتُهُ على لسان البصرة:

لـي بالخليج علاقة لا تقطـــعُ ... ولأهله خطط رُسِمْنَ ومربـــعُ
الأزد أقمار الدُّجى وأهِلَّـــةٌ ... وتميمها شمسٌ بأفقي تسطـــعُ
سعْد وعَنْبَر مَالِك ومُجَاشِـــعٌ ... ورَزَام نَهْشَلُ والهِجِيمُ الأسـرعُ
من عبد قَيْس سادةٌ لم يُخْلَقـــوا ... إلا لدرْك مَمَادِحٍ لا تُـــدْفَعِ
والسابقون إلى المعالي مـــازنٌ ... ووجوه بكر والعشائر تتبـــعُ:
شَيْبان عِجْلٌ يشْكُر وحَنِيفَـــة ... ورَقَاشِ ثم ضَبِيعَةٌ تَتَرَفَّـــعُ
وسدوسُها والتَّيْم تيم اللَّاتِ مـعْ ... ذُهْلِ بنِ شَيْبَان وَكلٌّ فرَّعُـــوا
وسليم عَاليةٍ وسَهْم مُزَيْنَـــة ... وهُذَيْل بَاهِلَة قُشَيْر توزَّعـــوا
كَعْب نُمَيْر زهْرَة وثَقِيفهـــا ... وعقيل ثم خُزَاعَة لم يُقْطَعُـــوا
وهُنَاءة مِنْ مالك في الأزد لـــم ... تُسْبَق وجَهْضَم والقَسَامِل تمنـع
حسْبُ العتيك أساود كم رَوَّعـوا ... خصمي وكم شِرْبَ المنية جرَّعوا
آل المهلب شامة إن شـــرقوا ... أو غَرَّبوا أو قتّلوا أو قُطّعـــوا
لا يُنْكِر العلمُ الشريف ولا الهدى ... ما للخليل إذا الصنائعُ تُرْفَـــعُ
ولجابر الأزدي في درج العـلا ... مجدٌ عمانيٌّ وروض مُمْـــرعُ
وأبو عبيدة ناشر لعلومـــه ... وإليه تنتسب الجهات الأربـــعُ
نثرَ الرَّبيعُ وُرُودَه في مُسْنَـــدٍ ... ما زال نشْرُ أريجه يَتَضَـــوَّعُ
أمَّا المُبَرِّد فهو بحر كامـــل ... فيه اللآلئ والجواهر تلمـــعَ
أملى كُرَاع النَّمْل ما أحصاه من ... لغة ففاز بمَغْنَمٍ لا يُدْفَـــعُ
وإذا فخرت على البلاد وما بها ... وبمن أطالوا في اللغات وأبدعوا
حسبي أبو بكر محمدٌ الـــذي ... في الاشتقاق له المقامُ الأرْفَـعُ
ولَكَم تردَّد شاعر بمسارحـــي ... أو كاتب بيد البيان سميـــدعُ
في مِرْبَدي قصص ترَدَّدُ في المدى ... وبـه تـبـاهـي حـاذقٌ مُـتَـطَـلِّـــعُ
ولكم بكى السَّيَّاب في أشعـاره ... حزَنا عليَّ تسيل منه الأدمـــعُ

لا لستُ أحصي الرَّاحلين ولا أرى ... في القادمين مواسيًا لو يَنْفَعُ
سأظل أسفح عبرتي في حبهم ... وأذيب قلبي فيهمُ والأضْلُعُ
فعليهمُ مني السلام تحيةً ... إمَّا أقاموا بيننا أو ودَّعُوا

3-2-18- وقلتُ -كذلك-:

سقى البصرةَ الفيحاءَ صَوْبُ الغمائمِ ... مُلِثًّا بتسكابٍ من المُزْن ساجِمِ
ولا أقْلَع الثجَّاج عن عرصاتها ... بنوءٍ سُمَاكِيٍّ المَجَادِيح جَاثِمِ
يردُّ جديبَ الأرضِ بحرُ انهماره ... ببحرين من موج الفراتين لاطِمِ
يشقُّ ظلام الشطِّ منه بوارقٌ ... تُحِيل الدَّياجي نيِّراتِ المعالِمِ
وينْهَم فيه هادرُ الرَّعد غارقًا ... بغيْدَق من وبْل الرُّكَامي عارِمِ
أقامَ بها حتى استقلَّتْ كأنَّها ... سفينة داويٍّ أناخت بقائمِ
ودلَّتْ وذلَّتْ واستوت آية لها ... من الحُسْن في التصوير ريشة راسِمِ
وعاودها من صيِّب المزن هامِلٌ ... بليلِ دَجُوجيٍّ المخايل طاسِمِ
وأفْصَح بعد الهَطْل عن باردٍ به ... حياة أناسيٍّ ومحْيَا بهائمِ
له أسلمتْ تلك البطاح لرّبِّها ... وفاح شميم الروض بعد التناوم
ونسْنَسَها النَّسْنَاس بعد انتشائها ... وحرَّك من أفنانها كل نائم
فيا لَحفيف النَّخل في عدواتها ... ويا لَصفيق الغُدْر بين التَّهائمِ
ويا لأغاريد الطيور عشيَّة ... وتسبيحها وسط الرُّبا والبشائم
ويالاهتياج الرُّوح في خلواتها ... معارج أشواقٍ ومسْرى عوالم
أجلْ هامت الأسرار في ملكوتها ... وصلّى بها قُدْس الجمال المُلازم؟!
بساجٍ من الليل الدَّجوجيِّ لم يَفُت ... سمَيْدعه منه طيوب الغنائمِ
متى هجع النُّوَّام بعد هزيعها ... أقام عمود الذِّكر في فكر عالِمِ
فلا الوحي وحي لا والليل مُنْجَلٍ ... بصُبْح ولا الإصباح صبح مُقاومِ
وجوهٌ من العلم الَّلدني لم تزل ... تخرُّ لمولاها فيا لَلمنادمِ

تدور صِحَاف الذِّكر ما بين مُنْتشَ ... بسرِّ معانيها وما بين هائمِ
ويشهد فيها للإله مُوحِّدٌ ... قد اتَّحدت أنفاسه بالعوالم
أُسائلُ هل من صحوة الرُّوح ما أرى ... وإنْ قُدَّست في خلقها عن مآثمِ
سماوية لمَّا أُريد اختبارها ... أعيدت لسجن الطين في شر عالمِ
نُحَمِّلها ما لا تطيق وننْتَجِي ... بها عن سبيل الحق حيْدة ظالمِ
ونخْبِطُ في الوِزْر المقيم ولا نرى ... خلاصًا. أ في الزلات تحكيم حاكمِ؟!
وتَقْرَعُنا الآيات في كل لحظة ... ونحن كما شاء الهوى في تصَامِمِ
بلِ الله يهدي من يشاء لدينه ... وكلٌّ إليه راجع بالمغارمِ
ومن رَزَق الله الهداية لم يزل ... على حالَتَيْ ذِكْر وفِكْرٍ مَلازم
فليلُ مُوَافيهِ بطاعة أمره ... قناديل أنوار جلَتْ كلَّ داهم
وصبح مُراعيهِ ادِّكارٌ وخشية ... وعلم وحلم واستباق كرائمِ
على أنَّ فيمن ليس يُحَصى عدادهم ... بدور دجنَّات ومعراجُ رائمِ
وليس يروم المجد إلا مُصمِّم ... مُشِيحٌ على رغم البلا والعظائمِ
إذا الصبح وافى كان للصبح بيْرقٌ ... وإنْ ليله أوْفى وَفَى باللوازمِ
وفي سُدْفة الأسحار معراج سالك ... إلى الله من بطش الهوى والمظالمِ
وفيها لمن أجرى الدموع سخينة ... على الخدِّ ما يُطْفَى به كلُّ جاحمِ
أقام أناسٌ بيننا غير أنهم ... أقاموا بهذا الليل آيات عازمِ
هل الحسن البصري أيقظ أهله ... وأحيا خوافيه بركعة قائمِ؟!
وهل ثائر الأحلام ثار بأهله ... فجال ابن سيرين المُجَلِّي لغائمِ؟!
أم اعتاص للنعمان رأي فلم يزل ... يقلِّب فكرًا يا لَه فكرَ عالمِ؟!
أم انتخب القفَّافُ بعضَ نجومه ... لرجم جهالات بسُدْفة داهمِ؟!
أم العابد البصري دار بدورها ... له منه نشْر هاج من صدر هايمِ؟!
وهل نفثات لابن معتوق نازعت ... مواجع آل البيت وحيًا لقائمِ
وهل سِيَرٌ غراء ألقى بها إلى ... يدَي كافر خدْن الأصول المحاكمِ

أبا فَيْد ماذا في الجماهير من جدا ... وفي تحفة الأنواء من رجم راجمِ؟
بك افتخر الآباء فخر لداتِهِمْ ... وفخر سدوس شاهرٌ في العواصمِ
وفيكم يروق الشعر نظمًا لناظمٍ ... بكم وبأمثال الأسود القَمَاقمِ
يردِّد من زهْوٍ وفخْرٍ ومن عُلا ... ومن شمَمٍ بل من أليّة عازم:
هنا ركع التاريخ بعد ادِّكاره ... لسادات أقوام كرام أعاظمِ
إذا ذُكِروا خرَّ الأباة لمجدهم ... وفضل ومعروف ويقظة حازم
وإن ذكروا آل المهلب سلَّموا ... بإحْرَازهم للسبق عند التزاحمِ
وإن ذكروا علم الخليل تطامنوا ... له من إمام ذكره غير خَائِمِ
وجابر أزدِ التابعين وبدرهمْ ... غطَمْطَمُ فقهٍ ما لَهُ من مُقاومِ
وإن ذكروا نثر المبرّد طأطأوا ... لكامله إذ حاز آداب حازمِ
ولابن دريد سيرة أفْصَحتْ بما ... له من تصانيف سمَتْ أو ملاحمِ
وإن أبا الفضل الرياشيَّ عيْلمٌ ... منيع مهيب قاسط غير ظالمِ
ومنه أصاب المازني علومه ... ففاق الأُلَى في نحوه والتراجمِ
على أنَّ للجرمي ما دامت الصُّوى ... سوابق لا تخفى على أيِّ عالم
وليس كمثل الحضرمي مُنَظِّرٌ ... له السَّبق لمَّا كان أول قادِمِ
ومعمر والدؤلي كلُّ تجرَّدا ... لضبط كثير من لسان الأعاجمِ
لقد حفظ الله العزيز كتابه ... بأمثالهم من لوثةٍ وخوارمِ
وسلَّمه مِنْ عُجْمَةٍ وزيادة ... ونقص وتخليط وتحريف آثمِ
وأطلق فيه الفكر كم بات سابحًا ... به كل فحل مُدْرِكًا للعظائم!
وأجرى عليهم أرْيَه حيثما جرَوْا ... فعادوا به في ثروة وغنائمِ
وفتّق من أكمامه وردَ سرِّه ... فباتوا بها في غبطة وتعاظمِ
وطاروا نشاوى في سماوات علمه ... إلى أفُقٍ رحب المدى والمعالمِ
إلى حيث نور النور والروح والهدى ... إلى خلد عمر العمر نهر المكارمِ
فنالوا الذي قد أمَّلوه وأدركوا ... منى سِرِّهم من سرِّه في العوالمِ
على درجات من معارج فهمه ... بما لم ينله صاعد بالسلالمِ

وفي البصرة استوفى أبو عمرو حرفه ... ففاز وأرْبى وهو خدْن العزائمِ
أيا ابن العلا إن العُلا مركب علا ... ويدركه ساعٍ له غير نائمِ
وما طاش سهم الأصمعي متى روى ... وإن كان في الإكثار وهْمٌ لواهِمِ
فلا بدْع إنْ عدُّوا عليه ومن ترى ... من الثَّلب والتَّنْقاد ليس بسالمِ
وكم كم وكم كم من بليغ ومن لهُ ... من الحمد طود أو مشيد دعائمِ
أساطين أثبات أماجد سادة ... أجاويد أرباب الهدى والمكارمِ
أعادتهمُ الذكرى إليّ فلم أعد ... أطيق اصطبارًا بعدهم في العوالمِ
وفي البصرة الفيحاء بعض رسومهم ... وآثارهم لو قصَّرت في التراجمِ
هي العمق عمق الإرث والفكر ضاربًا ... بأطنابه في سابقٍ والخواتمِ
هي الروح يسري في الجزيرة فضلها ... بما خلَّدته من عظيم المكارمِ
هي الألق المُنْداح وهي سماؤه ... وأنجم أنواء الندى والمَرَاحمِ
هي البصرة الفيحاء فخرُ لِدَاتها ... وأبطالها المستبسلين الضَّرَاغِمِ
فسائلْ رجال العلم فيها ومن بنى ... بناء عواليها مشيدَ الدعائم
كأنَّ ابن غزوان وقد ضمَّ تُرْبها ... يعود ليلقى مجدها غيرَ نائم
يعود فيلقى للزبير مآثرًا ... وأقمار تمٍّ جاورت كلَّ عالمِ
ويلقى شموخ النخل في كل جدول ... ونهرين كانا موردًا للعزائمِ
لقاءً تماهى القُدْس فيه فأعربا ... عن الحُبِّ حتى استغرقا في تضامُمِ
ويلقى به بها للشعر سوقًا ومربدًا ... أساطينه في صَكَّة وتزاحمِ
هنالك أصحاب النِّسَار، وكم بها ... بزاة ومن يَغْشَى الرَّدى كالضُّبَارم
وفيها لإخوان الصفا مذهب صفا ... به الفكر من لوثاته والغَمَاغمِ
وقد كان عقل البصرتين كليهما ... يفوق إذا ما قيس عقل الأوادمِ
ولكنما الفيحاء خُصّت براجحٍ ... من الرأي لم يَسْبِقْ إليه ابنُ آدمِ
ولاغرو فهي العين من أمِّ عينها ... وشتان عينا مُسْتَقِلٍّ ووَاهمِ

الخاتمة:

وبعد، فيمكن إجمال ما انتهت إليه هذه الدراسة في النُّقَط الآتية:

- أثبت البحث عُمْق التجربة الحضارية لساكني الجزيرة العربية، وتمادِيَها عبر العصور، وحجمَ المُنْجَزِ الحضاريّ، المُتَمَثِّل في الُّلقى الأثرية، والمخلّفات النحاسية وغيرها، والمكتشفات المختلفة، التي عُثِرَ عليها في مواقع شتّى من حواضر السَّاحل الغربي لشبه الجزيرة العربية، والتي يرتبط بعضها بحضارة وادي الرافدين.
- تبيَّنَ البحثُ أهميَّة الخليج العربي، وعبقرية الموقع، ودورَه في حركة التجارة العالمية -قديمًا وحديثًا-، وارتباطه -بما هو خليج داخلي- بالخليج الخارجي، المُتِّصل بدوره ببحر العرب فالمحيط الهندي، واتّصال كل أولئك بشط العرب، والبصرة، التي كانت ميناء تجاريًّا ضخمًا، ومرفأ مهمًّا، ونقطة التقاء للساحلين الشرقي والغربي.
- تعرَّف البحث طبيعةَ العلاقات التي كانت تربط سكان الساحل الغربي للخليج العربي بحاضرة البصرة التاريخية، وإسهامَهم المبكرَ في عمارتها والاستيطان بها، وتفاعلهم الإيجابي مع المعطيات الحضارية الكائنة بها، والتعاطي مع مُشخّصات حضارة وادي الرافدين، والثقافة الدينية التي أشاعتها، على طول الساحل الغربي للخليج العربي، منذ وقت مبكّر جدًّا.
- تأكَّد للباحث وجود صلات علميَّة وأدبية واجتماعية وسياسية واقتصادية عميقة مع البصرة، تمثَّلت في الحراك النَّشط بين أدباء الجزيرة العربية وعلمائها ومفكريها الكبار (وبخاصة منتسبي السَّاحل الغربي للخليج

العربـي)، وتردُّدهم الدّائـب علـى تلـك الحاضـرة، وفـي استيطان بعض الأسـر الخليجيـة واسـتقرارها هنـاك، وفاعليـة أدبائهـا فـي إذكاء روح النشـاط الأدبـي والعلمـي والفكـري بهـا، وانتقـال بعـض الأسـر الْبَصْرِيَّـة -فـي المقابـل-؛ علـى خلفيـة ظـروف مختلفـة، للسـكنى فـي بعـض الحواضـر الخليجيـة، وغيرهـا.

- وُجِـدَ بالاسـتقراء الكثيـر مـن الأسـماء الخليجيّـة، التـي أسـهمت فـي خدمـة الشـعر والأدب وحقـول العلـم والمعرفـة بالبصـرة، وكان لهـا دورهـا الخـلّاق فـي بعْث نشـاطها الأدبـي والعلمـي، وفـي إطـلاق مدرسـة نحوية، أو المشـاركة والانخـراط بهـا، وفـي العمـل المُنْتِـج، وفـي صناعـة قصَّـة البصـرة الأدبيـة والعلميـة، ومسـلكها العملـي والعرفانـي والكلامـي.
- كان للفتـح الإسـلامي دور مهـمٌّ جـدًّا فـي حركـة الهجـرة والاسـتيطان بالبصـرة، وكان لأسـواقها الأدبيـة قبـل ذلـك دور آخـر فـي تـردُّد بعـض سـاكنة الجزيـرة العربيـة عليهـا، وكان للبُعـد التجـاري والملاحـي إسـهامه الواضـح (أيضًـا) فـي ذلـك كلِّـه، وفـي تنشـيط التواصـل، وتحفيـزه، وتعظيـم منافعـه.
- تعمَّقـت الصِّـلات مـع البصـرة بشـكل أكبـر، بخاصـة مـع موجـات الهجـرة المتتابعـة إليهـا، وبتعاقـب الأجيـال، الذيـن باتـت البصـرة وطنًـا جديـدًا لهـم؛ الأمـر الـذي كان مـن نتيجتـه -وهـي نتيجـة حتميَّـة ومنطقيّـة- إسـهامهم الجلـيّ فـي نشـاطها الأدبـي والعلمـي؛ إذ خلَّفـوا وراءهـم نتاجًـا أدبيًّـا ثـرًّا، يعكـس طبيعـة الحيـاة الأدبيـة فـي ذلـك الوقـت، وقـوة العطـاء الـذي أسـهموا بـه.
- أحْيَـت الدولـة الحديثـة مهرجـان المربـد الشـعري؛ ليكـون امتـدادًا حيًّـا لسـوق المربـد الأدبـي القديـم، وللحـدّث الحضـاري العميـق، الـذي لطالمـا اجتـذب إليـه -عبـر العصـور- أدبـاء الخليـج العربـي وغيرهـم من القبائـل العربيـة والأعراق غيـر العربيـة، وكانـت تلـك السـوق -فيمـا مضـى- محطـة مهمـة ومحوريـة لحركـة التجـارة، وللنشـاط الاجتماعـي والأدبـي، وقـد أخذت فعاليـات المهرجان الحديـث فـي راهننـا المنظـور إليـه، والـذي أُعيـد بـه إحيـاء مـا سـلف، صـورًا وأشـكالًا مختلفـة، وبرامـج وأنشـطة وفعاليـات متعـددة، وورشًـا ومحاضـرات

ولقاءات حوارية غنيّة، وجلسات نقدية، متعدّدة المشارب والاتجاهات.

- تمثَّلت الصِّلات الأدبية بين الخليج العربي والبصرة، قديمًا في: الهجرات الحضارية، والأسواق الأدبية، والرحلة طلبًا للغة والأدب. وغدا مهرجان المربد اليوم صورة عصريَّة ظاهرة، ومُجسّمة لكل تلك المعاني، التي انتظمت في الأسواق الأدبية قديمًا، مع الأخذ بالكثير مما تقتضيه المرحلة، ويتطلبه العصر، وتمثلت -حديثًا؛ علاوة على المهرجان المذكور- في التبادل الأدبي، وإعارة أساتذة الأدب، ثم في عقد الندوات والمؤتمرات العلمية والأدبية، التي يشهدها أدباء الخليج العربي والعراق وغيرهم، وفي المشاركة -كذلك- في الكتابة الأدبية بالصحف والمجلات، وفي إعداد البحوث والدراسات، وفي إنجاز الأعمال اللغوية والشعرية، وفي تحقيق التراث الأدبي وغيره.

هذا ما ظهر لي وبانَ، وعلى الله التُّكلان، فإنْ وفِّقت فيه فَمِنَ الرَّحمن؛ هو وليُّ النِّعمة والإحسان، والهادي إلى سواء السبيل والعرفان، وهو -عزَّ وجلَّ- من وراء القصد، وله -سبحانه- المجد والحمد.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

١- المصادر العربية: -

- إبراهيم خوري، والدكتور أحمد جلال التدمري، **سلطنة هرمز العربية «سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي»**، (مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م).
- إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي، أبو إسحاق، **كنز الكتاب ومنتخب الآداب** «السفر الأول من النسخة الكبرى»، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط: الأولى، ٢٠٠٤م).
- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت).
- إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني، ابن قُرْقُول، أبو إسحاق، **مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها**، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط: الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م).
- أحمد بن سعيد الزعابي، **رأس الخيمة.. آثار وأطلال**، (وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى، ٢٠٢٤م).

- أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الشهير بشوقي ضيف، **المدارس النحوية**، (دار المعارف، مصر، د. ط، د. ت).
- أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الشهير بشوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، (دار المعارف بمصر، ط: ١٢، د. ت).
- أحمد بن داود الدينوري، أبو حنيفة، **الأخبار الطوال**، تح: عبد المنعم عامر، راجعه: الدكتور جمال الدين الشيال، (الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه).
- أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، (دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، ١٣٨٠ هـ).
- أحمد زكي الأنباري، **كاظمة في الشعر العربي**، تدقيق: محمود البجالي وريم معروف (مؤسسة عبد العزيز البابطين الثقافية، الكويت، ط: الأولى ٢٠١٦م).
- أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي، أبو عباس الشريسي، **شرح مقامات الحريري**، (الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م).
- أحمد عبد الفتاح تمام، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، إشراف: مجموعة أكاديميين (شركة سفير، القاهرة، مصر، ط: الأولى ١٩٩٦م).
- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ).
- أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، أبو العباس، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ).
- أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين

المقريزي، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تح: محمد عبد الحميد النميسي (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).

- أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، **رسائل المقريزي**، (دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ).
- أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، أبو الفضل، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٥ هـ).
- أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، أبو العباس، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ويوسف علي بديوي وأحمد محمد السيد ومحمود إبراهيم بزال (دار ابن كثير، دمشق – بيروت. دار الكلمة الطيب، دمشق – بيروت، ط: الأولى ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦م).
- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس، شمس الدين، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، (دار صادر – بيروت، ط: ١/ ١٩٩٤م).
- أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، أبو عبد الله، المعروف بابن الفقيه، **البلدان**، تح: يوسف الهادي، (عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).
- أحمد بن محمد بن يعقوب، مسكويه الرازي، أبو علي، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تح: د. أحمد مختار عمر، ود. ضاحي عبد الباقي (دار شروس للطباعة والنشر، طهران، ط: الثانية ٢٠٠٢م).
- أحمد مطر، **المجموعة الشعرية**، (دار الحرية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ٢٠١١م).
- أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي الدمشقي، **معجم أسماء الأشياء**، (دار الفضيلة، القاهرة، د. ط، د. م).

- أحمد معمور العسيري، **موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر**، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط: الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م).
- د. أحمد كمال زكي، **الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري**، (دار الفكر، دمشق، ط: الأولى ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م).
- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، **فتوح البلدان** (دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، ١٩٨٨م).
- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، **أنساب الأشراف**، تح: سهيل زكّار ورياض الزركلي (دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).
- أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، الأصفهاني، الشهير باليعقوبي، **البلدان**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ).
- أكرم ضياء العمري، **محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين**، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى، ١٤٠ هـ / ٢٠٠٩م).
- د. إميل بديع يعقوب، **معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة**، (دار صادر، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٩م).
- د. إميل بديع يعقوب، **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية** (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- أيوب صبري باشا، **موسوعة مرآة الحرمين الشريفين والجزيرة العربية**، ترجمة: د. ماجدة مخلوف وآخرون (دار الآفاق العربية، القاهرة، ط: الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).
- بدر شاكر السياب، **أنشودة المطر** (مؤسسة هنداوي، يورك، المملكة المتحدة، ط: الأولى ٢٠١٧م).

- بدر شاكر السياب، **الديوان الشعري**، تقديم: إيناس الربيعي، (دار القلم، لبنان، ط: الأولى، د.ت).
- ب. ج. سلوت، **نشأة الكويت**، (مركز البحوث والدراسات الكويتية، ط: الأولى، ٢٠٠٣م).
- أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تح: صلاح الدين المنجد (عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ط، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م).
- توفيق برو، **تاريخ العرب القديم**، (دار الفكر، د. م، ط: الثانية ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م).
- جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي، **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**، تح: د. نعمان محمد أمين طه (دار المعارف، القاهرة، مصر، ط: الثالثة، ١٤٤٠ هـ).
- د. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (دار الساقي، د. م، ط: الرابعة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م).
- جورج ف. سادلبير، **رحلة إلى الجزيرة العربية**، أو: **رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف على الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر عام ١٨١٩م**، ترجمة: د. عيسى أمين (وزارة الإعلام، مملكة البحرين).
- حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام، **الحماسة الصغرى «كتاب الوحشيات»**، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، (دار المعارف، القاهرة، ط: الثالثة، د. ت).
- د. حسن إبراهيم منيسي، **شيوخ القواسم في رأس الخيمة ودورهم في الأحداث السياسية من بداية وجودهم الخليج العربي عام ١٨٢٠م حتى ١٩٤٨م**، (الدار العربية للموسوعات، ط: الأولى ٢٠١٤م).
- الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي، **الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك**،

جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، (التكوين، دمشق، ط: الأولى ٢٠٠٦م).

- الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ابن الحائك، أبو محمد، الشهير بالهمداني، **صفة جزيرة العرب** (مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤ م).
- الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال، **الأوائل**، (دار البشير، طنطا، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ).
- الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، رضي الدين، **العباب الزاخر واللباب الفاخر**، تح: محمد حسن آل ياسين (وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط: ١٩٨١م).
- الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي، **ديوان أبي نواس**، (الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٩٧١م).
- حسين بن حسن آل سلهام، **ساحل القرامطة «دراسة تاريخية لقرامطة هجر (٢٨١ – ٣٧٨ هـ)»**، (الرافدين للطباعة والنشر، د. م، ط: الأولى ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤م).
- د. حسين محمد القهواتي، **دور البصرة التجاري ١٨٦٩م – ١٩١٤م**، (دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط: الثانية، ٢٠١٨م).
- حميد بين محمد بن رزيق بن بخيت النخلي، **الصحيفة القحطانية**، تح: أ.د محمد حبيب صالح ود محمد بن مبارك السليمي (وزارة التراث والثقافة، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م).
- حمود شاكر، **موسوعة الخليج العربي**، (دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمَّان، ط: الأولى، ٢٠٠٥م).
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، **الأعلام** (دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشرة، أيار / مايو ٢٠٠٢ م).
- خلفان بن علي بن خلفان القاسم، **الفيصل القاسم في أصل القواسم**،

راجعة: د. صالح بن ناصر القاسمي، (القاسمي، سلطنة عمان، ٢٠١٣م).

- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تح: د. نعمان محمد أمين طه، (الناشر: دار المعارف، القاهرة – مصر، ط: الثالثة، د. ت).
- خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، **لوعة الشاكي ودمعة الباكي**، ضبط وشرح وتصحيح: محمد أبو الفضل محمد هارون (المطبعة الرحمانية، مصر. ط: الأولى، ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م).
- دبونيسيوس آجيوس، **السفن الكلاسيكية في الإسلام من بلاد النهرين إلى المحيط الهندي**، (المركز الوطني للوثائق والبحوث، ط: الأولى، ٢٠١٠م)، ص٥ وما بعدها.
- راشد بن سالم بن عبد الرحمن السويدي، **ديوان راشد الخضر**، جمع: حمد خليفة أبو شهاب، (أكاديمية الشعر، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: ٣/ ٢٠١٩م).
- د. رجب عبد الجواد إبراهيم، **المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث»**، تقديم: أ. د محمود فهمي حجازي، راجع المادة المغربية: أ. د عبد الهادي التازي، (دار الآفاق العربية، مصر، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م).
- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، تح: قاضي محمد بن يوسف، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط: الأولى، ٢٠٠٦م).
- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد** (دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت).
- زيد بن عبد الله بن مسعود، أبو الخير، ابن رفاعة، **الأمثال** (دار سعد الدين، دمشق، «: الأولى ١٤٢٣هـ).
- زيد بن علي الفارسي، أبو القاسم، **شرح حماسة أبي تمام للفارسي**،

دراسة وتحقيق: د. محمد عثمان علي، (مكتبة الأوزاعي، بيروت، ط: الأولى، د.ت).

- ساوا ابلحد افرام، **تاريخ الكلدان**، (جامعة فرجينيا، أمريكا، د. ط، ٢٠٠٤م).
- سرحان بن سعيد الإزكوي، **كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، تح: أ.د محمد حبيب صالح و: د. محمود السليمي (وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط: الثانية ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).
- سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، (المكتبة الهاشمية لأصحابها محمد هاشم الكتبي وشركاه بدمشق، سوريا، ط: الأولى / ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧م).
- سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، **الأنساب** (وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط: الأولى، د. ت).
- سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي العُمَاني الإباضي، أبو المنذر، **الإبانة في اللغة العربية**، تح: د. عبد الكريم خليفة، د. نصرت عبد الرحمن، د. صلاح جرار، د. محمد حسن عواد، د. جاسر أبو صفية، (وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
- سنان، محمود بهجت، **تاريخ قطر العام**، (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط: الأولى ١٩٦٦).
- شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة** (دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط: الأولى - ١٤١١ هـ).
- شمس الدين بن أحمد، أبو عبد الله الشاهي المعروف بالبشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (مكتبة مدبولي القاهرة، ط: الثالثة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- د. صالح أحمد العلي، **خطط البصرة ومنطقتها «دراسة في أحوالها**

العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى»، (المجمع العلمي العراقي، جمهورية العراق، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م).

- صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، د. ط، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
- عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، (دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).
- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- عبد الخالق عبد الجليل الجنبي، **هجَر وقصباتها الثلاث «المشقر، الصفا، الشبعان» ونهرها المحلم**، (دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م).
- عبد الرحمن بن عثمان بن محمد آل ملا، **تاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين** (مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، د. م، د. ط، ٢٠٠٢).
- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تح: علي حسين البواب، (دار الوطن، الرياض، د. ط).
- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م).
- عبد العزيز صالح، **تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة،**

(مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ط، د. ت).

- عبد العزيز بن مساعد الياسين، **كشاف الألقاب «معجم ألقاب الأسر الكويتية»**، (مكتبة دار المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ط: الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م).
- عبد العظيم المشيخص، **القطيف ومتعلقاتها. أبعاد وتطلعات** (شركة الشيخ للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).
- عبدالله بن أحمد البصري البلادي البحراني، **ديوان البصري**، تحقيق وتعليق: د. حسين أحمد سلمان، (مكتبة الحاج جلال العالي الخاصَّة، مملكة البحرين، ط: الأولى، ٢٠٢٤م).
- عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، (مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، د. ط، د. ت).
- د. عبد الله شحاته، **دراسة وتحقيق «تفسير مقاتل بن سليمان»**، (دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ).
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، **عيون الأخبار**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ).
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، **غريب الحديث**، د. عبد الله الجبوري (مطبعة العاني، بغداد، ط: الأولى ١٣٩٧ هـ).
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ط: الثانية، ١٩٩٢م).
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، **المعاني الكبير في أبيات المعاني**، تح: المستشرق د سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، ط: الأولى ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م).

- عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تح: محمد حجي وآخرين (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٩٩٩م).
- عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، أبو عبيد، **سمط الآلي في شرح أمالي القالي**، تح: عبد العزيز الميمني (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. م).
- عبد الله الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، (دار الآثار الإسلامية- وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).
- عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي، **نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار**، حققه وصححه جماعة من ذوي المؤلف، (نشر السيد الفاضل الشريف العزيزي بن المامي السباعي، نواكشوط، موريتانيا، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
- عبد الله بن محمد بن السِّيد، البَطَلْيَوسي، أبو محمد، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، تح: الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: ١٩٩٦م).
- عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي، **طبقات الشعراء**، تح: عبد الستار أحمد فراج، (الناشر: دار المعارف – القاهرة، ط: الثالثة، د. ت).
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ط: الثانية، ١٩٩٢ م).
- عبد المؤمن بن عبد الحق، البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، ابن شمائل القطيعي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** (دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ).
- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، **يتيمة الدهر في**

محاسن أهل العصر، تح: د. مفيد محمد قميحة (دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م).

- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، **السيرة النبوية**، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).
- عبد الواحد بن إسماعيل الروياني، أبو المحاسن، **بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي)**، تح: طارق فتحي السيد، (دار الكتب العلمية، د. م، ط: الأولى ٢٠٠٩).
- عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم المقرئ، أبو طاهر، **أخبار النحويين**، (الناشر: دار الصحابة للتراث – طنطا، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م).
- أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني، **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، تح: محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م).
- عدنان الصائغ، **الأعمال الشعرية**، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط: الأولى ٢٠٠٤م).
- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، أبو محمد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، (دار المعارف – مصر، د. ط، عام النشر: ١٩٦٢م).
- علي بن إسماعيل، أبو الحسن، المعروف بابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، تح: عبد الحميد هنداوي (دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م).
- علي الجندي، **في تاريخ الأدب الجاهلي**، (مكتبة دار التراث، د. م، ط: الأول ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م).

- علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، **دمية القصر وعصرة أهل العصر** (دار الجيل، بيروت ط: الأولى، ١٤١٤ هـ).
- علي بن الحسن الهنائي، كراع النمل، أبو الحسن، **المنتخب من غريب كلام العرب**، تح: د. محمد بن أحمد العمري (جامعة أم القرى «معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي»، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- علي بن الحسن الهنائي، كراع النمل، أبو الحسن، **المنجد في اللغة**، تح: د. أحمد مختار عمر، ود. ضاحي عبد الباقي (عالم الكتب، القاهرة، ط: الثانية، ١٩٨٨ م).
- علي بن الحسين الموسوي العلوي، الشريف المرتضى، **أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية «عيسى البابي الحلبي وشركاه»، د. م، ط: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م).
- علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، (دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. م).
- علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر، **الاختيارين «المفضليات والأصمعيات»**، تح: فخر الدين قباوة، (دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م).
- علي بن عبدالله بن أحمد، نور الدين أبو الحسن السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ).
- علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

- علي بن محمد بن العباس، أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، (المكتبة العصرية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ).
- علي بن المقرب بن منصور، ابن مقرب العيوني، **ديوان ابن مقرب العيوني** (مكتبة التعاون الثقافي، د. م، ط: ٢٠٠٨م).
- العلامة علي بن الشيخ منصور المرهون، **شعراء القطيف**، راجعها: عدنان السيد محمد العوامي، ومصطفى آل مرهون (مؤسسة المصطفى للتحقيق والنشر، د. م، ط: الثالثة، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م).
- علي بن موسى بن سعيد المغربي، أبو الحسن، **الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى ١٩٧٠م).
- عمر بن أحمد الحنفي، المعروف بعمر أفندي، **عصيدة الشهدة** (د. ن، ط: الأولى، د.م «مطبوع حجري»).
- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين. تراجم مصنفي الكتب العربية**، (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. م).
- عمر الشماع الحلبي، **القبس الحاوي لرر ضوء السخاوي**، تح: مروة خلدون حسن (دار صادر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٩٩٨م).
- عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي، سراج الدين أبو حفص، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: المحقق: أنور محمود زناتي، (مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م).
- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، **البيان والتبيين**، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٣ هـ).
- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، **الرسائل الأدبية**، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٣ هـ).

- فرانسيس ليبر وإي ويغلزورث، **الموسوعة الأمريكية**، (فيلادلفيا: كاري وليا كاري، ط: ١ / ١٨٢٩م).
- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، **الخراج وصناعة الكتابة** (دار الرشيد للنشر، بغداد، ط: الأولى ١٩٨١م).
- د. قصي منصور التركي، **الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد «التاريخ السياسي والحضاري»**، (صفحات للدراسات والنشر، د. م، ط: الأولى، ٢٠٠٨م).
- كامل بن سلمان الجبوري، **معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى ٢٠٠٢م**، (منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٢م).
- لغدة الأصفهاني، الحسن بن عبد الله، **بلاد العرب**، تح: حمد الجاسر وصالح العلي، (منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، ط: الأولى، ١٩٦٨م).
- مجموعة مؤلفين، **موسوعة أرض عمان**، (مكتب جلالة السلطان لشؤون التخطيط الاقتصادي، المطبعة العالمية، سلطنة عمان، مسقط، ط: ١/ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م).
- مجموعة محررين، **محاضرات الموسم الثقافي**، (وزارة الإعلام، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى ١٩٧٩م).
- مجهول، **تاريخ أهل عمان**، تحقيق وشرح: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، (وزارة التراث والثقافة، ط: الثانية، ١٤٢٦ هـ).
- مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، ترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي (الدار الثقافية للنشر، القاهرة، د. ط، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠١م).
- محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، شمس الدين، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام التدمري (دار الكتاب

العربـي، بيـروت، ط: الثانيـة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

- محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان بـن قايمـاز الذهبـي، شـمس الديـن أبـو عبـد الله، **سـير أعـلام النبـلاء**، (تـح: مجموعـة مـن المحققيـن بإشـراف الشـيخ شـعيب الأرنـاؤوط، الناشـر: مؤسسـة الرسـالة، ط: الثالثـة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
- محمـد بـن أحمـد بـن الأزهـري الهـروي، **الزاهـر فـي غريـب ألفـاظ الشـافعي**، تـح: مسـعد السـعدني، (دار الطلائـع، د. م، د. ط، د. ت).
- محمـد أميـن بـن فضـل الله بـن محـب الديـن بـن محمـد المحبي الحمـوي، **خلاصة الأثـر فـي أعيـان القـرن الحـادي عشـر**، (دار صـادر، بيـروت، د. م، د. ت).
- محمـد باقـر الحسـيني، **تطـور النقـود الإسـلامية**، (مطبعـة دار الجاحـظ، بغـداد، ط: الأولـى ١٩٦٩م).
- محمـد بـن جريـر الطبـري، **تاريـخ الطبـري**، تـح: محمـد بـن أبـو الفضـل إبراهيـم (دار المعـارف، مصـر، ط: الثانيـة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م).
- محمـد جمـال الديـن بـن محمـد سـعيد بـن قاسـم القاسـمي، **محاسـن التأويـل**، تـح: محمـد باسـل عيـون السـود، (دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ط: الأولـى ١٤١٨ هـ).
- محمـد حميـد الله الهنـدي الحيـدر آبـادي، **مجموعـة الوثائـق السياسـية للعهـد النبـوي والخلافـة الراشـدة** (دار النفائـس، بيـروت، ط: السادسـة، ١٤٠٧هـ).
- محمـد بـن أبـي بكـر بـن أبـي عيسـى المدينـي الأصفهانـي، أبـو موسـى، **المجمـوع المغيـث فـي غريبـي القـرآن والحديـث**، تـح: عبـد الكريـم العزبـاوي، (مركـز البحـث العلمـي وإحيـاء التـراث الإسـلامي، دار المدنـي للطباعـة والنشـر، جـدة، الطبعـة الأولـى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- محمـد بـن القاسـم بـن بشـار الأنبـاري، أبـو بكـر، **شـرح القصائـد السـبع الطـوال الجاهليـات**، تـح: عبـد السـلام محمـد هـارون (دار المعـارف «سلسـلة ذخائـر العـرب (٣٥)»، ط: الخامسـة، د. ت).

- محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر، **جمهرة اللغة**، تح: رمزي منير بعلبكي (دار العلم للملايين – بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٧م).
- محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم، **صورة الأرض**، (الناشر: دار صادر، أفست ليدن، بيروت، د. ط: ١٩٣٨ م).
- محمد الخضر الجكيني الشنقيطي، **كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري**، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- محمد الفايز، **مذكرات بحَّار**، (منشورات تكوين، د.م، ط: الأولى، ٢٠١٧م).
- محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: جماعة من المختصين (وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ط: ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١م).
- محمد بن سعد بن منيع الزهري، ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، تح: د. علي محمد عمر، (مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، ط: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).
- محمد سليمان الطيّب، **موسوعة القبائل العربية** «بحوث ميدانية وتاريخية» (دار الفكر العربي، د. م، ط: الثالثة، ١٤٢١ - ١٤٣١ هـ).
- محمد بن ناصر بن راشد المنذري، **تاريخ صحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، (دار العلوم للطباعة والنشر، ط: الأولى، د. ت).
- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ).
- محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي، **القاموس المحيط والقابوس الوسيط فيما تفرق**

من لغة العرب شماميط، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م بيروت – لبنان).

- محمود بن أحمد بن موسى العينتابي الحلبي ثم القاهري الحنفي، بدر الدين العيني، **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار**، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م).
- محمود شكري الآلوسي، **تاريخ نجد**، اعتنى به وعلق عليه: محمد بهجة الأثري (د. ن، د. م، ط: الثانية، ١٣٤٧هـ)، و: نسخة أخرى من الكتاب نفسه (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: الأولى، د. ت).
- محمد الطنطاوي، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، تح: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل (مكتبة إحياء التراث الإسلامي، د. م، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
- محمد بن عامر بن راشد المعولي، **قصص وأخبار جرت في عُمان**، تح: سعيد بن محمد الهاشمي (وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، ط: الأولى ١٤٢٨هـ).
- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المصري، المدني، شمس الدين، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، تح: مجموعة باحثين، (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ).
- محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: د. عبد الهادي التازي (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ط: الأولى، ١٤١٧هـ).
- محمد عفيف الدين بن عبد الله بن عبد الملك المرجاني، **بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار**، تح: أ د محمد عبد الوهاب فضل (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٢ م).

- محمد بن علي بن محمد الهروي، أبو سهل، **إسفار الفصيح**، أحمد بن سعيد بن محمد قشاش (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٢٠هـ).
- محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٩ هـ).
- محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب** (دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ).
- محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العيني، **البناية شرح الهداية**، تح: أيمن صالح شعبان، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م).
- م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، تحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، مراجعة: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، (مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م).
- مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، (دار الكتاب العربي، د. م، ط: الثانية، ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م).
- معمر بن المثنى التيمي، أبو عبيدة، **شرح نقائض جرير والفرزدق**، تح: محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص (المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الثانية، ١٩٩٨م).
- معمر بن المثنّى، أبو عبيد، **شرح نقائض جرير والفرزدق**، تح: محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط: الثانية ١٩٩٨م).
- المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، **أمثال العرب**، تح: إحسان عباس. (دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ =

١٩٨٣م).

- د. ناصر بن علي بن سالم الندابي، **سيرة الشيخ الفقيه محمد بن محبوب إلى أهل المغرب** «دراسة وتحقيق»، (ذاكرة عمان، سلطنة عمان، ط: الأولى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٧م).
- نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تح: د حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني د يوسف محمد عبد الله، (دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان. دار الفكر، دمشق – سورية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م).
- هيرمان بينار، وسلفاتوري فوندارو، ووكوستانزا لمونتيا، وآخرون، **الرؤية العمرانية الشاملة لمدينة القطيف**، تصميم: أميرة الحسن (وزارة الشؤون البلدية والقروية، المملكة العربية السعودية، ط: ١/ ١٤٤٠ هـ).
- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، شهاب الدين، أبو عبد الله، **معجم البلدان** (دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥ م).
- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي شهاب الدين، أبو عبد الله، **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، تحرير: فريناند فستنفلد، (جامعة روما، سابينزا، ط: الأولى ٢٠١٤م).
- يحيى بن علي بن محمد التبريزي، أبو زكريا، **شرح ديوان الحماسة** «اختيار أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ» (دار القلم، بيروت، د. ت).
- يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، أبو عوانة، **مقدمة تحقيق المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم**، إعداد: فريق من الباحثين، تصحيح: أحمد بسيوني (وزارة التعليم العالي، المدينة المنورة، ط: الأولى ١٤٣٣ هـ).
- يوسف بن عبد الله بن محمد النمري، ابن عبد البر، أبو عمر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تح: علي بن محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

- يوسف بن قز أوغلي بن عبد الله، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تح: محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي (دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط: الأولى ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م).
- يوسف بن يعقوب ابن محمد، المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي، جمال الدين، أبو الفتح، **تاريخ المستبصر**، تح: ممدوح حسن، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ١٩٩٦م).

٢- المصادر الأجنبية:-

- Berthoud, Cleuziou, "Farming Comunities of the Oman Peninsula" .(1983) ,
- Cleuziou, S. Tosi, M, In the Shadow of the Ancestors: The prehistoric Foundations of the Early Arabian Civilization in Oman, Ministry of Heritage and Culture. Sultanate of Oman, .(2007)
- Dr. Samuel Marinus Zwemer, Arabia: The Cradle of Islam «Studies in the Geography, People and Politics of the Peninsula with an account of Islam and Mission – work) ,»Fleming H. Revell Company Publishers of Evangelical Literature ,New York) ,1900.(
- Henry William Mardon, «ARABIA ,»Encyclopædia Britannica, (1922).

٣- الصحف والمجلات:-

- باش أعيان زادة أمين عالي البصري «البصرة وأنهارها» **مجلة لغة العرب العراقية** (وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، مطبعة الآداب، بغداد، العدد: ٢٦، تاريخ: ١/ ٨/ ١٩١٣م).
- بروين حبيب، «مهرجان المربد الشعري.. دورة أحمد مطر» **القدس العربي**، (صحيفة القدس العربي، لندن، بتاريخ: ٢٥ فبراير ٢٠٢٤م). على البريد:

https://www.alquds.co.uk

- د. سالم بن سعيد البوسعيدي، «شاعر الصير الشيخ محمد بن صالح المنتفقي» **جريدة عمان**، (مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، بتاريخ: ١٥ مارس ٢٠٢٤م). ينظر الرابط:

https://www.omandaily.om

- أ. د عامر أبو جبلة، «مصادر التراث البحري والتجاري العُماني» **مجلة الثقافية** (مركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم، العدد: ٣٣، بتاريخ: رجب ١٤٤٢ هـ، مارس ٢٠٢١م).
- السيد عبد الرزاق الحسيني «لواء البصرة» **مجلة لغة العرب العراقية** (وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، مطبعة الآداب، بغداد، العدد: ٧٩، تاريخ: ١/ ٤/ ١٩٣٠م).
- عمار الصالح، «ديوان العرب وتحولاته في مهرجان المربد الشعري بالبصرة» **الجزيرة**، (مؤسسة الجزيرة الإعلامية، قطر، بتاريخ: ٧-٣-٢٠١٩م). على البريد:

https://www.aljazeera.net/culture

- فراس سليم حياوي، وماجد عبد زيد أحمد الخزرجي، «الصلات التجارية

بين العراق وساحل عمان والبحرين (١٢٣ هـ - ٦٥٦هـ)» **مجلة العلوم الإنسانية** (جامعة بابل، جمهورية العراق، العدد: ٤، كانون الأول ٢٠١١م).

- المنيع، عبد الله بن سليمان، «تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة» **مجلة الشريعة الإسلامية** (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د. ت، العدد: ٥٩).

٤- المواقع، والروابط الإلكترونية:-

- أحمد بن خليفة الشحي، **مقبرة أمير الجيوش في دبا.. موقع يحكي تفاصيل مثيرة في التاريخ العماني**، (جريدة عمان الإلكترونية، الجمعة ٢٨ / ربيع الآخر / ١٤٤٦ هـ - ٠١ نوفمبر ٢٠٢٤ م، ينظر الرابط: https://www.omandaily.om)
- د. ك، **تقرير مدافن حفيت**، دائرة الثقافة والسياحة بأبو ظبي. ينظر الموقع الإلكتروني عبر الشابكة: https://dct.gov.ae/ar/what.we.do/culture/museums/jebel.hafeet.tombs.aspx
- د. ك، **تقرير حول محافظة البصرة**، ينظر الموقع الآتي عبر الشابكة: https://investpromo.gov.iq/wp-content/uploads/2013/05/Basra-province-ar.pdf
- عارف الساعدي، «البصرة في أزقتها درج ابن برد وأبو نواس، وفيها شب الفراهيدي، وولد الجاحظ، ترابها غفت عليه العقول العظيمة» **الشرق الأوسط**، (٠٥ مُحرَّم ١٤٤٢ هـ / ٢٣ أغسطس ٢٠٢٠ م)، حسب الموقع: https://aawsat.com/home/article/
- مجموعة معدين، «محمد بن مهدي» **الموسوعة الشعرية**، (مجمع أبو ظبي للثقافة، الإمارات العربية المتحدة). نقلا عن الموقع: https://poetry.dctabudhabi.ae

- فرحان الفرحان، «الأصمعي يجوب صحراء الكويت (122 - 216 هـ = 740 - 831 م)" **موقع تاريخ الكويت**، (دولة الكويت، صفحة إلكترونية، بتاريخ: ٩-٨-٢٠٠٩م). ينظر الرابط:

https://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php

٥- الأرشيف الشخصي:-

- فريق عمل، ملفات حول: **مجان.. المكتشفات، واللقى الأثرية، وعلاقتها ببلاد الرافدين**، ترجمة: د. هلال الحجري، ومحمد السالمي، تحرير ومراجعة: د. محمد الحارثي، ود. سعيد الريامي، بتاريخ: ١٩-١٢-٢٠٢٠م (يحتفظ الباحث بنسخة من الملف).
- فريق عمل، **المستوطنون الأوائل**، تخطيط وتحضير: أسمهان الجرو، وعبد الرحمن المعشني، وناهد القريشي، ترجمة ومراجعة: د. محمد الحارثي، ود. سعيد الريامي، بتاريخ: ١٩-١٢-٢٠٢٠م (يحتفظ الباحث بنسخة من الملف).
- علي بن راشد المديلوي، **الطفرة الحضارية في مجان وإشكالية التنظيم السياسي خلال فترة الالف الثالث قبل الميلاد «تصدير النحاس أنموذجًا»** (بحث مرقون يحتفظ الباحث بنسخة منه).
- نصوص شعرية متفرقة، ومراسلات أدبية.

الفهرس:

مقدمة ٥

تمهيد ١٧

الفصل الأول: الساحل الغربي للخليج العربي .. الحواضر، والجزائر ٥٣

١- بعض أهم الحواضر الخليجية عبر التاريخ: ٥٥

١-١ كَاظِمَة ٥٥

١-٢ القطيف ٧١

١-٣ هجَر ١٠٥

١-٤ قطر ١٣٥

١-٥ جِلْفَار ١٤٥

١-٦ دَبَـــا ١٦٢

١-٧ صُحَار ١٧٣

٢- الْبَصْرَة، وشَطُّ العرب ٢٠٣

٢-١ البصرة.. عبقريَّة الموقع، وتاريخ المكان ٢٠٣

٢-٢ الخليج والْبَصْرَة.. المسالك، والصِّلات ٢٣٤

الفصل الثاني: الصِّلات الأدبية .. المظاهر، والنصوص ٢٥٩

١- الحياة الأدبيَّة في الخليج العربي، والبَصْرَة ٢٦١

٢- مظاهر، وتجليَّات ٣٠٥

أ) قديمًا ٣٠٧
٢-١ الأسواق الأدبية ٣٠٧
٢-٢ هجرة القبائل العربية إلى البصرة ٣١٣
٢-٣ الرحلة الأدبية ٣١٩
٢-٣-١- الخليل بن أحمد الفراهيدي، والرحلة إلى البصرة ٣١٩
٢-٣-٢- شخصيات أخرى ٣٢٥
ب) حديثًا ٣٣٧
٢-١ مهرجان الْمِرْبَد الشِّعْري ٣٣٨
٣- نصوص شعرية مختارة حول الخليج والبَصْرَة ٣٤٢
٣-١- ما قيل في الخليج ٣٤٢
٣-٢ وممَّا قيل في البَصْرَة ٣٩٥
الخاتمة ٤٢١
المصادر والمراجع ٤٢٥
الفهرس ٤٥١
الملاحـــق ٤٥٣

الملاحـق:

أ) كتب.

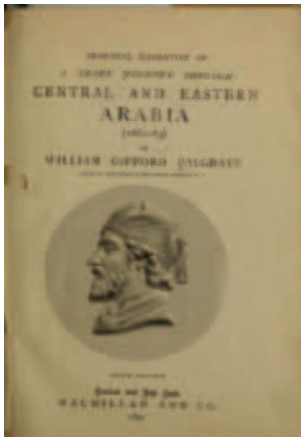
ب)صور، وقصاصات.

ج)مشهديات.

د) مخطوطات.

هـ) رسالة، وقصيدة.

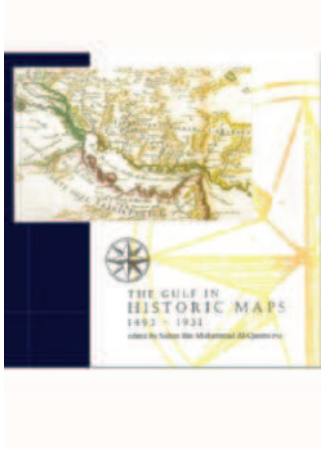
أ- كتب:-



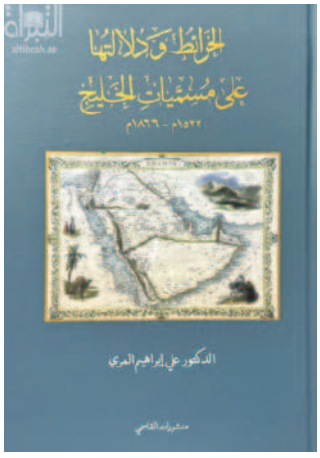
[كتاب – ١: سرد شخصي لرحلة عام عبر وسط وشرق شبه الجزيرة العربية (١٨٦٢-١٨٦٣م)، لويليام جيفورد بالجريف، ١٨٦٥م].



[كتاب – ٢: الجزيرة العربية مهد الإسلام، لصمويل زويمر، ١٩٠٠م].



[كتاب –٣: الخليج في الخرائط التاريخية بين عامي (١٤٧٨-١٨٦١م)، للدكتور سلطان بن صقر القاسمي، ١٩٩٩م].



[كتاب –٤: الخرائط ودلالاتها على مسميات الخليج ١٥٢٢م – ١٨٦٦م، للدكتور علي بن إبراهيم المري، ٢٠٢٤م].



[كتاب –٥: جلفار عبر التاريخ، للعبدالله بن علي الطابور، ٢٠٠٣م].



[كتاب –٦: البحرين والخليج، لمورين تويدي، ترجمة: عبد النبي العكري، ٢٠٢٢م].



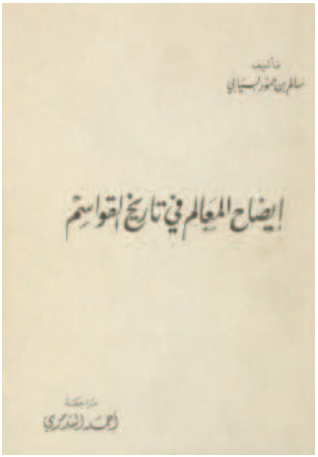
[كتاب –٧: صحار عبر التاريخ، لمجموعة مؤلفين، مسقط ٢٠١٤م].



[كتاب –٨: كاظمة البحور. دراسة تاريخية وأثرية لموقع "كاظمة – محافظة الجهراء"، لسلطان الدويش، الكويت ٢٠٠٥م].



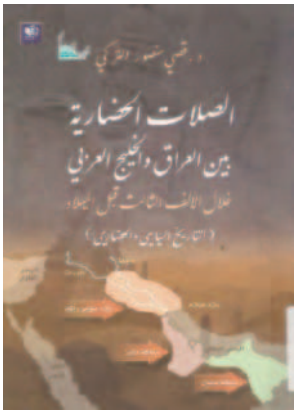
[كتاب –٧: تاريخ الإمارة العيونية في بلاد البحرين، لعبد الرحمن بن عثمان آل ملا، ٢٠١٤م].



[كتاب –٨: إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، للشيخ سالم بن حمود السيابي، ١٩٧٦م].



[كتاب –٩: بلاد الرافدين وعيلام. العلاقات الحضارية في التاريخ القديم، للدكتور نضار سليمان السعدون، ٢٠١٩م].



[كتاب –١٠: الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد "التاريخ السياسي والحضاري"، د. قصي منصور التركي، ٢٠٢٤م].



[كتاب –٩: رحلة إلى الخليج العربي. بعثة شركة النفط الإنكليزية الفارسية إلى البحرين وقطر ومسقط وعمان وأبوظبي والشارقة وعدن (١٩٢٥-١٩٣٧م)، للحاج عبدالله ويلمسن، ترجمة: د. سليم أحمد خالد، ٢٠٠٥م].



[كتاب –١٠: رحلة عبر الخليج العربي، من البصرة إلى مسقط من خلال صور نادرة للرحالة الألماني هرمات بورخارت، تأليف: آنيغريت نيبا وبيتر هربسترويت، ترجمة: د.أحمد إيبش، ٢٠١٣م].



[كتاب –١١: الحركة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، للدكتور أحمد كمال زكي، ١٩٧٠م].



[كتاب –١٢: شعر البصرة في العصر الأموي "دراسة في السياسة والاجتماع"، للدكتور عون الشريف قاسم، ١٩٧٢م].



[كتاب –١٣: من مشاهير أعلام البصرة، للدكتور عبدالحسين المبارك، والدكتور عبد الجبار ناجي الياسري، ١٩٨٣م].



[كتاب –١٤: معجم شعراء البصرة، للأستاذ الدكتور عبد الباسط خليل الدرويش، ٢٠١٦م].



[كتاب –١٥: معجم أعلام شعراء عبد القيس،لمحمدحسن الأصمخ،٢٠٢٢م].



[كتاب –١٦: معجم البابطين لشعراء العربية في عصر الدول والإمارات، لمجموعة مؤلفين، ١٩٩٥م].



[كتاب –١٧: إخوانيات شعراء الخليج، لمحمد عثمان الملا، ٢٠١٩م].



[كتاب –١٨: الشعر والشعراء في الخليج العربي والجزيرة العربية، ١٩٨٠م].

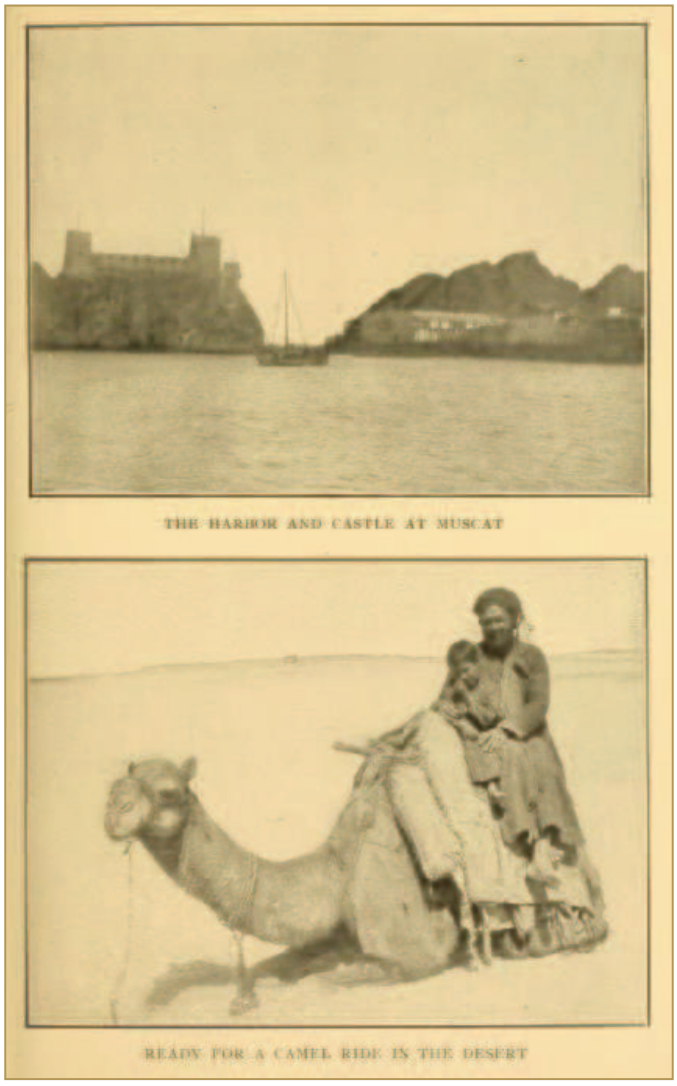


[كتاب –١٩: دليل الخليج العربي وعمان، لجورج لويمر، ٢٠١٣م].



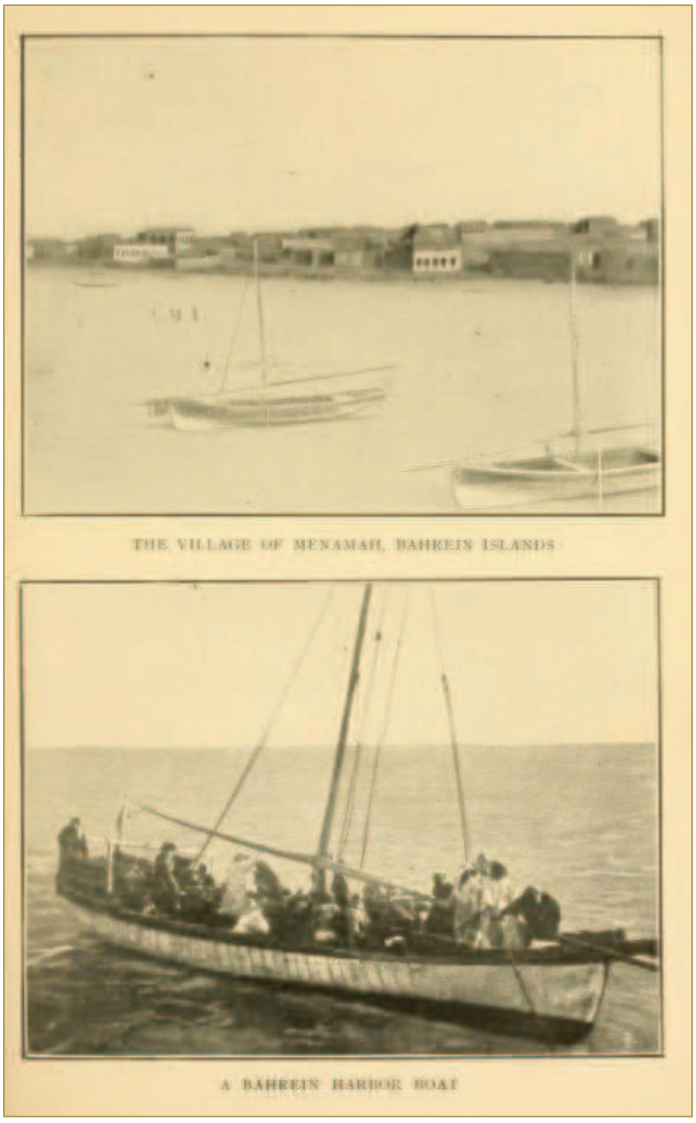
[كتاب –٢٠: موسوعة عمان الوثائق السرية، لمحمد بن عبدالله الحارثي، ٢٠٠٧م].

ب- صور، وقصاصات:-



[صورة – ١: صفحة من كتاب زويمر، تحوي صورة للواجهة البحرية لمسقط القديمة، ورحلة باستخدام الجمل عبر الصحراء].

- المصدر: كتاب "**الجزيرة العربية مهد الإسلام**"، لزويمر، ص٨١.



[صورة – ٢: صفحة من كتاب زويمر، تحوي صورتين لمركبين بالبحرين «المنامة»]

- المصدر: كتاب "**الجزيرة العربية مهد الإسلام**"، لزويمر، ص١٠١.



[صورة – ٣: خور أشر يؤدي إلى شط العرب، العراق، ١٩٢٥م]



[صورة – ٤: الفاو القديمة]

ت- مشهديات:-



[مشهد – ١: ملتقى دجلة والفرات؛ حيث شط العرب]



[مشهد – ٢: نهرا دجلة والفرات؛ وعرض آخر لشط العرب]



[مشهد – ٣: خليج القطيف]



[مشهد – ٤: الساحل الممتد من مسندم لقطر].

ث- مخطوطات:-



[مخطوطة – ١: جمهرة اللغة، لابن دريد، المتوفى سنة ٣٢١هـ].

- المصدر: محفوظات **مكتبة ليدن**، هولندا.
- رقم الحفظ: (Or 321 a) 321



[مخطوطة – ٢: الكامل، لأبي العباس المبرد، المتوفى سنة ٢٨٥هـ].

- المصدر: وقف راغب باشا، تركيا.
- رقم الحفظ: ٥٣٧٢٥



[مخطوطة – ٣: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، لابن صبغة الله الحيدري، المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ]

- المصدر: وقف أبو عبد المعيد الدوري، تركيا
- رقم الحفظ: ١٣٢٤ قديم. ضمن خزانة تجارية، بمكتبة تركية خاصة.



[مخطوطة – ٤: الرسالة السينية، ضمن مخطوطة مقامات الحريري البصري، المتوفة سنة ٥١٦ هـ].

- المصدر: مكتبة الدولة، برلين.
- التصنيف: المخطوطات الشرقية الرقمية.
- رقم الحفظ: PPN 689812310



[مخطوطة –٥: شرح ملحة الإعراب للحريري، المتوفى سنة ٥١٦هـ].

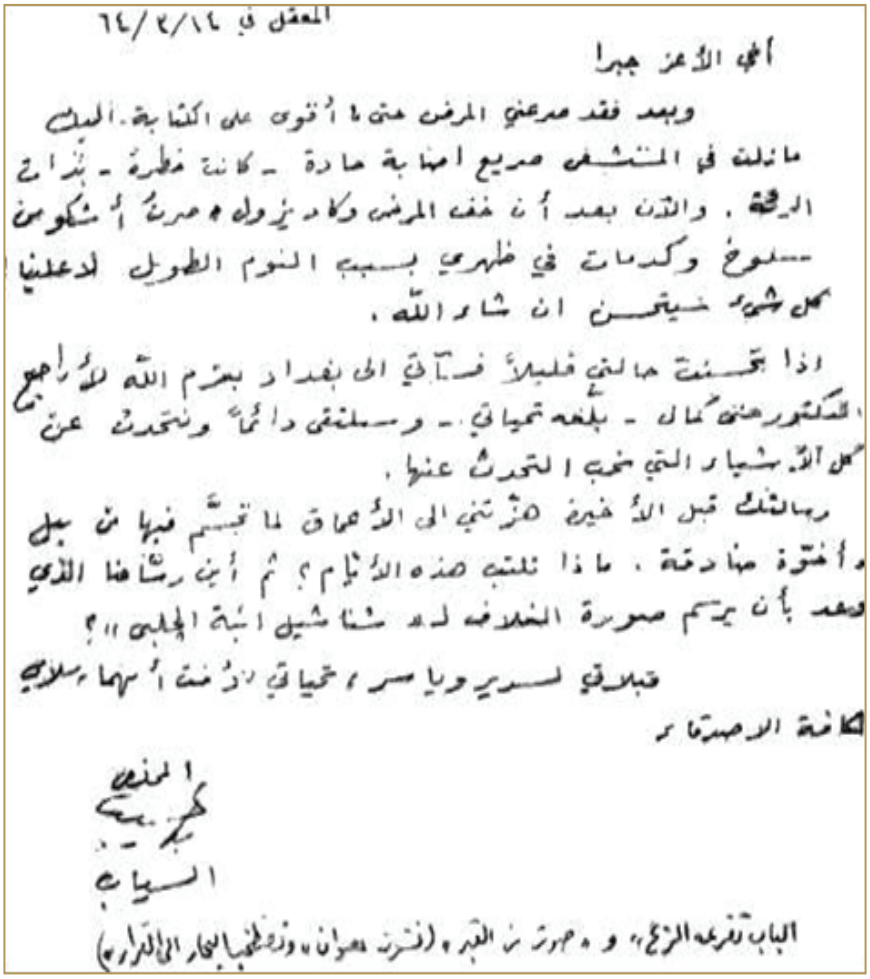
- المصدر: وزارة الثقافة والرياضة والشباب، دار المخطوطات، سلطنة عمان.
- رقم الحفظ: ٢٣٥٣



[مخطوطة – ٦: ديوان البلادي، المتوفى سنة ١٢٦٩ هـ].

- المصدر: مكتبة عبد الكريم الشيخ، القطيف.
- رقم الحفظ: د. ت

ج- رسالة، وقصيدة:-



المعقل في ٦٤/٢/١٤

أخي الأعز جبرا

وبعد فقد صدعني المرض حتى لا أقوى على الكتابة. المدن مازلت في المستشفى صريع امراض عادة - كانت مطرة - بذاءة الرقعة. والآن بعد أن خف المرض وكاد يزول عني أشكو من سلوخ وكدمات في ظهري بسبب النوم الطويل لدعلينا كل شيء سيتحسن ان شاء الله.

اذا تحسنت حالتي قليلاً فسآتي الى بغداد بعزم الله للقاء الدكتور هنري كمال - بلغه تحياتي - وسنلتقي دائماً ونتحدث عن كل الأشياء التي نحب التحدث عنها.

رسالتك قبل الأخيرة حزنتني الى الأعماق لما تحسّم فيها من بعد وأخوة صادقة. ماذا تلتبس هذه الأيام؟ ثم أين رشافنا الذي وعد بأن يرسم صورة الخلوف لدى شاشيل اشبة الجليد"؟

قبلاتي لسميرة وياسر، تحياتي لأدونيس أرجو سلامتي

لكافة الأصدقاء

المخلص

كريم

السياب

الباب تفرعه الزرع، و ه صورة ن القبر، (فترة حمران، وذهابها بالعار الى القرار)

[رسالة إخوانية لبدر شاكر السياب، موجهة إلى: جبرا إبراهيم جبرا، مؤرخة في: ١٤-٣-١٩٦٤م، تصف حالته المرضية، وشوقه للقاء].



[قصيدة أبو سرور الجامعي المتوفى سنة ١٤٣٥ هـ،
التي ألقاها في مهرجان المربد الشعري، في إحدى دوراته]


تم بحمد الله


بسم الله الرحمن الرحيم
مجلس التعاون لدول الخليج العربية

مركز الترجمة والتعريب والاهتمام باللغة العربية
GCC Centre for Translation, Arabisation and Promotion of Arabic

CTAPA@GCCSG.ORG | (+٩٦٨) ٢٤٩٦٨٨٥٩
@CTAPA_GCC | (+٩٦٨) ٢٤٦٧٥٥٠٠
ص.ب: ٥٣٩، الرمز البريدي: ١١٨، مسقط، سلطنة عُمان